الإِبَانَة عَنْ أُصُولِ الدِّيَانَة

لِشَيخِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعة

أَبِي الحسن عَلِيِّ بن إِسماعيل الأَشعَرِيِّ

(٢٦٠ - ٣٢٤هـ)

بعِنَايةِ

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

الإبَانَة
عَن أُصُولِ الدِّيَانَة

لِشَيخِ أهْلِ السُّنَّةِ والجماعة

أَبِي الحَسَن عَلِي بن إِسْمَاعِيل الأَشْعَرِيّ

(٢٦٠ - ٣٢٤هـ)

بِعِنَايَةِ

نزار حمّادي

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الإمام ابن عرفة
تونس

الإبانة عن أصول الديانة

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَة
الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

بلدُ الطِّباعَة: بيْرُوت - لبْنَان
التَّجْليدُ الفَنِّي: شركَة فؤاد البعينو للتَّجليد ش.م.م.
بيْرُوت - لبْنَان

دار الضياء للنشر والتوزيع
DAR ALDEYAA
For Printing & Publishing

دار الضياء للنشر والتوزيع
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي ٣٢٠١٤
تلفاكس ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٨١٨٠
نقال ٠٠٩٦٥٥٠٤٠٩٩٢١

www.daraldeyaa.net
info@daraldeyaa.net

Dar_aldheyaa2@yahoo.com
Abdou20201@hotmail.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت
دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي تليفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ نقال: ٥٠٤٠٩٩٢١

جمهورية مصر العربيَّة
دار الأصالة للنشر والتوزيع – المنصورة
محمول: ٠٠٢٠١٠٠٠٣٧٣٩٤٨
محمول: ٠٠٢٠١٠٩٨٣٢٥٨٣٢

المملكة العربية السعودية
مكتبة الرشد - الرياض هاتف: ٤٣٢٩٣٣٢ – ٢٠٥١٥٠٠
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة هاتف: ٦٣١١٧١٠
مكتبة المتنبي – الدمام هاتف: ٨٣٤٤٩٤٦ فاكس: ٨٤٣٢٧٩٤

برمنكهام - بريطانيا
مكتبة سفينة النجاة هاتف: ٠٠٤٤٧٤٧٢٠٤٢٨٢٤ هاتف: ٠٠٤٤٧٤٩٥٠٧٤٠٢٥

المملكة المغربية
دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٢٧٤٨١٧

الجمهورية التركية
مكتبة الإرشاد - إسطنبول هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣٤ فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠

جمهورية داغستان
مكتبة ضياء الإسلام هاتف: ٠٠٧٩٨٨٣٠٣١١١١ - ٠٠٧٩٨٨٧٧٣٠٣٠٦
مكتبة الشام - خاسافيورت هاتف: ٠٠٧٩٢٨٨٧٢٩٥٠٥ - ٠٠٧٩٢٨٨٦٦١٤٧٤

الجمهورية العربية السوريَّة
دار الفجر - دمشق - حلبوني هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ فاكس: ٢٤٥٣١٩٣

الجمهورية السودانية
مكتبة الروضة الندية-الخرطوم- شارع المطار هاتف: ٠٠٢٤٩٩٩٠٠٤٣٥٧٩

المملكة الأردنية الهاشميَة
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان هاتف: ٠٦٤٦٥٣٣٩٠ – ٠٧٨٨٢٩١٣٣٢

دولة ليبيا
مكتبة الوحدة – طرابلس
شارع عمرو ابن العاص هاتف: ٠٩١٣٧٠٦٩٩٩ – ٠٢١٣٣٣٨٢٣٨

الحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ

(ت٥٧١هـ)

تَصَانِيفُ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَة، وبِالإِجَادَةِ وَالإِصَابَةِ لِلتَّحْقِيقِ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ مَوْصُوفَة، ومَنْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِهِ المُسَمَّى بِـ«الإِبَانَة»؛ عَرَفَ مَوْضِعَهُ مِنَ العِلْمِ والدِّيَانَة.

وَالأَشْعرِيَّةُ يَعْتَقِدُونَ مَا فِي «الإِبَانَةِ» أَشَدَّ اعْتِقَاد، ويَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا أَشَدَّ اعْتِمَاد، فإِنَّهُمْ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ لَيْسُوا مُعْتَزِلَة، وَلَا نُفَاةً لِصِفَاتِ اللهِ مُعَطِّلَة، لكِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لَهُ سُبْحَانَهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَات، ويَصِفُونَهُ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ فِي مُحْكَمِ الآيَات، ومَا وَصَفَهُ بِهِ نَبِيُّهُ فِي صَحِيحِ الرِّوَايَات.

(التبيين ص١١٩/ص٦٧٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي حَفِظَ الدِّينَ، وَأَوْضَحَ السَّبِيلَ لِلْمُهْتَدِين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتِمِ النَّبِيِّين، وَإِمَامِ المُتَّقِين، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الهُدَاةِ المَرْضِيِّين.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَبَيَّنَ طَرِيقَ الرَّشَادِ، وَوَضَّحَ مَعَالِمَ السَّدَادِ، وَتَرَكَ الأُمَّةَ عَلَىٰ المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، وَأَوْرَثَهَا السُّنَّةَ الغَرَّاء.

وَقَدْ كَانَ المُسْلِمُونَ زَمَنَ حَيَاتِهِ المُبَارَكَةِ ﷺ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ ظَاهِرٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ المُخَالِفِينَ المُنَافِقِينَ مَا كَانَ يَتَمَكَّنُ مِنْ إِظْهَارِ عَدَاوَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ خِلَافٍ ظَهَرَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ اخْتِلَافُهُمْ فِي وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ قَالَ بَعْضُهُمْ: «إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّهُ رُفِعَ كَمَا رُفِعَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ»، **وَسُرْعَانَ مَا ارْتَفَعَ هَذَا الخِلَافُ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ صَعِدَ المِنْبَرَ وَخَطَبَ خُطْبَةً وَتَلَا عَلَيْهِم قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِن مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ رَبَّ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ»[١]، فَسَكَنَتِ النُّفُوسُ وَاطْمَأَنَّتِ القُلُوبُ وَزَالَ الخِلَافُ.

---

(١) البخاري (٣٦٦٨).

وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم اخْتِلَافَاتٌ اجْتِهَادِيَّةٌ كَانَ الغَرَضُ مِنْهَا إِقَامَةَ مَرَاسِمِ الشَّرْعِ وَإِدَامَةَ مَنَاهِجِ الدِّينِ، مِنْهَا الخِلَافُ فِي تَعْيِينِ مَنْ يَخْلُفُ النَّبِيَّ ﷺ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَحِفْظِ حَوْزَةِ مِلَّةِ المُسْلِمِينَ، وَارْتَفَعَ بِمُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وَالاجْتِمَاعِ عَلَىٰ إِمَامَتِهِ وَالاتِّفَاقِ عَلَىٰ خِلَافَتِهِ.

وَفِي خِلَافَتِهِ رضي الله عنه حَدَثَتْ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِيَ امْتِنَاعُ بَعْضِ أَحْيَاءِ العَرَبِ عَنْ تَأْدِيَةِ الزَّكَاةِ الَّتِي كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَاخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِي أَمْرِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، بَلْ نَتْرُكُهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنْعِ الزَّكَاةِ وَنَتَأَلَّفُهُمْ حَتَّىٰ يَتَمَكَّنَ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يُزَكُّونَ، **وَامْتَنَعَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مِنْ ذَلِكَ وَأَبَاهُ**، حَتَّىٰ قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: «كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَه إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنَّ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»(١).

ثُمَّ حَدَثَتْ فِي أَيَّامِ المُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ خِلَافَاتٌ فِي الأُصُولِ الاعْتِقَادِيَّةِ، مِنْ أَوَّلِهَا بِدْعَةُ مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ (ت قبل ٩٠هـ)، وَغَيْلَانَ الدِّمَشْقِيِّ (ت١٠٦هـ) فِي القَوْلِ بِالقَدَرِ وَإِنْكَارِ إِضَافَةِ الخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَىٰ اللهِ عز وجل، فَكَانَ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ (ت٧٣هـ)،

---

(١) البخاري (٧٢٨٤) ومسلم (٢٠).

وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، (ت٦٨هـ) وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ (ت٨٦هـ) وَأَقْرانِهِمْ، وَكَانُوا يُوصُونَ إِلَىٰ أَخْلَافِهِمْ بِأَنْ لَا يُسَلِّمُوا عَلَيْهِم، وَلَا يَعُودُوهُمْ إِنْ مَرِضُوا، وَلَا يُصَلُّوا عَلَيْهِمْ إِذَا مَاتُوا.

ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَهُمْ فِي زَمَانِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (ت١١٠هـ) بِالبَصْرَةِ خِلَافُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ الغَزَّالِ (ت١٣١هـ) فِي القَدَرِ أَيْضًا، وَفِي القَوْلِ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الفَاسِقَ المِلِّيَّ لَيْسَ مُؤْمِنًا وَلَا كَافِرًا، وَوَافَقَهُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (ت١٤٣هـ) عَلَىٰ بِدْعَتِهِ، فَطَرَدَهُمَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ مِنْ مَجْلِسِهِ، فَاعْتَزَلَاهُ بِأَتْبَاعِهِمَا فَسُمُّوا مُعْتَزِلَةً، ثُمَّ أَسَّسُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَجَالِسَ وَتَخَرَّجَ بِهِمْ تَلَامِيذُ يَحْمِلُونَ آرَاءَهُمْ، ثُمَّ طَالَعُوا كُتُبَ الفَلَاسِفَةِ حَيْثُ انْتَشَرَتْ أَيَّامَ المَأْمُونِ فَخَلَطُوا مَنَاهِجَهَا بِمَنَاهِجِهِمْ وَاخْتَلَفُوا فِي أَنْفُسِهِمْ إِلَىٰ فِرَقٍ عَدِيدَةٍ.

ثُمَّ كَانَ بَيْنَ المُعْتَزِلَةِ وَتَلَامِيذِهِمْ وَبَيْنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ـ وَهُمُ السَّلَفُ الصَّالِحُ ـ فِي كُلِّ زَمَانٍ اخْتِلَافَاتٌ فِي مَسَائِلِ العَقَائِدِ، إِلَىٰ أَنْ أَظْهَرَ المَأْمُونُ فِي حُدُودِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ (٢١٢هـ) القَوْلَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، ثُمَّ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ (٢١٨هـ) بَدَأَ امْتِحَانُ العُلَمَاءِ وَإِلْزَامُهُمْ بِالقَوْلِ بِذَلِكَ، فَحَدَثَتْ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ ثَبَتَ فِيهَا أَئِمَّةٌ عَلَىٰ مُعْتَقَدِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ السَّابِقِينَ، وَذَلِكَ المُعْتَقَدُ هُوَ أَنَّ «**القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ مَخْلُوقًا وَلَا مَفْعُولًا وَلَا مُحْدَثًا**»[١].

وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ المِحْنَةُ أَيَّامَ المَأْمُونِ، ثُمَّ المُعْتَصِمِ، ثُمَّ الوَاثِقِ، وَسُجِنَ وَقُتِلَ فِيهَا عُلَمَاءُ امْتَنَعُوا مِنَ الإِجَابَةِ لِلْقَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ، مِنْهُمْ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ

(١) من كلامٍ أقرَّهُ ووقَّع عليه الإمام ابن خزيمة كما في سير أعلام النبلاء للذهبي (ج١٤/ص٣٨٠).

الخُزَاعِيُّ (ت٢٢٨هـ)، وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الخُزَاعِيُّ (ت٢٣١هـ)، وَيُوسُفُ بْنُ يَحْيَىٰ البُوَيْطِيُّ (ت٢٣١هـ) رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

وَسُجِنَ وَعُذِّبَ فِيهَا آخَرُونَ، مِنْ أَبْرَزِهِمُ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبٍ أَوْثَقُهَا كِتَابُ المِحْنَةِ بِرِوَايَةِ وَلَدِهِ أَبِي الفَضْلِ صَالِحٍ (٢٦٥هـ)، وَقَدْ كَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يَقُولُ لِمُنَاظِرِيهِ: «**القُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللهِ، وَعِلْمُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ**»[1]، يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهُ وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ، كَالعِلْمِ فَإِنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ تعالىٰ، **فَكَمَا لَا يَجْرُؤُ** المُسْلِمُ عَلَىٰ أَنْ يَقُولَ بِأَنَّ عِلْمَ اللهِ حَادِثٌ أَوْ مَخْلُوقٌ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ اتِّصَافَهُ تَعَالَىٰ بِالجَهْلِ قَبْلَ العِلْمِ، كَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَجْرُؤَ عَلَىٰ القَوْلِ بِأَنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَىٰ مُحْدَثٌ أَوْ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ اتِّصَافَهُ بِضِدِّ الكَلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ نَقْصٌ[2].

---

(١) كتاب المحنة (ص١٦٩).

(٢) وبهذا الدليل الذي أشار إليه الإمام أحمد استدلَّ إمام أهل المغرب **أبو عثمان سعيد بن الحداد** القيرواني (ت٣٠٢هـ) في بعض مناظراته التي يرويها فقال: ثُم حوَّل الأميرُ وجْهَهُ إليّ فقال لي: أقولُ لكَ كما قُلْتُ لابْنِ طالبٍ: لا أقول مخلوقٌ، ولا غير مخلوق. قال: فقلت له: لِمَ؟ قال: لأن الله تعالىٰ قال: كَلَامِي، ولم يَقُلْ: مخلوقٌ، ولا غيْرُ مَخْلُوقٍ. قال: فقلت له: فإن قال غيرك مثل ما قلت في علم الله سبحانه فقال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يقل مخلوقٌ ولا غير مخلوق، وسلَك في العِلْم مسلكَكَ في الكلام؟ قال: فقال: واللهِ لو قال ذلك أحد لقَسَمْتُه بسَيْفِي. قال فقلت له: ولِمَ؟ قال: لأنه لو كان مخلوقًا لكان قبْلَ أنْ يَخْلُقَ العِلْمَ جاهِلًا لأنَّ ضِدَّ العِلْم الجَهْل. قال: فقلْتُ له: فكذلك لا يقال في الكلام مخلوقٌ لأنه **لو كان مخلوقاً لكان مَوْصُوفًا قبل خَلْقِه بضِدِّهِ وهو الخرَسُ، وما لزم في العِلْم لزمَ مِثْلُه في الكلام**. (رياض النفوس، ج٢/ص٧٣) **وقال الإمام مكيٌّ القيرواني** (ت٤٣٧هـ) في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: ﴿ٱلْخَلْقُ﴾: المَخلوقُ، ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: هو كلامُه الذي به تَكُونُ المَخْلُوقَاتُ، **فهو غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وصِفَةٌ مِنْ صِفاتِه كعِلْمِه وقُدْرَتِه**. (تفسير الهداية، ج٤/ص٢٣٩٨).

وَكَانَ إِذَا أَرَادُوا إِلزَامَهُ بِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] أَنَّ القُرْآنَ شَيْءٌ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا كَسَائِرِ الأَشْيَاءِ، يَنْفَصِلُ عَنْ ذَلِكَ بِإِيرَادِ شَوَاهِدَ عَلَىٰ وُجُوبِ تَخْصِيصِ ذَلِكَ العَامِّ، كَقَوْلِهِ لَهُمْ: قَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، أَفَدَمَّرَتْ إِلَّا مَا أَرَادَ اللهُ؟![(١)].

وَصَحَّ عَنْهُ رضي الله عنه فِي رِسَالَتِهِ لِلْمُتَوَكِّل ـ الَّذِي رُفِعَتْ بِهِ المِحْنَةُ ـ الاسْتِدْلَالُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَيَقُولُ رضي الله عنه: «أَخْبَرَ بِالخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ الأَمْرَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ[(٢)]، وَرَوَىٰ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الخَلَّالُ (ت٣١١هـ) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: الَّذِي أَعْتَقِدُهُ وَأَذْهَبُ إِلَيْهِ وَلَا أَشُكُّ فِيهِ أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! وَمَنْ يَشُكُّ فِي هَذَا؟! قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الخَلْقِ والأَمْرِ[(٣)].

وَفِي أَثْنَاءِ تِلْكَ المِحْنَةِ قَامَ بَعْضُ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالمُوَاجَهَةِ العِلْمِيَّةِ مُنَاظَرَةً وَتَصْنِيفًا، مِنْ أَبْرَزِهِم الإِمَامُ الحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ المُحَاسِبِيُّ (ت٢٤٢هـ)، وَالإِمَامُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ القَطَّانُ المَعْرُوفُ بِابْنِ كُلَّابٍ (ت٢٤٥هـ)[(٤)] الَّذِي

---

(١) كتاب المحنة (ص١٥٢ ـ ١٥٣).

(٢) أورده أبو الفضل صالح ابن الإمام أحمد في سيرة والده (ص١١٦) وهو أصح ما وصلنا في أخبار الإمام أحمد رحمه الله.

(٣) السنة لأبي بكر الخلال (ج٥/ص١٣٨) طبعة دار الراية.

(٤) قال الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ رضي الله عنه في كتاب المقالات بعد أنْ أَوْرَدَ اعتقادَ أهل السُّنَّةِ وأصحاب الحديث: أمّا أصْحابُ عبدِ الله بْنِ سَعِيدٍ القَطَّان فإنهم **يقولون بأكثر ما ذكرناه عنْ أهْلِ السُّنَّة**، ويثبتون أنّ البارئ تعالىٰ لم يَزَلْ حَيًّا عالِمًا قادِرًا سميعًا بصِيرًا عزيزًا عظِيمًا جليلًا كبيرًا كريمًا مُرِيدًا **مُتكلِّمًا** جواداً، ويثبتون العِلْمَ والقدرةَ والحياةَ والسمع والبصر والعظمة والجلال والكبرياء والإرادة **والكلام صِفاتٍ لِلّه سبحانه**، ويقولون: **إنَّ أسماءَ الله سبحانه وصفاته=**

قَالَ عَنْهُ الحَافِظُ الدَّارَقُطْنِيُّ (ت٣٨٥هـ): **هُوَ المُتَكَلِّمُ عَلَىٰ مَذْهَبِ المُثْبِتَةِ**[١]، وَقَالَ عَنْهُ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيُّ (ت٣٨٦هـ)[٢]: **عَبْدُ اللهِ بْنُ كُلَّابٍ يَتَقَلَّدُ السُّنَّةَ**، وَيَتَوَلَّىٰ الرَّدَّ عَلَىٰ الجَهْمِيَّةِ وغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ[٣]، وَقَالَ عَنْهُ الإِمَامُ ضِيَاءُ الدِّينِ الخَطِيبُ الرَّازِيُّ: عَبْدُ اللهِ بْنُ كُلَّابٍ **دَمَّرَ المُعْتَزِلَةَ فِي مَجْلِسِ المَأْمُونِ** وفَضَحَهُمْ بِبَيَانِهِ[٤]، حَتَّىٰ صَارَ قُدْوَةً لِأَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُ الحافِظِ ابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ (ت٨٥٢هـ): **مَا يُورِدُهُ البُخَارِيُّ** (ت٢٥٦هـ) **مِنَ المَسَائِلِ الكَلَامِيَّةِ فَأَكْثَرُهَا مِنِ ابْنِ كُلَّابٍ** (ت٢٤٢هـ)[٥].

«وَلَمَّا تَمَّ لِلهِجْرَةِ مِئَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً رَفَعَتْ أَنْوَاعُ البِدَعِ رُؤُوسَهَا، وَسَقَتْ

= **لا يُقال هِي غيْرُه**، ولا يقال: إنَّ عِلْمَه غيْرُه ـ كما قالت الجهمية ـ، ولا يقال: إنَّ عِلْمَهُ هُو هُو، كما قال بعض المعتزلة، وكذلك قولهم في سائر الصفات، ولا يقولون: العلمُ هو القدرة، ولا يقولون: غيْرُ القُدرة، ويزعمون أنَّ الصفاتِ قائمةٌ بالله، وأن الله لم يَزَلْ رَاضِيًا عمَّنْ يَعْلَمُ أنَّهُ يموتُ مُؤْمِنًا، ساخِطًا علىٰ من يَعْلَمُ أنه يموت كافرًا، وكذلك قوله في الولاية والعداوة والمَحَبَّة. **وكان يَزْعُم أنَّ القرآنَ كلامُ الله غيْرُ مَخْلُوقٍ، وقوله في القدر كما حَكَيْنَا عن أهل السُّنة والحَدِيثِ**، وكذلك قوله في أهل الكبائرِ، وكذلك قوله في رُؤْيَةِ اللهِ سبحانه بالأبصار، وكان يزعم أنَّ البارِئَ لمْ يَزَلْ ولا مَكانَ ولا زمانَ قبل الخَلْقِ، وأنه عَلىٰ ما لم يَزَلْ عليه، **وأنه مُسْتوٍ علىٰ عَرْشِه كما قالَ، وأنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ تعالىٰ**. (مقالات الإسلاميين، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩).

(١) المؤتلف والمختلف، (ج٤/ص١٩٨٨).

(٢) كان القاضي أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) مُعَظِّمًا للإمام ابن أبي زيْدٍ القيرواني (ت٣٨٦هـ)، وكان يَذْكُره بِلَفْظِ: «**شَيْخنا**»، ووَصَفَهُ في كتاب البَيَانِ: «**بفَضْلِ العِلْمِ، وَحُسْنِ الدِّينِ، وَقُوَّةِ البَصِيرَةِ، والاضْطِلَاعِ بعِلْم أُصولِ الدِّين، والانْبِسَاطِ فِي التَّوَسُّعِ فِي مَعْرِفَةِ فُرُوعِهِ وَأَحْكَامِه**». (كتاب البيان في الفرق بين المعجزات والكرامات، ص٦).

(٣) نقله الحافظ ابن عساكر في كتاب التبيين (ص٦٩٩).

(٤) نهاية المرام في دراية الكلام (مخ/ج٢/ق٣٨٢ب).

(٥) فتح الباري، (ج١/ص٢٤٣).

عَوَامَّ الخَلَائِقِ كُؤُوسَهَا، حَتَّىٰ أَصْبَحَتْ آيَاتُ الدِّينِ مُنْطَمِسَةَ الآثَارِ، وَأَعْلَامُ الحَقِّ مُنْدَرِسَةَ الأَخْبَارِ[١]، **فَأَظْهَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَاصِرَ الحَقِّ، وَنَاصِحَ الخَلْقِ، مُحْيِي السُّنَنِ، مَرْضِيَّ السَّنَنِ، الإِمَامَ الرَّضِيَّ الزَّكِيَّ: أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ**، سَقَىٰ اللهُ بِمَاءِ الرَّحْمَةِ تُرْبَتَهُ، وَأَعْلَىٰ فِي غُرُفَاتِ الجِنَانِ دَرَجَتَهُ»[٢].

وَكَانَ مَبْدَأُ ظُهُورِهِ فِي المُنَاظَرَةِ المَشْهُورَةِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُسْتَاذِهِ أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِيِّ المُعْتَزِلِيِّ (ت٣٠٣هـ) فِي بَعْضِ مَسَائِلِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ، فَأَلْزَمَ الأَشْعَرِيُّ أُسْتَاذَهُ أُمُورًا لَمْ يُحِرْ جَوَابًا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَانْحَازَ إِلَىٰ طَائِفَةِ السَّلَفِ، وَنَصَرَ مَذْهَبَهُمْ بِالطُّرُقِ العَقْلِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الكَامِنَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ السَّلَفِ مِنَ الأَئِمَّةِ.

وَبِهَذَا اكْتَمَلَتْ أَعْظَمُ الأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي حَفِظَ اللهُ بِهَا الإِسْلَامَ، وَلَخَّصَهَا الإِمَامُ أَبُو الوَلِيدِ الطُّرْطُوشِيُّ (ت٥٢٠هـ) بِقَوْلِهِ: «**نَصَرَ اللهُ الإِسْلَامَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يَوْمَ المِحْنَةِ، وَبِأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ يَوْمَ المُنَاظَرَةِ**»[٣].

وَرَوَىٰ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ بِسَنَدِهِ إِلَىٰ الفَقِيهِ الصَّالِحِ الثِّقَةِ أَبِي عَمْرٍو

---

(١) وهو ما أكّده مؤرّخ الإسلام الحافظ الذهبيُّ (ت٧٤٨هـ) عند استيفائه ذكرَ الطبقة التاسعة من طبقات أئمة الجرح والتعديل فقال: ومِنْ هَذا الوقتِ تناقصَ الحفظُ، وقلَّ الاعتناءُ بالآثار، وركَنَ العلماءُ إلىٰ التقليدِ، **وكان التشيُّعُ والاعتزالُ والبدعُ ظاهرةً بالعراقِ لاستيلاءِ آل بُوَيْه ثَمَّ، وبمصر والشامِ والمغربِ لاستيلاءِ بني عُبَيْدٍ الباطنيَّةِ**، نسألُ الله العافيةَ. (رسالة في ذكر من يُعتَمَدُ قولُهُ في الجرحِ والتعديل، ص٢٠٣).

(٢) قاله الإمام أبو المعالي عزيزي بن عبد المَلِك (ت٤٩٤هـ) المعروف بـ«شَيْذَلَهْ» ونقله عنه الحافظ ابن عساكر في التبيين (ص٣٢٧).

(٣) كتاب الأسرار والعبر ـ الجزء الأول/مخطوط.

الزَّنْجَاهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الأُسْتَاذَ الإِمَامَ أَبَا سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيَّ (ت٣٦٩هـ) أَو الشَّيْخ الإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِيَّ (ت٣٧١هـ) ـ ذَكَرَ وَاحِدًا وَالشَّكُّ مِنِّي ـ يَقُولُ: **أَعَادَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الدِّينَ بَعْدَ مَا ذَهَبَ ـ يَعْنِي أَكْثَرهُ ـ بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ وَأَبِي نُعَيْمٍ الإِسْتَرَابَاذِيِّ**[١].

وَهَكَذَا «لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ الأَعْصَارِ إِمَامٌ مِنْ سَلَفٍ، أَوْ عَالِمٌ مِنْ خَلَفٍ، قَائِمٌ لِلَّهِ بِحَقِّهِ، وَنَاصِحٌ لِدِينِهِ فِيهَا، يَصْرِفُ هِمَّتَهُ إِلَىٰ جَمْعِ اعْتِقَادِ أَهْلِ الحَدِيثِ عَلَىٰ سَنَنِ كِتَابِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَآثَارِ صَحَابَتِهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي تَصْنِيفِهِ، وَيُتْعِبُ نَفْسَهُ فِي تَهْذِيبِهِ؛ رَغْبَةً مِنْهُ فِي إِحْيَاءِ سُنَّتِهِ، وَتَجْدِيدِ شَرِيعَتِهِ، وَتَطْرِيَةِ ذِكْرِهِمَا عَلَىٰ أَسْمَاعِ المُتَمَسِّكِينَ بِهِمَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ، أَوْ لِزَجْرِ غَالٍ فِي بِدْعَتِهِ، أَوْ مُسْتَغْرِقٍ يَدْعُو إِلَىٰ ضَلَالَتِهِ، أَوْ مُفْتَتِنٍ بِجَهَالَتِهِ لِقِلَّةِ بَصِيرَتِهِ»[٢].

وَكُلُّ هَذَا كَانَ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ ﷺ: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٣].

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ**»[٤].

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**يَرِثُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ**

---

(١) التبيين (ص١٥٦).

(٢) شرح أصول اعتقاد لأهل السنة والجماعة للحافظ هبة الله اللالكائي (ج١/ص١).

(٣) أبو داود (٣٦٤١) وابن ماجه (٢٢٣) وابن حبان في صحيحه (٨٨).

(٤) البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧).

الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الغَالِينَ»(١).

قال الإمام النَّوَوِيُّ (ت٦٧٦هـ): «هَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ ﷺ بِصِيَانَةِ العِلْمِ وَحِفْظِهِ وَعَدَالَةِ نَاقِلِيهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُوَفِّقُ لَهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ خُلَفَاءَ مِنَ العُدُولِ يحمِلُونه وينْفُونَ عنه التحريفَ وما بَعْدَهُ فلا يَضِيعُ، وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِعَدَالَةِ حَامِلِيهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَهَكَذَا وَقَعَ وَلِلَّهِ الحَمْدُ، وهَذَا مِنْ أَعْلَامِ النُّبوَّة»(٢).

فَالشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ (ت٣٢٤هـ) رَحِمَهُ الله كَانَ أَحَدَ أُولَئِكَ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لِحِفْظِ عَقَائِدِ الإِسْلَامِ كَمَا جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَرَكَ عَلَيْهَا أَصْحَابُهُ الكِرَامَ، وَبِذَلِكَ شَهِدَ لَهُ الأَئِمَّةُ الأَعْلَامُ.

[١] ـ **فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيُّ (ت٣٦٨هـ)** فِي رَدِّهِ عَلَىٰ المُعْتَزِلِيِّ(٣) حِينَ ذَكَرَ الشَّيْخَ أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ وَنَسَبَهُ إِلَىٰ مَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ: «**هُوَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ أَنَّهُ يَرُدُّ عَلَىٰ أَهْلِ البِدَعِ وَعَلَىٰ القَدَرِيَّةِ وَالجَهْمِيَّةِ، مُتَمَسِّكٌ بِالسُّنَنِ**»(٤).

---

(١) أخرجه الحافظ البيهقي في السنن الكبرىٰ برقم ٢٠٩١١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، (ج١/ص١٧).

(٣) هو عَلِيُّ بْنِ أَحْمَدَ البَغْدَادِيُّ المُعْتَزِلِيِّ: قال **القاضي عِيَاضٌ** في تَرْجَمَتِهِ: «كَتَبَ إِلَىٰ فُقَهَاءِ القَيْرَوَانِ رِسَالَةً مَعْرُوفَةً يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَىٰ الاعْتِزَالِ وَالقَوْلِ بِالقَدَرِ وَالمَخْلُوقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ رَحِمَهُ الله، وَيَذُمُّ لَهُمْ طَرِيقَةَ مُتَكَلِّمِي أَهْلِ السُّنَّةِ وَمَذْهَبَ الأَشْعَرِيِّ وَيُبَدِّعُهُ، فَجَاوَبَهُ فُقَهَاءُ القَيْرَوَانِ بِالإِنْكَارِ عَلَيْهِ، وَجَاوَبَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ رَحِمَهُ الله عَنْ كِتَابِهِ بِرِسَالَةٍ مَعْرُوفَةٍ، **ظَهَرَ فِيهَا عِلْمُهُ وَقُوَّتُهُ فِي الكَلَامِ وَالرَّدِّ عَلَىٰ أَهْلِ الأَهْوَاءِ**. (ترتيب المدارك، ج٦/ص٢٠٧).

(٤) التبيين (ص٢٧٣).

[٢] ـ وَقَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ القَابِسِيُّ القَيْرَوَانِيُّ (ت٤٠٣هـ) فِي جَوَابِ ٱسْتِفْتَاءٍ عَنِ الإِمَامِ الأَشْعَرِيِّ جَاءَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ تُونِسَ مَا نَصُّهُ: وَاعْلَمُوا أَنَّ أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يَأْتِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ إِلَّا مَا أَرَادَ بِهِ إِيْضَاحَ السُّنَنِ، وَالتَّثْبِيتَ عَلَيْهَا، وَدَفْعَ الشُّبَهِ عَنْهَا، فَهِمَهُ مَنْ فَهِمَهُ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ، وَخَفِيَ عَمَّنْ خَفِيَ بِقَسْمِ اللهِ لَهُ.

وَمَا أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ القَائِمِينَ بِنَصْرِ الحَقِّ، مَا سَمِعْنَا مِنْ أَهْلِ الإِنْصَافِ مَنْ يُؤَخِّرُهُ عَنْ رُتْبَتِهِ، وَلَا مَنْ يُؤْثِرُ عَلَيْهِ فِي عَصْرِهِ غَيْرَهُ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ سَلَكُوا سَبِيلَهُ فِي القِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالذَّبِّ عَنِ دِيْنِهِ حَسَبَ ٱجْتِهَادِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: «وَإِنْ كَانَ التَّوْحِيدُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِمَقَالَةِ الأَشْعَرِيِّ» إِلَىٰ آخِرِهِ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّكُم فَهِمْتُم أَنَّ الأَشْعَرِيَّ قَالَ فِي التَّوْحِيدِ قَوْلًا خَرَجَ بِهِ عَنْ أَهْلِ الحَقِّ، فَإِنْ كَانَ قَدْ نُسِبَ هَذَا المَعْنَىٰ عِنْدَكُم إِلَىٰ الأَشْعَرِيِّ فَقَد أَبْطَلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَقَدْ مَاتَ الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ مَاتَ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ بَاكُونَ عَلَيْهِ، وَأَهْلُ البِدَعِ مُسْتَرِيْحُونَ مِنْهُ، فَمَا عَرَفَهُ مَنْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ هَذَا[١].

[٣] ـ وَقَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ): شَيْخُنَا أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لَمْ يُحْدِثْ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَدَثًا، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ بِبِدْعَةٍ، بَلْ أَخَذَ أَقَاوِيلَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ فَنَصَرَهَا بِزِيَادَةِ شَرْحٍ وَتَبْيِينٍ، وَأَنَّ مَا قَالُوا وَجَاءَ بِهِ الشَّرْعُ فِي الأُصُولِ صَحِيحٌ فِي العُقُولِ، خِلَافَ مَا زَعَمَ أَهْلُ الأَهْوَاءِ مِنْ أَنَّ بَعْضَهُ لَا يَسْتَقِيمُ فِي الآرَاءِ.

(١) التبيين (ص٢٧٢).

فكَانَ فِي بَيَانِهِ تَقْوِيَةُ مَا لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَنُصْرَةُ أَقَاوِيلِ مَنْ مَضَىٰ مِنَ الأَئِمَّةِ؛ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ، وَالأَوْزَاعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ مِنْ أَهْلِ الحَرَمَيْنِ، وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمَا مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ وَأَبِي الحُسَيْنِ مُسْلِمِ بْنِ الحَجَّاجِ النَّيْسَابُورِيِّ إِمَامَيْ أَهْلِ الآثَارِ، وَحُفَّاظِ السُّنَنِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الشَّرْعِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ(١).

[٤] ـ وَقَالَ الإِمَامُ الأُسْتَاذُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِيُّ (ت٤٦٥هـ): **كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **إِمَامًا مِنْ أَئِمَّةِ أَصْحَابِ الحَدِيثِ، وَمَذْهَبُهُ مَذْهَبَ أَصْحَابِ الحَدِيثِ**، تَكَلَّمَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ عَلَىٰ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ(٢).

[٥] ـ وَقَالَ الإِمَامُ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ (ت٧٧١هـ): اعْلَم أَنَّ **أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ** لَمْ يُبْدِع رَأْيًا، وَلَمْ يُنْشِئْ مَذْهَبًا، **وَإِنَّمَا هُوَ مُقَرِّرٌ لِمَذَاهِبِ السَّلَفِ، مُنَاضِلٌ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ** ﷺ، فَالِانْتِسَابُ إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ عَقَدَ عَلَىٰ طَرِيقِ السَّلَفِ نِطَاقًا، وَتَمَسَّكَ بِهِ، وَأَقَامَ الحُجَجَ وَالبَرَاهِينَ عَلَيْهِ، فَصَارَ المُقْتَدِي بِهِ فِي ذَلِكَ، السَّالِكُ سَبِيلَهُ فِي الدَّلَائِلِ يُسَمَّىٰ أَشْعَرِيًّا(٣).

وَقَالَ أَيْضًا: **أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ كَبِيرُ أَهْلِ السُّنَّةِ بَعْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ**، وَعَقِيدَتُهُ وَعَقِيدَةُ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ وَاحِدَةٌ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ وَلَا ارْتِيَابَ،

---

(١) التبيين (ص٢٣٠).

(٢) التبيين (ص٢٥٧).

(٣) طبقات الشافعية الكبرىٰ، (ج٣/ص٣٦٥).

وَبِهِ صَرَّحَ الأَشْعَرِيُّ فِي تَصَانِيفِهِ، وَكَرَّرَ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ: **إِنَّ عَقِيدَتِي هِيَ عَقِيدَةُ الإِمَامِ المُبَجَّلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ**، هَذِهِ عِبَارَةُ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كَلَامِهِ(١).

وَقَدْ أَلَّفَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه كُتُبًا كَثِيرَةً فِي نُصْرَةِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَدَفْعِ مَا يُنَاقِضُهُ، أَوْصَلَهَا العَادُّونَ إِلَىٰ نَحْوِ مِئَةِ كِتَابٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْنَا مِنْهَا إِلَّا خَمْسَةُ كُتُبٍ وَهِيَ:

[١] ـ «**مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ وَاخْتِلَافُ المُصَلِّينَ**».

[٢] ـ «**اللُّمَعُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالبِدَعِ**».

[٣] ـ «**رِسَالَةٌ فِي اسْتِحْسَانِ الخَوْضِ فِي عِلْمِ الكَلَامِ**»، وَاسْمُهَا «الحَثُّ عَلَىٰ البَحْثِ».

[٤] ـ «**رِسَالَةٌ فِي الإِيمَانِ هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**».

[٥] ـ «**الإِبَانَةُ عَنْ أُصُولِ الدِّيَانَةِ**».

وَجَمِيعُ هَذِهِ الكُتُبِ ثَابِتَةٌ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ، لَا سِيَّمَا كِتَابُ «**الإِبَانَةِ**» الَّذِي نُقَدِّمُ لَهُ، وَقَدْ تَصَدَّىٰ فِيهِ الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه لِشَرْحِ وَتَفْصِيلِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الحَدِيثِ الَّذِي أَجْمَلَهُ فِي كِتَابِهِ «**مَقَالَاتِ الإِسْلَامِيِّينَ**» وَقَالَ فِي خَاتِمَتِهِ: «**وَبِكُلِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِمْ نَقُولُ، وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ**»(٢).

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ قَدْ أَتْقَنَ مَعْرِفَةَ اعْتِقَادِ أَصْحَابِ

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ، (ج٤/ص٢٣٦).

(٢) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٧).

الحَدِيثِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وطَرِيقَتَهُمْ فِي عَرْضِ العَقَائِدِ وَالاحْتِجَاجِ لَهَا، لَا سِيَّمَا وَأَنَّهُ أَخَذَ عَنْ شَيْخَيْنِ جَلِيلَيْنِ مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ وَهُمَا:

[١] ـ أَبُو خَلِيفَةَ الفَضْلُ بْنُ الحُبَابِ الجُمَحِيُّ البَصْرِيُّ (٢٠٦ ـ ٣٠٥هـ)

«الإِمَامُ، العَلَّامَةُ، المُحَدِّثُ، الأَدِيبُ، الأَخْبَارِيُّ، شَيْخُ الوَقْتِ، وَكَانَ ثِقَةً، صَادِقاً، مَأْمُوناً، أَدِيباً، فَصِيحاً، مُفَوَّهاً، رُحِلَ إِلَيْهِ مِنَ الآفَاقِ، وَعَاشَ مِائَةَ عَامٍ سِوَىٰ أَشْهُرٍ»(١)، حَدَّثَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ القَعْنَبِيِّ (ت٢٢١هـ)، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ العَبْدِيِّ (ت٢٢٣هـ)، وَمُوسَىٰ بْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّبُوذَكِيِّ (ت٢٢٣هـ)، وَسُلَيْمانَ بْنِ حَرْبٍ (ت٢٢٤هـ)، وَأَبِي الوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ (ت٢٢٧هـ)، وَمُسَدَّدِ بْنِ مُسَرْهَدٍ (ت٢٢٨هـ) وَغَيْرِهِمْ مِنَ الأَئِمَّةِ الحُفَّاظِ.

وَمِنْ كَلَامِ الإِمَامِ أَبِي خَلِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ قَوْلُهُ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هُوَ إِمَامُنَا، وَمَنْ نَقْتَدِي بِهِ، وَنَقُولُ بِقَوْلِهِ، الوَاعِي لِلْعِلْمِ، المُتْقِن لِرِوَايَتِهِ، الصَّادِقُ فِي حِكَايَتِهِ، القَيِّمُ بدِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، المُسْتَنُّ بسُنَّة رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِمَامُ المُسْلِمِينَ، والنَّاصِحُ لإِخْوانِه مِنَ المُؤْمِنِينَ»(٢).

وَمِثْلُهُ قَوْلُ تِلْمِيذِهِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ فِي أَوَّلِ «**الإِبَانَةِ**» عن الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هُوَ الإِمَامُ الفَاضِلُ، وَالرَّئِيسُ الكَامِلُ، الَّذِي أَبَانَ اللهُ بِهِ الحَقَّ، وَدَفَعَ بِهِ الضَّلَالِ، وَأَوْضَحَ بِهِ المِنْهَاجَ، وَقَمَعَ بِهِ بِدَعَ المُبْتَدِعِينَ وَزَيْغَ الزَّائِغِينَ وَشَكَّ الشَّاكِّينَ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ مُقَدَّمٍ،

---

(١) بذا حلاه الذهبي في السير (ج١٤/ص٧).

(٢) طبقات الحنابلة (ج١/ص٢٥٠).

وَجَلِيلٍ مُعَظَّمٍ، وَكَبِيرٍ مُفَهَّمٍ[١].

[٢] ـ وأَبُو يَحْيَىٰ زَكَرِيَّا السَّاجِيُّ البَصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ (٢٢٠ ـ ٣٠٧هـ)

«الإِمَامُ، الثَّبْتُ، الحَافِظ، مُحَدِّثُ البَصْرَةِ وَشَيْخُهَا وَمُفْتِيهَا، وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيْثِ»[٢]، حَدَّثَ عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ العَظِيمِ العَنْبَرِيِّ (ت٢٤٦هـ) وَأَخَذَ عَنِ صَاحِبَي الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ: الرَّبِيع (ت٢٧٠هـ) وَالمُزَنِيِّ (ت٢٦٧هـ) وَغَيْرِهِمْ، وَلَهُ مُؤَلَّفَاتٌ مِنْهَا «**اعْتِقَادٌ**» عَلَىٰ طَرِيقَةِ السَّلَفِ نَسَبَهُ لَهُ أَبُو القَاسِمِ قِوَامُ السُّنَّةِ الأَصْبَهَانِيُّ (ت٥٣٥هـ)[٣]، وَقَدْ قَالَ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ (ت٧٤٨هـ) فِي تَرْجَمَةِ السَّاجِيِّ: «أَخَذَ عَنْهُ: أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ مَقَالَةَ **السَّلَفِ فِي الصِّفَات**، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا **أَبُو الحَسَنِ** فِي عِدَّة تَآلِيفَ»[٤].

فَبِوَاسِطَةِ هَذَيْنِ الإِمَامَيْنِ اتَّصَلَتْ أَسَانِيدُ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِجُلِّ أَئِمَّةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ كَمَا سَيَأْتِي زِيَادَةُ تَفْصِيلٍ لِذَلِكَ فِي تَرْجَمَتِهِمَا، وَكَانَ عَارِفًا تَمَامَ المَعْرِفَةِ بِمَعَانِي مَا أَطْلَقُوهُ مِنَ العِبَارَاتِ فِي عَقَائِدِهِمْ وَمَا قَصَدُوهُ بِهَا، وَكُلُّ مَنْ غَفَلَ عَنْ هَذِهِ الحَقَائِقِ أَشْكَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ «**الإِبَانَةِ**»، وَسَنُقَرِّبُ ذَلِكَ بِمِثَالٍ.

فَمِمَّا يَسْتَشْكِلُهُ البَعْضُ فِي كِتَابِ «**الإِبَانَةِ**» مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ ضِمْنَ البَابِ الَّذِي تَرْجَمَهُ بِـ«**ذِكْرِ الاسْتِوَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ**»، وَاعْتِمَادُهُ

---

(١) الإبانة (ص١٢٣).

(٢) بذا حلاه الذهبي في السير (ج١٤/ص١٩٧).

(٣) الحجة في بيان المحجة (ج٢/ص٥١٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (ج١٤/ص١٩٦).

لِطَرِيقَةِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَان (ت١٢٨هـ)[١] القَائِلِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بِذَاتِهِ فِي جَمِيعِ الأَمْكِنَةِ عَلَىٰ سَبِيلِ الاخْتِلَاطِ وَالامْتِزَاجِ بِهَا.

فَقَدْ رَوَىٰ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ) بِسَنَدِهِ إِلَىٰ أَبِي مُعَاذٍ البَلْخِيِّ (ت٢٤١هـ) أَنَّهُ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ جَهْمٍ القُرْآنَ، وَكَانَ عَلَىٰ مَعْبَرِ التِّرْمِذِ، وَكَانَ رَجُلًا كُوفِيَّ الأَصْلِ فَصِيحَ اللِّسَانِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَلَا مُجَالَسَةٌ لِأَهْلِ العِلْمِ، كَانَ يُكَلِّمُ المُتَكَلِّمِينَ[٢]، فَقَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ، قَالَ: فَدَخَلَ البَيْتَ لَا يَخْرُجُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَيَّامٍ ذَكَرَهَا فَقَالَ: **هُوَ هَذَا الهَوَاءُ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ شَيْءٍ**. ثُمَّ أَوْرَدَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ) رَدَّ أَبِي مُعَاذٍ البَلْخِيِّ (ت٢٤١هـ) عَلَىٰ الجَهْمِ بِقَوْلِهِ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ، إِنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ[٣].

وَقَدِ اخْتَارَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ الرَّدَّ عَلَىٰ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانٍ بِنُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ وَحَدِيثِيَّةٍ **ظَاهِرُهَا الأَوَّلُ** نَفْيُ اخْتِلَاطِ اللهِ وَامْتِزَاجِهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ، فَكَانَتْ آيَاتُ العُلُوِّ وَالاسْتِوَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ وَالمَجِيءِ، وَحَدِيثُ النُّزُولِ وَالدُّنُوِّ وَنَحْوِهَا مِنْ أَقْوَىٰ

(١) يكنىٰ أبا محرز، نشأ في سمرقند بخراسان، ثم قضىٰ فترة من حياته الأولىٰ في ترمذ، وكان مولىٰ لبني راسب من الأزد، وقد أطبق السلف علىٰ ذمه بسبب قوله بأن الله في كل مكانٍ بذاته، وغيرها من العقائد الباطلة. قتل سنة (١٢٨ هـ) مع الحارث بن سريج في حربه ضد بني أمية. (راجع تاريخ الطبري: ج٧/ص٢٢٠).

(٢) وعند اللالكائي ـ وروايَتُه لهذا الخبَر من كتاب الردّ علىٰ الجهمية لابن أبي حَاتِمٍ (ت٢٧٧هـ) ـ تَعْيِينُ المَقْصُود بالمتكلمين وهم: «السُّمَنِيَّة»، وهي طائفة دهريَّة تَنْفِي وجودَ صانعٍ للعالَم. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١/ص٤٦١).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ج٢/ص٣٦٩)، واللالكائي أيضا شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج١/ص٤٦١).

الأَدِلَّةِ بِذَلِكَ الاعْتِبَارِ فِي إِبْطَالِ عَقِيدَةِ الاخْتِلَاطِ وَالامْتِزَاجِ.

وَلَمَّا كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ جَارِيًا فِي كِتَابِ «**الإِبَانَةِ**» فِي تَقْرِيرَاتِهِ العَقَدِيَّةِ وَرُدُودِهِ عَلَىٰ المُخَالِفِينَ عَلَىٰ طَرِيقَةِ السَّلَفِ السَّابِقِينَ، لَا سِيَّمَا فِي رَدِّهِمْ عَلَىٰ عَقِيدَةِ الجَهْمِ، عَقَدَ بَابًا كَامِلًا أَوْرَدَ فِيهِ جُمْلَةً مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ خَتَمَهُ بِالتَّصْرِيحِ بِالمَدْلُولِ المَقْصُودِ مِنْ إِيرَادِهَا فَقَالَ: **كُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعالَىٰ لَيْسَ فِي خَلْقِهِ، وَلَا خَلْقُهُ فِيهِ**[1].

وَهَذَا المَعْنَىٰ صَحِيحٌ لَا إِشْكَالَ فِيهِ، حَتَّىٰ قَالَ الأُسْتَاذُ **أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكَ** (ت٤٠٣هـ) بَعْدَ إِيرَادِهِ بَعْضَ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا وَصْفُ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: **فَائِدَةُ الخَبَرِ تَعْرِيفُنَا أَنه ـ عَزَّ ذِكْرُهُ ـ مِمَّن لَا يدْخل بَيْنَ طَبَقَتَيْنِ، وَلَا مِمَّن هُوَ فِي كُلِّ مَكَان**، كَمَا ذهب إِلَيْهِ المخالِفُون، وَإِذَا استفدنا بِهَذَا الخَبَر تَكْذِيبَ هَاتَيْنِ الفِرْقَتَيْنِ فِي دَعْوَاهُمَا عَلَىٰ اللهِ أَنَّهُ يَحُلُّ فِي بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ وَيُوصَفُ أَنَّه فِي كُلِّ مَكَانٍ رَجَعَ تَأْوِيلُ الخَبَر إِلَىٰ مَا نقُول: إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ **أَنه غَيْرُ مُخْتَلِطٍ وَلَا مُمْتَزِجٍ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِه**، وَأَنه بَائِنٌ مِمَّا خلَقَ بَيْنُونَةَ الصِّفَةِ وَالنَّعْتِ، لَا بالتَّحيُّزِ وَالمَكَانِ والجِهَةِ[2].

وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت٤٣٠هـ) فِي كِتَابِ الاعْتِقَادِ لَهُ بَعْدَ قَوْلِهِ فِي أَوَّلِهِ: «طَرِيقَتُنَا طَرِيقَةُ السَّلَفِ المُتَّبِعِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ: **«الأَحَادِيثُ الَّتِي ثَبتَتْ فِي العَرْشِ وَاسْتِوَاءِ اللهِ عَلَيْهِ يَقُولُونَ بهَا وَيُثْبِتُونَهَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَأَنَّ اللهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالخَلْقُ بَائِنُونَ مِنْهُ، لَا يَحُلُّ فِيهِمْ،**

---

(١) الإبانة (ص٢١٣).

(٢) مشكل الحديث وبيانه (ص٤٥٣).

وَلَا يَمْتَزِجُ بِهِمْ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فِي سَمَائِهِ مِنْ دُونِ أَرْضِهِ»(١).

وَأَقَرَّ الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ (ت٥٠٥هـ) هَذَا المَعْنَىٰ أَيْضًا فِي قَوَاعِدِ العَقَائِدِ بِقَوْلِهِ فِي وَصْفِ اللهِ تَعَالَىٰ: وَأَنه بَائِنٌ مِنْ خَلْقِه بصِفَاتِه، لَيْسَ فِي ذاته سواهُ، وَلَا فِي سواهُ ذَاتُه(٢).

وَإِذَا فُهِمَ سِيَاقُ اسْتِعْمَالِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ لِتِلْكَ الإِطْلَاقَاتِ الشرْعِيَّةِ وَهُوَ الرَّدُّ عَلَىٰ مَقَالَةِ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ زَالَ الإِشْكَالُ الوَارِدُ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي آخِرِ البَابِ المَذْكُورِ وَهُوَ قَوْلُهُ: «وَمِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الإِسْلَامِ جَمِيعًا إِذَا هُمْ رَغِبُوا إِلَىٰ اللهِ ﷻ فِي الأَمْرِ النَّازِلِ بِهِمْ يَقُولُونَ جَمِيعًا: يَا سَاكِنَ العَرْشِ(٣)، وَمِنْ حَلِفِهِمْ جَمِيعًا: «لَا وَالَّذِي احْتَجَبَ بِسَبْعِ سَمَوَاتٍ»(٤)، فَإِنَّهَا عِبَارَاتٌ ظَاهِرُهَا الأَوَّلُ الَّذِي سِيقَتْ لَهُ نَفْيُ امْتِزَاجِ وَاخْتِلَاطِ ذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ بِذَوَاتِ

---

(١) أورده الذهبي في كتاب العلو (ص٢٤٣).

(٢) الإحياء، (ج١/ص٩٠).

(٣) وفي بعض نسخة الإبانة الخطية: «يَا سَاكِنَ السَّمَاءِ». ولم تكن هذِه العبارات عند السَّلَفِ والمُتَقَدِّمِين مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّة مستبْشَعَةً ولَا مُسْتَنْكَرَةً لِحَمْلِهم إيَّاها علىٰ المحامِلِ الصَّحيحة، وأبرزها تنزيهُ الله تعالىٰ عن الاختلاط والامتزاج بخَلْقِهِ رَدًّا علىٰ مَقَالةِ الجَهْم بْن صَفوانِ في ذلك، وقد روىٰ الحافظ أبو نعيم (ت٤٣٠هـ) بسنده عن سَلَمَة بْن شَبِيبٍ، قَالَ: «كُنَّا فِي أَيَّامِ المُعْتَصِمِ يَوْمًا جُلُوسًا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حنبلٍ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَنْ مِنكُم أَحمدُ بنُ حَنبَلٍ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ نَقُلْ لَهُ شَيْئًا، فَقَالَ أَحمدُ بْنُ حَنْبَلٍ: هَا أَنَا أَحْمدُ، فما حَاجَتُكَ؟ قَالَ: جِئْتُكَ مِنْ أَرْبَعمِئَةِ فَرْسَخٍ بَرًّا وَبَحْرًا، كُنْتُ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ نَائِمًا فَأَتَانِي آتٍ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُ أَحْمدَ بنَ حَنْبَلٍ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأْتِ بَغْدادَ وَسَلْ عَنْهُ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الخَضِرَ يقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ سَاكِنَ السَّمَاءِ الَّذِي عَلَىٰ عَرْشِهِ رَاضٍ عَنْكَ، وَالمَلَائِكَةُ رَاضُونَ عَنْكَ بِمَا صَبَرْتَ نَفْسَكَ لِلَّهِ. (حلية الأولياء، ج٩ص١٨٨) وكذا رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج٥/ص٣١٥).

(٤) الإبانة (ص٢١١ ـ ٢١٢).

المَخْلُوقَاتِ، إِذِ المُسْتَفَادُ فِي هَذَا المَقَامِ مِنْ كَوْنِ اللهِ تَعَالَىٰ سَاكِنَ العَرْشِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ بَائِنٌ بِذَاتِهِ مِنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ وَلَيْسَ حَالًّا فِيهِمْ، كَمَا أَنَّ المُسْتَفَادَ مِنَ الاحْتِجَابِ فِي هَذَا المَقَامِ أَيْضًا نَفْيُ التَّدَاخُلِ وَالامْتِزَاجِ بَيْنَ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ وَذوَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَمَنْ تَتَبَّعَ كُتُبَ مُتَقَدِّمِي أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَسِيَاقَ إِيرَادِهِمْ لِآيَاتِ الفَوْقِيَّةِ وَالاسْتِوَاءِ وَنَحْوِهَا وَجَدَ ذلك بَيِّنًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ **الحَارِثِ المُحَاسِبِيِّ** (ت٢٤٢هـ): ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] يَعْنِي: فَوْقَ العَرْشِ، وَالعَرْشُ عَلَىٰ السَّمَاءِ لِأَنَّ مَنْ كَانَ فَوْقَ شَيْءٍ عَلَىٰ السَّمَاءِ فَهُوَ فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] يَعْنِي: عَلَىٰ الأَرْضِ، **لَا يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي جَوْفِهَا**[(١)].

وَقَالَ المُحَاسِبِيُّ (ت٢٤٢هـ) أَيْضًا تَعْلِيقًا عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنْ قَوْلِ فِرْعَوْنَ فِي حَقِّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧] أَيْ: فِيمَا قَالَ لِي: إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَطَلَبَهُ حَيْثُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ الظَّنِّ مِنْهُ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَاذِبٌ، **وَلَوْ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ لَطَلَبَهُ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي بَيْتِهِ وَبَدَنِهِ وَلَمْ يَتَعَنَّ بِبُنْيَانِ الصَّرْحِ**[(٢)].

وَقَالَ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ** (ت٤٥٨هـ) فِي البَابِ الَّذِي تَرْجَمَهُ فِي كِتَابِهِ بِـ«الاسْتِوَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ»: **وَفِيمَا كَتَبْنَا مِنَ الآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ إِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ مِنَ الجَهْمِيَّةِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ**[(٣)].

---

(١) فهم القرآن، (ص١٢٩، ١٣٠).

(٢) فهم القرآن، (ص١٣١).

(٣) كتاب الاعتقاد (ص١٦٢).

وَهَذَا أَيْضًا مَا نَصَّ عَلَيْهِ الحَافِظُ **ابْنُ عَبْدِ البَرِّ** (ت٤٦٣هـ) بَعْدَ ذِكْرِهِ لِآيَاتِ هَذَا البَابِ فَقَالَ: «وَهَذِهِ الآيَاتُ كُلُّهَا وَاضِحاتٌ **فِي إِبْطَالِ قَوْلِ المُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ**»[(١)].

بَلْ قَالَ لِسَانُ الأُمَّةِ وَسَيْفُ السُّنَّةِ القَاضِي **أَبُو بَكْرٍ البَاقِلَّانِيُّ** (ت٤٠٣هـ) فِي التَّمْهِيدِ: فَإِنْ قَالُوا: فَهَلْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ قِيلَ: مَعَاذَ اللهِ، **بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى العَرْشِ**، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، **وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَكَانَ فِي جَوْفِ الإِنْسَانِ وَفَمِهِ**، وَفِي الحُشُوشِ وَالمَوَاضِعِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَوَجَبَ أَنْ يَزِيدَ بِزِيَادَةِ الأَمَاكِنِ إِذَا خَلَقَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ خَلَقَهُ، وَيَنْقُصَ بِنُقْصَانِهَا إِذَا بَطَلَ مِنْهَا مَا كَانَ، وَلَصَحَّ أَنْ يُرْغَبَ إِلَيْهِ نَحْوَ الأَرْضِ وَإِلَى وَرَاءِ ظُهُورِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَشَمَائِلِنَا، وَهَذَا مَا قَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى خِلَافِهِ وَتَخْطِئَةِ قَائِلِهِ[(٢)].

بَلْ إِنَّ إِطْلَاقَ الوَصْفِ لِلَّهِ ﷻ بِأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ بِقَصْدِ الرَّدِّ عَلَى مَقَالَةِ الجَهْمِ ابْنِ صَفْوَانَ صَارَ شِعَارًا لِمُتَقَدِّمِي أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَفِي كِتَابِ «**رِيَاضِ النُّفُوسِ**» عَنْ يَحْيَى بْنِ عَوْنٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ سَحْنُونٍ عَلَى ٱبْنِ القَصَّارِ وَهُوَ مَرِيضٌ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَصَابَهُ فِي عِلَّتِهِ قَلَقٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا ٱبْنَ القَصَّارِ مَا هَذَا القَلَقُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ؟ قَالَ: المَوْتُ وَالقُدُومُ عَلَى ٱللهِ ﷻ. فَقَالَ لَهُ سَحْنُونٌ: أَلَسْتَ مُصَدِّقًا

---

(١) التمهيد، (ج٧/ص١٣٠).

(٢) تمهيد الأوائل (ص٢٦٠).

بِالرُّسُلِ أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَالبَعْثِ، والحِسَابِ، وَالجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَأَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَأَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ **وَأَنَّهُ عَلَىٰ العَرْشِ ٱسْتَوَىٰ**، وَلَا تَخْرُجُ عَلَىٰ الأَئِمَّةِ بِالسَّيْفِ وَإِنْ جَارُوا؟ قَالَ: إِيْ وَٱللهِ ٱلَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. فَضَرَبَ سَحْنُونٌ بِيَدَيْهِ عَلَىٰ ضِبْعَيْهِ وَقَالَ لَهُ: مُتْ إِذَا شِئْتَ، مُتْ إِذَا شِئْتَ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُ[(١)].

وَلِذَا قَالَ الإِمَامُ **ابْنُ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيُّ** (ت٣٨٦هـ) فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي حَرَّرَهُ فِي كِتَابِ الجَامِعِ مِنِ اخْتِصَارِهِ عَلَىٰ المُدَوَّنَةِ: «**إِنَّ اللهَ** ﷻ **فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، دُونَ أَرْضِهِ، وَإِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ**»[(٢)]، وَوَافَقَهُ جَمِيعُ تَلَامِيذِهِ، وَمِنْ أَخَصِّهِمْ بِهِ الإِمَامُ مَكِّيٌّ **القَيْرَوَانِيُّ** (ت٤٣٧هـ) القَائِلُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: أَيْ: **عَلَا عَلَىٰ عَرْشِهِ، ٱرْتَفَعَ وعَلَا**، وَالَّذِي يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَيَقُولُونَهُ فِي هَذَا: إِنَّ اللهَ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ **فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، دُونَ أَرْضِهِ**، وإِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ، وَلَهُ ـ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ـ كُرْسِيٌّ وَسِعَ السَّمواتِ والأرضَ كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُه، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ **شَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ** ؒ»[(٣)]، وَهُوَ القَائِلُ أَيْضًا: وَلَيْسَ: «عَلَا» فِي هَذَا المَعْنَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ عَلَا مِنْ سُفْلٍ كَانَ فِيهِ إِلَىٰ عُلُوٍّ، **وَلَا هُوَ عُلُوٌّ انْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ، وَلَا عُلُوٌّ بِحرَكَةٍ، تَعَالَىٰ اللهُ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ**، لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا صِفَاتٌ تُوجِبُ الحُدُوثَ لِلْمَوْصُوفِ بِهَا، وَاللهُ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ أَوَّلٌ بِلَا نِهَايَةٍ[(٤)].

---

(١) رياض النفوس (ج١/ص٣٦٧).

(٢) ٱختصار المدونة للإمام ابن أبي زيد (ج٤/ص٥٣٧).

(٣) تفسير الهداية (ج٧/ص٤٦١٠).

(٤) تفسير الهداية (ج١/ص٢٠٩).

وَقَالَ الإِمَامُ القَاضِي عَبْدُ الوَهَّابِ بْنُ نَصْرٍ البَغْدَادِيُّ (ت٤٢٢هـ) فِي شَرْحِ قَوْلِ الإِمَامِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيِّ فِي عَقِيدَةِ الرِّسَالَةِ: «وَأَنَّهُ فَوقَ عَرْشِهِ المَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ»: المُرَادُ بِذِكْرِ الفَوْقِ فِي هَذَا المَوْضِعِ أَنَّهُ بِمَعْنَى «عَلَى»، إِلَّا أَنَّ مَا طَابَقَ النَّصَّ أَوْلَى بِأَنْ يُسْتَعْمَلَ، إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرَهُ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ كُلِّ مَكَانٍ وُرُودُ النَّصِّ بِذَلِكَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وَهَذَا يَمْنَعُ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ عَلَى غَيْرِهِ[(١)]، ثُمَّ أَوْرَدَ جُمْلَةً مِنَ الأَدِلَّةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي الإِبَانَةِ لِلرَّدِّ عَلَى مَقَالَةِ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَتَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَى عَنِ الامْتِزَاجِ وَالاخْتِلَاطِ بِذَاتِهِ بِالمَخْلُوقَاتِ، وَصَرَّحَ بِقَصْدِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «وَهَذَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ»[(٢)].

وَالَّذِي يُؤَكِّدُ أَنَّ مَقْصُودَ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ إِثْبَاتِ فَوْقِيَّةِ وَعُلُوِّ اللهِ عَلَى العَرْشِ تَنْزِيهُ اللهِ تَعَالَى عَنِ الكَوْنِ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، دُونَ إِثْبَاتِ الجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الحُدُودِ وَالمَكَانِ وَالحَرَكَةِ وَالانْتِقَالِ قَوْلُ القَاضِي عَبْدِ الوَهَّابِ البَغْدَادِيِّ (ت٤٢٢هـ) في نفس الشرح: «لَيْسَ المَجِيءُ الَّذِي أَضَافَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ عَلَى سَبِيلِ مَا يَكُونُ مِنَّا مِنَ الانْتِقَالِ وَالتَّحَرُّكِ وَالزَّوَالِ وَتَفْرِيغِ الأَمَاكِنِ وَشَغْلِهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الأَجْسَامِ، وَالبَارِئُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ذَلِكَ»[(٣)]، بَلْ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «التَّنَقُّلُ وَالتَّحَوُّلُ وَإِشْغَالُ الحَيِّزِ وَالافْتِقَارُ إِلَى الأَمَاكِنِ يُؤُولُ إِلَى التَّجْسِيمِ، وَإِلَى قِدَمِ الأَجْسَامِ، وَهَذَا كُفْرٌ عِنْدَ

(١) شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني (ص١٧٤).
(٢) شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني (ص١٧٥).
(٣) شرح عقيدة الرسالة، (ص٣٢٠).

كَافَّةِ أَهْلِ الإِسْلَامِ»[١]، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ البَرَاهِينِ عَلَىٰ أَنَّ مُتَقَدِّمِي أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مَا أَرَادُوا مِنْ إِثْبَاتِ فَوْقِيَّةِ وَعُلُوِّ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ وَمَجِيئِهِ وَنُزُولِهِ المَعَانِيَ المُتَوَهَّمَةَ مِنْ ذَلِكَ ـ وَالَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا الظَّوَاهِرُ الثَّانِيَةُ ـ مِنَ الجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا، بَلْ مَقْصُودُهُمُ الرَّدُّ عَلَىٰ مَقَالَةِ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَمَنْ وَافَقَهُ بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمِنْ هُنَا حَكَىٰ الإِمَامُ ابْنُ مُجَاهِدٍ البَصْرِيُّ (ت٣٧١هـ) فِي رِسَالَةِ أَهْلِ الثَّغْرِ إِجْمَاعَ أهلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ: «**أَنَّه تَعَالَىٰ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِه، دُونَ أَرْضِهِ**»[٢]، مَعَ تَنْزِيهِهِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَنِ الجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ فِي رِسَالَتِهِ المَذْكُورَةِ أَيْضًا: «لَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ نَفْسُ البَارِئِ عَجَلَ جِسْمًا أَوْ جَوْهَرًا أَوْ مَحْدُودًا أَوْ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتِنَا لِمُفَارَقَتِهِ لَنَا، فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَىٰ صِفَاتِهِ مَا يَجُوزُ عَلَىٰ صِفَاتِنَا»[٣].

فَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ مَقَالَةِ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانٍ هِيَ المُعْتَمَدَةُ عِنْدَ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدِ اخْتَارُوا عِبَارَةً اتَّفَقُوا عَلَيْهَا لِإِفَادَةِ تَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنِ الامْتِزَاجِ وَالاخْتِلَاطِ بِخَلْقِهِ وَهِيَ قَوْلُهُمْ: **إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَائِنٌ بِذَاتِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.**

سُئِلَ الإِمَامُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ (ت٢٣٨هـ) عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] كَيْفَ تَقُولُ فِيهِ؟ فَقَالَ: «حَيْثُ مَا كُنْتَ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ، **وَهُوَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ**»[٤].

---

(١) شرح عقيدة الرسالة، (ص ١٧٨).

(٢) رسالة أهل الثغر، (ص ١٧٣).

(٣) رسالة أهل الثغر، (ص ١٩٣).

(٤) أورده ابن بطة في الإبانة (ج٣/ص١٦١) والذهبي في السير (ج١١/ص٣٧٠).

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي زَمَنِين (ت٣٧٧هـ) فِي كِتَابِهِ (أُصُولِ السُّنَّةِ): وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ ﷻ **بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ**(١).

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ مَعْمَرٌ الأَصْبَهَانِيُّ (ت٤١٨هـ): إِنَّهُ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشه بِلَا كَيفٍ، وَإِنَّهُ ﷻ **بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالخَلْقُ بَائِنُونَ مِنْهُ**(٢).

قال الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ التُّورَبُشْتِيُّ (ت٦٦١هـ): هُوَ الوِتْرُ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ **البَائِنُ مِنْ خَلْقِهِ**، المَوْصُوفُ بِالوَحْدَانِيَّةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا سَمِيَّ لَهُ فِي صِفَاتِهِ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، فَتَعَالَىٰ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ(٣).

وَقَالَ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ (ت٧٤٨هـ): الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنْ قَوَاعِدِ العَقَائِدِ، **وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَمَيِّزَةٌ ذَاتُهُ المُقَدَّسَةُ مِنْ ذَوَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ**(٤).

وَقَالَ الشيخ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ العَطَّارِ (ت٧٢٤هـ): يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ **بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ، وَلَا يَتَّحِدُ بِهِ**(٥).

وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ لِتِلْكَ الإِطْلَاقَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهَا ـ مِمَّا اسْتَعْمَلَهُ مُتَقَدِّمُو أَهْلِ السُّنَّةِ لِلرَّدِّ عَلَىٰ مَقَالَةِ الجَهْمِ ـ **ظَاهِرٌ ثَانٍ** يُوهِمُ إِرَادَتَهُمْ لِلْجِسْمِيَّةِ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَوَازِمِهَا مِنَ الحَدِّ وَالمُمَاسَّةِ وَالمُجَاوَرَةِ **وَالكَيْفِيَّةِ** صرَّح جَمْعٌ مِنَ

---

(١) أصول السنة (ص١٠٦).

(٢) نقله قوام السنة الأصبهاني في كتاب الحجة (ج١/ص٢٤٨).

(٣) الميسر في شرح مصابيح السنة (ج١/ص١١٨).

(٤) تاريخ الإسلام (ج٨/ص٧٣).

(٥) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص١٠٤).

أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِبُطْلَانِ الجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا في حَقِّ اللهِ ﷻ وبِأَنَّهَا نَقَائِصُ يَتَنَزَّهُ البَارِئُ تَعَالَىٰ عَنْهَا.

فَقَدْ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ (ت٢٧٦هـ) وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ بَعْدَ أَنْ رَدَّ عَلَىٰ المُعْتَزِلَةِ: وَلَمَّا رَأَىٰ قَوْمٌ مِنَ النَّاسِ إِفْرَاطَ هَؤُلَاءِ فِي النَّفْيِ عَارَضُوهُمْ بِالإِفْرَاطِ فِي التَّمْثِيلِ، فَقَالُوا بِالتَّشْبِيهِ المَحْضِ **وَبِالأَقْطَارِ وَالحُدُودِ**، وَحَمَلُوا الأَلْفَاظَ الجَائِيَةَ فِي الحَدِيثِ **عَلَىٰ ظَاهِرِهَا، وقالوا بالكيفيةِ فيها**[(١)].

وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو عَوَانَةَ الإِسْفَرَايِنِيُّ (ت٣١٦هـ) فِي خُطْبَةِ المُسْنَدِ الصَّحِيحِ المُخَرَّجِ عَلَىٰ صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي وَصْفِهِ لِلَّهِ ﷻ نَاقِلًا عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَمُقِرًّا لِكَلَامِهِ: الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، **الَّذِي لَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَمَانٌ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مَكَانٌ**، ثُمَّ خَلَقَ الأَمَاكِنَ وَالأَزْمَانَ[(٢)].

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ (ت٣٢١هـ): تَعَالَىٰ اللهُ عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ، وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ[(٣)].

وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّان (ت٣٥٤هـ) ـ وَهُوَ تِلْمِيذُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مِنْ أَصْحَابِ الحَدِيثِ ـ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ الثِّقَاتِ: **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حَدٌّ مَحْدُودٌ فَيُحْتَوَىٰ**، وَلَا لَهُ أَجَلٌ مَعْدُودٌ فَيَفْنَىٰ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ جَوَامِعُ المَكَانِ، وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ تَوَاتُرُ الزَّمَانِ[(٤)].

---

(١) الاختلاف في اللفظ، ص٥٢).
(٢) المسند الصحيح (ج١/ص١٦).
(٣) العقيدة الطحاوية، (ص٤٣).
(٤) الثقات (ص٥٤) في المطبوع: «تواتر المكانِ» ولا وجه له. ومعنى فَيُحْتَوَىٰ: فَيَهْلِكَ.

وقال الإمام الحافظ أبو بَكْرٍ الإسماعيلي (ت٣٧١هـ): وَلَا يُعْتَقَدُ فِي اللهِ ﷻ الأَعْضَاءُ وَالجَوَارِحُ، وَلَا الطُّولُ وَالعَرْضُ، وَالغِلَظُ وَالدِّقَّةُ، وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي الخَلْقِ(١).

وَقَالَ أَيْضًا: إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَعْتَقِدُونَ جَوَازَ الرُّؤْيَةِ مِنَ العِبَادِ المُتَّقِينَ لِلَّهِ ﷻ فِي القِيَامَةِ دُونَ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ التَّجْسِيمِ فِي اللهِ ﷻ وَلَا التَّحْدِيدِ لَهُ، وَلَكِنْ يَرَوْنَهُ جَلَّ وَعَزَّ بِأَعْيُنِهِمْ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ هُوَ بِلَا كَيْفٍ(٢).

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الخَطَّابِيُّ (ت٣٨٨هـ): «لَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِ المُسْلِمِينَ: «إِنَّ اللهَ عَلَىٰ العَرْشِ» هُوَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ مُمَاسٌّ لَهُ، أَوْ مُتَمَكِّنٌ فِيهِ، أَوْ مُتَحَيِّزٌ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ بَائِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ جَاءَ بِهِ التَّوْقِيفُ، فَقُلْنَا بِهِ، وَنَفَيْنَا عَنْهُ التَّكْيِيفَ؛ إِذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»(٣).

وقال القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قِيلَ لَهُ: الأَيْنُ سُؤَالٌ عَنِ المَكَانِ، وَلَيْسَ هُوَ مِمَّنْ يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يُحِيطُ بِهِ أَقْطَارٌ، غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ، لَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ كَوْنِ الجِسْمِ عَلَىٰ الجِسْمِ بِمُلَاصَقَةٍ وَمُجَاوَرَةٍ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا(٤).

وقال الإمامُ أَبُو مَنْصُورٍ مَعْمَرُ الأَصْبَهَانِيُّ (ت٤١٨هـ): إِنَّهُ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَىٰ

---

(١) اعتقاد أهل السنة (ص٣٧).

(٢) اعتقاد أهل السنة (ص٤٣).

(٣) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، (ص١٤٧٤).

(٤) تمهيد الأوائل (ص٢٦٤).

عَرْشه بِلَا كَيف، وَإِنَّهُ ﷻ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالخَلْقُ بَائِنُون مِنْهُ بِلَا حُلُولٍ، وَلَا مُمَازَجَةٍ، وَلَا اخْتِلَاطٍ، وَلَا مُلَاصَقَةٍ؛ لِأَنَّهُ الفَرْدُ البَائِنُ مِنْ خَلْقِهِ(١).

وَقَالَ إِمَامُ الحَنَابِلَةِ فِي عَصْرِهِ أَبُو الفَضْلِ التَّمِيمِيُّ (ت٤١٠هـ): لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بِمُمَاسَّةٍ وَلَا بِمُلَاقَاةٍ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا(٢).

وقال الإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الدانيُّ (ت٤٤٤هـ): ٱسْتِوَاؤُهُ ﷻ: عُلُوُّهُ بغَيْر كَيْفِيَّةٍ، ولَا تَحْدِيدٍ، ولَا مُجَاوَرَةٍ، ولَا مُمَاسَّةٍ(٣).

وقال أيضًا: ورُؤْيَتُه تَعَالَىٰ بِغَيْرِ حَدٍّ، ولا نِهايَةٍ، ولا مُقابَلَةٍ، ولا مُحَاذَاةٍ؛ لأَنَّهُ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١](٤).

قال إِمَامُ الحَنَابِلَةِ فِي عَصْرِهِ أَيْضًا أَبُو يَعْلَىٰ الفَرَّاءُ (ت٤٥٨هـ): المُمَاسَّةُ وَالمُبَايَنَةُ تَسْتَحِيلُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الحَدَثِ، فَلَمْ يَجُزْ إِثْبَاتُهَا عَلَيْهِ(٥).

قال الحافظ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ إسْحاقَ بْنِ مَنْدَه (ت٣٩٥هـ) فِي تَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنِ الجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا مِنَ المُمَاسَّةِ وَالمُجَاوَرَةِ وَلَكِنْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَىٰ: «هُوَ تَعَالَىٰ مَوْجُودٌ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ عَلَىٰ الإِيقَانِ، بِلَا إِحَاطَةِ إِدْرَاكٍ بِهَا، بَلْ هُوَ أَعْلَمُ بِذَاتِهِ، فَهُوَ مَوْصُوفٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَمَوْجُودٌ غَيْرُ مُدْرَكٍ، وَمَرْئِيٌّ غَيْرُ مُحَاطٍ

(١) نقله قوام السنة الأصبهاني في كتاب الحجة (ج١/ص٢٤٨).
(٢) اعتقاد الإمام المنبل (ص٣٨).
(٣) الرسالة الواعية، (ص١٣٠).
(٤) الرسالة الواعية (ص١٦٥).
(٥) كتاب الروايتين والقولين ـ مسائل من أصول الديانات (ص٤٧ ـ ٤٨).

بِهِ ، لِقُرْبِهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَقَرِيبٌ غَيْرُ مُلَازِقٍ ، وَبَعِيدٌ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ»(١).

وَقَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ أَبُو القَاسِمِ الأَصْبَهَانِيُّ (ت٥٣٥هـ): قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: خلَق اللهُ السَّمَوَات وَالأَرْض ، وَكَانَ عَرْشه عَلَىٰ المَاء مَخْلُوقًا قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، ثمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْش بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَات وَالأَرْضِ عَلَىٰ مَا ورد بِهِ النَّص ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ المُمَاسَّةَ ، بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ(٢) ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ(٣).

وَقَالَ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ العَطَّارِ (ت٧٢٤هـ): وَيَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ ـ كَمَا نَطَقَ بِهِ الكِتَابُ العَزِيزُ فِي سِتِّ آيَاتٍ كَرِيمَاتٍ ـ بِلَا كَيْفٍ ، بَلْ كَيْفَ شَاءَ ، مِنْ غَيْرِ مُمَاسَّةٍ أَوِ احْتِيَاجٍ إِلَىٰ العَرْشِ ، مَعَ تَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الجُلُوسِ أَوِ القُعُودِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ(٤).

فَهَذِهِ النُّقُولُ ـ وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ ـ تُبَيِّنُ بِوُضُوحٍ أَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ مَا أَطْلَقُوا الوَصْفَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِالفَوْقِيَّةِ عَلَىٰ العَرْشِ وَالعُلُوِّ فِي السَّمَاءِ وَالاحْتِجَابِ بِالسَّمَوَاتِ وَنَحْوِهَا لِإِثْبَاتِ الجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ ، بَلِ لِلرَّدِّ عَلَىٰ

---

(١) كتاب التوحيد (ج٣/ص٣٣).

(٢) يجبُ التنبُّه إلىٰ أن الإمام **أَبَا القَاسِمِ قِوَامَ السُّنَّةِ الأَصْبَهَانِيَّ** (ت٥٣٥هـ) ينفي أصل الكيف عن صفات الله تعالىٰ لأن معنىٰ الكيف عنده الجسمية ولوازمها كالمماسة التي صرَّحَ بنفيها عن الله ، وَقَدْ قال ﵀: **إن الله تَعَالَىٰ لَا كَيْفِيَّة لَهُ فَكَذَلِك كَلَامه لَا مثل لَهُ ، وَصِفَاته لَا كَيْفِيَّة لَهَا. فَإِن قيل**: كل مرئي بِالْعينِ لَا بُد من كيفيته. **قُلْنَا**: إن النَّبِي ﷺ رأىٰ ربه لَيْلَة الْمِعْرَاج ، وَلم يقدر أَن يصفه بكيفية ؛ **لِأَن من لَا كَيْفيَّة لَهُ لَا يُوصَفُ بِالكَيْفِ** ، وَكَذَلِكَ يرىٰ الله تَعَالَىٰ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْآخِرَة **فَلَا يقدرُونَ أَن يصفوه بكيفية**. (الحجة في بيان المحجة ، ج٢/ص٤٨٢).

(٣) الحجة في بيان المحجة ، (ج٢/ص١١٦).

(٤) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ، (ص١٠ ـ ١١).

مَقَالَةِ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانٍ بِأَنَّ اللهَ ـ تَعَالَىٰ عَنْ قَوْلِهِ ـ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَقَدْ سَلَكَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِ الإِبَانَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِهِ ذَلِكَ المَسْلَكَ، وَتَبِعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بَعْدَهُ أَئِمَّةٌ أَخُصُّ بِالذِّكْرِ مِنْهُمُ الإِمَامَ الحَافِظَ ابْنَ عَبْدِ البَرِّ (ت٤٦٣هـ)، فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ القرطبيُّ (ت٦٧١هـ): وَاحْتَجَّ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ **فَوْقَ عَرْشِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا مُمَاسَّةٍ وَلَا تَكْيِيفٍ** بِآيَاتٍ وَأَخْبَارٍ احْتَجَّ بِهَا قَبْلَهُ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِ «**المُوجَزِ**»[١].

وَبِاسْتِقْرَاءِ وَتَتَبُّعِ كَلَامِ الإِمَامِ ابْنِ عَبْدِ البَرِّ (ت٤٦٣هـ) وَجَدْنَا أَنَّهُ يَنْفِي ـ بِنُصُوصٍ صَرِيحَةٍ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ـ الجِسْمِيَّةَ وَلَوَازِمَهَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «**إِنَّ اللهَ ـ تعالىٰ ذِكْرُه ـ لَيْس بِمَحلٍّ لِلْحَرَكاتِ، ولا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ علامَاتِ المَخْلُوقاتِ**»[٢]، وَقَوْلُهُ: «اللهُ ﷻ لَا تُدْرِكُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ **وَلَا تَغَيُّرٌ وَلَا تَحَوُّلٌ**»[٣]، وَقَوْلُهُ: «**ثَبَتَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ**»[٤]، وَقَوْلُهُ: قَدْ قَالَ المُسْلِمُونَ وَكُلُّ ذِي عَقْلٍ: إِنَّهُ لَا يُعْقَلُ كَائِنٌ لَا فِي مَكَانٍ مِنَّا، وَمَا لَيْسَ فِي مَكَانٍ فَهُوَ عَدَمٌ، **وَقَدْ صَحَّ فِي المَعْقُولِ وَثَبَتَ بِالوَاضِحِ مِنَ الدَّلِيلِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ كَانَ فِي الأَزَلِ لَا فِي مَكَانٍ وَلَيْسَ بِمَعْدُومٍ**، فَكَيْفَ يُقَاسُ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، أَوْ يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ تَمْثِيلٌ أَوْ تَشْبِيهٌ؟! تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا[٥].

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي فَصْلِ الرَّدِّ عَلَىٰ الجَهْمِيَّةِ

---

(١) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (ص١٦٩).

(٢) الاستذكار، (ج٢/ص٥٣٠).

(٣) الاستذكار، (ج٢/ص٥٤٢).

(٤) التمهيد (ج٧/ص٢٣٤).

(٥) التمهيد (ج٧/ص١٣٥).

وَحِكَايَتِهِ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ**»[(١)]: حَدِيثُ النُّزُولِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «**يَنْزِلُ اللهُ ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»[(٢)]، وَالنُّزُولُ لَهُ ظَاهِرَانِ:

* **الظَّاهِرُ الأَوَّلُ**: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ وَلَيْسَ مُمْتَزِجًا بِمَخْلُوقَاتِهِ وَإِلَّا لَبَطَلَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ الظَّاهِرَةُ لِلنُّزُولِ وَهِيَ مُبَايَنَةُ ذَاتِ النَّازِلِ لِمَا يَنْزِلُ إِلَيْهِ وَيَحُلُّ فِيهِ بَعْدَ نُزُولِهِ إِلَيْهِ.

* **وَالظَّاهِرُ الثَّانِي**: أَنَّ نُزُولَ اللهِ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا يَكُونُ بِحَرَكَةٍ وَانْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا المَعْنَىٰ ظَاهِرٌ أَيْضًا مِنْ مُطْلَقِ النُّزُولِ.

فَسَلَفُ أَهْلِ السُّنَّةِ اعْتَقَدُوا المَعْنَىٰ الظَّاهِرَ الأَوَّلَ لِلنُّزُولِ المَنْسُوبِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَهُوَ أَنَّه سُبْحَانَهُ بَائِنٌ بِذَاتِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ غَيْرُ مُمْتَزِجٍ بِهَا، وَلِذَلِكَ تَمَسَّكُوا بِهَذَا الحَدِيثِ لِإِبْطَالِ مَقَالَةِ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانٍ وَمَنْ وَافَقَهُ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا المَعْنَىٰ الظَّاهِرَ الثَّانِيَ وَهُوَ وَصْفُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالحَرَكَةِ وَالانْتِقَالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ وَلَوَازِمَ ذَلِكَ مِنَ الحَدِّ وَالجِسْمِيَّةِ.

وَسَلَفُ أَهْلِ السُّنَّةِ لَمْ يُصَرِّحُوا بِإِبْطَالِ المَعْنَىٰ الظَّاهِرِ الثَّانِي لِأَنَّ مَقْصُودَهُمُ الأَسَاسِيَّ كَانَ الرَّدَّ عَلَىٰ الجَهْمِيَّةِ فِيمَا ادَّعَتْهُ مِنْ كَوْنِ اللهِ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَكِنَّا عَلِمْنَا مِنْ خِلَالِ قَرَائِنَ عَدِيدَةٍ أَنَّهُمْ يُبْطِلُونَ الظَّاهِرَ الثَّانِي، وَمِنْ أَقْوَىٰ تِلْكَ القَرَائِنِ تَصْرِيحُ تَلَامِيذِهِمْ وَمَنْ هُوَ عَلَىٰ نَهْجِ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِذَلِكَ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّيْخِ **يَحْيَىٰ بْنِ عَوْنٍ القَيْرَوَانِيِّ** (ت٢٩٦هـ): **اللهُ** ﷻ لَيسَ

(١) الإبانة (ص٢٠٩).

(٢) البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

بِمَنْزلة الخَلْق في نُزُولِه ؛ لأنَّهُ ليس أحَدٌ مِنَ الخلق يَصِيرُ مِنْ مَكَانٍ إلىٰ مكانٍ ومَوْضعٍ كَان فيه إلىٰ غيرِه إلا وهو زائلٌ عن مَوْضِعِه أوْ مكانِه الأوَّلِ بِنَفْسِه ، وإن اللهَ إذا اسْتَوىٰ مِنَ الأرْضِ إلَىٰ السَّماء ، أو نزَلَ مِن السَّماءِ إلىٰ الأرْضِ لَمْ يَعْزُبْ عَنْ عِلْمِهِ ما في السَّموات ولا في الأرض ، عِلْمُهُ فيهنَّ بعدَ الاستواءِ وبعد النزول كعِلْمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ فَلَيْس بزائِلٍ مِثْلَ خَلْقِهِ ، تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ[١] .

وَقَدْ نَقَلَ الإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت٣١٠هـ) «اجْتِمَاعَ المُوَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ وَغيْرِهِمْ عَلَىٰ فَسَادِ وَصْفِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ[٢]» .

وَقَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبّانَ (ت٣٥٤هـ) فِي صَحِيحِهِ: يَنْزِلُ بِلَا آلةٍ ولا تَحرُّكٍ ولا انتقالٍ من مكانٍ إلىٰ مكانٍ[٣] .

وَقَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ أَحمَدُ بْنُ عَبدِ اللهِ المُزَنِيُّ (ت٣٥٦هـ): حَدِيثُ النُّزُولِ قَدْ ثَبَتَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ وُجُوهٍ صَحِيحَةٍ ، وَوَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ مَا يُصَدِّقُهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ، وَالنُّزُولُ وَالمَجِيءُ صِفَتَانِ مَنْفِيَّتَانِ عَن اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ طَرِيقِ الحَرَكَةِ وَالانْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ ، بَلْ هُمَا صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ بِلَا تَشْبِيهٍ ، جَلَّ اللهُ تَعالَىٰ ـ عَمَّا تَقُولُ المُعَطِّلَةُ لِصِفَاتِهِ وَالمُشَبِّهَةُ لَهَا ـ عُلُوًّا كَبِيرًا[٤] .

---

(١) الحُجَّة في الردِّ علىٰ أهل البِدَع (مخطوطٌ في القيروان) والكتاب طبع .

(٢) التبصير في معالم الدين ، (ص ٢٠١) .

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، (ج١/ص٣٥٢) .

(٤) رواه عنه الحافظ البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤٧١٧) .

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الخَطَّابِيُّ (ت٣٨٨هـ): **اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَا يُوصَفُ بِالحَرَكَةِ**؛ لِأَنَّ الحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ يَتَعَاقَبَانِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالحَرَكَةِ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالسُّكُونِ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَعْرَاضِ الحَدَثِ وَأَوْصَافِ المَخْلُوقِينَ، وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ مُتَعَالٍ عَنْهُمَا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١][١].

وقال الإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الدانيُّ (ت٤٤٤هـ): وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ اللهَ ـ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ـ يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ البَاقِي مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَهَلْ مِنْ سَائِلٍ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَهَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ، عَلَىٰ مَا صَحَّتْ بِهِ الأَخْبَارُ، وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، **وَنُزُولُهُ تبارك وتعالى كَيْفَ شَاءَ، بِلَا حَدٍّ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا وَصْفٍ بِانْتِقَالٍ، وَلَا زَوَالٍ**[٢].

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ (ت٤٤٩هـ) فِي مَعْرِضِ النَّقْلِ وَالتَّقْرِيرِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: يَنْزِلُ نزولًا يَلِيقُ بالرُّبُوبِيَّة، بلا كيْفٍ، **مِن غيرِ أن يكون نُزولُه مِثْلَ نزُولِ الخلْقِ بالتَّخلِّي والتَّملِّي**؛ لِأَنَّه جل جلاله منزَّهٌ أَنْ تكُونَ صِفَاتُهُ مِثْلَ صِفاتِ الخَلْقِ، كَمَا كَانَ مُنَزَّهًا أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ مِثْلَ ذَوَاتِ المَخْلُوقِين، فَمَجِيئُهُ وَإِتْيَانُهُ وَنُزُولُهُ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَكَيْفٍ[٣].

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ (ت٤٦٣هـ) فِي شَرْحِهِ لِحَدِيثِ النُّزُولِ: **لَيْسَ اللهُ بِمَحلٍّ لِلْحَرَكَاتِ**، ولا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَلَامَاتِ المَخْلُوقاتِ[٤].

---

(١) معالم السنن، ج٤/ص٣٣١ ـ ٣٣٢).

(٢) الرسالة الواعية، (ص١٣٥).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٦٠).

(٤) الاستذكار (ج٢/ص٥٣٠).

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ (ت٧٩٥هـ) عَنِ النُّزُولِ المَنْسُوبِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ: إنَهُ مِنْ نَوْعِ قُرْبِ الرَّبِّ مِنْ دَاعِيهِ وَسَائِلِيهِ وَمُسْتَغْفِرِيهِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ (ت١٩٧هـ) فقالَ: «هُوَ فِي مَكَانِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِه كمَا يَشَاءُ». **وَمُرَادُهُ أَنَّ نُزُولَهُ لَيْسَ هُوَ انْتِقَالًا مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ كَنُزُولِ المَخْلُوقِينَ**[١].

وَقَدْ أَخْرَجَ الحَافِظُ البيهقي (ت٤٥٨هـ) بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ (ت٢٠٤هـ) أَنَّهُ قَالَ: كَانَ سُفْيانُ الثَّورِيُّ، وَشُعْبَةُ، وَحَمّادُ بْنُ زَيدٍ، وَحمّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَشَرِيكٌ، وَأَبُو عَوَانةَ **لَا يَحُدُّونَ وَلَا يُشَبِّهُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ**، يَرْوُونَ الحَدِيثَ، لَا يَقُولُونَ كَيْفَ، وَإِذَا سُئِلُوا أَجابُوا بِالأَثَرِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهُوَ قَوْلُنَا.

قُلْتُ[٢]: **وَعَلَىٰ هَذَا مَضَىٰ أَكَابِرُنَا**[٣].

(١) فتح الباري، (ج٣/ص١١٧).

(٢) والقائل هو الحافظ البيهقيُّ رحمه الله.

(٣) الأسماء والصفات، ج٢/ص٣٦٥).

تَوْثِيقُ نِسْبَةِ كِتَابِ الإِبَانَةِ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ

اعْتَمَدْتُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَجْمُوعَةٍ مِنَ القَرَائِنِ:

[١] ـ مَا تَقَدَّمَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ مِنْ مُطَابَقَةِ مَضْمُونِ كِتَابِ الإِبَانَةِ لِلْعَقِيدَةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِهِ «**مَقَالَاتِ الإِسْلَامِيِّينَ**» وَنَصُّهُ عَلَىٰ أَنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ المُعْتَقَدِ.

[٢] ـ المُقَارَنَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كِتَابِ اللُّمَعِ، فَخَرَجَتْ لَنَا نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ مُتَوَافِقَةٌ لَفْظًا وَمَعْنًىٰ.

[٣] ـ التَّوَافُقُ بَيْنَ مَبْحَثِ الرَّدِّ عَلَىٰ الوَاقِفِيَّةِ فِي كِتَابِ «**الإِبَانَةِ**» وَبَيْنَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي رِسَالَتِهِ فِي «**اسْتِحْسَانِ الخَوْضِ فِي عِلْمِ الكَلَامِ**».

[٤] ـ المُقَارَنَةُ بَيْنَ نُصُوصِ كِتَابِ الإِبَانَةِ وَمَا وَصَلَنَا مِنْ كُتُبِ القَاضِي البَاقِلَّانِيِّ فَظَهَرَ التَّوَافُقُ بَيْنَهُمَا.

[٥] ـ تَتَبُّعُ وَاسْتِقْرَاءُ نُقُولِ الحَافِظِ البَيْهَقِيِّ (ت٤٥٨هـ) فِي كُتُبِهِ عَنِ الإِبَانَةِ بِاللَّفْظِ وَالمَعْنَىٰ مَعَ التَّصْرِيحِ بِنِسْبَتِهَا لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ.

[٦] ـ تَصْرِيحُ كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ بِنِسْبَةِ كِتَابِ الإِبَانَةِ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ مَعَ اقْتِبَاسِهِمْ بَعْضَ النُّصُوصِ مِنْهُ.

وَفِيمَا يَلِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ:

[١] ـ مُطَابَقَةُ مَضْمُونِ كِتَابِ الإِبَانَةِ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الحَدِيثِ الَّتِي قَالَ الشَّيْخُ فِي خَاتِمَتِهَا: «وَبِكُلِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِمْ نَقُولُ، وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ»(١).

وَهذا نَصُّ الاعْتِقَادِ: «هَذِهِ حِكَايَةُ جُمْلَةِ قَوْلِ أَصْحَابِ الحَدِيثِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ: جُمْلَةُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ: الإِقْرَارُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يَرُدُّونَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَأَنَّ اللهَ سبحانه إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَرْدٌ صَمَدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ.

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [الرحمن: ٥]، وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ، كَمَا قَالَ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وَكَمَا قَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا كَمَا قَالَ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ لَا يُقَالُ: إِنَّهَا غَيْرُ اللهِ، كَمَا قَالَتِ المُعْتَزِلَةُ وَالخَوَارِجُ.

وَأَقَرُّوا أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا، كَمَا قَالَ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١].

وَأَثْبَتُوا السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَلَمْ يَنْفُوا ذَلِكَ عَنِ اللهِ كَمَا نَفَتْهُ المُعْتَزِلَةُ، وَأَثْبَتُوا لِلَّهِ القُوَّةَ كَمَا قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الأَرْضِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ، وَأَنَّ الأَشْيَاءَ

(١) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٧).

تَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللهِ، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، وَكَمَا قَالَ المُسْلِمُونَ: مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ.

وَقَالُوا: **إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَهُ**(١)، أَوْ يَكُونُ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عِلْمِ اللهِ، وَأَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ.

وَأَقَرُّوا أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ يَخْلُقُهَا اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ العِبَادَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَخْلُقُوا مِنْهَا شَيْئًا.

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَفَّقَ المُؤْمِنِينَ لِطَاعَتِهِ، وَخَذَلَ الكَافِرِينَ، وَلَطَفَ بِالمُؤْمِنِينَ وَنَظَرَ لَهُمْ وَأَصْلَحَهُمْ وَهَدَاهُمْ، وَلَمْ يَلْطُفْ بِالكَافِرِينَ وَلَا أَصْلَحَهُمْ وَلَا هَدَاهُمْ، وَلَوْ أَصْلَحَهُمْ لَكَانُوا صَالِحِينَ، وَلَوْ هَدَاهُمْ لَكَانُوا مُهْتَدِينَ.

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ الكَافِرِينَ وَيَلْطُفَ بِهِمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ لَا يُصْلِحَ الكَافِرِينَ وَيَلْطُفَ بِهِمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونُوا كَافِرِينَ كَمَا عَلِمَ، وَخَذَلَهُمْ وَأَضَلَّهُمْ وَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

وَأَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَيُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] كَمَا قَالَ، وَيُلْجِؤُونَ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، **وَيُثْبِتُونَ الحَاجَةَ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ**(٢)، **وَالفَقْرَ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ**.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ بِالوَقْفِ أَوْ بِاللَّفْظِ

---

(١) أورد الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ عين هذه العبارةِ في كتاب الإبانة (ص١٢٦).

(٢) أورد الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ عَيْن هذه العبارةِ في كتاب الإبانة (ص١٢٧).

فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَهُمْ، لَا يُقَالُ: اللَّفْظُ بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَلَا يُقَالُ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ بِالأَبْصَارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا يُرَىٰ القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ، وَلَا يَرَاهُ الكَافِرُونَ؛ لِأَنَّهُمْ عَنِ اللهِ مَحْجُوبُونَ، قَالَ اللهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وَأَنَّ مُوسَىٰ عليه السلام سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ الرُّؤْيَةَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَجَلَّىٰ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا، فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا، بَلْ يَرَاهُ فِي الآخِرَةِ.

وَلَا يُكَفِّرُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ، كَنَحْوِ الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الكَبَائِرِ، وَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الإِيمَانِ مُؤْمِنُونَ وَإِنِ ارْتَكَبُوا الكَبَائِرَ.

وَالإِيمَانُ عِنْدَهُمْ هُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُمْ، وَمَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُمْ.

وَالإِسْلَامُ هُوَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ.

وَالإِسْلَامُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ الإِيمَانِ.

وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ مُقَلِّبُ القُلُوبِ.

وَيُقِرُّونَ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهَا لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ، وَأَنَّ الحَوْضَ حَقٌّ، وَالصِّرَاطَ حَقٌّ، وَالوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ حَقٌّ.

وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَلَا يَقُولُونَ: مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَيَقُولُونَ: أَسْمَاءُ اللهِ هِيَ اللهُ.

وَلا يَشْهَدُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ بِالنَّارِ، وَلَا يَحْكُمُونَ بِالجَنَّةِ لِأَحَدٍ مِنَ المُوَحِّدِينَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ يُنْزِلُهُمْ حَيْثُ شَاءَ، وَيَقُولُونَ: أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ، عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَيُنْكِرُونَ الجَدَلَ وَالمِرَاءَ فِي الدِّينِ، وَالخُصُومَةَ فِي القَدَرِ، وَالمُنَاظَرَةَ فِيمَا يَتَنَاظَرُ فِيهِ أَهْلُ الجَدَلِ وَيَتَنَازَعُونَ فِيهِ.

وَمِنْ دِينِهِمُ التَّسْلِيمُ لِلرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَلِمَا جَاءَتْ بِهِ الآثَارُ الَّتِي رَوَاهَا الثِّقَاتُ عَدْلًا عَنْ عَدْلٍ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا يَقُولُونَ كَيْفَ؟ وَلَا لِمَ؟ لِأَنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْ بِالشَّرِّ، بَلْ نَهَىٰ عَنْهُ وَأَمَرَ بِالخَيْرِ، وَلَمْ يَرْضَ بِالشَّرِّ وَإِنْ كَانَ مُرِيدًا لَهُ.

وَيَعْرِفُونَ حَقَّ السَّلَفِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَيَأْخُذُونَ بِفَضَائِلِهِمْ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ، وَيُقَدِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيًّا رضي الله عنهم، وَيُقِرُّونَ أَنَّهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ المَهْدِيُّونَ، أَفْضَلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَيُصَدِّقُونَ بِالأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ كَمَا جَاءَ الحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

وَيَأْخُذُونَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وَيَرَوْنَ اتِّبَاعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ، وَأَنْ لَا يَبْتَدِعُوا فِي دِينِهِمْ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ.

وَيُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا قَالَ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وَأَنَّ اللهَ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وَيَرَوْنَ العِيدَ وَالجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ خَلْفَ كُلِّ إِمَامٍ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَيُثْبِتُونَ المَسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ سُنَّةً، وَيَرَوْنَهُ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ.

وَيُثْبِتُونَ فَرْضَ الجِهَادِ لِلْمُشْرِكِينَ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى آخِرِ عِصَابَةٍ تُقَاتِلُ الدَّجَّالَ وَبَعْدَ ذَلِكَ.

وَيَرَوْنَ الدُّعَاءَ لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ بِالصَّلَاحِ، وَأَنْ لَا يَخْرُجُوا عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ، وَأَنْ لَا يُقَاتِلُوا فِي الفِتْنَةِ.

وَيُصَدِّقُونَ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَأَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَقْتُلُهُ.

وَيُؤْمِنُونَ بِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَالمِعْرَاجِ، وَالرُّؤْيَا فِي المَنَامِ، وَأَنَّ الدُّعَاءَ لِمَوْتَى المُسْلِمِينَ وَالصَّدَقَةَ عَنْهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ.

وَيُصَدِّقُونَ بِأَنَّ فِي الدُّنْيَا سَحَرَةً، وَأَنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ، كَمَا قَالَ اللهُ، وَأَنَّ السِّحْرَ كَائِنٌ مَوْجُودٌ فِي الدُّنْيَا.

وَيَرَوْنَ الصَّلَاةَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مُؤْمِنِهِمْ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، وَيَرَوْنَ مُوَارَثَتَهُمْ.

وَيُقِرُّونَ أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ مَاتَ بِأَجَلِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ قُتِلَ قُتِلَ بِأَجَلِهِ، وَأَنَّ الأَرْزَاقَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَىٰ يَرْزُقُهَا عِبَادَهُ حَلَالًا كَانَتْ أَمْ حَرَامًا.

وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ لِلْإِنْسَانِ وَيُشَكِّكُهُ وَيُخَبِّطُهُ.

وَأَنَّ الصَّالِحِينَ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَخُصَّهُمُ اللهُ بِآيَاتٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ.

وَأَنَّ السُّنَّةَ لَا تَنْسَخُ القُرْآنَ.

وَأَنَّ الأَطْفَالَ أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ فَعَلَ بِهِمْ مَا أَرَادَ.

وَأَنَّ اللهَ عَالِمٌ مَا العِبَادُ عَامِلُونَ، وَكَتَبَ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ، وَأَنَّ الأُمُورَ بِيَدِ اللهِ.

وَيَرَوْنَ الصَّبْرَ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، وَالأَخْذَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالانْتِهَاءَ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَإِخْلَاصَ العَمَلِ، وَالنَّصِيحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَيَدِينُونَ بِعِبَادَةِ اللهِ فِي العَابِدِينَ، وَالنَّصِيحَةِ لِجَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَاجْتِنَابِ الكَبَائِرِ، وَالزِّنَا، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَالعَصَبِيَّةِ، وَالفَخْرِ، وَالكِبْرِ، وَالإِزْرَاءِ عَلَىٰ النَّاسِ، وَالعُجْبِ.

وَيَرَوْنَ مُجَانَبَةَ كُلِّ دَاعٍ إِلَىٰ بِدْعَةٍ، وَالتَّشَاغُلَ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَكِتَابَةِ الآثَارِ، وَالنَّظَرِ فِي الفِقْهِ، مَعَ التَّوَاضُعِ، وَالاسْتِكَانَةِ، وَحُسْنِ الخُلُقِ، وَبَذْلِ المَعْرُوفِ،

وَكَفِّ الأَذَىٰ، وَتَرْكِ الغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالسِّعَايَةِ، وَتَفَقُّدِ المَأْكَلِ وَالمَشْرَبِ.

فَهَذِهِ جُمْلَةُ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ وَيَرَوْنَهُ، **وَبِكُلِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِمْ نَقُولُ، وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ**، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ، وَإِلَيْهِ المَصِيرُ(١).

[٢] ـ التَّوَافُقُ بَيْنَ كِتَابَيِ الإِبَانَةِ وَاللُّمَعِ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ.

وَمِنْ أَقْوَىٰ أَدِلَّةِ ثُبُوتِ كِتَابِ الإِبَانَةِ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ تَطَابُقُ كَثِيرٍ مِنْ نُصُوصِهِ مَعَ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللُّمَعِ ـ الَّذِي يُقْطَعُ بِثُبُوتِهِ لَهُ ـ تَطَابُقًا مَعْنَوِيًّا وَلَفْظِيًّا فِي كَثِيرٍ مِنَ العِبَارَاتِ، بِحَيْثُ يُجْزَمُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ مُؤَلِّفَهُمَا إِمَامٌ وَاحِدٌ. وَفِيمَا يَلِي مَوَاضِعُ التَّوَافُقِ.

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ عَنَىٰ نَظَرَ التَّفَكُّرِ وَالاعْتِبَارِ؛ لِأَنَّ الآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ اعْتِبَارٍ(٢).

وَقَالَ فِي «**اللُّمَعِ**»: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] مُعْتَبِرَة، كَقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]؛ لِأَنَّ الآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ اعْتِبَارٍ(٣).

(١) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٠ ـ ٢٩٧).
(٢) الإبانة (ص١٣٥).
(٣) اللمع (ص٣٤).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ نَظَرَ الانْتِظَارِ ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِذَا ذُكِرَ مَعَ ذِكْرِ الوَجْهِ فَمَعْنَاهُ نَظَرُ العَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الوَجْهِ، كَمَا إِذَا ذَكَرَ أَهْلُ اللِّسَانِ نَظَرَ القَلْبِ فَقَالُوا: «انْظُرْ فِي هَذَا الأَمْرِ بِقَلْبِكَ» لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرَ العَيْنَيْنِ، وَكَذَلِكَ إِذَا ذُكِرَ النَّظَرُ مَعَ الوَجْهِ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرَ الانْتِظَارِ الَّذِي بِالقَلْبِ(١).

وَقَالَ فِي «اللُّمَعِ»: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ: مُنْتَظِرَةٌ ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِذَا قُرِنَ بِذِكْرِ الوُجُوهِ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرَ القَلْبِ الَّذِي هُوَ انْتِظَارٌ، كَمَا إِذَا قُرِنَ النَّظَرُ بِذِكْرِ القَلْبِ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرَ العَيْنِ ؛ لِأَنَّ القَائِلَ إِذَا قَالَ: «انْظُرْ بِقَلْبِكَ فِي هَذَا الأَمْرِ» كَانَ مَعْنَاهُ نَظَرَ القَلْبِ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُرِنَ النَّظَرُ بِالوَجْهِ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ إِلَّا نَظَرَ الوَجْهِ، وَالنَّظَرُ بِالوَجْهِ هُوَ نَظَرُ العَيْنِ الَّتِي فِي الوَجْهِ(٢).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ أَرَادَ نَظَرَ التَّعَطُّفِ لِأَنَّ الخَلْقَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَطَّفُوا عَلَىٰ خَالِقِهِمْ(٣).

وَقَالَ فِي «اللُّمَعِ»: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ: مُتَعَطِّفَةٌ رَاحِمَةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] أَيْ: لَا يَرْحَمُهُمْ وَلَا يَتَعَطَّفُ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ البَارِئَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَعَطَّفَ عَلَيْهِ(٤).

---

(١) الإبانة (ص١٣٦).

(٢) اللمع (ص٣٤).

(٣) الإبانة (ص١٣٦).

(٤) اللمع (ص٣٤).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: قِيلَ لَهُ: ثَوَابُ اللهِ ﷻ غَيْرُهُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وَلَمْ يَقُلْ: إِلَىٰ غَيْرِهِ نَاظِرَةٌ، **وَالقُرْآنُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُزِيلَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِحُجَّةٍ، وَإِلَّا فَهُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ**[(١)].

وَقَالَ فِي «**اللُّمَع**»: قِيلَ لَهُ: ثَوَابُ اللهِ تَعَالَىٰ غَيْرُهُ، **وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْدَلَ بِالكَلَامِ عَنِ الحَقِيقَةِ إِلَىٰ المَجَازِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا دَلَالَةٍ**[(٢)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا قَالَ: صَلُّوا إِلَيَّ، وَ﴿ٱعۡبُدُونِي﴾ [يس: ٦١]، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: إِنَّهُ أَرَادَ غَيْرَهُ، وَيُزِيلَ الكَلَامَ عَنْ ظَاهِرِهِ؟! فَكَذَلِكَ لَمَّا قَالَ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] **لَمْ يَجُزْ لَنَا أَنْ نُزِيلَ القُرْآنَ عَنْ ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ**[(٣)].

وَقَالَ فِي «**اللُّمَع**»: **أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا قَالَ**: صَلُّوا إِلَيَّ، وَاعْبُدُونِي، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: عَنَىٰ غَيْرَهُ. وَلَوْ جَازَ لِزَاعِمٍ أَنْ يَزْعُمَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَرَادَ بِهِ أَنَّهَا لَا تُدْرِكُ غَيْرَهُ، لَجَازَ لِزَاعِمٍ أَنْ يَزْعُمَ أَنَّ قَوْلَهُ: «صَلُّوا إِلَيَّ وَاعْبُدُونِي» أَرَادَ بِهِ غَيْرَهُ، فَإِذَا فَسَدَ هَذَا فَسَدَ مَا قَالَهُ[(٤)].

---

(١) الإبانة (ص١٣٨).

(٢) اللمع (ص٣٥).

(٣) الإبانة (ص١٣٨).

(٤) اللمع (ص٣٥).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قِيلَ لَه: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: لَا تُدْرِكُهُ فِي الدُّنْيَا، وَتُدْرِكُهُ فِي الآخِرَةِ(١).

وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: فَإِنْ قَالُوا: فَمَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قِيلَ لَهُمْ: فِي الدُّنْيَا دُونَ الآخِرَةِ(٢).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَمِمَّا يَدُلُّ ـ مِنْ كِتَابِ اللهِ ـ عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَلَوْ كَانَ القُرْآنُ مَخْلُوقًا لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَقُولًا لَهُ: «كُنْ»، وَلَوْ كَانَ اللهُ ﷻ قَائِلًا لِلْقَوْلِ: «كُنْ» لَكَانَ لِلْقَوْلِ قَوْلٌ، وَهَذَا يُوجِبُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:

[١] ـ إِمَّا أَنْ يؤُولَ الأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ قَوْلَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

[٢] ـ أَوْ يَكُونَ كُلُّ قَوْلٍ وَاقِعًا بِقَوْلٍ لَا إِلَىٰ غَايَةٍ، وَذَلِكَ مُحَالٌ(٣).

وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ قُلْتُمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا، وَإِنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَىٰ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قِيلَ لَهُ: قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَلَوْ كَانَ القُرْآنُ مَخْلُوقًا لَكَانَ اللهُ تَعَالَىٰ قَائِلًا لَهُ: كُنْ، وَالقُرْآنُ قَوْلُهُ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ مَقُولًا لَهُ

---

(١) الإبانة (ص١٤٣).
(٢) اللمع (ص٣٥).
(٣) الإبانة (ص١٦٠).

«كُنْ» ؛ لِأَنَّ هَذَا يُوجِبُ قَوْلًا ثَانِيًا ، وَالقَوْلُ فِي القَوْلِ الثَّانِي وَفِي تَعَلُّقِه بِقَوْلٍ ثَالِثٍ كَالقَوْلِ فِي القَوْلِ الأَوَّلِ وَتَعَلُّقِه بِقَوْلٍ ثَانٍ ، **وَهَذَا يَقْتَضِي مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الأَقْوَالِ** وَذَلِكَ فَاسِدٌ ، وَإِذَا فَسَدَ ذَلِكَ فَسَدَ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ مَخْلُوقًا[1] .

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ» : لَمَّا كَانَ اللهُ ﷻ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا ؛ إِذْ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ بِخِلَافِ العِلْمِ مَوْصُوفًا ، اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ بِخِلَافِ الكَلَامِ مَوْصُوفًا ؛ **لِأَنَّ خِلَافَ الكَلَامِ** ـ الَّذِي لَا يَكُونُ مَعَهُ كَلَامٌ ـ **سُكُوتٌ أَوْ آفَةٌ** ، كَمَا أَنَّ خِلَافَ العِلْمِ ـ الَّذِي لَا يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ ـ جَهْلٌ أَوْ شَكٌّ أَوْ آفَةٌ .

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُوصَفَ رَبُّنَا ﷻ بِخِلَافِ العِلْمِ ، **وَكَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوصَفَ بِخِلَافِ الكَلَامِ مِنَ السُّكُوتِ وَالآفَاتِ ، فَوَجَبَ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا ، كَمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا**[2] .

وَقَالَ فِي «اللُّمَع» : وَمِمَّا يَدُلُّ مِنَ القِيَاسِ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَمْ يَزَلْ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ ـ وَهُوَ الآنَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الكَلَامُ ـ لَكَانَ مَوْصُوفًا بِضِدٍّ مِنْ أَضْدَادِ الكَلَامِ مِنَ السُّكُوتِ أَوِ الآفَةِ ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفًا بِضِدِّ الكَلَامِ لَكَانَ ضِدُّ الكَلَامِ قَدِيمًا ، وَلَوْ كَانَ ضِدُّ الكَلَامِ قَدِيمًا لَاسْتَحَالَ أَنْ يُعْدَمَ وَأَنْ يَتَكَلَّمَ البَارِئُ ؛ لِأَنَّ القَدِيمَ لَا يَجُوزُ عَدَمُهُ ، كَمَا لَا يَجُوزُ حُدُوثُهُ ، فَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ البَارِئُ تَعَالَى قَائِلًا وَلَا آمِرًا وَلَا نَاهِيًا عَلَى وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ ، وَهَذَا فَاسِدٌ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ ، وَإِذَا فَسَدَ هَذَا صَحَّ

(١) اللمع (ص١٥).

(٢) الإبانة (ص١٦٣).

وَثَبَتَ أَنَّ البَارِئَ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا قَائِلًا[١].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَيُقَالُ لَهُمْ: كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ ﷻ إِرَادَتَهُ فِي بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ كَلَامَهُ فِي بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ.

وَلَوْ كَانَتْ إِرَادَةُ اللهِ مَخْلُوقَةً فِي بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ لَكَانَ ذَلِكَ المَخْلُوقُ هُوَ المُرِيدَ بِهَا، وَذَلِكَ يُسْتَحِيلُ، وَكَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ كَلَامَهُ فِي مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ هَذَا يُوجِبُ أَنَّ ذَلِكَ المَخْلُوقَ مُتَكَلِّمٌ بِهِ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ ﷻ كَلَامًا لِلْمَخْلُوقِ[٢].

وَقَالَ فِي «اللُّمَعِ»: وَهَذَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ قِدَمِ الكَلَامِ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَىٰ قِدَمِ الإِرَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مُحْدَثَةً لَكَانَتْ لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ يُحْدِثُهَا فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي غَيْرِهِ أَوْ قَائِمَةً بِنَفْسِهَا:

* فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُحْدِثَهَا فِي نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَوَادِثِ.

* وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُحْدِثَهَا قَائِمَةً بِنَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا صِفَةٌ، وَالصِّفَةُ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْدِثَ عِلْمًا وَقُدْرَةً قَائِمَيْنِ بِأَنْفُسِهِمَا.

* وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُحْدِثَهَا فِي غَيْرٍ لِأَنَّ هَذَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الغَيْرُ مُرِيدًا بِإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

---

(١) اللمع (ص١٧).

(٢) الإبانة (ص١٦٨).

فَلَمَّا اسْتَحَالَتْ هَذِهِ الوجُوهُ ـ الَّتِي لَا تَخْلُو الإِرَادَةُ مِنْهَا لَوْ كَانَتْ مُحْدَثَةً ـ صَحَّ أَنَّهَا قَدِيمَةٌ، وَأَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا بِهَا(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَتَّسِقَ الصَّنَائِعُ الحِكْمِيَّةُ مِمَّنْ لَيْسَ بِعَالِمٍ؟

فَإِنْ قَالُوا: ذَلِكَ مُحَالٌ، وَلَا يَجُوزُ وُجُودُ الصَّنَائِعِ الَّتِي تَجْرِي عَلَىٰ تَرْتِيبٍ وَنِظَامٍ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ قَادِرٍ حَيٍّ.

قِيلَ لَهُمْ: وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ وُجُودُ الصَّنَائِعِ الحِكْمِيَّةِ الَّتِي تَجْرِي عَلَىٰ تَرْتِيبٍ وَنِظَامٍ إِلَّا مِنْ ذِي عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ وَحَيَاةٍ، فَإِنْ جَازَ ظُهُورُهَا لَا مِنْ ذِي عِلْمٍ فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ جَوَازِ ظُهُورِهَا لَا مِنْ عَالِمٍ قَادِرٍ حَيٍّ؟!(٢).

وَقَالَ فِي «اللُّمَعِ»: **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:** لِمَ قُلْتُمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَالِمٌ؟ **قِيلَ لَهُ:** لِأَنَّ الأَفْعَالَ المُحْكَمَةَ لَا تَتَّسِقُ فِي الحِكْمَةِ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحُوكَ الدِّيبَاجَ بِالنَّقَاوِيرِ وَيَصْنَعَ الصِّنَاعَةَ مَنْ لَا يُحْسِنُ ذَلِكَ وَلَا يَعْلَمُهُ، فَلَمَّا رَأَيْنَا الإِنْسَانَ عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنِ اتِّسَاقِ الحِكْمَةِ كَالحَيَاةِ الَّتِي رَكَّبَهَا اللهُ فِيهِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَمَجَارِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَانْقِسَامِهِ فِيهِ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالِهِ وَتَمَامِهِ، وَالفَلَكِ وَمَا فِيهِ مِنْ شَمْسِهِ وَقَمَرِهِ وَكَوَاكِبِهِ وَمَجَارِيهَا، دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي صَنَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصْنَعَهُ إِلَّا وَهُوَ عَالِمٌ بِكَيْفِيَّتِهِ وَكُنْهِهِ، وَلَوْ جَازَ أَنْ تَحْدُثَ الصَّنَائِعُ الحِكْمِيَّةُ لَا مِنْ عَالِمٍ لَمْ نَدْرِ لَعَلَّ جَمِيعَ مَا يَحْدُثُ مِنْ حِكَمِ الحَيَوَانِ وَتَدَابِيرِهِمْ

(١) اللمع (ص٢٣).
(٢) الإبانة (ص٢٤٠).

وَصَنَائِعِهِمْ يَحْدُثُ مِنْهُمْ وَهُمْ غَيْرُ عَالِمِينَ، فَلَمَّا اسْتَحَالَ ذَلِكَ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الصَّنَائِعَ الْمُحْكَمَةَ لَا تَحدُثُ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَقِيلَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا كَانَ وَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَمْ يَكُنْ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ، فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا كَانَ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَمْ يَكُنْ لِأَنَّهُ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ(٢).

وَقَالَ فِي «**اللُّمَع**»: مَنْ إِذَا أَرَادَ مِنَّا أَمْرًا كَانَ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْ كَوْنَهُ لَمْ يَكُنْ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ مِمَّنْ يُرِيدُ كَوْنَ مَا لَا يَكُونُ، ويُرِيدُ أَنْ لَا يَكُونَ مَا يَكُونُ، وَرَبُّ العَالَمِينَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بالوَصْفِ الَّذِي هُوَ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الاقْتِدَار(٣).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَعَلَ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ فِعْلِهِ مَا لَا يَكُونُ، لَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ وَهُوَ سَاهٍ غَافِلٌ عَنْهُ، أَوْ أَنَّ الضَّعْفَ وَالتَّقْصِيرَ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ لَحِقَهُ(٤).

قَالَ أيضًا: فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْ عِبَادِهِ مَا لَا يُرِيدُهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يَقَعَ عَنْ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، أَوْ عَنْ ضَعْفٍ وَتَقْصِيرٍ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ، كَمَا يَجِبُ ذَلِكَ لَوْ وَقَعَ مِنْ فِعْلِهِ ـ الْمُجْتَمَعِ عَلَىٰ أَنَّهُ فِعْلُهُ ـ مَا لَا يُرِيدُهُ(٥).

---

(١) اللمع (ص١٠).
(٢) الإبانة (ص٢٤٧).
(٣) اللمع (ص٢٦).
(٤) الإبانة (ص٢٤٩).
(٥) الإبانة (ص٢٥٠).

وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِ اللهِ تَعَالَى مَا لَا يُرِيدُهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سُلْطَانِ اللهِ تَعَالَى مَا لَا يُرِيدُه لَوَجَبَ أَحَدُ أَمْرَيْن: إِمَّا إِثْبَاتُ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، أَوْ إِثْبَاتُ ضَعْفٍ وَعَجْزٍ وَوَهَنٍ وَتَقْصِيرٍ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ، فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ عَلَى اللهِ تَعَالَى اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِهِ مَا لَا يُرِيدُه[(١)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ قُلْتُمْ: إِنَّ اللهَ مُرِيدٌ لِكُلِّ كَائِنٍ أَنْ يَكُونَ، وَلِكُلِّ مَا لَا يَكُونُ أَنْ لَا يَكُونَ[(٢)].

وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: فإن قال قائل: لم قلتمْ: إن الله تعالى مريدٌ لكلِّ شيءٍ يجوزُ أن يرادَ؟[(٣)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَإِذَا وَجَبَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَالِقٌ لِذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ أَنَّهُ مُرِيدٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ مَا لَا يُرِيدُهُ[(٤)].

وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: وَأَيْضًا فَقَدْ دَلَّتِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ حَادِثٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ مَا لَا يُرِيدُهُ[(٥)].

---

(١) اللمع (ص٢٤).
(٢) الإبانة (ص٢٥٠).
(٣) اللمع (ص٢٤).
(٤) الإبانة (ص٢٥٠).
(٥) اللمع (ص٢٤).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَتِ المَعَاصِي وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ تَكُونَ لَكَانَ قَدْ كَرِهَ أَنْ تَكُونَ وَأَبَى أَنْ تَكُونَ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ المَعَاصِي كَائِنَةً شَاءَ اللهُ أَمْ أَبَى، وَهَذَا صِفَةُ الضَّعِيفِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا[(١)].

وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: لَوْ كَانَ فِي العَالَمِ مَا لَا يُرِيدُهُ اللهُ تَعَالَى لَكَانَ مَا يَكْرَهُ كَوْنَهُ، وَلَوْ كَانَ مَا يَكْرَهُ كَوْنَهُ لَكَانَ مَا يَأْبَى كَوْنَهُ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ المَعَاصِيَ كَانَتْ شَاءَ اللهُ أَمْ أَبَى، وَهَذَا صِفَةُ الضَّعِيفِ المَقْهُورِ، وَتَعَالَى رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا[(٢)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ تعالى إِنَّمَا عَنَى المُؤْمِنِينَ دُونَ الكَافِرِينَ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ ذَرَأَ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ، فَالَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِجَهَنَّمَ وَأَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ وَكَتَبَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ أُمَّهَاتِهِمْ غَيْرُ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ[(٣)].

وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: وَمَنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. قِيلَ لَهُ: المَعْنَى فِي ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ بَعْضَ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَهُمُ العَابِدُونَ لِلَّهِ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وَالقُرْآنُ لَا يَتَنَاقَضُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى خَلَقَ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا بِالآيَةِ الَّتِي تَلَوْنَاهَا، وَأَنَّهُ خَلَقَ بَعْضَهُمْ لِلْعِبَادَةِ

---

(١) الإبانة (ص٢٥٢).

(٢) اللمع (ص٢٥).

(٣) الإبانة (ص٢٦٦).

بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وَالَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ هُمُ الَّذِينَ أَرَادَ هُوَ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَعَاقِبَتُهُمْ عِبَادَتُهُ(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَإِنْ سَأَلُوا فَقَالُوا: أَيُّمَا خَيْرٌ؟ الخَيْرُ؟ أَوْ مَنِ الخَيْرُ مِنْهُ؟ قِيلَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ الخَيْرُ مِنْهُ مُتَفَضِّلًا بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الخَيْرِ.

- **فَإِنْ قَالُوا**: فَأَيُّمَا شَرٌّ؟ الشَّرُّ؟ أَوْ مَنِ الشَّرُّ مِنْهُ؟
- **قِيلَ لَهُمْ**: مَنْ كَانَ الشَّرُّ مِنْهُ جَائِرًا بِهِ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ(٢).
- وَقَالَ فِي «اللُّمَع»: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيُّمَا خَيْرٌ؟ الخَيْرُ؟ أَوْ مَنِ الخَيْرُ مِنْهُ؟
- **قِيلَ لَهُمْ**: مَنِ الخَيْرُ مِنْهُ مُتَفَضِّلًا بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الخَيْرِ.
- **فَإِنْ قَالَ**: فَأَيُّمَا شَرٌّ؟ الشَّرُّ؟ أَوْ مَنِ الشَّرُّ مِنْهُ؟
- **قِيلَ لَهُمْ**: مَنْ كَانَ الشَّرُّ مِنْهُ جَائِرًا بِهِ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ(٣).

---

(١) اللمع (ص٦٨).
(٢) الإبانة (ص٢٧٩).
(٣) اللمع (ص٧٤).

[٣] ـ التَّوَافُقُ بَيْنَ مَبْحَثِ الرَّدِّ عَلَى الوَاقِفِيَّةِ فِي كِتَابِ «الإِبَانَةِ» وَبَيْنَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي رِسَالَتِهِ فِي «اسْتِحْسَانِ الخَوْضِ فِي عِلْمِ الكَلَامِ».

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي «**الإِبَانَةِ**» فِي الرَّدِّ عَلَى الوَاقِفِيَّةِ: **يُقَالُ لَهُمْ**: لِمَ زَعَمْتُمْ ذَلِكَ وَقُلْتُمُوهُ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَقُلْ فِي كِتَابِهِ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَلَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَا أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقُلْ فِي كِتَابِهِ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُهُ ﷺ، وَلَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ، فَتَوَقَّفْنَا لِذَلِكَ، وَلَمْ نَقُلْ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ وَلَا إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

❖ **يُقَالُ لَهُمْ**: فَهَلْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ: تَوَقَّفُوا فِيهِ وَلَا تَقُولُوا إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟! وَقَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَوَقَّفُوا عَنْ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟! وَهَلْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى التَّوَقُّفِ عَنِ القَوْلِ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟!.

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: نَعَمْ، فَقَدْ بَهَتُوا.

❖ **وَإِنْ قَالُوا**: لَا.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: فَلَا تَقِفُوا عَنْ أَنْ تَقُولُوا: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، بِمِثْلِ الحُجَّةِ الَّتِي بِهَا أَلْزَمْتُمْ أَنْفُسَكُمُ التَّوَقُّفَ.

❖ **ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ**: وَلِمَ أَبَيْتُمْ أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابِ اللهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: لَمْ نَجِدْهُ.

❖ قِيلَ لَهُمْ: وَلِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ إِذَا لَمْ تَجِدُوهُ فِي الْقُرْآنِ فَلَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِيهِ؟!.

ثُمَّ إِنَّا نُوجِدُهُمْ ذَلِكَ وَنَتْلُو عَلَيْهِمُ الآيَاتِ الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا، وَاسْتَدْلَلْنَا بِهَا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، وَسَائِرِ مَا احْتَجَجْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ.

❖ وَيُقَالُ لَهُمْ: يَلْزَمُكُمْ أَنْ تَقِفُوا فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ، وَلَا تُقْدِمُوا فِي ذَلِكَ عَلَى قَوْلٍ، فَإِنْ جَازَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِبَعْضِ تَأْوِيلِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا دَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ دَلِيلٌ فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: «إِنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ» بِالْحُجَجِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا قَبْلَ هَذَا الْمَوْضِعِ؟![1].

وَقَالَ فِي رِسَالَةِ «**اسْتِحْسَانِ الْخَوْضِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ**»:

❖ **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: فَأَنَا أَتَوَقَّفُ فِي ذَلِكَ فَلَا أَقُولُ: مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

❖ قِيلَ لَهُ: فَأَنْتَ فِي تَوَقُّفِكَ فِي ذَلِكَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْ: إِنْ حَدَثَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ بَعْدِي تَوَقَّفُوا فِيهَا وَلَا تَقُولُوا فِيهَا شَيْئًا، وَلَا قَالَ: ضَلِّلُوا وَكَفِّرُوا مَنْ قَالَ بِخَلْقِهِ أَوْ مَنْ قَالَ بِنَفْيِ خَلْقِهِ.

وَخَبِّرُونَا لَوْ قَالَ قَائِلٌ: «إِنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ» أَكُنْتُمْ تَتَوَقَّفُونَ فِيهِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ

---

(١) الإبانة (ص١٩٣).

قَالُوا: لَا ، قِيل لَهُمْ: لَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا أَصْحَابُهُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا.

وَكَذَلِكَ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: هَلْ رَبُّكُمْ شَبْعَانُ ، أَوْ رَيَّانُ ، أَوْ مُكْتَسٍ ، أَوْ عُرْيَانُ ، أَوْ مَقْرُورٌ ، أَوْ صَفْرَاوِيٌّ ، أَوْ مَرْطُوبٌ ، أَوْ جِسْمٌ ، أَوْ عَرَضٌ ، أَوْ يَشُمُّ الرِّيحَ أَوْ لَا يَشُمُّهَا ، أَوْ هَلْ لَهُ أَنْفٌ وَكَبِدٌ وَطِحَالٌ ، وَهَلْ يَحُجُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ؟ وَهَلْ يَرْكَبُ الخَيْلَ أَوْ لَا يَرْكَبُهَا؟ وَهَلْ يَغْتَمُّ أَمْ لَا؟ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ المَسَائِلِ ، أَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْكُتَ عَنْهُ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَصْحَابُهُ ، أَوْ كُنْتَ لَا تَسْكُتُ فَكُنْتَ تُبَيِّنُ بِكَلَامِكَ أَنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَذَا بِحُجَّةِ كَذَا وَكَذَا؟.

❊ **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: أَسْكُتُ عَنْهُ وَلَا أُجِيبُهُ بِشَيْءٍ ، أَوْ أَهْجُرُهُ ، أَوْ أَقُومُ عَنْهُ ، أَوْ لَا أُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، أَوْ لَا أَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ ، أَوْ لَا أَشْهَدُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ.

❊ **قِيلَ لَهُ**: فَيَلْزَمُكَ أَنْ تَكُونَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الصِّيَغِ الَّتِي ذَكَرْتَهَا مُبْتَدِعًا ضَالًّا ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَقُلْ: مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَاسْكُتُوا عَنْهُ ، وَلَا قَالَ: لَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِ ، وَلَا: قُومُوا عَنْهُ ، وَلَا قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، فَأَنْتُمْ مُبْتَدِعَةٌ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ.

وَلِمَ لَمْ تَسْكُتُوا عَمَّنْ قَالَ بِخَلْقِ القُرْآنِ وَلِمَ كَفَّرْتُمُوهُ وَلَمْ يَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فِي نَفْيِ خَلْقِهِ وَتَكْفِيرِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِهِ؟

❊ **فَإِنْ قَالُوا**: لِأَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رضي الله عنه قَالَ بِنَفْيِ خَلْقِهِ وَتَكْفِيرِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِهِ.

❊ **قِيلَ لَهُمْ**: وَلِمَ لَمْ يَسْكُتْ أَحْمَدُ عَنْ ذَلِكَ بَلْ تَكَلَّمَ فِيهِ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: لِأَنَّ العَبَّاسَ العَنْبَرِيَّ وَوَكِيعًا وَعَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ مَهْدِيٍّ وَفُلَانًا وَفُلَانًا قَالُوا: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: وَلِمَ لَمْ يَسْكُتْ أُولَئِكَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ ﷺ؟.

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: لِأَنَّ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ رضي الله عنهم وَفُلَانًا وَفُلَانًا قَالُوا: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: وَلِمَ لَمْ يَسْكُتْ أُولَئِكَ عَنْ هَذِهِ المَقَالَةِ وَلَمْ يَقُلْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

فَإِنْ أَحَالُوا ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ أَوْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ كَانَ ذَلِكَ مُكَابَرَةً، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ: فَلِمَ لَمْ يَسْكُتُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا قَالَ: كَفِّرُوا قَائِلَهُ.

❖ **وَإِنْ قَالُوا**: لَا بُدَّ لِلْعُلَمَاءِ مِنَ الكَلَامِ فِي الحَادِثَةِ لِيَعْلَمَ الجَاهِلُ حُكْمَهَا.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: هَذَا الَّذِي أَرَدْنَاهُ مِنْكُمْ، فَلِمَ مَنَعْتُمُ الكَلَامَ؟! فَأَنْتُمْ إِنْ شِئْتُمْ تَكَلَّمْتُمْ حَتَّى إِذَا انْقَطَعْتُمْ قُلْتُمْ: نُهِينَا عَنِ الكَلَامِ، وَإِنْ شِئْتُمْ قَلَّدْتُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِلَا حُجَّةٍ وَلَا بَيَانٍ، وَهَذَا شَهْوَةٌ وَتَحَكُّمٌ[1].

[٤] ـ عِنَايَةُ القَاضِي البَاقِلَّانِيِّ فِي كُتُبِه بِشَرْحِ عِبَارَاتِ الأَشْعَرِيِّ فِي الإِبَانَةِ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ رحمه الله: قَرَأتُ بِخَطِّ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ فِيمَا حُكِيَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عُثْمَانَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حَمُّود السَّفَاقِسِيِّ قَالَ: سَمِعت القَاضِيَ تَاجَ العلمَاء أَبَا جَعْفَر السِّمْنَانِيَّ بِالمَوْصِلِ يَقُولُ: سَمِعْتُ القَاضِيَ لِسَان الأُمَّة أَبَا بَكْرِ بْنَ

(١) رسالته استحسان الخوضِ في عِلْم الكلام (ص٩٥ ـ ٩٦).

الطَّيِّب يَقُولُ وَقَدْ قِيلَ لَهُ: كَلَامُكَ أَفْضَلُ وَأَبْيَنُ مِنْ كَلَام أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ رحمه الله فَقَالَ: «وَاللهِ إِنَّ أَفْضَلَ أَحْوَالِي أَنْ أَفْهَمَ كَلَامَ أَبِي الحَسَنِ رحمه الله»[١].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ تَجَلَّىٰ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا، فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ مُوسَىٰ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا[٢].

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَىٰ نَفْسَهُ لِلْجَبَلِ فَتَدَكْدَكَ وَصَارَ قِطَعًا قِطَعًا لِمَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ إِعْلَامِ مُوسَىٰ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ ـ أَنَّ أَحَدًا لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لَحِقَهُ مَا لَحِقَ الجَبَلَ لِحُكْمِهِ تَعَالَىٰ بِجَعْلِ الدُّنْيَا دَارَ تَكْلِيفٍ وَإِيمَانٍ بِالغَيْبِ، وَمَعْنَىٰ «تَجَلَّىٰ» أَنَّهُ رفعَ عن الجَبَلِ الآفةَ المَانِعَةَ لَهُ مِنْ رُؤْيَتِهِ تَعَالَىٰ وَأَحْيَاهُ وَخَلَقَ فِيهِ الإِدْرَاكَ لَهُ فَرَآهُ[٣].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَأَيْضًا فَإِنَّ نَظَرَ الانْتِظَارِ لَا يَكُونُ فِي الجَنَّةِ؛ لِأَنَّ الانْتِظَارَ مَعَهُ تَنْغِيصٌ وَتَكْدِيرٌ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ فِيمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ مِنَ العَيْشِ السَّلِيمِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا كَذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونُوا مُنْتَظِرِينَ لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا خَطَرَ بِبَالِهِمْ شَيْءٌ أُتُوا بِهِ مَعَ خُطُورِهِ بِبَالِهِمْ[٤].

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَىٰ فَسَادِ تَأْوِيلِهِمْ لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] ـ عَلَىٰ أَنَّ المُرَادَ بِهِ الانْتِظَارُ لِنِعَمِهِ ـ اتِّفَاقُ

---

(١) التبيين للحافظ ابن عساكر (ص٢٧٥).

(٢) الإبانة (ص١٢٩).

(٣) التمهيد، (ص٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٤) الإبانة (ص١٣٦).

الأُمَّةِ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا القَوْلَ إِنَّمَا وَرَدَ عَلَىٰ وَجْهِ البِشَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالتَّعْظِيمِ لَهُمْ وَالتَّمْيِيزِ مِنَ الكَافِرِينَ، **وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الانْتِظَارَ ضَرْبٌ مِنَ التَّنْغِيصِ وَالتَّكْدِيرِ**، وَأَنَّ المُنْتَظِرَ المُتَوَقِّعَ لِمَا يَرْجُوهُ مُعَذَّبٌ بِانتِظَارِهِ وَمَشُوبٌ نِعْمَتُهُ، وَلِهَذَا أَطْبَقَ الكُلُّ عَلَىٰ إِطْلَاقِ القَوْلِ: «عَذَّبَكَ اللهُ عَذَابَ المُنْتَظِرِ».

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَ أَهْلُ الجَنَّةِ فِي أَتَمِّ عَيْشٍ سَلِيمٍ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ لَا يَشُوبُ نِعْمَتَهُ نَغَصٌ وَلَا تَكْدِيرٌ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا بَشَّرَهُمْ تَعَالَىٰ بِالانْتِظَارِ وَالتَّوَقُّعِ الَّذِي يَقْتَضِي الاهْتِمَامَ وَالتَّعْذِيبَ وَالتَّنْغِيصَ، فَثَبَتَ بِذَلِكَ بُطْلَانُ مَا قَالُوهُ[(١)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] إِنَّمَا أَرَادَ: إِلَىٰ ثَوَابِ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ؟ **قِيلَ لَهُ**: ثَوَابُ اللهِ ﷻ غَيْرُهُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وَلَمْ يَقُلْ: إِلَىٰ غَيْرِهِ نَاظِرَةٌ، **وَالقُرْآنُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُزِيلَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِحُجَّةٍ، وَإِلَّا فَهُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ**[(٢)].

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): فَإِنْ قَالُوا: مَا أَنْكَرْتُمْ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أَيْ: إِلَىٰ جِنَانِ رَبِّهَا وَأَفْعَالِهِ وَعَظِيمِ مَا أَعَدَّهُ لِأُولَئِكَ نَاظِرَةٌ؟ قِيلَ لَهُمْ: **هَذَا التَّأْوِيلُ يَجْعَلُ الآيَةَ مَجَازًا، وَلَيْسَ لَنَا فِعْلُ ذَلِكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ**[(٣)].

(١) (هداية المسترشدين، ج١/ص٨).

(٢) الإبانة (ص١٣٨).

(٣). (التمهيد، ص٢٧٥).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَلَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُسْتَحِيلَةً عَلَىٰ رَبِّنَا ـ كَمَا زَعَمَتِ المُعْتَزِلَةُ ـ وَلَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مُوسَىٰ عليه السلام وَعَلِمُوهُ هُمْ **لَكَانُوا ـ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ ـ أَعْلَمَ بِاللهِ مِنْ مُوسَىٰ عليه السلام**، وَهَذَا مِمَّا لَا يَدَّعِيهِ مُسْلِمٌ(١).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): فَلَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ تَسْتَحِيلُ عَلَىٰ اللهِ عز وجل ـ كَمَا قَالَتِ المُعْتَزِلَةُ ـ كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُحْدَثًا مَرْبُوبًا وَعَبْدًا مَخْلُوقًا لَاسْتَحَالَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَىٰ وَحْيِهِ وَمَنْ جَعَلَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَمُتَحَمِّلًا لِرِسَالَتِهِ أَنْ يَسْأَلَهُ المُسْتَحِيلَ فِي صِفَتِهِ، كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: رَبِّ كُنْ عَبْدًا مَرْبُوبًا وَمَأْلُوهًا مَخْلُوقًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَجْمَعَ اسْتِخْفَافٌ بِاللهِ سُبْحَانَهُ، سَوَاءٌ سَأَلَهُ السَّائِلُ لِنَفْسِهِ أَوْ سَأَلَهُ لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ يَجُوزُ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ الاسْتِخْفَافُ بِرَبِّهِمْ، **وَلَا أَنْ يَكُونَ أَسْلَافُ المُعْتَزِلَةِ وَأَخْلَافُهَا أَعْلَمَ مِنَ الرُّسُلِ بِمَا يَجُوزُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي صِفَتِهِ**، فَدَلَّ مَا وَصَفْنَا عَلَىٰ صِحَّةِ رُؤْيَتِهِ(٢).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: قَدِ اسْتَكْبَرَ اللهُ سُؤَالَ السَّائِلِينَ لَهُ أَنْ يُرَىٰ بِالأَبْصَارِ، فَقَالَ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

❖ **فَيُقَالُ لَهُمْ**: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلُوا رُؤْيَةَ اللهِ عز وجل عَلَىٰ طَرِيقِ الإِنْكَارِ لِنُبُوَّةِ مُوسَىٰ عليه السلام وَتَرْكِ الإِيمَانِ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا اللهَ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، **فَلَمَّا سَأَلُوهُ الرُّؤْيَةَ عَلَىٰ طَرِيقِ تَرْكِ الإِيمَانِ بِمُوسَىٰ عليه السلام**

(١) الإبانة (ص١٤٠).

(٢) (التمهيد، ص٢٦٦ ـ ٢٦٧).

حَتَّىٰ يُرِيَهُمُ اللهُ نَفْسَهُ اسْتَعْظَمَ اللهُ سُؤَالَهُمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ الرُّؤْيَةُ مُسْتَحِيلَةً عَلَيْهِ(١).

قَالَ **القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ** (ت٤٠٣هـ): وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وَعَنْ مَعْنَىٰ إِنْكَارِ اللهِ لِذَلِكَ مِنْ سُؤَالِهِمْ.

قِيلَ لَهُمْ: لَمْ يُنْكِرِ اللهُ تَعَالَىٰ مَسْأَلَةَ أَخْلَافِ بَنِي إِسْرائِيلَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَمَسْأَلَةَ أَسْلَافِهِمْ أَنْ يَرَوُا اللهَ جَهْرَةً لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ، **وَإِنَّمَا أَنْكَرَهُ لِأَنَّهُمْ سَأَلُوا ذَلِكَ عَلَىٰ طَرِيقِ العِنَادِ لِمُوسَىٰ وَمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا - وَالشَّكِّ فِي نُبُوَّتِهِمَا، وَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا**، وَالامْتِنَاعِ مِنْ فِعْلِ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ حَتَّىٰ يَفْعَلَ مَا يُؤْثِرُونَهُ وَيَقْتَرِحُونَهُ، فَأَنْكَرَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ وَقَوْلِهِمْ، كَمَا أَنْكَرَ سُؤَالَهُمْ إِنْزَالَ كِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ، لَا لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ فِي قُدْرَتِهِ، وَكَمَا أَنْكَرَ قَوْلَهُمْ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: ٩٣] **لِأَنَّ هَذَا أَجْمَعَ إِنَّمَا كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الاسْتِخْفَافِ بِالرُّسُلِ وَالتَّمَرُّدِ، لَا عَلَىٰ طَلَبِ الزِّيَادَةِ فِي العِلْمِ**(٢).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَرُؤْيَةُ اللهِ ﷻ فِي الدُّنْيَا قَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ ﷻ تَرَاهُ العُيُونُ فِي الآخِرَةِ، **وَمَا رُوِيَ**

---

(١) الإبانة (ص١٤٤).

(٢) التمهيد (ص٢٧٣).

عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ لَا تَرَاهُ العُيُونُ فِي الآخِرَةِ(١).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): لَوْ كَانَتِ الصَّحَابَةُ أَوْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ اخْتَلَفُوا فِي رُؤْيَةِ اللهِ بِالأَبْصَارِ فِي الآخِرَةِ لَعَلِمْنَا ذَلِكَ عِلْمًا لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ وَجَحْدُهُ، كَمَا أَنَّهَا لَمَّا اخْتَلَفَتْ فِي رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَخَالَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَائِشَةَ فِي إِنْكَارِهَا اشْتَهَرَ هَذَا وَظَهَرَ وَلَمْ يَخْفَ عَلَى الرُّوَاةِ وَحَمَلَةِ الآثَارِ، **فَكَذَلِكَ لَوْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى فِي المَعَادِ لَوَجَبَ ظُهُورُ ذَلِكَ وَنَقْلُهُ**(٢).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ قَوْلَ اللهِ لِلشَّيْءِ: «كُنْ» مَخْلُوقٌ، **قِيلَ لَهُمْ**: فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُرَادٌ فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَيَلْزَمُكُمْ أَنَّ قَوْلَهُ لِلشَّيْءِ «كُنْ» قَدْ قَالَ لَهُ: «كُنْ»، وَفِي هَذَا مَا يُوجِبُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:

[١] ـ إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَوْلُ اللهِ لِغَيْرِهِ «كُنْ» غَيْرَ مَخْلُوقٍ.

[٢] ـ **أَوْ يَكُونَ لِكُلِّ قَوْلٍ قَوْلٌ لَا إِلَى غَايَةٍ، وَذَلِكَ مُحَالٌ**(٣).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): والذي يدلّ على نَفْي خَلْقِ القُرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَلَوْ كَانَ القُرْآنُ مَخْلُوقًا لَكَانَ مَخْلُوقًا بِقَوْلٍ آخَرَ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ لَا يُوجَدَ مِنَ اللهِ تَعَالَى

(١) الإبانة (ص١٤٧).
(٢) هداية المسترشدين، (ج١/ص٤٣).
(٣) الإبانة (ص١٧٨).

فِعْلٌ أَصْلًا ؛ **إِذْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يُوجِدَ قَبْلَهُ أَفْعَالًا هِيَ أَقَاوِيلُ لَا غَايَةَ لَهَا**، وَذَلِكَ مُحَالٌ بِاتِّفَاقٍ مِنَّا ومِنْهُم(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ نَعْتًا لِشَخْصٍ مَخْلُوقٍ ؛ **لِأَنَّ النُّعُوتَ لَا تَبْقَى طَرْفَةَ عَيْنٍ** ؛ **لِأَنَّهَا لَا تَحْتَمِلُ البَقَاءَ**، **وَهَذَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ قَدْ فَنِيَ وَمَضَى**(٢).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): لَوْ كَانَ كَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ مَخْلُوقًا وَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ الأَجْسَامِ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ عَرَضًا، **وَلَوْ كَانَ عَرَضًا لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ فَانِيًا فِي الثَّانِي مِنْ حَالِ حُدُوثِهِ**، وَأَنْ لَا يَكُونَ البَارِئُ سُبْحَانَهُ فِي وَقْتِنَا هَذَا آمِرًا بِشَيْءٍ وَلَا نَاهِيًا عَنْهُ وَلَا وَاعِدًا وَلَا مُتَوَعِّدًا وَلَا مُوعِدًا وَلَا مُخْبِرًا، وَفِي إِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى آمِرٌ لِخَلْقِهِ فِي هَذَا الوَقْتِ بِطَاعَتِهِ وَنَاهٍ لَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ لِخَلْقِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَكَلِّمًا بِكَلَامٍ عَرَضٍ مَخْلُوقٍ **لِأَنَّ الدَّلَالَةَ قَدْ دَلَّتْ عَلَى اسْتِحَالَةِ بَقَاءِ الأَعْرَاضِ**(٣).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: **إِنْ قَالَ قَائِلٌ**: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، **قِيلَ لَهُ**:

---

(١) التمهيد، (ص٢٣٧).

(٢) الإبانة (ص١٩٩).

(٣) التمهيد، (ص٢٣٨ ـ ٢٣٩).

الذِّكْرُ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ ﷻ لَيسَ هُوَ القُرْآنَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ الرَّسُولِ - ﷺ - وَوَعْظُهُ إِيَّاهُمْ[1].

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): فَإِنْ قَالُوا: فَمَا مَعْنَى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]؟ قِيلَ لَهُمْ: **مَعْنَاهُ: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وَعْظٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَعْدٍ وَتَخْوِيفٍ** ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] لِأَنَّ وَعْظَ النَّبِيِّ ﷺ وَوَعِيدَهُ وَتَحْذِيرَهُ ذِكْرٌ[2].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَأَيْضًا فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] يُخْبِرُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ ذِكْرٌ مُحْدَثٌ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، **وَلَمْ يَقُلْ: لَا يَأْتِيهِمْ ذِكْرٌ إِلَّا كَانَ مُحْدَثًا**، وَإِذَا لَمْ يَقُلْ هَذَا لَمْ يَجِبْ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ مُحْدَثًا[3].

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): وَأَيْضًا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى **لَمْ يَقُلْ: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِم إِلَّا كَانَ مُحْدَثًا**، وَفِي الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ فِي الذِّكْرِ مَا لَيْسَ بِمُحْدَثٍ لِأَجْلِ نَعْتِهِ لِلذِّكْرِ بِالحُدُوثِ، وَلَوْ كَانَ لَا ذِكْرَ إِلَّا مُحْدَثًا لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] مَعْنًى، كَمَا أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِقَوْلِ القَائِلِ: «مَا يَأْتِينِي مِنْ رَجُلٍ إِلَّا أَكْرَمْتُهُ، وَلَا هَاشِمِيٌّ شَرِيفٍ إِلَّا قَدَّمْتُهُ» إِذَا كَانَ الرَّجُلُ لَا يَكُونُ إِلَّا ذَكَرًا وَالهَاشِمِيُّ لَا يَكُونُ إِلَّا شَرِيفًا، **فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ نَعْتُ**

---

(١) الإبانة (ص١٩٧).

(٢) التمهيد، (ص٢٤٨).

(٣) الإبانة (ص١٩٨).

الذِّكْرِ بِالحُدُوثِ دَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ مِنْهُ مَا لَيْسَ بِمُحْدَثٍ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ القُرْآنَ؛ لِلْإِجْمَاعِ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مَا عَدَاهُ مِنَ الذِّكْرِ مُحْدَثٌ، وَاخْتَلَفْنَا فِي كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَالآيَةُ بِأَنْ تَدُلَّ عَلَىٰ قَوْلِنَا أَقْرَبُ(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَزَعَمَتِ المُعْتَزِلَةُ وَالحَرُورِيَّةُ وَالجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللهَ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَلَزِمَهُمْ أَنَّهُ فِي بَطْنِ مَرْيَمَ، وَفِي الحُشُوشِ وَالأَخْلِيَةِ، وَهَذَا خِلَافُ الدِّينِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ(٢).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): فَإِنْ قَالُوا: فَهَلْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ قِيلَ: مَعَاذَ اللهِ، بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَىٰ العَرْشِ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَكَانَ فِي جَوْفِ الإِنْسَانِ وَفَمِهِ وَفِي الحُشُوشِ وَالمَوَاضِعِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَوَجَبَ أَنْ يَزِيدَ بِزِيَادَةِ الأَمَاكِنِ إِذَا خَلَقَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ خَلَقَهُ، وَيَنْقُصَ بِنُقْصَانِهَا إِذَا بَطَلَ مِنْهَا مَا كَانَ، وَلَصَحَّ أَنْ يُرْغَبَ إِلَيْهِ نَحْوَ الأَرْضِ وَإِلَىٰ وَرَاءِ ظُهُورِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَشَمَائِلِنَا، وَهَذَا مَا قَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَىٰ خِلَافِهِ وَتَخْطِئَةِ قَائِلِهِ(٣).

---

(١) التمهيد، (ص٢٤٨).

(٢) الإبانة (ص٢٠٨).

(٣) قال (التمهيد، ص٢٦٠).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ» عَنِ الجَهْمِيَّةِ: **وَلَوْلَا أَنَّهُمْ خَافُوا السَّيْفَ لَأَفْصَحُوا بِأَنَّ اللهَ غَيْرُ سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ وَلَا عَالِمٍ**، وَلَكِنْ خَوْفُ السَّيْفِ مَنَعَهُمْ مِنْ إِظْهَارِ زَنْدَقَتِهِمْ(١).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): **قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الحَسَنِ** رضي الله عنه: **لَوْ لَا خَوْفُهُمْ مِنْ حَرْفِ السَّيْفِ لَأَفْصَحُوا القَوْلَ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلَا قَادِرٍ**؛ لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ عِنْدَ الأُمَّةِ وَعِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بَيْنَ قَوْلِ القَائِلِ: لَا عِلْمَ لِلَّهِ بِكَذَا، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: لَيْسَ اللهُ عَالِمًا بِكَذَا، وَكَذَلِكَ لَا فَصْلَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ: زَيْدٌ غَيْرُ عَالِمٍ بِالطِّبِّ، وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ: لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ(٢).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ أَرَادَ القُوَّةَ لَكَانَ مَعْنَى ذَلِكَ: بِقُدْرَتَيَّ، وَهَذَا نَاقِضٌ لِقَوْلِ مُخَالِفِنَا وَكَاسِرٌ لِمَذْهَبِهِمْ؛ **لِأَنَّهُم لَا يُثْبِتُونَ قُدْرَةً وَاحِدَةً فَكَيْفَ يُثْبِتُونَ قُدْرَتَيْنِ ؟!**(٣).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): قَوْلُهُ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يَقْتَضِي إِثْبَاتَ يَدَيْنِ هُمَا صِفَةٌ لَهُ، **فَلَوْ كَانَ المُرَادُ بِهَا القُدْرَةَ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُدْرَتَانِ، وَأَنْتُمْ لَا تَزْعُمُونَ أَنَّ لِلْبَارِئِ سُبْحَانَهُ قُدْرَةً وَاحِدَةً، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تُثْبِتُوا لَهُ قُدْرَتَيْنِ ؟!** وَقَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ مِنْ مُثْبِتِي الصِّفَاتِ وَالنَّافِينَ لَهَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُدْرَتَانِ، فَبَطَلَ مَا قُلْتُمْ(٤).

---

(١) الإبانة (ص٢١٩).

(٢) هداية المسترشدين، (ج١/ص٨٩).

(٣) الإبانة (ص٢٢٣).

(٤) التمهيد، (ص٢٥٩).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَلَوْ كَانَ خَالِقًا لِإِبْلِيس بِيَدَيْهِ كَمَا خَلَق آدَمَ عليه السلام بِيَدَيْهِ **لَمْ يَكُنْ لِلتَّفْضِيلِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَجْهٌ**، **وَقَدْ كَانَ إِبْلِيسُ يَقُولُ مُحْتَجًّا عَلَىٰ رَبِّهِ: فَقَدْ خَلَقْتَنِي بِيَدَيْكَ كَمَا خَلَقْتَ آدَمَ بِهِمَا**(١).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): وَيَدُلُّ عَلَىٰ فَسَادِ تَأْوِيلِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُ لَوْ كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ مَا قَالُوهُ **لَمْ يَغْفُلْ عَنْ ذَلِكَ إِبْلِيسُ وَعَنْ أَنْ يَقُولَ: وَأَيُّ فَضْلٍ لِآدَمَ عَلَيَّ يَقْتَضِي أَنْ أَسْجُدَ لَهُ وَأَنَا أَيْضًا بِيَدِكَ خَلَقْتَنِي الَّتِي هِيَ قُدْرَتُكَ وَبِنِعْمَتِكَ خَلَقْتَنِي ؟!** وَفِي العِلْمِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَضَّلَ آدَمَ عَلَيْهِ بِخَلْقِهِ بِيَدَيْهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَسَادِ مَا قَالُوهُ(٢).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَكَذَلِكَ يُقَالُ لَهُمْ: لَمْ تَجِدُوا مُدَبِّرًا حَكِيمًا إِلَّا إِنْسَانًا، ثُمَّ أَثْبَتُّمْ أَنَّ لِلدُّنْيَا مُدَبِّرًا حَكِيمًا لَيْسَ كَالإِنْسَانِ، وَخَالَفْتُمُ الشَّاهِدَ وَنَقَضْتُمُ اعْتِلَالَكُمْ، **فَلَا تَمْنَعُوا إِثْبَاتَ يَدَيْنِ لَيْسَتَا نِعْمَتَيْنِ وَلَا جَارِحَتَيْنِ** مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ الشَّاهِدِ(٣).

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: مَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ وَجْهُهُ وَيَدُهُ جَارِحَةً إِذْ كُنْتُم لَمْ تَعْقِلُوا يَدًا صِفَةً ووَجْهًا صِفةً إِلَّا جَارِحَةً. **قِيلَ لَه**: **لَا يَجِبُ ذَلِكَ؛ كَمَا لَا يَجِبُ إِذَا لَمْ نَعْقِلْ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا إِلَّا جِسْمًا أَنْ نَقْضِيَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَىٰ بِذَلِك**، وَكَمَا لَا يَجِبُ مَتَىٰ كَانَ قَائِمًا بِذَاتِهِ أَنْ يَكُونَ

(١) الإبانة (ص٢٢٤).
(٢) التمهيد، (ص٢٥٩).
(٣) الإبانة (ص٢٢٨).

جَوْهَرًا أَوْ جِسْمًا لِأَنَّا وَإِيَّاكُمْ لَمْ نَجِدْ قَائِمًا بِنَفْسِهِ فِي شَاهِدِنَا إِلَّا كَذَلِكَ[١].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِ اللهِ ﷻ مِنْ أَكْسَابِ العِبَادِ مَا لَا يُرِيدُهُ، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ فِعْلِهِ ـ المُجْتَمَعِ عَلَى أَنَّهُ فِعْلُهُ ـ مَا لَا يُرِيدُهُ؛ **لِأَنَّهُ لَوْ وَقَعَ مِنْ فِعْلِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ لَكَانَ فِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ النُّقْصَانِ**، وَكَذَلِكَ القَوْلُ لَوْ وَقَعَ مِنْ عِبَادِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ[٢].

قَالَ القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهِ تَعَالَى مُرِيدٌ لِجَمِيعِ أَفْعَالِ العِبَادِ أَنَّهُ **لَوْ كَانَ فِي سُلْطَانِهِ مِنْهَا مَا لَيْسَ بِمُرِيدٍ لِكَوْنِهِ لَلَحِقَهُ العَجْزُ وَالتَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِ المُرَادِ**، وَكَذَلِكَ لَوْ أَرَادَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ، كَمَا أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ مِنْ فِعْلِ نَفْسِهِ مَا لَمْ يَكُنْ أَوْ كَانَ مِنْهُ ـ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ ـ مَا لَمْ يُرِدْهُ وَهُوَ مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا لَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى عَجْزِهِ وَتَقْصِيرِهِ وَتَعَذُّرِ الأَشْيَاءِ عَلَيْهِ، فَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ فِعْلِ نَفْسِهِ وَفِعْلِ خَلْقِهِ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُمْ كَسْبًا، كَمَا لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مِنْ فِعْلِ نَفْسِهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَلَا يَكُونُ مِنْهُ مَا عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ، وَبَيْنَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ خَلْقِهِ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ مَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي إِيجَابِهِ لِتَجْهِيلِهِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ[٣].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: فَإِنْ قَالُوا: لِأَنَّ مُرِيدَ السَّفَهِ سَفِيهٌ... **وَيُقَالُ لَهُمْ**: مَنْ أَرَادَ طَاعَةَ اللهِ مِنَّا كَانَ مُطِيعًا، كَمَا أَنَّ مَنْ أَرَادَ السَّفَهَ كَانَ سَفِيهًا، وَرَبُّ

---

(١) التمهيد، (ص٢٥٩ ـ ٢٦٠).
(٢) الإبانة (ص٢٥١).
(٣) التمهيد، (ص٢٨١ ـ ٢٨٢).

العَالَمِينَ ﷻ يُرِيدُ الطَّاعَةَ وَلَيْسَ مُطِيعًا، فَكَذَلِكَ يُرِيدُ السَّفَهَ وَلَيْسَ سَفِيهًا[١].

شرحَ **القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ** (ت٤٠٣هـ): هَذِهِ الحُجَّةَ فِي الرَّدِّ عَلَى شُبْهَةِ القَائِلِينَ بِأَنَّهُ: «لَوْ كَانَ البَارِئُ تَعَالَى مُرِيدًا لِلسَّفَهِ لَكَانَ عَابِثًا سَفِيهًا» فَقَالَ: فَيَجِبُ عَلَى اعْتِلَالِكُمْ أَنْ يَكُونَ بِإِرَادَتِهِ الطَّاعَةَ وَالصَّلَاحَ وَالتُّقَى مُطِيعًا صَالِحًا تَقِيًّا؛ لِأَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ لَمْ نَجِدْ مُرِيدًا لِلطَّاعَةِ إِلَّا طَائِعًا.

فَإِنْ مَرُّوا عَلَى ذَلِكَ تَرَكُوا دِينَهُمْ، وَإِنْ أَبَوْهُ أَبْطَلُوا سُؤَالَهُمْ، وَإِنْ قَالُوا: مُرِيدُ الطَّاعَةِ مِنَّا مُطِيعٌ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِفِعْلِ الطَّاعَةِ، وَاللهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، قِيلَ لَهُمْ: وَمُرِيدُ السَّفَهِ مِنَّا سَفِيهٌ لِأَنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْ فِعْلِ السَّفَهِ، وَاللهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ[٢].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣] قَالُوا: وَالكُفْرُ مُتَفَاوِتٌ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟ وَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ ـ ٤]، **فَإِنَّمَا عَنَى مَا تَرَى فِي السَّمَوَاتِ مِنْ فُطُورٍ لِأَنَّهُ ذَكَرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الكُفْرَ**، وَإِذَا كَانَ هَذَا عَلَى مَا قُلْنَاهُ بَطَلَ مَا قَالُوهُ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ[٣].

قَالَ **القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ** (ت٤٠٣هـ): فَإِنْ قَالُوا: أَفَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ: ﴿مَّا

---

(١) الإبانة (ص٢٥٥).

(٢) التمهيد، (ص٢٨٣).

(٣) الإبانة (ص٢٦٢).

تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]؟ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا لِلْكُفْرِ وَالقَبَائِحِ وَهِيَ أَفْعَالٌ فَاسِدَةٌ مُتَفَاوِتَةٌ؟

يُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَبَّرَ أَنَّهُ لَا يُرَىٰ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ مِنْ تَفَاوُتٍ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ يَعْنِي بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ **يَعْنِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ يَعْنِي فِي السَّمَاءِ ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ يَعْنِي مِنْ صُدُوعٍ وَشُقُوقٍ، **يُرِيدُ الإِخْبَارَ عَنْ إِتْقَانِ فِعْلِهَا وَعَجِيبِ صُنْعِهَا، وَالكُفْرُ لَا فُطُورَ فِيهِ وَلَا شُقُوقُ**، وَلَوْ لَا الجَهْلُ مَا تَعَلَّقُوا بِمِثْلِ هَذَا التَّأْوِيلِ(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧] فَقَالُوا: هَذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَخْلُقِ البَاطِلَ(٢). فَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ أَرَادَ بِذَلِكَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: لَا حَشْرَ وَلَا نُشُورَ وَلَا إِعَادَةَ، **فَقَالَ تَعَالَىٰ: مَا خَلَقْتُ ذَلِكَ وَأَنَا لَا أُثِيبُ مَنْ أَطَاعَنِي وَلَا أُعَاقِبُ مَنْ عَصَانِي، كَمَا ظَنَّ الكَافِرُونَ أَنَّهُ لَا حَشْرَ وَلَا نَشْرَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا عِقَابَ**، أَلَا تَرَاهُ قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وَبَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] أَيْ: لَا نُسَوِّي بَيْنَهُمْ فِي أَنْ نُنَعِّمَهُمْ

(١) التمهيد، (ص٣١٣).

(٢) قرر **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** هذه الشبهة بعد إيراد الآية بقوله: والباطل من أفعال العباد ليس بحقٍّ. (التمهيد، ص٣١٢).

أَجْمَعِينَ وَلَا فِي أَنْ نُعَذِّبَهُمْ أَجْمَعِينَ فَيَكُونَ سَبِيلُهُمْ سَبِيلًا وَاحِدًا[(١)].

قَالَ **القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ)**: فَإِنْ قَالُوا: أَفَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [ص: ٢٧]، وَقَالَ: ﴿خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣]، وَالبَاطِلُ مِنْ أَفْعَالِ العِبَادِ لَيْسَ بِحَقٍّ.

قِيلَ لَهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ مَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِثَابَةَ المُتَّقِينَ الطَّائِعِينَ، وَلَا مُجَازَاةَ المُسِيئِينَ المُذْنِبِينَ وَالكَافِرِينَ، عَلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا حَشْرَ وَلَا نَشْرَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا عِقَابَ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧] يَعْنِي: مِنْ إِنْكَارِهِمُ الثَّوَابَ وَالجَزَاءَ وَالعِقَابَ[(٢)].

قَالَ **الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»**: وَسَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]. **وَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ** أَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ يَعْنِي الخِصْبَ وَالخَيْرَ، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يَعْنِي الجَدْبَ وَالقَحْطَ وَالمَصَائِبَ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ﴾ أَيْ بِشُؤْمِكَ، قَالَ اللهُ: يَا مُحَمَّدُ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] فِي قَوْلِهِمْ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، فَحَذَفَ «فِي قَوْلِهِمْ» لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛

(١) الإبانة (ص٢٦٣).

(٢) التمهيد، (ص٣١٢).

لِأَنَّ القُرْآنَ لَا يَتَنَاقَضُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ فِي آيَةٍ: إِنَّ الكُلَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ثُمَّ يَقُولَ فِي الآيَةِ الأُخْرَىٰ الَّتِي تَلِيهَا: إِنَّ الكُلَّ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ[1].

قرّر القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): هَذَا الجَوَابَ بِقَوْلِهِ: يُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ الآيَةُ دَلَالَةٌ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِكُمْ لِأَنَّهَا إِنْكَارٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ مَنْ دَانَ بِدِينِكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ القَوْمَ كَانُوا يُضِيفُونَ الحَسَنَاتِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَيُضِيفُونَ السَّيِّئَاتِ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانُوا إِذَا أَصَابَهُمُ الجَدْبُ وَالشِّدَّةُ أَضَافُوا ذَلِكَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: «هَذَا مِنْهُ وَبِشُؤْمِ طَائِرِه»، فَأَنْكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ، فَقَالَ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّعْجِيبِ مِنْ قَوْلِهِمْ وَالتَّفْنِيدِ لَهُمْ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، تَعْجِيبًا مِنْ قَوْلِهِم هَذَا، وَفِي هَذَا الكَلَامِ حَذْفٌ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَتَقْدِيرُ الكَلَامِ: يَقُولُونَ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، فَحَذَفَ «يَقُولُونَ» اقْتِصَارًا عَلَىٰ شَاهِدِ الحَالِ وَمَفْهُومِ الخِطَابِ وَالعِلْمِ بِسبَبِ إِنْزَالِ هَذَا الكَلَامِ[2].

[٥] ـ نُقُولُ الحَافِظِ البَيْهَقِيِّ (ت٤٥٨هـ) عَنْ كِتَابِ الإِبَانَةِ.

فَكَلَامُ الشَّيْخِ الأَشْعَرِيِّ فِي «الإِبَانَةِ» مِنْ أَوَّلِ بَابِ الكَلَامِ فِي إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالأَبْصَارِ فِي الآخِرَةِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: «وَهَذَا مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الفَرْقِ

(١) الإبانة (ص٢٦٤).
(٢) التمهيد، (ص٣١٨ ـ ٣١٩).

فِيهِ»[(١)]، نَقَلَهُ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ) في كتاب «الاعْتِقَادِ» باللفظِ فِي جُلِّهِ، وَلَكِنْ دُونَ عَزْوٍ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ[(٢)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالأَبْصَارِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فَلَمَّا كَانَ اللهُ ﷻ قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ الجَبَلَ مُسْتَقِرًّا، كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ الأَمْرِ الَّذِي لَوْ فَعَلَهُ لَرَآهُ مُوسَىٰ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُرِيَ عِبَادَهُ نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ جَائِزٌ رُؤْيَتُهُ[(٣)].

أَوْرَدَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ) هَذَا الدَّلِيلَ بِعَيْنِ هَذِهِ العِبَارَاتِ دُونَ عَزْوٍ للشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه[(٤)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَقَالَ ﷻ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ الأَمْرَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ[(٥)].

أَوْرَدَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ) هَذَا الدَّلِيلَ بِعَيْنِ هَذِهِ الأَلْفَاظِ وَلَكِنْ دُونَ عَزْوٍ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه[(٦)].

---

(١) الإبانة (ص١٣٥).
(٢) الاعتقاد (ص١٦٨ ـ ١٧٠).
(٣) الإبانة (ص١٤١).
(٤) الاعتقاد (ص١٧١).
(٥) الإبانة (ص١٥٩).
(٦) الاعتقاد (ص١٤٢).

وَقَالَ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: ظَاهِرُهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَمْرَهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْقَىٰ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَمَا هَذَا صِفَتُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا قَدِيمًا(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، فَلَوْ كَانَتِ البِحَارُ مِدَادًا يُكْتَبُ بِهِ لَنَفِدَتِ البِحَارُ وَتَكَسَّرَتِ الأَقْلَامُ **وَلَمْ يَلْحَقِ الفَنَاءُ كَلِمَاتِ رَبِّي، كَمَا لَا يَلْحَقُ الفَنَاءُ عِلْمَ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ(٢) فَنِيَ كَلَامُهُ لَحِقَتْهُ الآفَاتُ **وَجَرَىٰ عَلَيْهِ السُّكُوتُ**، فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ عَلَىٰ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ صَحَّ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا(٣).

هَذَا الدَّلِيلُ نَقَلَهُ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ **«الاعْتِقَادِ»** مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ قوله: «صَحَّ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا» وَلَكِنْ دُونَ عَزْوٍ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، ثُمَّ قَالَ: قَدْ نَفَى النَّفَادَ عَنْ كَلَامِهِ كَمَا نَفَى الهَلَاكَ عَنْ وَجْهِهِ(٤).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَمِمَّا يُبْطِلُ قَوْلَهُمْ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنِ المُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] يَعْنُونَ القُرْآنَ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ جَعَلَهُ قَوْلًا لِلْبَشَرِ، وَهَذَا مَا أَنْكَرَهُ اللهُ عَلَى المُشْرِكِينَ(٥).

---

(١) الأسماء والصفات (ج١/ص٧٤٨).

(٢) عند البيهقيِّ: لِأَنَّ مَنْ. (الاعتقاد، ص١٤٣).

(٣) الإبانة (ص١٦٤).

(٤) الاعتقاد (ص١٤٥).

(٥) الإبانة (ص١٦٨).

هَذَا الدَّلِيلُ ذَكَرَهُ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ «**الاعْتِقَادِ**» بِأَلْفَاظِهِ وَلَكِنْ دُونَ عَزْوٍ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأشعريّ رضي الله عنه(١).

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَقَدْ قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَالتَّكْلِيمُ هُوَ المُشَافَهَةُ بِالكَلَامِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ المُتَكَلِّمِ حَالًّا فِي غَيْرِهِ مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ سِوَاهُ، كَمَا لَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي العِلْمِ(٢).

أَوْرَدَ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ «**الاعْتِقَادِ**» عَيْنَ هذَا الاسْتِدْلَالِ مَعَ بَعْضِ الزِّيَادَاتِ لِلتَّوْضِيحِ فَقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ المُتَكَلِّمِ قَائِمًا بِغَيْرِهِ ثُمَّ يَكُون هُوَ بِهِ قَائِلًا مُتَكَلِّمًا دُونَ ذَلِكَ الغَيْرِ، كَمَا لَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي العِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ(٣).

وَقَدْ قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٥١]، فَلَوْ كَانَ كَلَامُ اللهِ لَا يُوجَدُ إِلَّا مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ مَخْلُوقٍ لَمْ يَكُنْ لِاشْتِرَاطِ هَذِهِ الوُجُوهِ مَعْنًى؛ لِأَنَّ الكَلَامَ قَد سَمِعَهُ جَمِيعُ الخَلْقِ، وَوَجَدُوهُ ـ بِزَعْمِ الجَهْمِيَّةِ ـ مَخْلُوقًا فِي غَيْرِ اللهِ عز وجل(٤).

هُنَا اخْتِلَافٌ يَسِيرٌ عِنْدَ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ «**الاعْتِقَادِ**»

---

(١) الاعتقاد (ص١٤٥).

(٢) الإبانة (ص١٧٠).

(٣) الاعتقاد (ص١٤٢).

(٤) الإبانة (ص١٧٣).

وَنَصُّ كَلَامِهِ: لَمْ يَكُنْ لِاشْتِرَاطِ هَذِهِ الوُجُوهِ مَعْنًى؛ لِاسْتِواءِ جَمِيعِ الخَلْقِ فِي سَمَاعِهِ مِنْ غَيْرِ اللهِ وَوُجُودِهِمْ ذَلِكَ ـ عِنْدَ الجَهْمِيَّةِ ـ مَخْلُوقًا فِي غَيْرِ اللهِ[(١)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ إِذَا زَعَمُوا أَنَّ كَلَامَ اللهِ لِمُوسَىٰ خَلَقَهُ فِي شَجَرَةٍ أَنْ يَكُونَ مَنْ سَمِعَ كَلَامَ اللهِ ﷻ مِنْ مَلَكٍ أَوْ مِنْ نَبِيٍّ أَتَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلَ مَرْتَبَةً مِمَّنْ سَمِعَ الكَلَامَ مِنْ مُوسَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ مُوسَىٰ مِنَ اللهِ ﷻ، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ شَجَرَةٍ. وَأَنْ يَزْعُمُوا أَنَّ اليَهُودَ إِذَا سَمِعَتْ[(٢)] كَلَامَ اللهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مَرْتَبَةً فِي هَذَا المَعْنَىٰ مِنْ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ؛ لِأَنَّ اليَهُودَ سَمِعَتْهُ مِنْ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَمُوسَىٰ سَمِعَهُ مَخْلُوقًا فِي شَجَرَةٍ. وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا فِي شَجَرَةٍ لَمْ يَكُنِ اللهُ مُكَلِّمًا لِمُوسَىٰ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ[(٣)].

مِنْ أَوَّلِ هَذَا الدَّلِيلِ إِلىٰ قوله: «مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» نقَلَهُ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كتاب «**الاعتقاد**» بِأَلْفَاظِ الأَشْعَرِيِّ، ثُمَّ قَالَ: **وَقَدِ احْتَجَّ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ** رَحِمَهُ اللهُ بِهَذِهِ الفُصُولِ، وَاحْتَجَّ بِهَا غَيْرُهُ مِنْ سَلَفِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ[(٤)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَة»: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: حَدِّثُونَا، أَتَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ؟ **قِيلَ لَهُ**: كَذَلِكَ نَقُولُ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ

(١) الاعتقاد (ص١٤٣).

(٢) خـ: اليَهُودِيَّ إذا سَمِعَ.

(٣) الإبانة (ص١٧٤).

(٤) الاعتقاد (ص١٤٣ ـ ١٤٤).

مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]، فَالْقُرْآنُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، وَهُوَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وَهُوَ مَتْلُوٌّ بِالأَلْسِنَةِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]. فَالْقُرْآنُ مَكْتُوبٌ فِي مَصَاحِفِنَا فِي الحَقِيقَةِ، مَحْفُوظٌ فِي صُدُورِنَا فِي الحَقِيقَةِ، مَتْلُوٌّ بِأَلْسِنَتِنَا فِي الحَقِيقَةِ، مَسْمُوعٌ لَنَا فِي الحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦][(١)].

هَذَا السُّؤَالُ وَجَوَابُهُ أَوْرَدَهُمَا **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ «**الاعْتِقَادِ**» بِأَلْفَاظِهِمَا مُفْتَتِحًا بِقَوْلِهِ: وَقَالَ **أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ** رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ[(٢)].

وَقَدْ قَالَ قَبْلَ إِيرَادِ ذَلِكَ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِكَلَامِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ: وَبِمَعْنَاهُ ذَكَرَهُ أَيْضًا **عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ** فِي كِتَابِهِ «**الإِبَانَةِ**»[(٣)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «الإِبَانَةِ»: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]. **قِيلَ لَهُ:** الذِّكْرُ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ هُوَ القُرْآنَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ الرَّسُولِ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وَوَعْظُهُ إِيَّاهُمْ. وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥][(٤)].

(١) الإبانة (ص١٩٥).
(٢) الاعتقاد (ص١٥٧).
(٣) الاعتقاد (ص١٥٦).
(٤) الإبانة (ص١٩٧).

أَوْرَدَهُ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ «**الاعْتِقَادِ**» بِأَلْفَاظِهِ لَكِنْ لَا فِي صِيغَةِ السُّؤَالِ، وَدُونَ عَزْوٍ لِلْأَشْعَرِيِّ[(١)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «**الإِبَانَةِ**»: وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١]، فَسَمَّىٰ الرَّسُولَ ذِكْرًا، وَالرَّسُولُ مُحْدَثٌ[(٢)].

أَوْرَدَهُ **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ «**الاعْتِقَادِ**» وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: فَدَلَّ أَنَّ ثَمَّةَ ذِكْرًا غَيْرُ مُحْدَثٍ[(٣)].

قَالَ الأَشْعَرِيُّ فِي «**الإِبَانَةِ**»: وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، فَالعَرْشُ أَعْلَىٰ السَّمَوَاتِ[(٤)].

جُمْلَةُ: «**وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، فَالعَرْشُ أَعْلَىٰ السَّمَوَاتِ**» أَوْرَدَهَا **الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ «**الاعْتِقَادِ**» بِلَفْظِهَا، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَعْنَىٰ الآيَةِ: أَأَمِنْتُمْ مَنْ عَلَىٰ العَرْشِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي سَائِرِ الآيَاتِ**»[(٥)].

---

(١) الاعتقاد (ص١٤٦).

(٢) الإبانة (ص١٩٩).

(٣) الاعتقاد (ص١٤٦).

(٤) الإبانة (ص٢٠٥).

(٥) الاعتقاد (ص١٦١).

[٦] ـ تَوْثِيقُ نِسْبَةِ كِتَابِ الإِبَانَةِ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ مِنْ نُصُوصِ العُلَمَاءِ:

[١] ـ **قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ (ت٥٤٤هـ)** فِي تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ عِنْدَ تَعْدَادِ مُؤَلَّفَاتِهِ المَشْهُورَةِ الَّتِي وَصَفَهَا بِأَنَّ: «عَلَيْهَا مُعَوَّل أَهْلِ السُّنَّةِ»: وكِتَابُ «**الإِبَانَةِ فِي أُصُولِ الدِّيَانَةِ**»[١].

[٢] ـ **وَقَالَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ)** فِي كِتَابِ الاعْتِقَادِ قَبْلَ أَنْ يُورِدَ سُؤَالًا وَجَوَابًا مِنْ كِتَابِ «**الإِبَانَةِ**» بِلَفْظِه: وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ﵀ فِي كِتَابِهِ[٢].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِ الاعْتِقَادِ بَعدَ ذِكْرِهِ لِكَلَامِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ: وَبِمَعْنَاهُ ذَكَرَهُ أَيْضًا عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فِي كِتَابِهِ «**الإِبَانَةِ**»[٣].

[٣] ـ **قَالَ الحَافِظُ ابنُ عَسَاكِرَ (ت٥٧١هـ)**: وَتَصَانِيفُ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ بَيْنَ أَهْلِ العِلْم مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وبِالإِجَادَةِ وَالإِصَابَةِ لِلتَّحْقِيقِ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ مَوْصُوفَةٌ، ومَنْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِهِ المُسَمَّى بِـ«**الإِبَانَةِ**» عَرَفَ مَوْضِعَهُ مِنَ العِلْمِ والدِّيَانَةِ[٤].

وَقَالَ بَعْدَ نَقْلِهِ مُقَدِّمَةَ كِتَابِ «**الإِبَانَةِ**»: فتَأَمَّلُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ هَذَا الاعْتِقَادَ مَا أَوْضَحَهُ وَأَبْيَنَهُ، وَاعْتَرِفُوا بِفَضْلِ هَذَا الإِمَامِ العَالِمِ الَّذِي شَرَحَهُ وَبَيَّنَهُ، وَانْظُرُوا

---

(١) ترتيب المدارك (ج٥/ص٢٧).

(٢) كتاب الاعتقاد، (ص١٥٧).

(٣) كتاب الاعتقاد، (ص١٥٦).

(٤) التبيين (ص١١٩).

سُهُولَةَ لَفْظِهِ مَا أَفْصَحَهُ وَأَحْسَنَهُ، وَكُونُوا مِمَّنْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، وَتَبَيَّنُوا فَضْلَ أَبِي الحَسنِ وَاعْرِفُوا إِنْصَافَهُ، وَاسْمَعُوا وَصْفَهُ لِأَحْمَدَ بِالفَضْلِ وَاعْتِرَافَهُ، لِتَعْلَمُوا أَنَّهُمَا كَانَا فِي الاعْتِقَادِ مُتَّفِقَيْنِ، وَفِي أُصُولِ الدِّينِ وَمَذْهَبِ السُّنَّةِ غَيْرَ مُفْتَرِقَيْنِ(١).

وقال أيضًا: الأَشْعرِيَّةُ يَعْتَقِدُونَ مَا فِي «الإِبَانَةِ» أَشَدَّ اعْتِقَادٍ، ويَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا أَشَدَّ اعْتِمَادٍ، فإِنَّهُمْ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ لَيْسُوا مُعْتَزِلَةً، وَلَا نُفَاةً لِصِفَاتِ اللهِ مُعَطِّلَةً، لكِنَّهُمْ يُثْبِتُون لَهُ سُبْحَانَهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ، ويَصِفُونَهُ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ، ومَا وَصَفَهُ بِهِ نَبِيُّهُ فِي صَحِيحِ الرِّوَايَاتِ(٢).

وَقَالَ أَيْضًا: لَمْ يَزَلْ كِتَابُ «الإِبَانَةِ» مُسْتَصْوَبًا عِنْدَ أَهْلِ الدِّيَانَةِ(٣).

وحَكَىٰ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِر بِسَنَدِهِ عَنْ الإمامِ أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ أَنَّهُ قَلَّمَا كَانَ يَخْرُجُ إِلَىٰ مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِلَّا وَبِيَدِهِ كِتَابُ «الإِبَانَةِ» لِأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، وَيُظْهِرُ الإِعْجَابَ بِهِ، وَيَقُولُ: مَا الَّذِي يُنْكَرُ عَلَىٰ مَنْ هَذَا الكِتَابُ شَرْحُ مَذْهَبِهِ؟!(٤).

---

(١) التبيين (ص٣٢٥).

(٢) التبيين (ص٦٧٦).

(٣) التبيين (ص٦٧٧).

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٦٧٧). وقد كان الإمام أبو عثمان الصابوني مِمَّنْ وَقَّعَ بِخَطِّه علىٰ قول الإمام الأستاذ أبي القاسم القشيريّ (ت٤٦٥هـ) عن الشيخ أبي الحسن الأشعري: كَانَ ﵀ إِمَامًا من أَئِمَّة أَصْحَاب الحَدِيث، ومذهبه مَذْهَب أَصْحَاب الحَدِيث، تكلم فِي أُصُول الديانَات علىٰ طَرِيقَة أهل السّنة، وردَّ علىٰ المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان علىٰ المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة سيفا مسلولا، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبَّهُ فقد بسط لسانَ السوء في جميع أهل السُّنة، بذلنا خطوطنا طائعين بذلك في هذا=

[٤] ـ **وَقَالَ الذَّهَبِيُّ** (ت٧٤٨هـ): كِتَابُ «**الإِبَانَةِ**» مِنْ أَشْهَرِ تَصَانِيفِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، شَهَّرَهُ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَنَسَخَهُ بِخَطِّهِ الإِمَامُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَاوِيُّ رحمه الله(١).

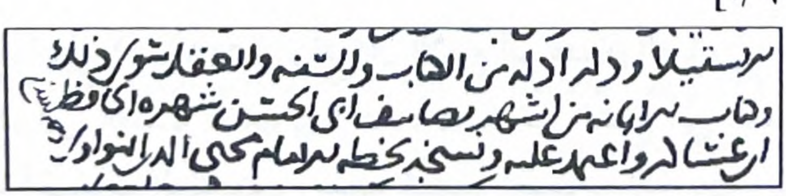
[٥] ـ **وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ**: «**الإِبَانَةُ**» **مِنْ أَجَلِّ كُتُبِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ**، وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُ العُلَمَاءُ وَيَنْقُلُونَ مِنْهُ كَالبَيْهَقِيِّ، وَأَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ، وَأَبِي القَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرَ، وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ شَرَحَهُ القَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ البَاقِلَّانِيِّ(٢).

[٦] ـ **وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ**: «**الإِبَانَةُ**» **صَنَّفَهَا الأَشْعَرِيُّ آخِرًا**، وَشَرَحَهَا القَاضِي البَاقِلَّانِيُّ، وَنَقَلَهَا الحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرٍ، وَهِيَ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا البَاقِلَّانِيُّ وَإِمَامُ الحَرَمَيْنِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ الأَصْحَابِ المُتَقَدِّمِينَ فِي أَوَاخِرِ أَقْوَالِهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ(٣).

[٧] ـ **وقال ابْنُ فَرْحُون المَالِكِيُّ**: وَلِأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ كُتُبٌ مِنْهَا كِتَابُ «اللُّمَعِ» الكَبِيرِ، وَكِتَابُ «اللُّمَعِ» الصَّغِيرِ، وَكِتَابُ «**الإِبَانَةِ فِي أُصُولِ الدِّيَانَةِ**»(٤).

= الذكر في ذي القعدة سنة ستّ وثلاثين وأربع مئة، والأمر على هذه الجملة المذكورة في هذا الذكر. (التبيين، ص٢٥٧).

(١) العلو للعزيز الغفار للذّهبي بخطّ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (المتوفى ٨٤٢هـ)، مكتبة تشستربيتي، رقم (٣٣٠٢) [٩٩/أ]



(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج٧/ص٢٣٦).

(٣) طبقات الشافعيين (ج١/ص١٩٩).

(٤) الديباج المذهَّب (ص١٩٣).

[٨] ـ **وقال ابنُ العِمادِ الحَنْبَلِيُّ** (ت١٠٨٧هـ): إِلَىٰ أَبِي الحَسَنِ الأشعريِّ انْتَهَتْ رِئَاسَةُ الدُّنْيَا فِي الكَلَامِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ المُقَدَّمَ المُقْتَدَىٰ الإِمَامَ، قَالَ فِي كِتَابِهِ «**الإِبَانَةِ فِي أُصُولِ الدِّيَانَةِ**»، وَهُوَ آخِرُ كِتَابٍ صَنَّفَهُ، وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُ أَصْحَابُهُ فِي الذَّبِّ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يَطْعَنُ عَلَيْهِ[١].

[٩] ـ **وقال العَلَّامَةُ الزَّبِيدِيُّ**: صَنَّفَ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ بَعْدَ رُجُوعِهِ عَنِ الاعْتِزَالِ «المُوجَزَ» وَهُوَ فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ، كِتَابٌ مُفِيدٌ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الجَهْمِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَ«مَقَالَاتِ الإِسْلَامِيِّينَ»، وَ«**كِتَابَ الإِبَانَةِ**»[٢].

(١) شذرات الذهب (ج٤/ص١٣١).

(٢) إتحاف السادة المتقين (ج٢/ص٢).

تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ

لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

اسْمُهُ وَكُنْيَتُهُ وَنِسْبَتُهُ:

قَالَ الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ (ت٤٦٢هـ): هُوَ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بِشْرٍ ـ وَاسْمُهُ إِسْحَاقُ ـ بْنِ سَالِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَىٰ، أَبُو الحَسَنِ الأَشعَرِيُّ(١).

قَال الحَافِظُ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ: وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ «الأَشْعَرِيُّ» لِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَهَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَىٰ أَشْعَرَ وَهِيَ قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنَ اليَمَنِ(٢).

مَوْلِدُهُ:

قَالَ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ (ت٤٦٢هـ): هو بصريٌّ، سكنَ بغداد إلىٰ أن توفي بها. قال بعْض البصريين: وُلِدَ أبو الحسن الأشعريُّ سنة ستين ومئتين (٢٦٠هـ)(٣).

وَفَاتُهُ:

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ: الأصحُّ أَنَّ الأَشْعَرِيَّ ماتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ

---

(١) تاريخ بغداد (ج١٣/ص٢٦٠).

(٢) الأنساب (ج١/ص٢٧٣).

(٣) تاريخ بغداد (ج١٣/ص٢٦٠).

وَثَلَاثِمِئَةٍ (٣٢٤هـ)، وكذلك ذكر أبو بكر بن فورك[(١)].

أَبْرَزُ شُيُوخِهِ:

[١] ـ أَبُو خَلِيفَةَ الفَضْلُ بْنُ الحُبَابِ الجُمَحِيُّ البَصْرِيُّ (٢٠٦ ـ ٣٠٥هـ) كَانَ إِمَامًا مُحَدِّثًا، ثِقَةً، مُتْقِنًا، ثَبْتًا، أَدِيبًا، أَخْبَارِيًّا، فَصِيحًا، مُفَوَّهًا.

حَدَّث الفَضْلُ بْنُ الحُبَابِ عَنْ وَالِدِهِ الحُبَابِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صخْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجُمَحِيِّ، وَهُوَ يَرْوِي عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ[(٢)]. وَحَدَّثَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ القَعْنَبِيِّ (ت٢٢١هـ)، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ العَبْدِيِّ (ت٢٢٣هـ)، وَمُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّبُوذَكِيِّ (ت٢٢٣هـ)، وَسُلَيْمانَ بْنِ حَرْبٍ (ت٢٢٤هـ)، وَأَبِي الوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ (ت٢٢٧هـ)، وَمُسَدَّدِ بْنِ مُسَرْهَدٍ (ت٢٢٨هـ) وَغَيْرِهِمْ مِنَ الأَئِمَّةِ الحُفَّاظِ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ جَماعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو عَوَانَةَ (ت٣١٦هـ) فِي صَحِيحِهِ، وَأَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّانَ (ت٣٥٤هـ) بِالبَصْرَةِ، وَأَبُو بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِيُّ (ت٣٧١هـ)[(٣)].

أَوْرَدَ الذَّهَبِيُّ (ت٧٤٨هـ) فِي السِّيَرِ قَالَ: قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ الحَسَنِ الإِسْفَرَايِينِيُّ ابْنُ أُخْتِ أَبِي عَوَانَةَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ لِأَبِي عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيِّ الحَافِظِ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو عَوَانَةَ البَصْرَةَ، فَقِيلَ: إِنَّ أَبَا خَلِيفَةَ قَدْ هُجِرَ، وَيُدَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ: يَا بُنَيَّ! لَا بُدَّ أَنْ نَدْخُلَ

---

(١) التبيين (ص١٦٢).

(٢) الثقات لابن حبان (ج٨/ص٢١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (ج١٤/ص٧).

عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو عَوَانَةَ: مَا تَقُولُ فِي القُرْآنِ؟ فَاحْمَرَّ وَجْهُهُ وَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: **القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: «مَخْلُوقٌ» فَهُوَ كَافِرٌ، وَأَنَا تَائِبٌ إِلَى اللهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الكَذِبَ، فَإِنِّي لَمْ أَكْذِبْ قَطُّ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**. قَالَ: فَقَامَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى أَبِي فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ أَبِي: قَامَ أَبُو عَوَانَةَ إِلَى أَبِي خَلِيفَةَ فَقَبَّلَ كَتِفَهُ(١).

وَرَوَى أَبُو الحُسَيْنِ بْنُ أَبِي يَعْلَى (ت٥٢٦هـ) بِسَنَدِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ ـ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ القَطِيعِيُّ (ت٣٦٨هـ) رَاوِي المُسْنَدِ ـ قَالَ: حَضَرَ رَجُلٌ مَجْلِسَ أَبِي خَلِيفَةَ الفَضْلِ بْنِ الحُبَابِ الجُمَحِيُّ، فَذَكَرَ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَبُو خَلِيفَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّد بْنِ حَنْبَلٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ: هُوَ إِمَامُنَا، وَمَنْ نَقْتَدِي بِهِ، وَنَقُولُ بِقَوْلِهِ، الوَاعِي لِلْعِلْم، المُتْقِن لِرِوَايَتِهِ، الصّادِقُ فِي حِكَايَتِهِ، القَيِّمُ بدِين الله عز وجل، المُسْتَنُّ بسُنَّة رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إِمَامُ المُسْلِمِينَ، والنّاصِحُ لإخْوانِه مِنَ المُؤْمِنين. فَقَالَ: لَهُ الرَّجُلُ: يَا أَبَا خَلِيفَةَ مَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ: «**القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخلُوقٍ**»؟ فقال: صَدَقَ وَاللهِ مقالَتَه، وقَمَعَ كُلَّ بِدْعِيٍّ بمَعْرِفَتِه، قَوْلُهُ الصَّوابُ، وَمَذْهَبُه السَّدادُ، هُوَ المَأْمُونُ عَلَى كُلِّ الأَحْوَالِ، والمُقْتَدىٰ بِه فِي جَمِيع الفِعَال(٢).

وَقَدْ أَوْرَدَ الحَافِظُ ابْنُ حِبَّانَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا خَلِيفَةَ الجُمَحِيَّ كَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ رضي الله عنه فَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ المُعَذَّلِ: المُتَفَقِّهُ عَلَى مَذْهَب مَالِكٍ فِي بَلَدِهِ، مِمَّنْ نصَرَ مَذْهَبَ مَالِكٍ بِالبَصْرَةِ، فَذَبَّ عَنْهُ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ،

(١) سير أعلام النبلاء (ج١٤/ص١٠).
(٢) طبقات الحنابلة (ج١/ص٢٥٠).

وَنَاظَرَ عَلَيْهِ، وَكَانَ حَسَنَ الطَّرِيقَةِ، إِلَّا أَنَّ المَوْتَ عَاجَلَهُ فَلَمْ يُنْتَفَعْ بِعِلْمِهِ، **وَكَانَ أَبُو خليفة مِمَّنْ جَالَسَهُ وَتَفَقَّهَ بِهِ، وَكَانَ يُفَخِّمُ فِي أَمْرِهِ وَيُعَظِّمُ مِنْ شَأْنِهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا، وَكَانَ أَبُو خَلِيفَةَ مِنْ إِعْجَابِهِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ** إِذَا رَأَىٰ مَنْ يَتَفَقَّهُ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ يَقُولُ: «أَحْمَدُنَا أَفْقَهُ مِنْ أَحْمَدِكُمْ»، يُرِيدُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ المُعَذَّلِ أَفْقَهُ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَهَيْهَاتَ أَفْقَهُ الرَّجُلَيْنِ مَنْ كَانَ أَعْلَمَ بِحَدِيث رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أَعْلَمُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مِئَتَيْنِ مِثْل أَحْمَدَ بْنِ المُعَذَّلِ، فَابْنُ حَنْبَلٍ أَفْقَهُ الرَّجُلَيْنِ وَأَعْلَمُهُمَا[١].

[٢] ـ **زَكَرِيَّا السَّاجِيُّ** (٢٢٠ ـ ٣٠٧هـ) وَهُوَ الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُو يَحْيَىٰ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّاجِيُّ البَصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ فِي التَّعْرِيفِ بِهِ: أَخَذَ السَّاجِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ (ت٢٧٠هـ) وَالمُزَنِيِّ (ت٢٦٧هـ)، وَمَاتَ بِالبَصْرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ (ت٣٠٧هـ) وَلَهُ كِتَابُ اخْتِلَافِ الفُقَهَاءِ، وَكِتَابُ عِلَلِ الحَدِيثِ[٢].

ونسبَ له **أَبُو القَاسِمِ قِوَامُ السُّنَّةِ الأَصْبَهَانِيُّ** (ت٥٣٥هـ) اعْتِقَادًا[٣].

وَقَدْ نَقَلَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِر (ت٥٧١هـ) أَنَّ أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ كَانَ **سُنِّيًّا جَمَاعِيًّا حَدِيثِيًّا**، أَوْصَىٰ عِنْدَ وَفَاتِهِ إِلَىٰ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَىٰ السَّاجِيِّ رحمه الله وَهُوَ إِمَامُ الفِقْهِ وَالحَدِيثِ، وَلَهُ كُتُبٌ مِنْهَا كِتَابُ «اخْتِلَافِ الفُقَهَاءِ»، وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ، وَقَدْ رَوَىٰ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ عَنِ السَّاجِيِّ فِي كِتَابِ

(١) كتاب الثقات (ج٨/ص١٦).
(٢) طبقات الفقهاء (ص١٠٤).
(٣) الحجة في بيان المحجة (ج٢/ص٥١٠).

التَّفْسِير أَحَادِيثَ كَثِيرَةً[١].

وقال الذهبيُّ (ت٧٤٨هـ) فِي تَرْجَمَةِ السَّاجِيِّ: «أَخَذَ عَنْهُ: أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ مَقَالَةَ السَّلَف فِي الصِّفَات، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا أَبُو الحَسَنِ فِي عِدَّة تَآلِيفَ»[٢].

وَأَكَّدَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ آخَرَ عَرَضَ فِيهِ لِتَرْجَمَةِ السَّاجِيِّ فَقَالَ: وَعَنْهُ أَخَذَ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ الأُصُولِيُّ تَحْرِيرَ مَقَالَةِ أَهْلِ الحَدِيثِ وَالسَّلَفِ، وَلِلسَّاجِي كِتَابٌ جَلِيلٌ فِي عِلَلِ الحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى تَبَحُّرِهِ فِي هَذَا الفَنِّ[٣].

وَرَوَى الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِر بِسَنَدِهِ عَنِ الإِمَامِ أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ القَاهِرِ بْنِ طَاهِرٍ البَغْدَادِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ الصُّوفِيَّ يَقُولُ: رَأَيْتُ أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه فِي مَسْجِدِ البَصْرَةِ وَقَدْ أَبْهَت المُعْتَزِلَةَ فِي المُنَاظَرَةِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الحَاضِرِينَ: قَدْ عَرَفْنَا تَبَحُّرَكَ فِي عِلْمِ الكَلامِ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ ظَاهِرَةٍ فِي الفِقْهِ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الصَّلاةِ بِغَيْرِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى السَّاجِيُّ، حدثنا عَبْدُ الجَبَّارِ، حدثنا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[٤]. قَالَ: وَحَدَّثَنَا زَكَرِيَّا، حدثنا بُنْدَارٌ، حدثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بن مَيْمُون، حَدَّثَنِي أَبُو عثمان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أُنَادِيَ بِالمَدِينَةِ: «**إِنَّهُ لَا صَلاةَ إِلَّا**

---

(١) التبيين (ص١٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (ج١٤/ص١٩٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (ج٢/ص٢٠١).

(٤) البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤).

بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ».

قَالَ فَسَكَتَ السَّائِلُ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا(١).

وَقَالَ التَّاجُ السُّبْكِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ: «ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَةِ عَنِ الشَّيْخِ وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ مَحَلِّهِ مِنَ الحَدِيث وَالفِقْهِ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَافِظ غَفَرَ اللهُ لَهُ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، أَخْبَرَنَا الشَّيْخَانِ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الحَرَسْتَانِيِّ، وَتَاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي عَصْرُونَ.

ح ـ وَأَخْبَرَنَا شَيْخُنَا الحَافِظُ أَبُو الحَجَّاجِ المِزِّيُّ إِجَازَةً، قَالَ: أَخْبَرَنَا تَاجُ الدِّينِ سَمَاعًا، قَالَا: أَجَازَتْنَا أُمُّ المُؤَيَّدِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَسَنِ الشعرىٰ قَالَتْ: أَجَازَنَا الشَّيْخ أَبُو الحَسَنِ عَبْدُ الغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيل بْن عَبْدِ الغَافِرِ الفَارِسِيُّ، أَخْبَرَنَا الشَّيْخ أَبُو إِبْرَاهِيم أَسْعَدُ بْنُ مَسْعُودٍ العُتْبِيُّ، أَخْبَرَنَا الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ القَاهِرِ بْنُ طَاهِرٍ البَغْدَادِيُّ، وَلِي عَنْهُ إِجَازَةٌ، حَدَّثَنَا القَاضِي أَبُو مُحَمَّد بْنُ عُمَرَ المَالِكِيُّ قَاضِي إِصْطَخْرَ، قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولًا فِي سَنَةِ أَرْبَع وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، حَدَّثَنَا الإِمَام أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بِنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ بِبَغْدَادَ فِي مَجْلِسِ أَبِي إِسْحَاقَ المَرْوَزِيِّ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَىٰ السَّاجِيُّ، حدثنا بُنْدَارٌ وَابْنُ المُثَنَّىٰ، قَالَا: حَدَّثنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**السَّبْعُ المَثَانِي فَاتِحَةُ الكِتَابِ**»(٢).

وَيَتَّصِلُ سَنَدُ الشَّيْخِ **أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ** بِالإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ت٢٤١هـ) مِنْ طُرُقٍ، مِنْهَا طَرِيقُ السَّاجِيِّ (ت٣٠٧هـ) عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ العَظِيمِ العَنْبَرِيِّ

---

(١) التبيين (ص٢٧٤).
(٢) طبقات الشافعي الكبرىٰ (ج٣/ص٣٥٦).

(ت٢٤٦هـ) عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ت٢٤١هـ).

[٣] ـ **أَبُو إِسْحَاقَ المَرْوَزِيُّ:** (ت ٣٤٠هـ) هُوَ أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ المَرْوَزِيُّ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ مِنْ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيِّينَ، أَقَامَ بِبَغْدَادَ دَهْرًا طَوِيلًا يُدَرِّسُ وَيُفْتِي(١)، مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ «شَرْحُ مُخْتَصَرِ المُزَنِيِّ»، وَكِتَابُ «الوَصَايا»، وَ«الشُّرُوطِ»، وَلَهُ فِي أُصُولِ الفِقْهِ كِتَابُ «الفُصُولِ فِي مَعْرِفَةِ الأُصُولِ»، وَكِتَابُ «الخُصُوصِ وَالعُمُومِ».

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِر: «وَكَانَ الأَشْعَرِيُّ يَجْلِسُ أَيَّامَ الجُمُعَاتِ فِي حَلْقَةِ أَبِي إِسْحَاقَ المَرْوَزِيِّ الفَقِيهِ مِنْ جَامِعِ المَنْصُورِ»(٢).

أَبْرَزُ تَلَامِيذِهِ:

[١] ـ **ابْنُ مُجَاهِدٍ البَصْرِيُّ** (ت ٣٧٠هـ) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ مُجَاهِدٍ الطَّائِيُّ البَصْرِيُّ. قَالَ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ: وَهُوَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ، قَدِمَ بَغْدَادَ، وَعَلَيْهِ دَرَسَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ البَاقِلَّانِيُّ الكَلَامَ، وَلَهُ كُتُبٌ حِسَانٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ، ذَكَرَ لَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ كَانَ ثَخِينَ السِّتْرِ، حَسَنَ التَّدَيُّنِ، جَمِيلَ الطَّرِيقَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ البَرْقَانِيُّ يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً حَسَنًا(٣).

وَقَالَ عَنْهُ القَاضِي عِيَاضٌ: أَخَذَ عَنِ القَاضِي أَبِي عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ

---

(١) تاريخ بغداد (ج٦/ص٤٩٨).

(٢) التبيين (ص١٢٩).

(٣) تاريخ بغداد (ج٢/ص٢٠٠) وله ترجمة في ترتيب المدارك للقاضي عياض (ج٦/ص١٩٧).

(ت ٣٤٥هـ) صَاحِبِ مَنَاقِبِ الإِمَامِ مَالِكٍ فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ، وَسَمِعَ الصَّحِيحَ لِلْبُخَارِيِّ مِنْ أَبِي زَيْدٍ المَرْوَزِيِّ (٣٠١ ـ ٣٧١هـ) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الفِرَبْرِيِّ، وَدَرَسَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ البَاقِلَّانِيُّ (ت ٤٠٢هـ) الكَلَامَ وَالأُصُولَ، وَحَدَّثَ عَنْهُ القَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الطَّيِّبِ البَاقِلَّانِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَزْرَةَ، وأبُو القاسم بْنُ عَبْدِ المُؤْمِنِ المَكِّيُّ المُتَكَلِّم[١].

وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِ الإِمَامِ ابْنِ مُجَاهِدٍ البَصْرِيِّ «**رِسَالَةُ أَهْلِ الثَّغْرِ**» فِي إِجْمَاعَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَبْوَابِ العَقَائِدِ الإِيمَانِيَّةِ، وَقَدْ نُسِبَتْ خَطَأً لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، وَشَوَاهِدُ نِسْبَتِهَا لِابْنِ مُجَاهِدٍ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا رِوَايَتُهَا بِالسَّنَدِ المُتَّصِلِ إِلَيْهِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي فَهْرَسَةِ مَرْوِيَّاتِ ابْنِ خَيْرٍ الإِشْبِيلِيِّ (ت ٥٧٥هـ) قَوْلُهُ: الإِمَامُ الحَافِظُ الثَّبْتُ مُحَمَّدٌ الأَنْدَلُسِيُّ أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الغَسَّانِيُّ المَعْرُوفُ بِالجَيَّانِيِّ (٤٢٧ ـ ٤٩٨هـ)، صَاحِبُ كِتَابِ «**تَقْيِيدِ المُهْمَلِ وَتَمْيِيزِ المُشْكِلِ فِي رِجَالِ الصَّحِيحَيْنِ**»، قَرَأَ «**رِسَالَةَ أَهْلِ الثَّغْرِ بَابِ الأَبْوَابِ مِنْ شَرْحِ أُصُولِ مَذَاهِبِ المُتَّبِعِينَ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**» عَنْ أَبِي القَاسِمِ حَاتِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّرَابُلُسِيِّ مِنْ طَرَابُلُسَ الشَّامِ ثُمَّ الأَنْدَلُسِيِّ القُرْطُبِيِّ (٣٧٨ـ ٤٦٩هـ) عَنْ أَبِي بَكْرٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَزْرَةَ (ت ٤٢٤هـ)[٢] عَنْ **أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُجَاهِدٍ البَصْرِيِّ الطَّائِيِّ**[٣].

---

(١) ترتيب المدارك (ج٦/ص١٩٩).

(٢) قال القاضي عياض: هُوَ أبو بكر اسماعيل بن إسحاق بن عزرة الأزدي، فقيهٌ فاضِلٌ زاهِدٌ قَيْروانِيٌّ، مِن أصحابِ أبي مُحمَّدِ بْن أبي زَيْدٍ وطبَقَتِه، ورحَل إلىٰ المَشْرِق فلَقِيَ ابْنَ مُجَاهِدٍ الطائِيَّ المُتَكَلِّمَ، وأخذَ عنْهُ، وأبا بكر الأبْهَرِيَّ، وأبا بكر محمد بن أحمد البغدادي، وسمع غيرهم. وكان الغالبُ عليه الزهدَ والعبادة، وقد سمع منه الناس، روىٰ عنهُ حاتِمٌ الطرابلسي، وأبو مروان الطُّبْني، وأثْنَىٰ عليه ابن أبي زيد في شَبِيبَتِهِ. (ترتيب المدارك، ج٧/ص٢٧٧).

(٣) فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص٢٥٧).

وَقَالَ ابْنُ خَيْرٍ أَيْضًا: وَسَمِعْتُهَا عَنْ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ زِيَادَةِ اللهِ التَّمِيمِيِّ الطُّبْنِيِّ (٣٩٦ ـ ٤٥٦هـ) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ هِبَةِ اللهِ الضَّرِيرِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الأَزْدِيِّ الزَّاهِدِ المَعْرُوفِ بِابْنِ عَزْرَةَ، **عَنِ ابْنِ مُجَاهِدٍ** رحمه الله[١].

[٢] ـ **أَبُو الحَسَنِ البَاهِلِيُّ البَصْرِيُّ** (ت٣٧٠هـ) وَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ إِمَامِيًّا رَئِيسًا مُقَدَّمًا فِيهِمْ، فَانْتَقَلَ عَنْ مَذْهَبِهِمْ بِمُنَاظَرَةٍ جَرَتْ لَهُ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ أَلْزَمَهُ فِيهَا الحُجَّةَ، حَتَّىٰ بَانَ لَهُ الخَطَأُ فِيمَا كانَ عَلَيْهِ مِنْ مَذاهِبِ الإِمَامِيَّةِ، فتركَهَا وَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ وَنَشَرَ عِلْمَهُ بِالبَصْرَةِ[٢].

قَالَ الأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الإِسْفَرَايِينِيُّ: أَنَا فِي جَنْبِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ البَاهِلِيِّ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَنَا فِي جَنْبِ الشَّيْخِ الأَشْعَرِيِّ كَقَطْرَةٍ فِي جَنْبِ البَحْرِ[٣].

[٣] ـ **أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ خَفِيفٍ الشِّيرَازِيُّ** (ت٣٧١هـ) مِنْ أَعْلَمِ عُلَمَاءِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا، مُتَمَسِّكًا بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

رَوَىٰ الحَافِظُ بْنُ عَسَاكِرَ بِسَنَدِهِ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ البَصْرَةَ **وَكُنْتُ أَطْلُبُ أَبَا الحَسنِ الأَشْعَرِيَّ** رحمه الله فَأُرْشِدْتُ إِلَيْهِ، وَإِذا هُوَ فِي بَعْضِ مجَالِس النَّظَرِ، فَدَخَلْتُ فَإِذا ثَمَّ جَمَاعَةٌ مِنَ المُعْتَزلَة، فكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ، فَإِذا سَكَتُوا وَأَنْهَوْا كَلَامَهُمْ **قَالَ**

(١) فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص٢٥٨).
(٢) التبيين (ص٢٧٨) نقلا عن ابن فوك.
(٣) التبيين (ص٣٤٨).

لَهُم أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ لوَاحِد وَاحِد: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَالجَوَابُ عَنهُ كَذَا وَكَذَا، إِلَىٰ أَنْ يُجِيبَ الكُلَّ، فَلَمَّا قَامَ خَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، فَجَعَلْتُ أُقَلِّبُ طَرْفِي فِيهِ، فَقَالَ: أَيْشٍ تَنْظُرُ؟ فَقُلْتُ: كَمْ لِسَانٍ لَكَ، وَكَمْ أُذُنٍ لَكَ، وَكَمْ عَيْنٍ لَكَ، فَضَحِكَ وَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ شِيرَازَ، وَكُنْتُ أَصْحَبُهُ بعد ذَلِك[1].

وَقَدْ حَوَّلَ بَعْضُ الأُدَبَاءِ هَذَا اللِّقَاءِ إِلَىٰ مَقَامَةٍ أَدَبِيَّةٍ أَجْرَاهَا عَلَىٰ لِسَانِ ابْنِ خَفِيفٍ، أَوْرَدَهَا ضِيَاءُ الدِّين الرَّازِيُّ المَعْرُوفُ بِخَطِيبِ الرَّيِّ وَهُوَ وَالِدُ الإِمَام فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِي فِي آخِرِ كِتَابِه «**غَايَة المَرَامِ فِي عِلْمِ الكَلَام**» قَالَ:

حُكِي عَن الشَّيْخ أَبي عَبْدِ اللهِ بْنِ خَفِيفٍ شَيْخ شِيرَازَ وَإِمَامِهِمْ فِي وَقْتِه رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: «دعانِي أرب، وَحُبٌّ أَرَبّ، وَلَوْعٌ أَلَبّ، وَشَوْقٌ غَلَب، وَطَلَبٌ يا لَهُ مِنْ طَلَب، أَنْ أُحَرِّكَ نَحْو البَصْرَةِ رِكابِي، فِي عُنْفُوان شبَابِي؛ لِكَثْرَة مَا بلَغنِي على لِسَان البَدوِيِّ والحَضَري، مِن فَضَائِل شَيْخِنَا أَبِي الحَسَن الأَشْعَرِي، لأَسْتَسْعِدَ بلِقَاءِ ذَلِك الوَحِيدِ، وأَسْتَفِيدَ مِمَّا فتحَ اللهُ عَلَيْهِ من يَنابِيعِ التَّوْحِيدِ؛ إِذْ حَازَ فِي ذَلِك الفَنِّ قَصبَ السِّبَاق، وَكَانَ مِمَّن يُشَارُ إِلَيْهِ بالأَصَابعِ فِي الآفَاق، وفَاقَ الفُضَلَاءَ مِنْ أَبْنَاءِ زَمَانِه، وٱشْتَاقَ العُلَمَاءُ إِلَىٰ ٱسْتِمَاعِ بَيَانِه.

وَكُنْتُ يَوْمئِذٍ لِفَرْطِ اللَّهَج بِالعِلْمِ وَٱقْتِبَاسه، وَالطَّمَع فِي تَقَمُّصِ لِبَاسِه، أَخْتَلِفُ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ جَلَّ وَقَلّ، وَأَسْتَسْقِي الوَابِلَ وَالطَّلّ، وَأَتَعَلَّلُ بِعَسَىٰ وَلَعَلّ.

فَأَخَذْتُ إِلَيْهِ أُهْبَةَ السَّيْر، وَخَفَقْتُ إِلَيْهِ خُفُوقَ الطَّيْر، حَتَّىٰ حَلَلْتُ رُبُوعَهَا، وَٱرْتَبَعْتُ رَبِيعَهَا، فَوَجَدْتُهَا عَلَىٰ مَا تَصِفُهَا الأَلْسُن، وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ، لَطِيفَة

(١) التبيين (ص٢١٩).

المَكَان، طَرِيقَةَ السُّكَّان، تُرَغِّبُ الغَرِيبَ فِي الاسْتِيطَان، وَتُنْسِيهِ هَوَىٰ الأَوْطَان، فَأَلْقَيْتُ بِهَا الجِرَان، وَأَلْفَيْتُ أَهْلَهَا الجِيرَان.

فَلَمَّا أَنْ أَنَخْتُ بِمَغْنَاهَا الخَصِيب، وَأَصَبْتُ مِنْ مَرْعَاهَا بِنَصِيب، كُنْتُ أَرُودُ[(١)] فِي مَسَارِحِ لَمَحَاتِي، وَمَسَائِحِ غَدَوَاتِي وَرَوْحَاتِي، أَحَدًا يَشْفِي أُوَامِي، وَيُرْشِدُنِي إِلَىٰ مَرَامِي، «حَتَّىٰ أَدَّتْنِي خَاتِمَةُ المَطَافِ، وَهَدَتْنِي فَاتِحَةُ الأَلْطَافِ»[(٢)]، إِلَىٰ شَيْخٍ بَهِيٍّ مَنْظَرُه، شَهِيٍّ مَخْبَرُه، تَعْلُوهُ حُمْرَة، مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ زُمْرَة، فَلَمَحْتُهُ بِبَصَرِي، وَأَمْعَنْتُ فِيهِ نَظَرِي، فَرِحْتُ بِهِ فَرْحَةَ الحَبِيبِ بِالحَبِيب، وَالعَلِيلِ بِالطَّبِيب، لَمَّا وَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ المَحْبُوب، كَمَا وَجَدَ مِنْ قَمِيصِ يُوسُفَ يَعْقُوب، عَلَىٰ مَا قَالَ ﷺ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَة، فَمَا تعارَفَ مِنْهَا ٱئْتَلَف، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا ٱخْتَلَف**».

فَنَاجَانِي فِكْرِي بِالإِجْذَامِ[(٣)] إِلَيْهِ، وَتَقَاضَانِي قَلْبِي بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَٱهْتَزَزْتُ لذلِكَ ٱهْتِزَازَ المُحِبِّين، إِذَا ٱلْتَقَيَا بَعْدَ البَيْن، وَحَيَّيْتُهُ تَحِيَّةَ مُحْتَرِزٍ عَنِ القَدَرِيِّ، وَٱسْتَخْبَرْتُهُ عَنْ مَغْنَىٰ[(٤)] **أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ**.

فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَام، بِأَوْفَرِ الأَقْسَام، وَأَجْزَلِ السِّهَام، وَأَجَابَنِي بِلِسَانٍ ذَلِق، وَوَجْهٍ طَلِق، كَهَيْئَةِ المُفِيد، مَا ٱلَّذِي مِنْهُ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: قَدْ بَلَغَنِي ذِكْرَاه، تُقْتُ أَنْ أَلْقَاه، لِأَحْيَىٰ بِمُحَيَّاه، وَأَتَطَيَّبَ بِرُؤْيَاه، وَأَسْتَسْعِدَ بِلُقْيَاه، وَأَسْتَفِيدَ مِنْ نَفَائِسِ

(١) أي: أتلمّسُ وأطْلُبُ وأريدُ.

(٢) هذه العبارة استعملها الحريري (ت٥١٦هـ) في المقامة الصنعانية.

(٣) مِنْ أجْذَم بمعنىٰ أسْرَعَ.

(٤) المَغْنَىٰ: المَنْزِل.

أَنْفَاسِهِ جَدَاهُ وَجَدْوَاه، وَا حَرَّ قَلْبَاه، وَوَا شِدَّةَ شَوْقَاه، عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَجْمَعَنِي وَإِيَّاه.

فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّيْخُ أَنَّ شَغَفَ الحُبِّ زَادِي فِي سَفَرِي، وَعَتَادِي فِي حَضَرِي، وَمَلَكَ خَلَدِي، وَٱسْتَنفَدَ جَلَدِي، وَأَنَّ الشَّوْقَ قَدْ بَلَغَ المَدَىٰ، وَاللَّوْعَ قَدْ جَاوَزَ الجَدَا، قَالَ: ٱبْتَكِرْ إِلَىٰ مَوضِعِ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ غَدا.

فَبَذَلْتُ القِيَاد، وَفَارَقْتُهُ عَلَىٰ المِيعَاد، وَبِتُّ أُسَاهِرُ النُّجُوم، وَأُسَاوِرُ الوُجُوم، وَبَرَحَ الحِبُّ سَمِيرَ ذِكْرِي، وَنَدِيمَ فِكْرِي، تَسْتَعِرُ ٱسْتِعَارا، وَتَلْتَهِبُ بَيْنَ ضُلُوعِي نَارا، إِلَىٰ أَنْ نَضَىٰ اللَّيْلُ جِلْبَابَه، وَسَلَتَ الصُّبْحُ خِضَابَه.

فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ قَدْ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا، وَذَابَتْ شَوَائِبُهَا، وَذَرَّ قَرْنُ الغَزَالَة، وَثَبْتُ وَثْبَةَ الغَزَالَة، وَبَرَزْتُ أَنْشُدُ الشَّيْخَ البَهِيّ، وَأَتَوَسَّمُ الوُجُوهَ بِالنَّظَرِ الجَلِيّ، فَأَلْفَيْتُهُ فِي المَقَامِ المَوْعُودِ مُبْتَكِرا، وَاقِفًا لِي مُنْتَظِرا، فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ، لِأَقْضِيَ حَقَّ السَّلَامِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَآنِي سَبَقَنِي بِالسَّلَام، وَحَفِي الإِيدَام[1]، فَقَضَيْتُ الذِّمَام[2]، وَقَرَنْتُ رَدَّ جَوَابِهِ بِالاسْتِلَام، وَقُلْتُ: حُيِّيتَ بِإِكْرَام، وَحَيِيتَ بَيْنَ كِرَام.

ثُمَّ ٱسْتَصْحَبَنِي وَسَار، فَتَبِعْتُهُ مُتَابَعَةَ العَامَّةِ أُولِي الأَبْصَار، حَتَّىٰ ٱنْتَهَىٰ إِلَىٰ المَقْصَدِ، وَدَخَلَ دَارَ بَعْضِ وُجُوهِ البَلَد، وَفِيهَا قَدْ حَضَر، جَمَاعَةٌ لِلنَّظَر.

فَلَمَّا رَآهُ القِيَام، تَسَارَعُوا إِلَىٰ القِيَام، وَٱسْتَقْبَلُوهُ إِلَىٰ البَاب، وَتَلَقَّوْهُ بِالتَّرْحَاب، وَبَادَرُوا بِالسَّلَام، وَمَا يَلِيق بِهِ مِنَ الإِكْرَام، ثُمَّ عَظَّمُوه، وَإِلَىٰ الصَّدْر

(١) الإيدام: الألفة.
(٢) الذِّمَام: الحَقُّ والحُرْمَة.

قَدَّمُوه، وَأَحَاطُوا بِهِ إحَاطَةَ الهَالَةِ بِالقَمَر، وَالأَكْمَامِ بِالثَّمَر.

ثُمَّ أَخَذَ الخِصَام، يَتَجَاذَبُون فِي المُنَاظَرَةِ أَطْرَافَ الكَلَام، وَكُنْتُ أَنظُرُ مِنْ بَعِيدٍ، مُتَّكِئًا عَلَىٰ جُدِّ[1] سَعِيد، حَتَّىٰ ٱلتَقَىٰ الجَمْعُ بِالجَمْع، وَقُرِعَ النَّبْعُ بِالنَّبْع[2].

فَبَيْنَا هُمْ يَرْمُونَ فِي عَمَايَتِهِمْ، وَيَخبِطُونَ فِي غَوَايَتِهِمْ، إِذْ دَخَلَ الشَّيْخُ دُخُول مَنْ فَازَ بِنُهْزَةِ الطَّالِب، وَفُرْصَةِ الغَالِب، بِلِسَانٍ يُفَتِّقُ الشُّعُور، وَيَفْلِقُ الصُّخُور، وَأَلْفَاظٍ كَغَمَزَاتِ الأَلْحَاظ، وَالكَرَىٰ بَعْدَ الاسْتِيقَاظ، أَرَقَّ مِنْ أَدِيمِ الهَوَا، وَأَعْذَبَ مِنْ زُلَالِ المَا، وَمَعَان، كَأَنَّهَا فَكُّ عَان، وَبَيَانٍ كَعِتَابِ الكِعَاب، وَوَصْلِ الأَحْبَاب فِي أَيَّامِ الشَّبَاب، تُفِيدُ الصُّمَّ بَيَانا، وَتُعِيدُ الشِّيبَ شُبَّانا، تُهْدِي إِلَىٰ الرُّوحِ رَوْحَ الوِصَال، وَتَهُبُّ عَلَىٰ النُّفُوسِ هُبُوبَ الشِّمَال.

وَكَانَ إِذَا أَنْشَا وَشَىٰ، وَإِذَا عَبَّرَ حَبَّر، وَإِذَا أَوْجَزَ أَعْجَز، وَإِذَا أَسْهَبَ أَذْهَب، فَلَمْ يَدَعْ مُشْكِلَةً إِلَّا أَزَالَهَا، وَلَا مُعْضِلَةً إِلَّا أَزَاحَهَا، وَلَا فَسَادًا إِلَّا أَصْلَحَه، وَلَا عِنَادًا إِلَّا زَحْزَحَه، حَتَّىٰ تَبَيَّنَ الحَيُّ مِنَ اللَّيِّ، وَالرَّشَدُ مِنَ الغَيِّ، وَرَفَلَ الحَقُّ فِي أَذْيَالِه، وَٱعْتَدَلَ بِٱعْتِدَالِه، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الخَاصَّةُ وَالعَامَّة بِإِقْبَالِه.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَاءِ دَلَائِله، بَعْدَ جَوَلَانِهِ فِي هَيْجَاءِ البَلَاغَةِ عَنْ بَسَالَتِه، حَارَ الحَاضِرُونَ فِي جَوَابِه، وَتَعَجَّبُوا مِنْ فَصْلِ خِطَابِه، وَعَادَ الخُصُومُ كَأَنَّهُمْ فَرَاشُ النَّار، وَخَشَاشُ الأَبْصَار، وَأَوْبَاشُ الأَمْصَار، عَلَيْهِمُ الدَّبْرَة، وعَلَىٰ وُجُوهِهُمُ الغَبْرَة، قُلْتُ لِبَعضِ الحَاضِرِينَ، مِنَ المُنَاظِرِينَ: مَنْ هَذَا ٱلَّذِي أَثَّرَ ٱجْتِلَابَ القُلُوب، وَنَظَمَ عَلَىٰ هَذَا الأُسْلُوب، ٱلَّذِي لَمْ يُنْسَجْ عَلَىٰ مِنْوَالِه، وَلَمْ تَسْمَحْ

(١) الجُدُّ: جانبُ الشيء.

(٢) يقال: قرعُوا النَّبع بالنَّبْع: تلاقوا وتطاعنوا.

قَرِيحَةٌ بِمِثَالِهِ؟ أَجَابَنِي وَقَالَ: هُوَ البَازُ الأَشْهَب، وَالمُبَارِزُ الأَشْنَب، وَالبَحْرُ الطَّامِي، وَالطَّوْدُ السَّامِي، وَالغَيْثُ الهَامِي، وَاللَّيْثُ الحَامِي، نَاصِرُ الحَقِّ، وَنَاصِحُ الخَلْق، قَامِعُ البِدْعَة، وَلِسَانُ الحِكْمَة، وَإِمَامُ الأُمَّة، وَقِوَامُ المِلَّة، ذُو الرَّأْيِ الوَضِيّ، وَالرُّوَاءِ[١] المَرْضِيّ، ذُو القَلْبِ الذَّكِيّ، وَالنَّسَبِ الزَّكِيّ، السَّرِيُّ بْنُ السَّرِيّ، وَالنَّجْدُ الجَرِي، وَالسَّيِّدُ العَبْقَرِي: **أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِي**.

فَسَرَّحْتُ طَرْفِي فِي مَبْسَمِه[٢]، وَأَمْعَنْتُ النَّظَرَ فِي تَوَسُّمِه، مُتَعَجِّبًا مِنْ تَلَهُّبِ جَذْوَتِه، وَتَأَلُّقِ جَلْوَتِه، وَدَعَوْتُ لَهُ بِٱمْتِدَادِ الأَجَل، وَٱرْتِدَادِ الوَجَل.

فَبَيْنَا أَنَا فِيهِ إِذْ شَمَّرَ لِلانْثِنَاء، بَعْدَ حِيَازَةِ الثَّنَاء، وَشَحَذَ لِلتَّحَفُّزِ غِرَارَ عَزْمَتِه، وَخَرَجَ يَقْتَادُ القُلُوبَ بِأَزِمَّتِه، فَتَبِعْتُهُ مُقْتَفِيًا كَخَدَمِه، وَمُنْتَهِجًا مَوَاطِئَ قَدَمِه، فَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا فَتى! كَيْفَ وَجَدْتَ أَبَا الحَسنِ حِينَ أَفْتَى؟ فَهَرْوَلْتُ لِالْتِزَامِ قَدِّه، وَٱسْتِلَامِ يَدِه، وَقُلْتُ:

وَمِسْحَلٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ مُنْصَلِتٌ ❁ تَزِلُّ عَنْ غَرْبِهِ الأَلْبَابُ وَالفِكَرُ
طَعَنْتَ بِالحُجَّةِ الغَرَّاءِ جِيدَهُمُ ❁ وَرُمْحُ غَيْرِكَ فِيهِ العَيُّ وَالحَصَرُ

لَا قَامَ ضِدُّكَ، وَلَا قَعَدَ جَدُّك، وَلَا فُضَّ فُوك، وَلَا لَحِقَكَ مَنْ يَقْفُوك، فَوَ ٱلَّذِي سَمَكَ السَّمَاء، وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء، لَقَدْ أَبْدَيْتَ اليَدَ البَيْضَاء، وَسَكَّنْتَ الضَّوْضَاء، وَكَشَفْتَ الغَمَّاء، وَلَحَّنْتَ الدَّهْمَاء، وَقَطَّعْتَ الأَحْشَاء، وَقَمَعْتَ البِدَعَ وَالأَهْوَاء، بِلِسَانٍ عَضْب، وَبَيَانٍ عَذْب، آنَسَ مِنَ الرَّوْضِ المَمْطُور، وَالوَشْيِ[٣]

(١) الرُّوَاء: حُسْنُ الوَجْه في الجمال والبهاء.
(٢) المَبْسَمُ: مَكانُ البسمة من الوجه.
(٣) الوَشْيُ: نقش الثَّوْب، ويكون من كل لون.

المَنْشُور، وَأَصْفَىٰ مِنْ دَرِّ الأَمْطَار، وَدُرَرِ البِحَار، وَجَرَرْتَ ذَيْلَ الفَخَار عَلَىٰ هَامَةِ الشِّعْرَىٰ، وَقِدْمًا قِيلَ: إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا.

بَيْدَ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ لِي سُؤَال، لِمَا عَرَانِي مِنَ الإِشْكَال، فَقَالَ: ٱذْكُرْ سُؤَالَك، وَلَا تُعْرِضْ عَمَّا بَدَا لَك، فَقُلْتُ: رَأَيْتُ الأَمْرَ لَمْ يَجْرِ عَلَىٰ النِّظَام، لِأَنَّكَ مَا ٱفْتَتَحْتَ فِي الكَلَام، وَدَأْبُ المُنَاظِرِ، أَنْ لَا يَسْأَلَ غَيْرَكَ وَمِثْلُكَ حَاضِر، قَالَ: أَجَلْ لَكِنِّي فِي الابْتِدَاءِ لَا أَذْكُرُ الدَّلِيل، وَلَا أَشْتَغِلُ بِالتَّعْلِيلِ؛ إِذْ فِيهِ تَسَبُّبٌ إِلَىٰ إِلْجَاءِ الخَصْمِ فِي ذِكْرِ شُبْهَتِهِ بِطَرِيقِ الاعْتِرَاض، وَمَا أَنَا بِالتَّسَبُّبِ إِلَىٰ المعْصِيَة رَاض، فَأُمْهِلُهُ حَتَّىٰ يَذْكُرَ ضَلَالَتَه، وَيُفْرِدَ شُبْهَتَهُ وَمَقَالَتَه، فَحِينَئِذٍ أَنُصُّ عَلَىٰ الجَواب، فَأَرْجُو بِذَلِكَ مِنَ اللهِ الثَّوَاب.

قَالَ الرَّاوِي: فَلَمَّا رَأَيْتُ مَخْبَرَه، بَعْدَ أَن سَمِعْتُ خَبَرَه، تَيَقَّنْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاوَزَ الخَبَرُ الخُبْر، وَأَنَّ مقالَتَهُ تِبْرٌ وَمَا دُونَهُ صُفْر، **قَدْ بَلَغَ مِنَ الدِّيَانَةِ أَعلَىٰ النِّهَايَة، وَأَوْفَىٰ مِنَ الأَمَانَةِ عَلَىٰ كُلِّ غَايَة، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْمَأَ إِلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّة، بِحِيَازَةِ هَذِهِ المِنَّة، فِي نَصْرِ الحَقِّ، وَنُصْحِ الْخَلْق، وَإِعْلَاءِ الدِّين، وَالذَّبِّ عَنِ الإِسْلَام وَالمُسْلِمين.**

فَشَادَ[١] لِي مِنَ الِاعْتِدَاد، بِأَوْفَرِ الأَعْدَاد، وَأَوْدَعَ بَيَاضَ الوِدَادِ، سَوَادَ الفُؤَادِ، فَتَعَلَّقْتُ بِأَهْدَابِهِ، لِخَصَائِصِ آدَابِهِ، وَنَافَسْتُ فِي مُصَافَاتِهِ، لِنَفَائِسِ صِفَاتِهِ، وَلَبِثْتُ مَعَهُ بُرْهَة، أَسْتَفِيدُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ نُزْهَة، وَأَدْرَأُ عَنْ نَفْسِي لِلْمُعْتَزِلَةِ شُبْهَة، ثُمَّ أَلْفَيْتُ مَعَ عُلُوِّ دَرَجَتِهِ، وَتَفَاقُمِ مَرْتَبَتِه، كَانَ يَقُومُ بِتَثْقِيفِ أَوَدِهِ، مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، مِنِ اتِّخَاذِ تِجَارَةِ العَقَاقِيرِ مَعِيشَةً، وَالاكْتِفَاءِ بِهَا عِيشَةً، اتِّقَاءً لِلشُّبُهَاتِ، وَإِبْقَاءً عَلَىٰ الشَّهَوَاتِ، رِضًا بِالكَفَافِ، وَإِيثَارًا لِلْعَفَافِ.

(١) أي: بَنَىٰ ورفَعَ.

ثَناءُ أَئِمَّةِ الهُدَى
عَلَى الشَّيخ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

[١] ـ قَالَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الصَّيْرَفِيُّ (ت ٣٣٠هـ): كَانَتِ المُعْتَزِلَة قَدْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، حَتَّىٰ أَظْهَرَ اللهُ تعالىٰ الأشعري، فَجَحَزَهُمْ فِي أَقْمَاعِ[١] السِّمْسِمِ[٢].

[٢] ـ وَقَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ (ت٤٦٢هـ): المُتَكَلِّمُ صَاحِبُ الكُتُبِ وَالتَّصَانِيفِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ المُلْحِدَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ المُعْتَزِلَةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالجَهْمِيَّةِ، وَالخَوَارِجِ، وَسَائِرِ أَصْنَافِ المُبْتَدِعَةِ[٣].

[٣] ـ وَقَالَ الإِمَامُ الأُسْتَاذُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِيُّ (ت٤٦٥هـ): كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِمَامًا مِنْ أَئِمَّة أَصْحَاب الحَدِيثِ، وَمَذْهَبُهُ مَذْهَبَ أَصْحَابِ الحَدِيثِ، تَكَلَّمَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ عَلَىٰ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ[٤].

[٤] ـ قَالَ الإِمَامُ الفَقِيهُ أَبُو الحَسَنِ القَابِسِيُّ القَيْرَوَانِيُّ (ت٤٠٣هـ) فِي جَوَابِ ٱسْتِفْتَاءٍ عَنِ الإِمَام الأَشْعَرِي جَاءَه مِنْ بَعْضِ أَهْل تُونِسَ، مَا نَصُّهُ:

---

(١) أقماعُ السمسم: الأوعيةُ التي تتكون فيها حبوب السمسم، والمقصود أن الأشعريَّ ضيَّق علىٰ المعتزلة بِحُجَجِه حتَّىٰ جعلهم في دائرة ضيقةٍ محيطةٍ بهم كما تحيط أقماعُ السمسم بحبِّه.

(٢) أورده الحافظ ابن عساكر ثم قال: وإسناد هذه الحكاية مُضِيءٌ كالشمس، ورواتها لا يتخالجُ في عدالتهم شكٌّ في النفسِ، وقائلها أبو بكر إمامٌ كبيرٌ، ومحلُّهُ عند أهل العلمِ محلٌّ خطيرٌ. (التبيين، ص٢١٨).

(٣) تاريخ بغداد (ج١٣/ص٢٦٠).

(٤) التبيين (ص٢٥٧).

وَاعْلَمُوا أَنَّ **أَبَا الْحَسَنِ الأَشْعَرِي رضي الله عنه لَمْ يَأْتِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ إِلَّا مَا أَرَادَ بِهِ إِيْضَاحِ السُّنَنِ، وَالتَّثْبِيتِ عَلَيْهَا**، وَدَفْعِ الشُّبَهِ عَنْهَا، فَهِمَهُ مَنْ فَهِمَهُ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ، وَخَفِيَ عَمَّنْ خَفِيَ بِقَسْمِ اللهِ لَهُ.

وَمَا أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِي إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ القَائِمِينَ بِنَصْرِ الحَقِّ، مَا سَمِعْنَا مِنْ أَهْلِ الإِنْصَافِ مَنْ يُؤَخِّرُهُ عَنْ رُتْبَتِهِ، وَلَا مَنْ يُؤْثِرُ عَلَيْهِ فِي عَصْرِهِ غَيْرَهُ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ سَلَكُوا سَبِيلَهُ فِي القِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ عز وجل، وَالذَّبِّ عَنِ دِيْنِهِ حَسْبَ اجْتِهَادِهِمْ.

قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: «وَإِنْ كَانَ التَّوْحِيد لَا يَتِمُّ إِلَّا بِمَقَالَةِ الأَشْعَرِي» إِلَىٰ آخِرِهِ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّكُم فَهِمْتُم أَنَّ الأَشْعَرِيَّ قَالَ فِي التَّوْحِيدِ قَوْلًا خَرَجَ بِهِ عَنْ أَهْلِ الحَقّ، فَإِنْ كَانَ قَدْ نُسِبَ هَذَا المَعْنَىٰ عِنْدَكُم إِلَىٰ الأَشْعَرِي فَقَد أَبْطَلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَقَدْ مَاتَ الأَشْعَرِي رضي الله عنه يَوْمَ مَاتَ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ بَاكُونَ عَلَيْهِ، وَأَهْلُ البِدَعِ مُسْتَرِيْحُونَ مِنْهُ، فَمَا عَرَفَهُ مَنْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ هَذَا[1].

[٥] ـ وَقَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ): شَيْخُنَا أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ رحمه الله لَمْ يُحْدِثْ فِي دِينِ اللهِ عز وجل حَدَثًا، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ بِبِدْعَةٍ، بَلْ أَخَذَ أَقَاوِيلَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ فَنَصَرَهَا بِزِيَادَةِ شَرْحٍ وَتَبْيِينٍ، وَأَنَّ مَا قَالُوا وَجَاءَ بِهِ الشَّرْعُ فِي الأُصُولِ صَحِيحٌ فِي العُقُولِ، خِلَافَ مَا زَعَمَ أَهْلُ الأَهْوَاءِ مِنْ أَنَّ بَعْضَهُ لَا يَسْتَقِيمُ فِي الآرَاءِ.

فَكَانَ فِي بَيَانِهِ تَقْوِيَةُ مَا لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَنُصْرَةُ أَقَاوِيلِ

---

(١) التبيين (ص٢٧٢) نقلا عن المَايُرْقي.

مَنْ مَضَىٰ مِنَ الأَئِمَّةِ ؛ كَأَبِي حَنِيفَةَ ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ ، وَالأَوْزَاعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ مِنْ أَهْلِ الحَرَمَيْنِ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُمَا مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ وَأَبِي الحُسَيْنِ مُسْلِمِ بْنِ الحَجَّاجِ النَّيْسَابُورِيِّ إِمَامَيْ أَهْلِ الآثَارِ ، وَحُفَّاظِ السُّنَنِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الشَّرْعِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ(١) .

[٦] ـ **قَالَ الإِمَامُ الوَاحِدِيُّ (ت٤٦٨هـ)** فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] : رُوِيَ مَرْفُوعًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ أَوْمَأَ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ فَقَالَ : « **هُمْ قَوْمُ هَذَا** » .

أَخْبَرَنَا الأُسْتَاذُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ بْنُ أَبِي القَاسِمِ النَّصْرَابَاذِيُّ ، أَخْبَرَنَا الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الإِسْمَاعِيلِيُّ ، أَخْبَرَنَا **أَبُو خَلِيفَةَ الفَضْلُ بْنُ الحُبَابِ** ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الحَوْضِيُّ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ سِمَاكٍ ، عَنْ عِيَاضٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **هُمْ قَوْمُ هَذَا** » ، يَعْنِي أَبَا مُوسَىٰ الأَشْعَرِيَّ . أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ(٢) عَنِ ابْنِ السَّمَّاكِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ شُعْبَةَ .

وَتَفْسِيرُ النَّبِيِّ ﷺ أَوْلَىٰ بِالاتِّبَاعِ ، وَإِذَا كَانَ قَدْ فَسَّرَ الآيَةَ وَبَيَّنَ أَنَّ المُرَادَ

---

(١) التبيين (ص٢٣٠) .

(٢) المستدرك (ج٢/ص٣١٣) وصححه علىٰ شرط مسلم .

بِالقَوْمِ المَذْكُورِ فِيهَا الأَشْعَرِيَّةُ فَلَيْسَتْ إِلَّا الفِرْقَةَ المَعْرُوفَةَ بِالأَشْعَرِيَّةِ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ فِي مَذْهَبِهِمْ إِلَىٰ **أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ**، وَكَانَ رحمه الله مِنْ صُلْبِ وَنَسَبِ أَبِي مُوسَىٰ، فَإِنَّهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ سَالِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيُّ، **أَتَىٰ اللهُ بِهِ فَجَاهَدَ أَهْلَ البِدَعِ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ سنَنِ الصَّحَابَةِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي المَسَائِلِ المَشْهُورَةِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يَقَعْ فِيهَا خِلَافٌ زَمَنَ الصَّحَابَةِ، كَمَسْأَلَةِ القَدَرِ، وَخَلْقِ الأَعْمَال، وَرُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الجَنَّةِ وَمَا أَشْبَهَهَا، فَنَصَرَهَا وَأَوْضَحَ أَدِلَّتَهَا، وَنَفَى الشُّبَهَ وأَبْطَلَهَا**، فَكُلُّ مَنِ انْتَحَلَ مَذْهَبَهُ فهو مِنْ جُمْلَةِ قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي إِشَارَتِهِ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ: «**هُمْ قَوْمُ هَذَا**»؛ لِأَنَّ قَوْمَ الرَّجُلِ أَتْبَاعُهُ المُقْتَدُونَ بِهِ، لَا أَنْسِبَاؤُهُ وَأَقَارِبُهُ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ فِي التَّنْزِيلِ كُلُّ مَوْضِعِ أُضِيفَ فِيهِ قَوْمٌ إِلَىٰ نَبِيٍّ أُرِيدَ بِهِ أَتْبَاعُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ، لَا أَنْسِبَاؤُهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩](١).

[٧] ـ **قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّد بْنُ مُوسَىٰ بْنُ عَمَّار الكَلَاعِيُّ (ت٤٨٥هـ)**: لَمَّا كَثُرَتْ تَوَالِيفُ الشَّيْخِ **أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِي، وَنَصر مَذْهَبَ السُّنَّةِ وَبَسَطَهُ**، تَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ: مِنَ المَالِكِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَبَعْضُ الحَنَفِيَّةِ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ بِالمَغْرِبِ وَالمَشْرِقِ بِلِسَانِهِ يَتَكَلَّمُونَ، وَبِحُجَّتِهِ يَحْتَجُّونَ، وَلَهُ مِنَ التَّوَالِيفِ وَالتَّصَانِيفِ مَا لَا يُحْصَىٰ كَثْرَةً، وَكَانَ أَلَّفَ فِي القُرْآن كِتَابَهُ المُلَقَّب بِالمُخْتَزن، ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ رَأَىٰ مِنْهُ طَرَفًا، وَكَانَ بَلَغَ سُورَة الكَهْفِ، وَقَدِ انْتَهَىٰ مِائَة كِتَابٍ، وَلَمْ يَتْرُك آيَةً تَعَلَّقَ بِهَا بِدْعِيٌّ إِلَّا أَبْطَلَ تَعَلُّقَهُ بِهَا، وَجَعَلَهَا حُجَّةً لِأَهْلِ الحَقِّ،

---

(١) التفسير البسيط (ج٧/ص٤٣١).

وبيّن المجمل، وشرح المشكل، ومن وقف على تواليفه رأى أن الله تعالى قد أمدّه بمواد توفيقه، وأقامه لنصرة الحق والذبّ عن طريقه، فنسب من تعلق اليوم بمذهب أهل السنة وتفقه في معرفة أصول الدين من سائر المذاهب إلى «الأشعري» لكثرة تواليفه، وكثرة قراءة الناس لها.

ولم يكن هو أول متكلم بلسان أهل السنة، إنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف، فزاد المذهب حجة وبيانًا، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبًا انفرد به، ألا ترى أن مذهب أهل المدينة ينسب إلى مالك بن أنس رضي الله عنه ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له: «مالكي»، ومالك رضي الله عنه إنما جرى على سنن من كان قبله، وكان كثير الاتباع لهم، إلا أنه زاد المذهب بيانًا وبسطًا وحجة وشرحًا، وألف كتابه «الموطأ»، وما أخذ عنه من الأسمعة والفتاوى، فنسب المذهب إليه لكثرة بسطه له وكلامه فيه، فكذلك أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه لا فرق، وليس له في المذهب أكثر من بسطه وشرحه وتواليفه في نصرته، فنجب من تلامذته خلق كثير بالمشرق[1].

[٨] ـ **وقال الإمام القاضي مفتي العراق في زمانه محمد بن علي الدامغاني الحنفي** (ت٤٧٨هـ) المُلقب بأبي حنيفة الثاني، والإمام العلامة إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشيرازي الشافعي (ت٤٧٦هـ) الذي انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره، والإمام العلامة شيخ الشافعية محمد بن أحمد الشاشي (ت٥٠٧هـ)، عندما سُئلوا عن قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعري وتكفيرهم: إن الأشعرية أعيان السنة، ونصار الشريعة، انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية

(١) التبيين للحافظ ابن عساكر (ص٣٣٢).

وَالرَّافِضَةِ وَغَيْرهم، فَمَنْ طَعَنَ فِيْهِم فَقَدْ طَعَنَ عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَإِذَا رُفِعَ أَمْر مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَىٰ النَّاظِرِ فِي أَمْرِ المُسْلِمِينَ وَجَبَ عَلَيْهِ تَأْدِيْبُهُ بِمَا يَرْتَدِع بِهِ كُلُّ أَحَدٍ(١).

[٩] ـ **وقال الإمامُ القَاضِي عِيَاضٌ (ت٥٤٤هـ):** صَنَّفَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ التَّصَانِيفَ، وَأَقَامَ الحُجَجَ عَلَىٰ إِثْبَاتِ السُّنَّةِ وَمَا نَفَاهُ أَهْلُ البِدَعِ: مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرُؤْيَتِهِ، وَقِدَمِ كَلَامِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَأُمُورِ السَّمْعِ الوَارِدَةِ: مِنَ الصِّرَاطِ، وَالمِيزَانِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالحَوْضِ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ الَّتِي نَفَتِ المُعْتَزِلَةُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ، فَأَقَامَ الحُجَجَ الوَاضِحَةَ عَلَيْهَا مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالدَّلَائِلِ الوَاضِحَةِ العَقْلِيَّةِ، وَدَفَعَ شُبَهَ المُبْتَدِعَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ المُلْحِدَةِ وَالرَّافِضَةِ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ التَّصَانِيفَ المَبْسُوطَةَ الَّتِي نَفَعَ اللهُ بِهَا الأُمَّةَ(٢).

وَقَالَ أَيْضًا: **أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ بِحُجَجِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِي يَحْتَجُّونَ، وَعَلَىٰ مِنْهَاجِهِ يَذْهَبُونَ**، وقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُم، وَأَثْنَوْا عَلَىٰ مَذْهَبِهِ وَطَرِيْقِهِ(٣).

[١٠] ـ **وقَالَ الحَافظ هِبَةُ الله ابْن عَسَاكِر (ت ٥٧١هـ):** أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ فِي جَمِيْعِ الْأَقْطَارِ **عَلَىٰ مَنْهَجِ الأَشْعَرِيِّ**، وَأَئِمَّةُ الْأَمْصَارِ فِي سَائِرِ الْأَعْصَارِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَمُنْتَحِلُوهُ هُمْ الَّذِيْنَ عَلَيْهِم مَدَار الأَحْكَامِ، وَإِلَيْهِم يُرْجَعُ فِي مَعْرِفَةِ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَهُم الَّذِيْنَ يُفْتُونَ النَّاس فِي صِعَابِ المَسَائِلِ، وَيُعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ الخَلْقُ

---

(١) التبيين للحافظ ابن عساكر (ص٣٣٢).

(٢) ترتيب المدارك (ج٥/ص٢٣).

(٣) ترتيب المدارك (ج٥/ص٢٥).

فِي إِيْضَاحِ المُشْكِلَاتِ وَالنَّوَازِلِ، وَهَلْ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنَ الحَنَفِيَّةِ وَالمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ إِلَّا مُوَافِقٌ لَهُ أَوْ مُنْتَسِبٌ إِلَيْهِ أَوْ رَاضٍ بِحَمِيْدِ سَعْيِهِ فِي دِيْنِ اللهِ أَوْ مُثْنٍ بِكَثْرَةِ العِلْمِ عَلَيْهِ، غَيْرَ شِرْذِمَةٍ يَسِيرَة تُضْمِرُ التَّشْبِيْهَ وَتُعَادِي كُلَّ مُوَحِّدٍ يَعْتَقِدُ التَّنْزِيه، وَتُضَاهِي أَقْوَال أَهْلِ الاعْتِزَالِ فِي ذَمِّهِ، وَتُبَاهِي بِإِظْهَارِ جَهْلهَا بِقَدْرِهِ وَسَعَةِ عِلْمِهِ(١).

[١١] ـ وَقَالَ الشَّيْخُ أبو جعفر اللَّبْليُّ (ت٦٩١هـ) رحمه الله: **هُوَ صَاحِبُ المَذْهَبِ الَّذِي اتَّخذَهُ أَهْلُ الحَدِيثِ وَالفِقْهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ إِمَامًا**، حَتَّىٰ نُسِبَ مَذْهَبُهُمْ إِلَيْهِ، فَنُسِبَ مَنْ تَعَلَّقَ بِمَذْهَب أَهْلِ السُّنَّة وتَفَقَّه في مَعْرِفَة أُصُولِ الدِّينِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ المَذَاهِبِ إِلَىٰ **الأَشْعَرِيِّ** لِحُسْنِ تَصَانِيفِهِ وَصِحَّةِ مَذْهَبِهِ وَاعْتِقَادِهِ(٢).

[١٢] ـ **وَقَالَ الشيخُ مُحْيِ الدِّيْن النَّوَوِيُّ (ت: ٦٧٦هـ)** في تَرْجَمَةِ الأُسْتَاذ أَبِي إِسْحَاقَ الإِسْفَرَايِنِي (ت ٤١٨هـ): وَكَانَ الأُسْتَاذُ أَحَد الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ اجْتَمَعُوا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ **عَلَىٰ نَصْرِ مَذْهَبِ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ** فِي المَسَائِلِ الكَلَامِيَّةِ، القَائِمِيْنَ بِنُصْرَةِ مَذْهَبِ **الشَّيْخ أَبِي الحَسَن الأَشْعَرِي**، وَهُمْ: الأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاق الإِسْفَرَايِنِيُّ، وَالقَاضِي أَبُو بَكْرٍ البَاقِلَّانِيُّ، وَالإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْن فُورَك(٣).

[١٣] ـ **وَقَالَ القَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ خلِّكَانَ (ت٦٨١هـ)**: **هُوَ صَاحِبُ** الأُصُولِ، وَالقَائِمُ بِنُصْرَةِ مَذْهَبِ السُّنَّةِ(٤).

---

(١) التبيين (ص٣٦٠).

(٢) الفهرسة، (ص٧٣).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (ج٢/ص١٧٠).

(٤) وفيات الأعيان (ج٣/ص٢٨٤).

[١٤] ـ وَقَالَ الحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ (ت٧٤٨هـ): كانَ عَجبًا فِي الذَّكَاءِ وَقُوَّةِ الفَهْمِ[١].

[١٥] ـ وقال الإمامُ تَاجُ الدِّيْن السُّبْكِي (ت٧٧١هـ): اعْلَم أَنَّ أَبا الحَسَن الْأَشْعَرِي لَمْ يُبْدِع رَأْيًا، وَلَمْ يُنْشِئْ مَذْهَبًا، وَإِنَّمَا هُوَ مُقَرِّرٌ لِمذَاهِبِ السَّلَفِ، مُنَاضِلٌ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ صَحَابَة رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالِانْتِسَاب إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ عَقَدَ عَلَىٰ طَرِيقِ السَّلَفِ نِطَاقًا، وَتَمَسَّكَ بِهِ، وَأَقَامَ الْحُجَج وَالْبَرَاهِين عَلَيْهِ، فَصَارَ المُقْتَدِي بِهِ فِي ذَلِكَ، السَّالِكُ سَبِيلَهُ فِي الدَّلَائِلِ يُسَمَّىٰ أَشْعَرِيًّا[٢].

[١٦] ـ قَالَ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ قَاضِي شُهْبَةَ (ت٨٥١هـ): إِمَامُ المُتَكَلِّمِينَ، وَنَاصِرُ سُنَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَالذَّابُّ عَنِ الدِّينِ، وَالمُصَحِّحُ لِعَقَائِدِ المُسْلِمِينَ[٣].

[١٧] ـ قَالَ العَلَّامَةُ جَلَالُ الدِّين السُّيُوطِي (ت٩١١هـ): وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الإِمَامَ أَبَا الحَسَن الأَشْعَرِي وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِي إِمَامٌ فِي السُّنَّةِ أَي الطَّرِيقَة المُعْتَقَدَة، مُقَدَّمٌ فِيْهَا عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَا الْتِفَاتَ إِلَىٰ مَنْ تَكَلَّمَ فِيْهِ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (ج١٥/ص٨٦).

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ، (ج٣/ص٣٦٥).

(٣) طبقات الشافعية، (ج١/ص١١٤).

(٤) إتمام الدراية لقراء النقاية (ص٢٠).

النُّسَخُ المُعْتَمَدَةُ فِي العِنَايَةِ بِكِتَابِ الإِبَانَةِ

تَتَبَّعْتُ نُسَخَ كِتَابِ الإِبَانَةِ فَوَقَفْتُ عَلَىٰ عَشْرِ نُسَخٍ انْتَخَبْتُ مِنْهَا أَرْبَعَةً لِلْعَمَلِ عَلَيْهَا وَهِيَ:

[١] ـ نُسْخَةُ مَكْتَبَةِ رَوَان كُوشْكِي بِتُرْكِيَا رَقَمْ ٥١٠/١ تقعُ في ٢٦ ورَقَة.

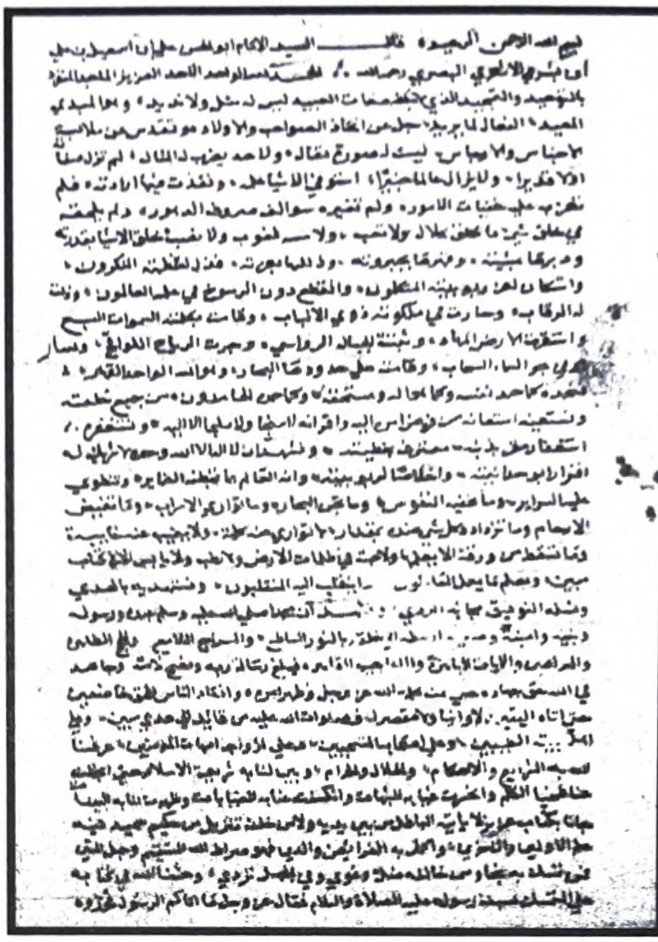
[٢] ـ نُسْخَةُ رَوْضَةِ الحَدِيثِ بِالهِنْدِ.

[٣] ـ نُسْخَةُ المَكْتَبَةِ التَّيْمُورِيَّةِ بِمِصْرَ.

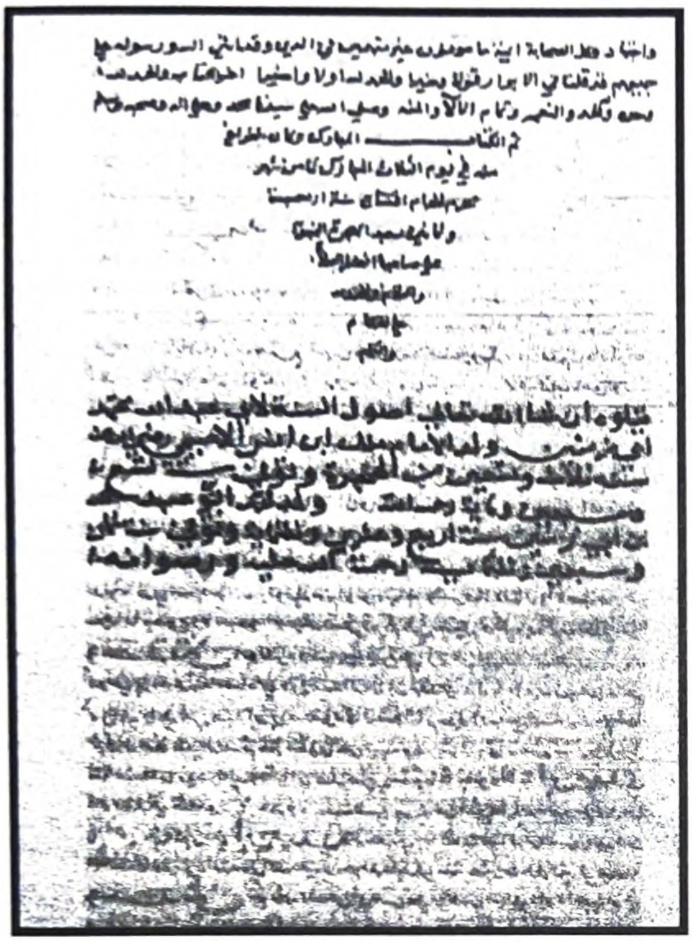
وَهَذِهِ النُّسَخُ الثَّلَاثُ مُتَقَارِبَةٌ وَمُتَوَافِقَةٌ فِي الأَغْلَبِ وَأَقَلُّهَا أَخْطَاءً لِذَلِكَ اعْتَمَدْتُهَا.

[٤] ـ وَأَمَّا النُّسْخَةُ الرَّابِعَةُ فَهِيَ نُسْخَةُ مَكْتَبَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّة، وَهِيَ الَّتِي اعْتَمَدَتْهَا الدُّكْتُورَةُ فَوْقِيَّةٌ حُسَيْنٌ فِي نَشْرَتِهَا رَحِمَهَا اللهُ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ جُمَلٍ زَادَهَا النَّاسِخُ مِنْ عِنْدِهِ كما يظهر بِأَدْنَىٰ تَأَمُّلٍ خُصُوصًا مَعَ قِرَاءَةِ بَعْضِ التَّعْلِيقَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي الطُّرَرِ إِذْ هِيَ مِنْ جِنْسِ مَا زَادَهُ فِي صُلْبِ النَّصِّ، حَمَلَهُ عَلَيْهَا إِرَادَةُ تَقْيِيدِ كَلَامِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ فِي مَوَاضِعَ بِمَا يَدْفَعُ تَوَهُّمَ التَّجْسِيمِ، وَلِلْأَسَفِ أَثْبَتَتْهَا الدُّكْتُورَةُ رَحِمَهَا اللهُ فِي صُلبِ النَّصِّ.

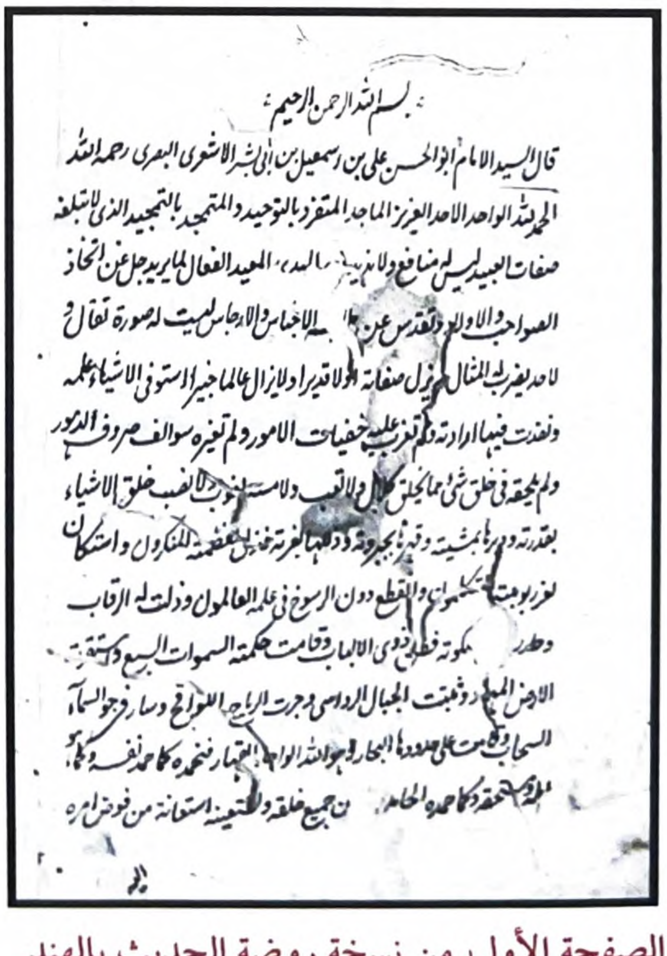
وَفِيمَا يَلِي نَمَاذِجُ مِنَ المَخْطُوطَاتِ المُعْتَمَدَةِ:



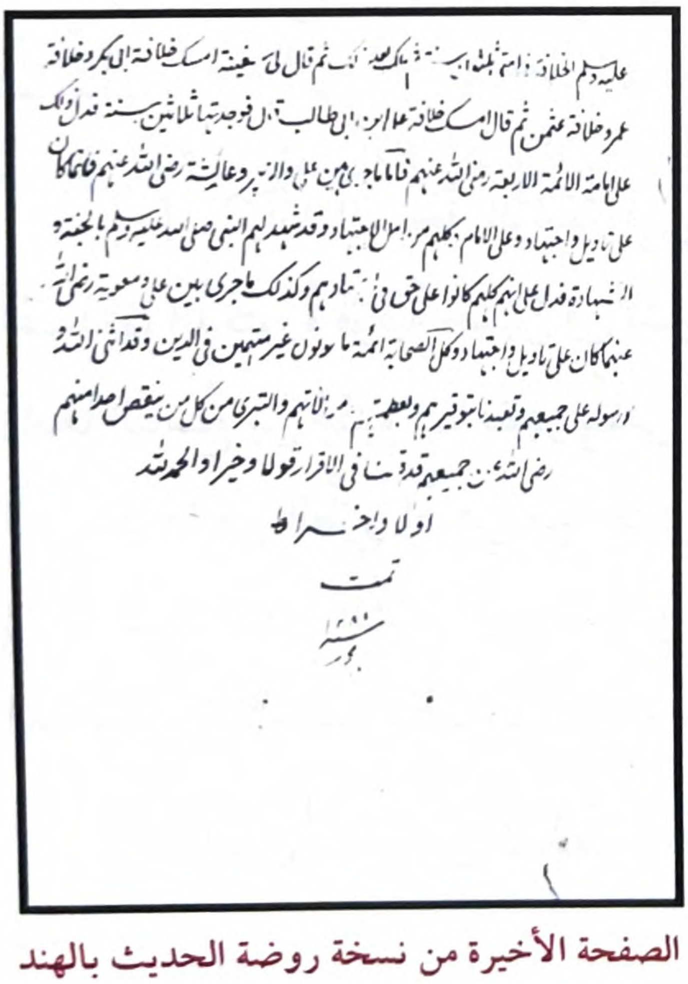
صورة الصفحة الأولى من نسخة روان كوشكي



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة روان كوشكي



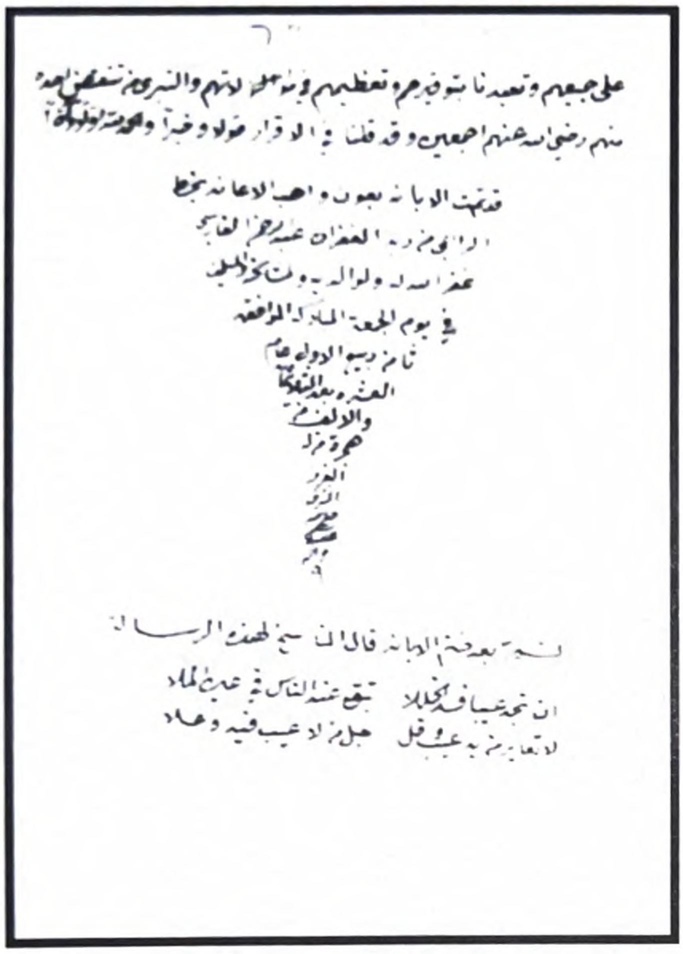
الصفحة الأولى من نسخة روضة الحديث بالهند



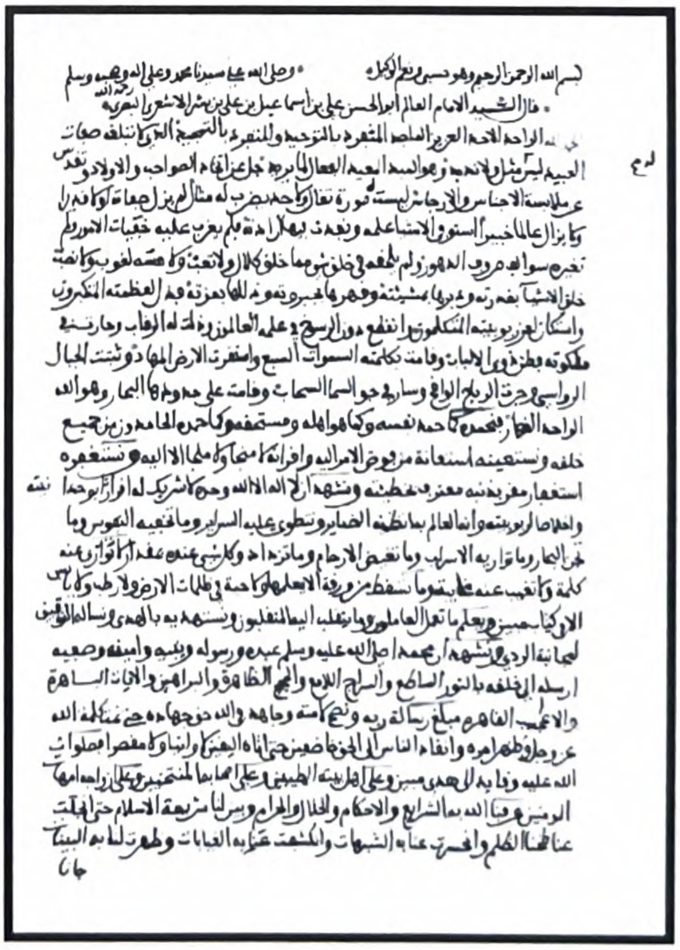
الصفحة الأخيرة من نسخة روضة الحديث بالهند



صورة الصفحة الأولى من نسخة التيمورية



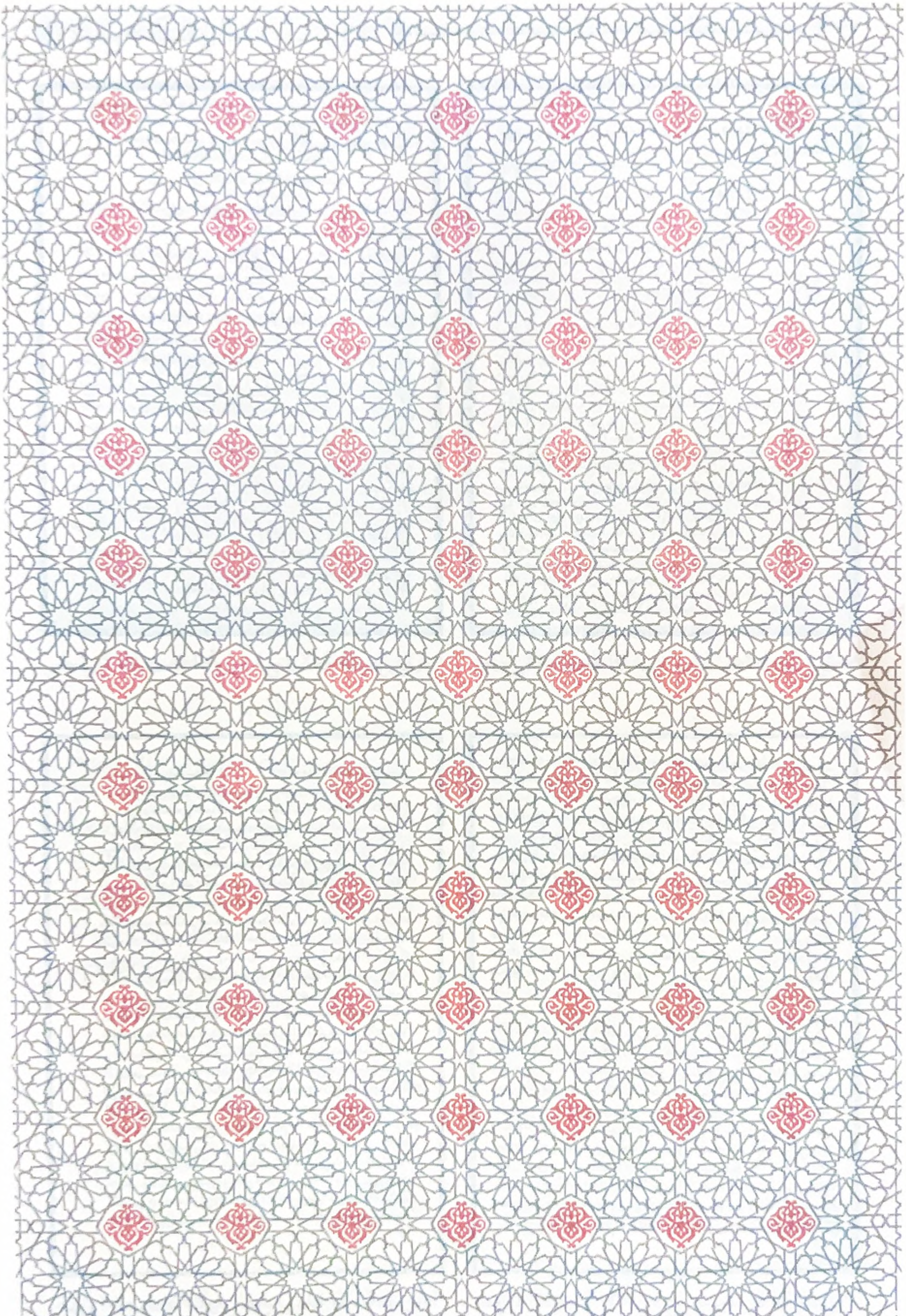
صورة الصفحة الأخيرة من نسخة التيمورية



صورة الصفحة الأولى من نسخة الإسكندرية



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة الاسكندرية



الإبانة عن أصول الديانة

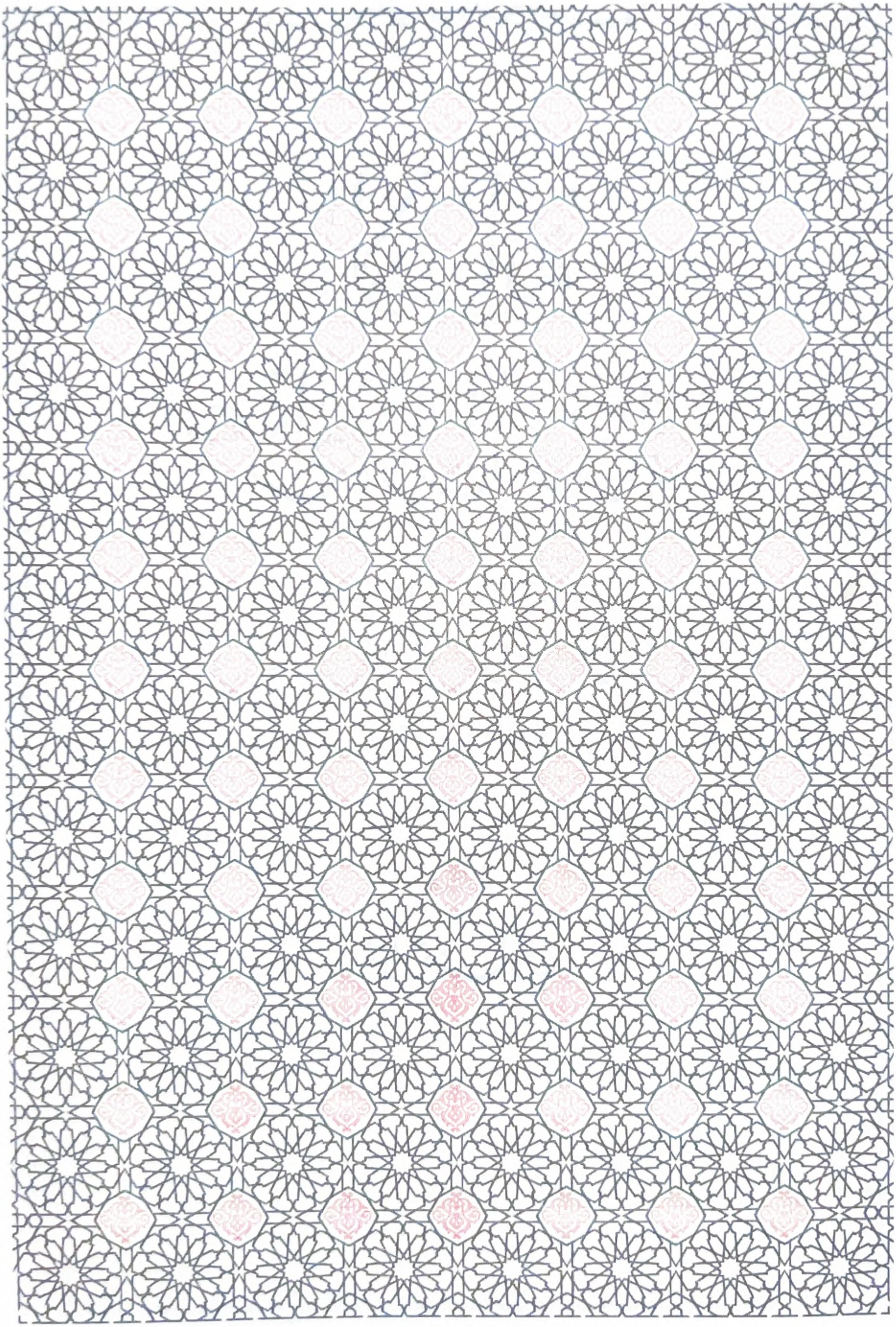
لِشَيخِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَة

أَبي الحَسَن عَلِي بن إِسْمَاعِيل الأَشْعَرِيّ

(٢٦٠ - ٣٢٤هـ)

بِعِنَايَةِ

نزار حمّادي



بسم الله الرحمن الرحيم

وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بِشْرٍ الأَشْعَرِيُّ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ

الحَمْدُ لِلَّهِ الأَحَدِ الوَاحِد، العَزِيزِ المَاجِد، المُتَفَرِّدِ بِالتَّوْحِيد، المُتَمَجِّدِ بِالتَّمْجِيد، الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ صِفَاتُ العَبِيد، لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ وَلَا نَدِيد، وَهُوَ المُبْدِئُ المُعِيد، الفَعَّالُ لِمَا يُرِيد، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الصَّوَاحِبِ وَالأَوْلَاد، وَتَقَدَّسَ عَنْ مُلَامَسَةِ الأَنْجَاسِ وَالأَجْسَاد[(١)]، لَيْسَتْ لَهُ صُورَةٌ تُقَال، وَلَا حَدٌّ يُضْرَبُ لَهُ مِثَال[(٢)]، لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ أَوَّلًا قَدِيرا، وَلَا يَزَالُ عَالِمًا خَبِيرا.

(١) خـ: الأجناس والأرجاس.

(٢) وقال **اللالكائي** (ت٤١٨هـ): سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ (ت١٣٦هـ) عَنْ قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فَقَالَ: الاسْتِواءُ مَعْقُولٌ، وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالإيمَانُ بِهِ ـ قَالَ ابْنُ الجَرَّاحِ ـ وَاجِبٌ، وَاللهُ ﷻ **لَا يُحَدُّ**. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج٢/ص٧) وقال **أبو يعلىٰ الفراء الحنبليُّ** (ت٤٥٨هـ): نَقَلَ حَنْبَلٌ (ت٢٧٣هـ) عنِ الإمامِ أحْمَد (ت٢٤١هـ) أنه قال: «**ربُّنا علىٰ العَرْشِ بِلَا حَدٍّ ولا صِفَةٍ**». فقد نصَّ علىٰ نَفْيِ الحدِّ، وأوْمَأَ إليه في رواية يعقوبَ بن العباس الهاشمي وقد سُئِلَ عنْ قَوْلِ ابْنِ المبارَكِ: «**ربُّنَا علىٰ العَرشِ بِحدٍّ**» ما معنىٰ الحدِّ؟ فقال: لا أعْرِفُهُ، والأحاديثُ **بِغَيْرِ تَحْدِيدٍ** ولا تَكْيِيفٍ. (كتاب الروايتين والقولين ـ مسائل من أصول الديانات، ص٥٠) وقال **اللالكائي** (ت٤١٨هـ): قال حَنْبَل (ت٢٧٣هـ) أنَّ الإمامَ أحمدَ (ت٢٤١هـ) سُئِلَ عن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤] وقوْله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: عِلْمُه، عالِمٌ بالغَيْبِ والشَّهادة، عِلْمُهُ=

اسْتَوَىٰ فِي الأَشْيَاءِ عِلْمُهُ، وَنَفَذَتْ فِيهَا إِرَادَتُهُ، فَلَمْ تَعْزُبْ عَنْهُ خَفِيَّاتُ الأُمُورِ، وَلَمْ تُغَيِّرْهُ سَوَالِفُ صُرُوفِ الدُّهُورِ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِي خَلْقِ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ كَلَالٌ وَلَا تَعَبٌ، وَلَا مَسَّهُ لُغُوبٌ وَلَا نَصَبٌ.

خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِقُدْرَتِهِ، وَدَبَّرَهَا بِمَشِيئَتِهِ، وَقَهَرَهَا بِجَبَرُوتِهِ، وَذَلَّلَهَا بِعِزَّتِهِ، فَذَلَّ لِعَظَمَتِهِ المُتَكَبِّرُونَ، وَاسْتَكَانَ لِعِزِّ رُبُوبِيَّتِهِ المُتَعَظِّمُونَ، وَانْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوخِ فِي عِلْمِهِ المُمْتَرُونَ(١)، وَذَلَّتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَحَارَتْ فِي مَلَكُوتِهِ فِطَنُ(٢) ذَوِي الأَلْبَابِ، وَقَامَتْ بِكَلِمَتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَاسْتَقَرَّتِ الأَرْضُ المِهَادُ، وَثَبَتَتِ الجِبَالُ الرَّوَاسِي وَجَرَتِ الرِّيَاحُ اللَّوَاقِحُ وَسَارَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ السَّحَابُ وَقَامَتْ

= مُحِيطٌ بالكُلِّ، ورَبُّنا علىٰ العَرْش بِلَا حَدٍّ ولا صِفَةٍ، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بعِلْمِهِ. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج٣/ص ٤٤٦). وَأَوْرَده الذهبي (ت٧٤٨هـ) وقال: **قلتُ**: معنىٰ قوله: «**بِلَا صِفَةٍ**» أيْ: **بِلَا كَيْفٍ**. (تاريخ الإسلام، ج٥/ص١٠٢٤)

وقال **ابنُ قُتَيبة (ت٢٧٦هـ)** بعد أن ردَّ علىٰ المُعتزلة: ولمَّا رأىٰ قومٌ من الناسِ إفراطَ هؤلاءِ في النفيِ عارضوهم بالإفراط في التمثيلِ، فقالوا بالتشبيه المحضِ **وبالأقطار والحدودِ**، وحمَلُوا الألفاظ الجائيةَ في الحديث **علىٰ ظاهِرِها**، وقالوا بالكَيْفِيَّةِ فيها. (الاختلاف في اللفظ، ص٥٢) ثمَّ قال في بيان الاعتقادِ الصحيح: وعدْلُ القول في هذه الأخبار أن نؤمنَ بما صحَّ منها بنقلِ الثقاتِ لها، فنؤمنَ بالرؤية والتجليّ وأنه يعجبُ وينزل إلىٰ السماء الدنيا وأنه علىٰ العرش استوىٰ وبالنفسِ واليدينِ، **من غير أن نقول في ذلك بكيفيةٍ أو بحدٍّ**، أو أن نقيس علىٰ ما جاءَ ما لم يأتِ، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقدِ علىٰ سبيل النجاةِ غدا إن شاء الله تعالىٰ. (الاختلاف في اللفظ، ص٥٣) **وَقال الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ)** في تنزيهِ اللهِ ﷻ: تعالىٰ **عن الحُدُودِ والغايات**، والأركان والأعْضَاء والأدوات. (العقيدة الطحاوية، ص٤٣) **وَقال الحافظ أبو حاتِم ابْنُ حِبّان (ت٣٥٤هـ)** في مقدمة كتابه الثقات: الحمد لله الذي **ليس له حدٌّ محدودٌ فيَتوىٰ**، ولا له أجَلٌ معدودٌ فيَفْنَىٰ، ولا يحيطُ به جوامع المكانِ، ولا يشتمل عليه تواتر الزَّمَان. (الثقات، ص٥٤) في المطبوع تواتر المكانِ. ومعنىٰ فَيَتْوَىٰ: فَيَهْلَكَ.

(١) خـ: العالِمُونَ.

(٢) جمع فِطْنَة بمعنىٰ الحِذْق وسرعةُ الفَهْم والذكاء. (التاج، ج٣٥/ص٥١٠).

عَلَىٰ حُدُودِهَا البِحَارُ، وَهُوَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ،

نَحْمَدُهُ كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمُسْتَحِقُّهُ، وَكَمَا حَمِدَهُ الحَامِدُونَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ اسْتِعَانَةَ مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، وَأَقَرَّ أَنَّهُ لَا مَنْجَا وَلَا مَلْجَا مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ اسْتِغْفَارَ مُقِرٍّ بِذَنْبِهِ مُعْتَرِفٍ بِخَطِيئَتِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَارًا بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَإِخْلَاصًا لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ العَالِمُ بِمَا تُبْطِنُهُ(١) الضَّمَائِرُ، وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِرُ، وَمَا تُخْفِيهِ النُّفُوسُ، وَمَا تُجِنُّ البِحَارُ، وَمَا تُوَارِي الأَسْرَارُ، ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

لَا تُوَارَىٰ مِنْهُ كَلِمَةٌ، وَلَا تَغِيبُ عَنْهُ غَائِبَةٌ، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَيَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ العَامِلُونَ، وَمَا يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ المُنْقَلِبُونَ.

وَنَسْتَهْدِيهِ بِالهُدَىٰ، وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِمُجَانَبَةِ الرَّدَىٰ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَبِيُّهُ وَأَمِينُهُ وَصَفِيُّهُ، أَرْسَلَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالسِّرَاجِ اللَّامِعِ، وَالحُجَجِ الظَّاهِرَةِ، وَالبَرَاهِينِ البَاهِرَةِ، وَالأَعَاجِيبِ القَاهِرَةِ، فَبَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، حَتَّىٰ تَمَّتْ كَلِمَةُ اللهِ ﷻ وَظَهَرَ أَمْرُهُ، وَانْقَادَ النَّاسُ إِلَىٰ الحَقِّ خَاضِعِينَ، حَتَّىٰ أَتَاهُ اليَقِينُ، لَا وَانِيًا، وَلَا مُقَصِّرًا.

فَصَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ قَائِدٍ إِلَىٰ هُدًىٰ مُبِينٍ، وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ، وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ المُنْتَخَبِينَ، وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ.

---

(١) خـ: تَتَضَمَّنُهُ.

عَرَّفَنَا اللهُ بِهِ الشَّرَائِعَ وَالأَحْكَامَ، وَالحَلَالَ وَالحَرَامَ، وَبَيَّنَ لَنَا بِهِ شَرِيعَةَ الإِسْلَامِ، حَتَّىٰ انْجَلَتْ عَنَّا طَخْيَاءُ الظَّلَامِ، وَانْحَسَرَتْ غَيَابَةُ الشُّبُهَاتِ، وَانْكَشَفَتْ عَنَّا بِهِ الغَيَابَاتُ، وَظَهَرَتْ لَنَا بِهِ البَيِّنَاتُ.

جَاءَنَا بِكِتَابٍ عَزِيزٍ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، جَمَعَ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَكْمَلَ بِهِ الفَرَائِضَ وَالدِّينَ، وهُوَ صِرَاطُ اللهِ المُسْتَقِيمُ، وَحَبْلُهُ المَتِينُ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ خَالَفَهُ(١) ضَلَّ وَغَوَىٰ.

وَحَثَّنَا فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ:

* فَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧].

* وَقَالَ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣].

* وَقَالَ: ﴿رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣].

* وَقَالَ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٠] يَقُولُ: إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

* وَقَالَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

* وَقَالَ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ﴾ [يونس: ١٥].

---

(١) خ: تَخَلَّفَ عَنْهُ.

وَقَالَ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ ﴾ [النور: ٥١]، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا قَوْلَهُ وَيُطِيعُوا أَمْرَهُ.

وَقَالَ: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩] فَأَمَرَهُمْ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ كَمَا أَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ التَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ كَمَا أَمَرَهُمْ بِالعَمَلِ بِكِتَابِهِ.

فَنَبَذَ كَثِيرٌ ـ مِمَّنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ شِقْوَتُهُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ـ سُنَنَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَمَالُوا إِلَىٰ أَسْلَافٍ لَهُمْ قَلَّدُوهُمْ دِينَهُمْ وَدَانُوا بِدِيَانَتِهِمْ، وَأَبْطَلُوا سُنَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَدَفَعُوهَا وَأَنْكَرُوهَا وَجَحَدُوهَا افْتِرَاءً مِنْهُمْ عَلَىٰ اللهِ، ﴿ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وَأُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، تَغُرُّ أَهْلَهَا، وَتَخْدَعُ سَاكِنَهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

مَنْ كَانَ فِيهَا فِي حَبْرَةٍ، أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَمَنْ أَعْطَتْهُ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْنًا، أَعْقَبَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا، غَرَّارَةٌ غَرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَانٍ مَا عَلَيْهَا، كَمَا حَكَمَ عَلَيْهَا رَبُّهَا بِقَوْلِهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦].

فَاعْمَلُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ لِلْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَلِخُلُودِ الأَبَدِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَضِي عَنْ أَهْلِهَا، وَتَبْقَىٰ الأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي رِقَابِ أَهْلِهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ

إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ رَاجِعُونَ[١]، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، وَكُونُوا بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ عَامِلِينَ، وَعَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ مُنْتَهِينَ.

---

(١) خـ: تَصِيرُونَ.

فَصْلٌ
فِي إِبَانَةِ قَوْلِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالبِدْعَةِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الزَّائِغِينَ عَنِ الحَقِّ ـ مِنَ المُعْتَزِلَةِ وَأَهْلِ القَدَرِ ـ مَالَتْ بِهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ إِلَىٰ تَقْلِيدِ رُؤَسَائِهِمْ وَمَنْ مَضَىٰ مِنْ أَسْلَافِهِمْ، فَتَأَوَّلُوا القُرْآنَ عَلَىٰ آرَائِهِمْ تَأْوِيلًا لَمْ يُنَزِّلِ اللهُ بِهِ سُلْطَانًا، وَلَا أَوْضَحَ بِهِ بُرْهَانًا، وَلَا نَقَلُوهُ عَنْ رَسُولِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلَا عَنِ السَّلَفِ المُتَقَدِّمِينَ، وَخَالَفُوا رِوَايَاتِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالأَبْصَارِ، وَقَدْ جَاءَتْ فِي ذَلِكَ الرِّوَايَاتُ مِنَ الجِهَاتِ المُخْتَلِفَاتِ، وَتَوَاتَرَتْ بِهَا الآثَارُ وَتَتَابَعَتْ بِهَا الأَخْبَارُ.

وَأَنْكَرُوا شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُذْنِبِينَ، وَدَفَعُوا الرِّوَايَاتِ فِي ذَلِكَ عَنِ السَّلَفِ المُتَقَدِّمِينَ.

وَجَحَدُوا عَذَابَ القَبْرِ، وَأَنَّ الكُفَّارَ فِي قُبُورِهِمْ يُعَذَّبُونَ، وَقَدْ أَجْمَعَ عَلَىٰ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ.

وَدَانُوا بِخَلْقِ القُرْآنِ، نَظِيرًا لِقَوْلِ إِخْوَانِهِمْ مِنَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

وَأَثْبَتُوا العِبَادَ يَخْلُقُونَ الشَّرَّ، نَظِيرًا لِقَوْلِ المَجُوسِ الَّذِينَ أَثْبَتُوا خَالِقَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَخْلُقُ الخَيْرَ، وَالآخَرُ يَخْلُقُ الشَّرَّ.

وَزَعَمَتِ القَدَرِيَّةُ أَنَّ اللهَ ﷻ يَخْلُقُ الخَيْرَ، وَالشَّيْطَانَ يَخْلُقُ الشَّرَّ.

وَزَعَمُوا أَنَّ اللهَ ﷻ يَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ، وَيَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ، خِلَافًا لِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ مِنْ أَنَّ «**مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**»(١). وَرَدًّا لِـ:

* قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فَأَخْبَرَ أَنَّا لَا نَشَاءُ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ شَاءَ اللهُ أَنْ نَشَاءَهُ(٢).

* وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣](٣).

* وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣].

* وَلِقَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

* وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

وَلِهَذَا سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ**»(٤)؛ لِأَنَّهُمْ دَانُوا بِدِيَانَةِ المَجُوسِ، وَضَاهَوْا أَقَاوِيلَهُمْ، وَزَعَمُوا أَنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ خَالِقَيْنِ كَمَا زَعَمَتِ

---

(١) أبو داود (٥٠٥٧) **قال الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: وهذا كلامٌ أخَذَتْهُ الصحابةُ عن رسولِ ربِّ العزَّةِ، وأخذهُ التابعون عنهم، ولم يزلْ يأخذُهُ الخَلَفُ عن السَّلَفِ من غير نكير، فصار ذلك إجماعًا منهم علىٰ ذلك. (الاعتقاد، ص٢١٨).

(٢) نقل **الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)** هذه الآية مع تعليقِ الأشعريِّ رضي الله عنه ولكن بعبارة: فأخْبَر أنا لا نشاءُ شيئًا إلا بأن يكون اللهُ قد شاءَهُ. (الاعتقاد، ص٢١١).

(٣) قال الإمام **أبو الحسن الواحدي (ت٤٦٨هـ)**: كرَّرَ المَشِيئَةَ باقْتِتَالِهم تأكيدًا للأمْرِ وتكْذِيبًا لِمَنْ زَعَم أنَّهُمْ فعَلُوا ذلك مِنْ عِنْد أنْفُسِهم، لَمْ يَجْرِ به قضاءٌ ولا قَدَرٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ. (التفسير البسيط، ج٤/ص٣٤٥).

(٤) أبو داود (٤٦٩١).

المَجُوسُ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الشُّرُورِ مَا لَا يَشَاءُ اللهُ[١] كَمَا قَالَتِ المَجُوسُ، وَأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﷻ، رَدًّا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨][٢]، وَانْحِرَافًا عَنِ القُرْآنِ وَعَمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الإِسْلَامِ.

وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يَنْفَرِدُونَ بِالقُدْرَةِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ دُونَ رَبِّهِمْ، وَأَثْبَتُوا لِأَنْفُسِهِمُ الغِنَىٰ عَنِ اللهِ ﷻ، وَوَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِالقُدْرَةِ عَلَىٰ مَا لَمْ يَصِفُوا اللهَ ﷻ بِالقُدْرَةِ عَلَيْهِ، كَمَا أَثْبَتَتِ المَجُوسُ لِلشَّيْطَانِ مِنَ القُدْرَةِ عَلَىٰ الشَّرِّ مَا لَمْ يُثْبِتُوهُ لِلَّهِ ﷻ، فَكَانُوا مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ إِذْ دَانُوا بِدِيَانَةِ المَجُوسِ، وَتَمَسَّكُوا بِأَقَاوِيلِهِمْ، وَمَالُوا إِلَىٰ أَضَالِيلِهِمْ.

وَقَنَّطُوا النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَآيَسُوهُمْ مِنْ رَوْحِهِ، وَحَكَمُوا عَلَىٰ العُصَاةِ بِالنَّارِ وَالخُلُودِ فِيهَا، خِلَافًا لِقَوْلِ اللهِ: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا، خِلَافًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا امْتُحِشُوا فِيهَا وَصَارُوا حُمَمًا**»[٣].

---

(١) حكىٰ الأستاذُ أبو بكر بن فُورَك (ت٤٠٣هـ) عن الشيخ **أبي الحسن الأشعريِّ** (٣٢٤هـ) ؓ أنه قال: إنَّ إرادةَ اللهِ صفةٌ من صفات ذاته واجبةٌ به، وإنها متعلِّقةٌ بكلِّ مرادٍ علىٰ الوجهِ الذي علم أنه يكون المرادُ وأن لا يكونَ، من خيرٍ وشرٍّ، وطاعةٍ ومعصيةٍ، وأنه يريدُ أن يكونَ الشرُّ شرًّا من أهل الشرِّ ولأهل الشرِّ كما يعلمُهُ شرًّا، وكذلك يريدُ الخيرَ من أهل الخيرِ لأهل الخير أن يكون خيرًا لهم كما علمهُ. (المجرّد، ص٦٩).

(٢) أوردَ **الحافظ البيهقي** (ت٤٥٨هـ) الآيةَ ثم قال: فنَفَىٰ أنْ يَمْلِكَ العَبْدُ كَسْبًا يَنْفَعُهُ أَوْ يَضُرُّهُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ وقدرته. (الاعتقاد، ص٢١٩).

(٣) البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

وَدَفَعُوا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَجْهٌ، مَعَ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدَانِ، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لَهُ عَيْنَان، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ عِلْمٌ، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قُوَّةٌ، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وَنَفَوْا مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا**»(١)، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَذَلِكَ جَمِيعُ أَهْلِ البِدَعِ مِنَ الجَهْمِيَّةِ وَالمُرْجِئَةِ وَالحَرُورِيَّةِ أَهْلِ الزَّيْغِ فِيمَا ابْتَدَعُوا خَالَفُوا الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَأَجْمَعَتْ عليْهِ الأُمَّةُ، كَفِعْلِ المُعْتَزِلَةِ وَالقَدَرِيَّةِ.

وَأَنَا ذَاكِرٌ ذَلِكَ بَابًا بَابًا وَشَيْئًا شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللهُ(٢)، وَبِهِ المَعُونَةُ.

---

(١) البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) قال ابن رجب الحنبليّ (ت٧٩٥هـ) عن النزول: إنَه من نَوْع قُرْبِ الرَّبِّ مِنْ دَاعِيهِ وسائليهِ ومستغفريه. وقد سئلَ عنه حَمَّاد بنُ زيدٍ فقالَ: «**هُوَ في مكانِه، يَقْرُبُ مِنْ خلقِه كمَا يَشَاءُ**». ومرادُه أنَّ نزولَهُ ليس هو انتقالًا من مكانٍ إلىٰ مكانٍ كنزول المخلوقينَ. (فتح الباري، ج٣/ص١١٧) **قلتُ**: ومرادُ **حمَّاد** أيضا تنزيهُ الله تعالىٰ عن الامتزاج والاختلاط بخَلْقِه إنْ حُمِلَ النزولُ علىٰ الانتقالِ من مكانٍ عالٍ إلىٰ مكانٍ أسفل وصولا إلىٰ سماءِ الدنيا، فإن استلزامَ ذلك لِامتزجِ الله ببعض مخلوقاته بيِّنٌ.

(٢) إلىٰ هنا ينتهي نقل الحافظ **ابن عساكر (ت٥٧١هـ)** من أول كتاب «**الإبانة**» ثم قال: فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الإمام العالمِ الذي شرحه وبيَّنَهُ، وانظروا سهولة لفظه ما أفصحه وأحسنه، وكونوا مِمَّنْ قال اللهُ فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ=

فَصْلٌ
فِي إِبَانَةِ قَوْلِ أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: قَدْ أَنْكَرْتُمْ قَوْلَ المُعْتَزِلَةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَالحَرُورِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ وَالمُرْجِئَةِ، فَعَرِّفُونَا قَوْلَكُمُ الَّذِي بِهِ تَقُولُونَ، وَدِيَانَتَكُمُ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ.

❁ **قِيلَ لَهُ**: قَوْلُنَا الَّذِي نَقُولُ بِهِ وَدِيَانَتُنَا الَّتِي نَدِينُ بِهَا: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَمَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الحَدِيثِ، وَنَحْنُ بِذَلِكَ مُعْتَصِمُونَ، وَبِمَا كَانَ يَقُولُ بِهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ـ نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُ ـ قَائِلُونَ، وَلِمَا خَالَفَ قَوْلَهُ مُخَالِفُونَ[1]؛ لِأَنَّهُ الإِمَامُ الفَاضِلُ، وَالرَّئِيسُ الكَامِلُ، الَّذِي أَبَانَ اللهُ بِهِ الحَقَّ، وَدَفَعَ بِهِ الضَّلَالَ، وَأَوْضَحَ بِهِ المِنْهَاجَ، وَقَمَعَ بِهِ بِدَعَ المُبْتَدِعِينَ وَزَيْغَ الزَّائِغِينَ وَشَكَّ الشَّاكِّينَ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ مُقَدَّمٍ، وَجَلِيلٍ مُعَظَّمٍ، وَكَبِيرٍ مُفَهَّمٍ[2].

= ﴿ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، وتبينوا فضل أبي الحسن واعرِفُوا إنْصَافَه، واسْمَعُوا وَصْفَهُ لأحْمَدَ بالفضل واعترافَهُ، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقادِ مُتَّفِقَيْن، وفي أصول الدين ومذهب السُّنَّة غيْرَ مفترقين. (التبيين، ص٣٢٥).

(١) خـ: مُجَانِبُونَ.

(٢) هذه الكلماتُ في حَقِّ الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) قال مِثْلَها الإمامُ المحدّثُ **أَبُو خَلِيفَةَ الفَضْلُ بْنُ الحُبَاب الجُمَحِيُّ البَصْرِيُّ**: (٢٠٦ ـ ٣٠٥هـ) وهو من شيوخ الشيخ أبي الحسن الأَشْعَرِيِّ وقد روىٰ عنه في تفسيره كما نصَّ عليه الحافظ ابن عساكر في التبيين (ص٦٩٢)، فقد روىٰ أبو الحسين بن أبي يَعْلَىٰ الحنبليُّ (ت٥٢٦هـ) بسنده عن أحمد بن جعفر ـ وهو أبو بكر بن مالك القطيعي (ت٣٦٨هـ) ـ قال: حضر رجلٌ مجلِسَ أَبِي خَلِيفَةَ الفَضْلَ بْنَ الحُبَابِ=

وَجُمْلَةُ قَوْلِنَا: أَنَّا نُقِرُّ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَبِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا نَرُدُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَأَنَّ اللهَ عَجَّلَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَرْدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ.

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا **بِلَا كَيْفٍ**، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧](١).

= الجُمَحِيَّ فذكَر أبا عبد الله أحمد بن محمد بْنِ حنبل رضي الله عنه فقال: أَبُو خليفة عَلَىٰ أبي عبد الله: أحْمَدُ بْنُ مُحَمَّد بْنِ حنْبَلٍ رضوان الله عنه هُوَ إمامُنا ومَن نَقْتَدِي به ونقُول بِقَوْلِه، الوَاعِي للعِلْم، المُتْقِن لرِوايتِه، الصّادِقُ فِي حكايته، القَيِّمُ بدِين الله عَجَّلَ، المُسْتَنّ بسُنَّة رَسُول اللهِ ﷺ، إمام المُسْلِمين، والنّاصِحُ لإخْوانِه مِن المُؤْمِنين. فقال: له الرَّجُلُ: يا أبا خَلِيفَة ما تقول فِي قولِهِ: «القُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخلُوقٍ»؟ فقال: صَدَقَ وَاللهِ مقالَته، وقمَعَ كُلَّ بِدْعِيٍّ بمَعْرِفَتِه، قولُه الصَّوابُ، ومذْهَبُه السَّدادُ، هو المَأْمُونُ عَلَىٰ كُلِّ الأحوالِ، والمُقْتَدىٰ بِه فِي جَمِيع الفِعَال. (طبقات الحنابلة، ج١/ص٢٥٠).

(١) قال **الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: فأضَافَ الوجه للذاتِ، وأضافَ النعتَ إلىٰ الوجهِ فقال: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، ولو كانَ ذكرُ الوجهِ صلةً ولم يكنْ للذاتِ صفةً لقال: «ذي الجلالِ والإكرام»، فلما قال: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ علمنا أنه نعتٌ للوجهِ، وهو صفةٌ للذاتِ. (الاعتقاد، ص١٣٥).
وقال السيفُ الآمدي (ت٦٣١هـ): ذهب الشيخُ **أبو الحسنِ الأشعري** في أحدِ قَوْلَيْهِ والأستاذُ أبو إسحاق الإسفراييني والسلفُ إلىٰ أن الربَّ تعالىٰ متصفٌ بالوجه وأن الوجهَ صفةٌ ثبوتيةٌ زائدةٌ علىٰ ما له من الصفاتِ، متمسكين في ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، لا أنه بمعنىٰ الجارحةِ. (أبكار الأفكار، ج١/ص٤٥١).

وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ، كَمَا قَالَ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ(١) بِلَا كَيْفٍ، كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤](٢).

وَأَنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرُهُ كَانَ ضَالًّا.

وَأَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا كَمَا قَالَ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١].

وَنُثْبِتُ لِلَّهِ السَّمْعَ وَالبَصَرَ، وَلَا نَنْفِي ذَلِكَ كَمَا نَفَتْهُ المُعْتَزِلَةُ وَالجَهْمِيَّةُ وَالخَوَارِجُ.

وَنُثْبِتُ أَنَّ لِلَّهِ قُوَّةً، كَمَا قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وَنَقُولُ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ قَالَ لَهُ: «كُنْ»، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

---

(١) **قال القاضي أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** بعد إيرادِ حديث الدجال وقول النبيِّ ﷺ عنه: «**إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»: قال ﷺ إنه ذُو عَيْنَيْن وإن لم تكونا جارِحَتَيْنِ مُؤْتَلِفَتَيْن مُصَوَّرَتين، بل صِفَتانِ مِنْ صفاتِ ذاتِه على ما قدّمناه وأوْضَحْناه مِنْ قَبْلُ. (هداية المسترشدين، ج١/ص٣٥)

وقال السيفُ الآمدي (ت٦٣١هـ): قال الشيخ **أبو الحسنِ الأشعري** في أحد قَوْلَيْه وجماعةٌ من السَّلَفِ: هما صِفتانِ نفْسِيَّتان، كما قال في اليَدَيْن. (أبكار الأفكار، ج١/ص٤٥٣).

(٢) قال **الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)** في باب ذكر آياتٍ وأخبارٍ وردتْ في إثباتِ صفةِ الوجهِ واليَدَيْن والعَيْن: وهذه صفاتٌ طريقُ إثباتها السَّمْعُ، فنثبتُها لوُرُودِ خبرِ الصادقِ بها، **ولا نُكَيِّفُها**. (الاعتقاد، ص١٣٥).

وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الأَرْضِ شَيْءٌ ـ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ـ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ.

وَأَنَّ الأَشْيَاءَ تَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللهِ ﷻ.

وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَهُ(١)، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنِ اللهِ(٢)، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الخُرُوجِ مِنْ عِلْمِ اللهِ ﷻ.

وَأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ.

وَأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ مُقَدَّرَةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وَأَنَّ العِبَادَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقُوا شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، كَمَا قَالَ: ﴿هَلْ

---

(١) أوردَ الشيخُ **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه عيْنَ هذه العبارة في ذكرِه لاعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث في كتابه مقالات الإسلاميين (ص٢٩١) وهو يشير بذلك إلىٰ أنَّ الاستطاعةَ الحادثة يستحِيلُ تقدُّمَها علىٰ الفِعْل، قال **أبو بكر بْنُ أبي عاصِم (ت٢٨٧هـ)** في ذكر ما اتفق أهل العلمِ علىٰ أن نسَبُوهُ إلىٰ السنَّةِ: **وأنَّ الاسْتِطاعةَ معَ الفِعْل للفِعْل**. (كتاب السنة، ص٦١٤)
واستدلَّ الشيخ **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه علىٰ صحة معتقدِ أهل السُّنة وأصحاب الحديثِ بقوله: إنَّ الفعلَ لا يخلو أن يكون حادِثًا مع الاستطاعة في حال حدوثها أو بَعْدَها، فإن كان حادِثًا معها في حال حدوثها **فقد صحَّ أنها معَ الفِعْلِ للفِعْل**، وإن كان حادثا بعدها **وقد دلَّتِ الدلالةُ علىٰ أنها لا تبقىٰ** وَجبَ حدوث الفعلِ بقدرة معدومةٍ. (اللمع، ص٥٤)
وقال القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): القدرةُ علىٰ الكسبِ عَرَضٌ لا يصحُّ أن يبقىٰ، فلو وُجِدَ الفعلُ في ثاني حالِ حدوثها ـ وهي معدومةٌ في تلك الحال ـ لكان قد وُجِدَ بقدرة معدومةٍ قد كانتْ وفنِيَتْ. (التمهيد، ص٢٨٧).

(٢) قال القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): إنّ الإنسانَ لو كان يستطيعُ أن يفعل الفعلَ قبل كونِه لكان في حالِ اكتسابهِ له مُستغنيًا عن ربِّهِ وغيْرَ مُحتاجٍ إليه في أن يعينَهُ علىٰ الفِعْلِ، ولو جازَ أن يستغنيَ عن معونةِ الله في حالِ الفعلِ لكان بالاستغناء عنهُ إذا لم يكن فاعلا أولىٰ، وذلك محالٌ باتفاقٍ، **فوجَبَ أن الاستطاعةَ مع الفعل للفعل**. (التمهيد، ص٢٨٧).

مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وَكَمَا قَالَ: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]، وَكَمَا قَالَ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، وَكَمَا قَالَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، وَهَذَا فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ.

وَأَنَّ اللهَ وَفَّقَ المُؤْمِنِينَ لِطَاعَتِهِ، وَلَطَفَ لَهُمْ، وَنَظَرَ لَهُمْ، وَأَصْلَحَهُمْ وَهَدَاهُمْ، وَأَضَلَّ الكَافِرِينَ وَلَمْ يَهْدِهِمْ، وَلَمْ يَلْطُفْ لَهُمْ بِالإِيمَانِ(١) كَمَا زَعَمَ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالطُّغْيَانِ، وَلَوْ لَطَفَ لَهُمْ وَأَصْلَحَهُمْ لَكَانُوا صَالِحِينَ، وَلَوْ هَدَاهُمْ لَكَانُوا مُهْتَدِينَ.

وَأَنَّ اللهَ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ الكَافِرِينَ وَيَلْطُفَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونُوا كَافِرِينَ كَمَا عَلِمَ، وَخَذَلَهُمْ وَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

وَأَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ(٢)، وَأَنَّا نُؤْمِنُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَنَا لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَنَا، وَأَنَّ مَا أَصَابَنَا لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَنَا.

وَأَنَّ العِبَادَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا بِاللهِ كَمَا قَالَ ﷻ.

وَنُلْجِئُ أُمُورَنَا إِلَىٰ اللهِ، **وَنُثْبِتُ الحَاجَةَ وَالفَقْرَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ**.

وَنَقُولُ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، **وَإِنَّ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ القُرْآنِ فَهُوَ كَافِرٌ**(٣).

---

(١) خـ: بالآيَاتِ.

(٢) قال الإمام أبو داود السجستاني: سمعتُ أحمَد بْنَ حَنْبلٍ (ت٢٤١هـ) قال له رجلٌ: يُلْجِئُني القَدَرِيُّ إلىٰ أنْ أقُولَ: الزِّنا بقدَرٍ، والسَّرِقَةُ بقدَرٍ. فقال: الخَيْرُ وَالشَّرُّ مِنَ اللهِ. (مسائل الإمام أحمد، ص٣٦٣).

(٣) ووجه ذلك استلزامُهُ كون اللهِ ﷻ مخلوقًا، إذْ مَنْ قامَ به وَصْفٌ حادِثٌ مَخْلُوقٌ لا يكون إلَّا حادِثًا=

وَنَدِينُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ بِالأَبْصَارِ، كَمَا يُرَىٰ القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ، كَمَا جَاءَتِ الرِّوَايَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَنَقُولُ: إِنَّ الكَافِرِينَ مَحْجُوبُونَ عَنْهُ إِذَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ فِي الجَنَّةِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وَأَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللهَ ﷻ الرُّؤْيَةَ فِي الدُّنْيَا(١).

= مخْلُوقًا، كما قالَ ابْنُ بَطَّةَ الحنبليُّ: «كُلُّ مَنْ حَدَثَتْ صِفَاتُه فمُحْدَثٌ ذاتُه، ومَنْ حدثَ ذَاتُه وصِفَتُهُ فإلَىٰ فناءٍ حَيَاتُهُ، وتعالَىٰ الله عن ذلك علوا كبيراً. (الإبانة، ج٢/ص١٨٣) وكلام السَّلفِ في ذلك واضحٌ، قال وكيع بن الجراح (ت١٩٨هـ): «مَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآن مَخْلوقٌ فقد زعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مُحدَثٌ، ومن زَعم أن القرآن مُحدَثٌ فقد كفَر بمَا أُنزل علىٰ محمد ﷺ يُستتابَ فإن تاب وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُه. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، ج١/ص٣٩٦) قال الفُضَيْل بنْ عياضٍ (ت١٨٧هـ): «مَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مُحْدَثٌ فَقَدْ كَفَر». (العلو للذهبي، ص١٥٠) وقال عبد الله بن إدريس (ت١٩٢هـ): «مَنْ زَعمَ أَنَّ القُرآنَ مَخْلُوقٌ فقَدْ زَعمَ أَنَّ اللهَ مَخْلُوقٌ». (خلق أفعال العباد للبخاري، ج٢/ص١١). وروىٰ البيهقي من طريق اسماعيل بن محمد السُّلَمي عن أَحْمَدَ بن حنبلٍ (ت٢٤١هـ) أنه قال: مَنْ قالَ: «القُرْآنُ مُحْدَثٌ» فَهُوَ كافِرٌ. (نقله ابنُ كثير في البداية والنهاية عن كتاب مناقب الإمام أحمد للبيهقي وأقرَّهُ، ج١٠/ص٣٢٧) وقال أبو جعفر محمد بن سليمان المَصِيصِي المعروف بـ«لُوَيْن» (ت٢٤٦هـ): القُرْآنُ كلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوق، ومنْ زَعَم أنّ القُرآنَ مَخْلُوقٌ فقَدْ زَعَم أنّ بَعْضَ اللهِ مَخْلُوقٌ، ومن زعَمَ هذَا فقَدْ كَفَر. (طبقات المحدّثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني، ج٢/ص١٣٤) وقال عَبْدُ اللهِ بْن بِشْر بْن عُمَيْرة الطّالْقانيّ (ت٢٧٥هـ) تلميذُ الإمام أحمد: القُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وبكَلَامِه خلَقَ الخَلْقَ وكَوَّنَ الأشْيَاءَ، وليْسَ مِنَ الخَلَّاقِ العَلِيم شَيْءٌ مخلوقٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ كلامَهُ مَخْلُوقٌ فقد زَعَمَ أنَّ اللهَ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ، فتعَالَىٰ اللهُ عن هذا، فلقد جاء قائِلُ هذا القَوْلِ شَيْئًا نُكرًا، وافْتَرَىٰ عَظِيمًا. (تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٧/ص١٦٨).

(١) كما في قوله تعالىٰ مخبرًا عن مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال إسحاق بن راهويه (ت٢٣٨هـ) في تقرير إثباتِ الرؤية: ولَوْ لَم يكُنْ فِيما وَصفْنا إلَّا ما سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ الرُّؤْيَةَ فِي الدُّنيا لَمَّا كَانَ قَد عَلِمَ أَنّ أَهْلَ الجَنّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُم، فسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَراهُ فِي الدُّنْيَا، فَبَيَّنَ اللهُ لَهُ قَالَ: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]=

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ تَجَلَّىٰ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا، فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ مُوسَىٰ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا(١).

وَنَدِينُ بِأَنْ لَا نُكَفِّرَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ ـ كَالزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الخُمُورِ ـ كَمَا دَانَتْ بِذَلِكَ الخَوَارِجُ وَزَعَمَتْ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ.

وَنَقُولُ: إِنَّ مَنْ عَمِلَ كَبِيرَةً مِنْ هَذِهِ الكَبَائِرِ ـ مِثْلَ الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا ـ مُسْتَحِلًّا لَهَا غَيْرَ مُعْتَقِدٍ لِتَحْرِيمِهَا كَانَ كَافِرًا.

وَنَقُولُ: إِنَّ الإِسْلَامَ أَوْسَعُ مِنَ الإِيمَانِ، وَلَيْسَ كُلُّ إِسْلَامٍ إِيمَانًا(٢).

وَنَدِينُ اللهَ ﷻ بِأَنَّهُ يُقَلِّبُ القُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ ﷻ(٣)،

= ساخَ الجبلُ ولَمْ يَقْوَ علىٰ نَظَرِ الرَّبِّ، قَالَ مُوسَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] مَنْ آمَنَ بِكَ أَنْ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ. (المسند، ج٢/ص٨٠).

(١) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): معنىٰ ذلك أنه أرىٰ نفْسَهُ للجبل فتدكدك وصار قطعا قطعًا لما أحبَّ الله تعالىٰ من إعلامِ موسىٰ صلىٰ الله عليه أن أحدًا لا يراهُ في الدنيا إلا لَحِقَهُ ما لَحِقَ الجبَلَ لحكمه تعالىٰ بجعل الدنيا دار تكليفٍ وإيمانٍ بالغيبِ، ومعنىٰ «تَجَلَّىٰ» أنَّهُ رفعَ عن الجبَلِ الآفةَ المانعةَ له من رؤيتِهِ تعالىٰ وأحياهُ وخلق فيه الإدراكَ له فرآهُ. (التمهيد، ص٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) حكىٰ الأستاذُ **أبو بكرِ بنُ فُورَكَ (ت٤٠٣هـ)** عن الشيخ **أبي الحسن الأشعريِّ** (٣٢٤هـ) رضي الله عنه أنه كان يقول: كلُّ مُؤمنٍ مُسْلِمٌ، وليْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا. (المجرّد، ص١٦٠).

(٣) **قال الإمام ابن بطال** (ت٤٤٩هـ): أمَّا حديثُ الإصبع فإنه لمَّا لمْ تَصِحَّ أن تكون جارِحَةً ـ لِمَا قدَّمْنا من إبطال التجسيم ـ **فتأويله ما قالَ أبُو الحسَنِ الأشْعَرِيُّ** مِن أن هذا وشِبْهَهُ مِمَّا أثبته الرسولُ لِلَّهِ ووَصَفَهُ به راجع إلىٰ أنه صِفَةُ ذاتٍ **لا يَجُوزُ تَحْدِيدُهَا ولا تَكْيِيفُها**. (شرح صحيح البخاري، ج١٠/ص٤٤١).

وقال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ): قَوْلُهُ ﷺ **«يَضَعُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبعٍ»** الحَدِيثَ، قِيلَ: الإِصْبَعُ صِفَةٌ سَمْعِيَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، لَا يُقَالُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، كَالْيَدِ، وَهُوَ مَذْهَبُ **الأَشْعَرِيِّ** وَبَعْضِ أَصْحَابِهِ. (مشارق الأنوار، ج١/ص٤٧).

وَأَنَّهُ ﷻ يَضَعُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، كَمَا جَاءَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

وَنَدِينُ بِأَنْ لَا نُنْزِلَ أَحَدًا مِنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالمُتَمَسِّكِينَ بِالإِيمَانِ جَنَّةً وَلَا نَارًا، إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ.

وَنَرْجُو مِنْ كَرَمِ اللهِ الجَنَّةَ لِلْمُذْنِبِينَ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا بِالنَّارِ مُعَذَّبِينَ.

وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ ﷻ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ ـ بَعْدَمَا امْتَحَشُوا ـ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَصْدِيقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ القَبْرِ، وَبِالحَوْضِ، وَأَنَّ المِيزَانَ حَقٌّ، وَالصِّرَاطَ حَقٌّ، وَالبَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ، وَأَنَّ اللهَ ﷻ يُوقِفُ العِبَادَ فِي المَوْقِفِ، وَيُحَاسِبُ المُؤْمِنِينَ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

وَنُسَلِّمُ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي رَوَاهَا الثِّقَاتُ ـ عَدْلٌ عَنْ عَدْلٍ ـ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَنَدِينُ بِحُبِّ السَّلَفِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنُثْنِي

---

(١) يشير إلىٰ الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (٧٤٥١) ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرْضَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالأَنْهَارَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٤].

عَلَيْهِمْ بِمَا أَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَنَتَوَلَّاهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَنَقُولُ: إِنَّ الإِمَامَ الفَاضِلَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، وَأَنَّ اللهَ أَعَزَّ بِهِ الدِّينَ، وَأَظْهَرَهُ عَلَىٰ المُرْتَدِّينَ، وَقَدَّمَهُ المُسْلِمُونَ بالإِمَامَةِ، كَمَا قَدَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ، وَسَمَّوْهُ بِأَجْمَعِهِمْ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه، وَأَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوهُ قَاتَلُوهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَهَؤُلَاءِ الأَئِمَّةُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخِلَافَتُهُمْ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ.

وَنَشْهَدُ بِالجَنَّةِ لِلْعَشَرَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهَا، وَنَتَوَلَّىٰ سَائِرَ أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ، وَنَكُفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

وَنَدِينُ اللهَ بِأَنَّ الأَئِمَّةَ الأَرْبَعَةَ خُلَفَاءُ رَاشِدُونَ، مَهْدِيُّونَ فُضَلَاءُ، لَا يُوَازِنُهُمْ(١) فِي الفَضْلِ غَيْرُهُمْ.

وَنُصَدِّقُ بِجَمِيعِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا أَهْلُ النَّقْلِ مِنَ النُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الرَّبَّ عز وجل يَقُولُ: «**هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟**»(٢)، وَسَائِرِ مَا نَقَلُوهُ وَأَثْبَتُوهُ، خِلَافًا لِمَا قَالَهُ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالتَّضْلِيلِ.

وَنُعَوِّلُ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ عَلَىٰ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ، وَلَا نَبْتَدِعُ فِي دِينِ اللهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ لَنَا، وَلَا نَقُولُ عَلَىٰ اللهِ مَا لَمْ نَعْلَمْ.

وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ عز وجل يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا

---

(١) خـ: لَا يُوَازِيهِمْ.
(٢) مسلم (٧٥٨).

صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، وَأَنَّ اللهَ ﷻ يَقْرُبُ مِنْ عِبَادِهِ كَيْفَ شَاءَ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]، وَكَمَا قَالَ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩].

وَمِنْ دِينِنَا أَنْ نُصَلِّيَ الجُمُعَةَ وَالأَعْيَادَ وَسَائِرَ الصَّلَوَاتِ وَالجَمَاعَاتِ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَغَيْرِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي خَلْفَ الحَجَّاجِ(١).

وَأَنَّ المَسْحَ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، خِلَافًا لِقَوْلِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ.

وَنَرَىٰ الدُّعَاءَ لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ بِالصَّلَاحِ، وَالإِقْرَارَ بِإِمَامَتِهِمْ، وَتَضْلِيلَ مَنْ رَأَىٰ الخُرُوجَ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ تَرْكُ الاسْتِقَامَةِ.

وَنَدِينُ بِإِنْكَارِ الخُرُوجِ بِالسَّيْفِ، وَتَرْكِ القِتَالِ فِي الفِتْنَةِ.

وَنُقِرُّ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ القَبْرِ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَمُسَاءَلَتِهِمَا المَدْفُونِينَ فِي قُبُورِهِمْ.

وَنُصَدِّقُ بِحَدِيثِ المِعْرَاجِ، وَنُصَحِّحُ كَثِيرًا مِنَ الرُّؤَىٰ فِي المَنَامِ، وَنُقِرُّ أَنَّ لِذَلِكَ تَفْسِيرًا.

وَنَرَىٰ الصَّدَقَةَ عَنْ مَوْتَىٰ المُؤْمِنِينَ وَالدُّعَاءَ لَهُمْ، وَنُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ يَنْفَعُهُمْ بِذَلِكَ.

وَنُصَدِّقُ بِأَنَّ فِي الدُّنْيَا سَحَرَةً وَسِحْرًا، وَأَنَّ السِّحْرَ كَائِنٌ مَوْجُودٌ فِي الدُّنْيَا.

وَنَدِينُ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ - بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ - وَمُوَارَثَتِهِمْ.

وَنُقِرُّ أَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ.

---

(١) الأثر الدال على ذلك في صحيح البخاري (١٦٦٠).

وَأَنَّ مَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَبِأَجَلِهِ مَاتَ وَقُتِلَ.

وَأَنَّ الأَرْزَاقَ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَرْزُقُهَا عِبَادَهُ حَلَالًا وَحَرَامًا.

وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ لِلْإِنْسَانِ وَيُشَكِّكُهُ وَيُخَبِّطُهُ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ وَالجَهْمِيَّةِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وَكَمَا قَالَ: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥ ـ ٦].

وَنَقُولُ: إِنَّ الصَّالِحِينَ يَجُوزُ أَنْ يَخُصَّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِآيَاتٍ يُظْهِرُهَا عَلَيْهِمْ(١).

وَقَوْلُنَا فِي أَطْفَالِ المُشْرِكِينَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُؤَجِّجُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ نَارًا، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ: اقْتَحِمُوهَا(٢)، كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الرِّوَايَةُ(٣).

---

(١) حكىٰ الأستاذُ **أبو بكر بن فُورَك (ت٤٠٣هـ)** عن الشيخ **أبي الحسن الأشعريِّ (٣٢٤هـ)** رضي الله عنه أنه كان يقول: إن المُعْجزاتِ لا يجوزُ أن تظهرَ إلا علىٰ الصَّادقين لأنها لإبانَةِ الصّادقِ من الكاذِب، **ومثلها مِن جِنْسها قد يجوزُ أن يَظْهَر علىٰ مَن ليْسَ بنبيٍّ مِنَ الأولياء ويكون كراماتٍ لهم ودلالاتٍ علىٰ صدقهم في أحوالهم ومقاماتهم**، غير أنّ الرسول يدعي ذلك فيظهرُ عند دعواهُ ويباهي به قومَهُ ويتحدَّىٰ قومَهُ بالإتيان بمثله، والوليُّ لا يتحدَّىٰ بها ولا يُظْهِرُها ولا يَدَّعِي فيها، بل يرَىٰ رؤيتَها والنظرَ إليها والإعجابَ بها والدعوىٰ فيها خطأً ومعصيةً. (المجرّد، ص١٧٦).

(٢) قال الشيخ **عبد الجليل الرَّبَعي (كان حيا سنة ٤٧٨هـ)**: قال الشيخ **أبو الحسن الأشعريُّ**: أمَّا الذين قال فيهم عليه السلام: «**إنه تُؤَجَّجُ لهم نارٌ يوم القيامة ويُؤمَرُون باقتحامها، فمَنِ اقْتَحمها دخل الجَنَّة، ومَنْ لمْ يَقْتَحِمْها دخَلَ النار**»، فالذين يدخلون الجنَّة منهم هُم الذي قال فيهم عليه السلام: «**إنَّهم خدم لأهل الجنة**»، والذين أخبر عنهم أنهم لا يقْتَحِمونها هم الذي قال فيهم: «**لو شئت لأسمعتُكِ تَضاغِيهِمْ في النار**»، وهم الذين قال فيهم: هُمْ مَعَ آبائهم. فرتَّبَ رحمه الله هذه الأحاديث كما ترىٰ، وهو ترتيبٌ صحيح، ومع هذا فإن أطفال المشركين لا نقطعُ فيهم بشيءٍ، ولا يُحْكم بأنهم يدخلون الجنة ولا مع آبائهم في النار، وإنما نَكِلُ أمْرَهُم إلىٰ الله تعالىٰ مِنْ غَيْر قطعٍ علىٰ أحدِ ما يجوز في ذلك. (التسديد في شرح التمهيد، ج١/ص٣٦٤).

(٣) نقل الإمام **ابن عبد البرّ** عن **أبي عبد الله** محمد بن نصر المروزي بسنده حديثًا طويلا في=

وَنَدِينُ اللهَ ﷻ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا العِبَادُ عَامِلُونَ، وَإِلَىٰ مَا هُمْ صَائِرُونَ، وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَا يَكُونُ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

وَبِطَاعَةِ الأَئِمَّةِ، وَنَصِيحَةِ المُسْلِمِينَ.

وَنَرَىٰ مُفَارَقَةَ كُلِّ دَاعِيَةٍ إِلَىٰ بِدْعَةٍ، وَمُجَانَبَةَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ.

وَسَنَحْتَجُّ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَوْلِنَا وَمَا بَقِيَ مِنْهُ مِمَّا لَمْ نَذْكُرْهُ بَابًا بَابًا وَشَيْئًا شَيْئًا ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ.

= هذا المعنىٰ فيه أوله: «**يُؤْتَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ بِالمَمْسُوحِ أَوِ المَمْسُوحِ عَقْلًا وَبِالهَالِكِ فِي الفَتْرَةِ وَبِالهَالِكِ صَغِيرًا**». ثُمَّ قال: وَجُمْلَةُ القَوْلِ فِي أَحَادِيثِ هَذَا البَابِ كُلِّهَا مَا ذَكَرْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَذْكُرْ أَنَّهَا مِنْ أَحَادِيثِ الشُّيُوخِ وَفِيهَا عِلَلٌ وَلَيْسَتْ مِنْ أَحَادِيثِ الأَئِمَّةِ الفُقَهَاءِ، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ وَالقَطْعُ فِيهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ ضَعْفٌ فِي العِلْمِ وَالنَّظَرِ، مَعَ أَنَّهُ عَارَضَهَا مَا هُوَ أَقْوَىٰ مِنْهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ. (التمهيد، ج١٨/ص١٢٩).

بَابُ
الكَلَامِ فِي إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى بِالأَبْصَارِ فِي الآخِرَةِ

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يَعْنِي مُشْرِقَةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] يَعْنِي رَائِيَةٌ.

وَلَيْسَ يَخْلُو النَّظَرُ مِنْ وُجُوهٍ نَحْنُ ذَاكِرُوهَا:

[١] ـ إِمَّا أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ عَنَىٰ نَظَرَ الاعْتِبَارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

[٢] ـ أَوْ يَكُونَ عَنَىٰ نَظَرَ الانْتِظَارِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩].

[٣] ـ أَوْ يَكُونَ عَنَىٰ نَظَرَ التَّعَطُّفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].

[٤] ـ أَوْ يَكُونَ عَنَىٰ نَظَرَ الرُّؤْيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠].

[١] ـ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ عَنَىٰ نَظَرَ التَّفَكُّرِ وَالاعْتِبَارِ؛ لِأَنَّ الآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ اعْتِبَارٍ(١).

---

(١) وبه أيضا أجاب الشيخُ أبو الحسَنِ الأشعريُّ رضي الله عنه في «اللُّمَع» فقال: ولا يجوزُ أن يكون معْنىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] مُعْتَبِرَةٌ كقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]؛ لأن الآخرة ليْسَتْ بدارِ اعْتِبارٍ. (اللمع، ص٣٤).

[٢] ـ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنَىٰ نَظَرَ الانْتِظَارِ ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِذَا ذُكِرَ مَعَ ذِكْرِ الوَجْهِ فَمَعْنَاهُ نَظَرُ العَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الوَجْهِ ، كَمَا إِذَا ذَكَرَ أَهْلُ اللِّسَانِ نَظَرَ القَلْبِ فَقَالُوا: «انْظُرْ فِي هَذَا الأَمْرِ بِقَلْبِكَ» لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرَ العَيْنَيْنِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا ذُكِرَ النَّظَرُ مَعَ الوَجْهِ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرَ الانْتِظَارِ الَّذِي بِالقَلْبِ(١) .

وَأَيْضًا فَإِنَّ نَظَرَ الانْتِظَارِ لَا يَكُونُ فِي الجَنَّةِ ؛ لِأَنَّ الانْتِظَارَ مَعَهُ تَنْغِيصٌ وَتَكْدِيرٌ ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ فِيمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ مِنَ العَيْشِ السَّلِيمِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا كَذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونُوا مُنْتَظِرِينَ ؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا خَطَرَ بِبَالِهِمْ شَيْءٌ أُتُوا بِهِ مَعَ خُطُورِهِ بِبَالِهِمْ(٢) .

[٣] ـ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ أَرَادَ نَظَرَ التَّعَطُّفِ ؛ لِأَنَّ الخَلْقَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَطَّفُوا عَلَىٰ خَالِقِهِم(٣) .

---

(١) قال **الشيخ أبو الحسَنِ الأشعريُّ** رضي الله عنه في «**اللُّمَعِ**»: ولا يجوزُ أن يعني: منْتَظِرَةٌ ؛ لأن النظر إذا قُرِنَ بذكر الوجوه لم يكن معناه نظرَ القلبِ الذي هو انتظارٌ ، كما إذا قُرِنَ النَّظرُ بذِكْرِ القلبِ لم يكنْ معناه نظر العينِ ؛ لأن القائل إذا قال: «انظر بِقَلْبِك في هذا الأمر» كان معناه نظرَ القَلْب ، وكذلك إذا قُرِنَ النظرُ بالوجهِ لم يكنْ معناه إلا نظرَ الوجهِ ، والنظرُ بالوَجْهِ هو نظرُ العينِ التي في الوجهِ. (اللمع ، ص٣٤).

(٢) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): ومما يدل أيضا علىٰ فساد تأويلهم لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] ـ علىٰ أن المرادَ به الانتظارُ لنِعَمِهِ ـ اتفاقُ الأمَّةِ علىٰ أن هذا القول إنما ورَدَ علىٰ وَجْهِ البِشَارة للمؤمنين والتعظيمِ لَهُم والتَّمْييز مِن الكافرين ، وقد ثبتَ أن الانتظارَ ضربٌ من التَّنْغِيص والتَّكدير ، وأنَّ المنْتظِرَ المتوقِّعَ لِمَا يرجوهُ معذَّبٌ بانتظارِهِ ومشوبٌ نعمتهُ ، ولهذا أطبق الكلُّ علىٰ إطلاق القولِ: «عذَّبَكَ اللهُ عذابَ المُنتظِرِ». وإذا كان كذلك وكان أهلُ الجنَّةِ في أتمِّ عَيْشٍ سَليمٍ ونعيمٍ مُقيمٍ لا يشُوبُ نعمتَهُ نغَصٌ ولا تكدير ، لم يجزْ أن يكون إنما بشَّرهمْ تعالىٰ بالانتظارِ والتوقُّعِ الذي يقتضي الاهتمامَ والتعذيب والتنغيص ، فثبتَ بذلك بطلانُ ما قالوه. (هداية المسترشدين ، ج١/ص٨).

(٣) قال الأشعريُّ رضي الله عنه في «**اللُّمَعِ**»: ولا يجوزُ أن يعني: متعطفةٌ راحمةٌ ، كما قال: ﴿وَلَا يَنظُرُ=

وَإِذَا فَسَدَتْ الأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ صَحَّ القِسْمُ الرَّابِعُ مِنْ أَقْسَامِ النَّظَرِ، وَهُوَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣] أَنَّهَا رَائِيَةٌ، تَرَى رَبَّهَا ﷻ(١).

وَمِمَّا يُبْطِلُ قَوْلَ المُعْتَزِلَةِ: «إِنَّ اللهَ ﷻ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣] نَظَرَ الانْتِظَارِ» أَنَّهُ قَالَ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣]، وَنَظَرُ الانْتِظَارِ لَا يَكُونُ مَقْرُونًا بِقَوْلِهِ: «إِلَى»؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عِنْدَ العَرَبِ أَنْ يَقُولُوا فِي نَظَرِ الانْتِظَارِ «إِلَى»، أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا قَالَ: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس: ٤٩] لَمْ يَقُلْ: «إِلَى» إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ الانْتِظَارَ؟!.

وَقَالَ عَنْ بَلْقِيسَ: ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٥]، فَلَمَّا أَرَادَتِ الانْتِظَارَ لَمْ تَقُلْ «إِلَى».

وَقَالَ امْرُؤُ القَيْسِ(٢):

فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً ❁ مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبِ

فَلَمَّا أَرَادَ الانْتِظَارَ لَمْ يَقُلْ: «إِلَى».

فَلَمَّا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣] عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الانْتِظَارَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ نَظَرَ الرُّؤْيَةِ.

= إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ٧٧] أي: لا يرحمُهُمْ ولا يتعطَّفُ عليهم؛ لأن الباريَ لا يجوزُ أن يتعطَّفَ عليه. (اللمع، ص٣٤).

(١) وبهذه النتيجة صرَّحَ **الأشعريُّ** رضي الله عنه في **«اللُّمَع»** إذ قال: فصحَّ أن معنى قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣] رائيةٌ؛ إذ لم يجزْ أن يعني شيئًا من باقي وجوهِ النظرِ، وإذا كان النظرُ لا يخلو من وجوه أربعةٍ وفسدَ منها ثلاثةُ أوجهٍ صحَّ الوجه الرابعُ وهو نظرُ رؤيةِ العينِ التي في الوجهِ. (اللمع، ص٣٤) وانظر تلخيص الباقلاني لنفس هذا الدليل وتحريره في التمهيد (ص٢٦٧).

(٢) من الطويل، في ديوانه ص٤١ ط/ دار المعارف.

وَلَمَّا قَرَنَ اللهُ ﷻ النَّظَرَ بِذِكْرِ الوَجْهِ أَرَادَ نَظَرَ العَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الوَجْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فَذَكَرَ الوَجْهَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَقَلُّبَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ يَنْتَظِرُ نُزُولَ المَلَكِ عَلَيْهِ بِصَرْفِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ عَنْ قِبْلَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلَىٰ القِبْلَةِ.

❖ **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: لِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] إِنَّمَا أَرَادَ: إِلَىٰ ثَوَابِ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ؟[1].

❖ **قِيلَ لَهُ**: ثَوَابُ اللهِ ﷻ غَيْرُهُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وَلَمْ يَقُلْ: إِلَىٰ غَيْرِهِ نَاظِرَةٌ، **وَالقُرْآنُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُزِيلَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِحُجَّةٍ، وَإِلَّا فَهُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ**[2].

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا قَالَ: صَلُّوا إِلَيَّ، وَ﴿ٱعْبُدُونِيۚ﴾ [يس: ٦١]، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: إِنَّهُ أَرَادَ غَيْرَهُ، وَيُزِيلَ الكَلَامَ عَنْ ظَاهِرِهِ؟! فَكَذَلِكَ لَمَّا قَالَ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] **لَمْ يَجُزْ لَنَا أَنْ نُزِيلَ القُرْآنَ عَنْ ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ**[3].

---

(١) قال القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) المعتزلي: وقوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يَعْنِي مُشْرِقَةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] تأويلُهُ أن تنظرَ ثوابَ اللهِ وتنظرَ نِعَمَهُ. (الأصول الخمسة، ص٧٤).

(٢) ذكَرَ الشيخ **أبو الحسن الأشعري** رضي الله عنه عينَ هذا السؤال في كتاب «**اللُّمَع**» وأجابَ بقوله: قيل له: ثوابُ اللهِ تعالىٰ غيرُهُ، **ولا يجوزُ أن يُعْدَل بالكلامِ عنِ الحقيقةِ إلىٰ المجازِ بغير حجَّةٍ ولا دلالةٍ**. (اللمع، ص٣٥) **وقال القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)**: فإنْ قالوا: ما أنكَرْتُم أيضًا أن يكون اللهُ تعالىٰ إنما أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أي: إلىٰ جنان ربِّها وأفْعالِه وعَظِيم ما أعدّه لأولئك ناظِرَةٌ؟ قيل لهم: حيث قال: **هذا التأويلُ يَجْعَلُ الآية مجازًا، وليْسَ لنا فِعْلُ ذلك إلا بحُجَّةٍ**. (التمهيد، ص٢٧٥).

(٣) ذكر الشيخ **أبو الحسَن الأشعري** رضي الله عنه عينَ هذا الإلزامِ في «**اللمع**» فقال: ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ=

ثُمَّ يُقَالُ لِلْمُعْتَزِلَةِ: إِنْ جَازَ لَكُمْ أَنْ تَزْعُمُوا أَنَّ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ: إِلَىٰ غَيْرِهِ نَاظِرَةٌ، فَلِمَ لَا جَازَ لِغَيْرِكُمْ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَرَادَ بِهِ: لَا تُدْرِكُ غَيْرَهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهَا لَا تُدْرِكُهُ؟![(١)].

وَهَذَا مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الفَرْقِ فِيهِ[(٢)].

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ يُرَىٰ بِالأَبْصَارِ قَوْلُ مُوسَىٰ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣][(٣)]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُوسَىٰ عليه السلام قَدْ أَلْبَسَهُ اللهُ تَعَالَىٰ جِلْبَابَ النَّبِيِّينَ، وَعَصَمَهُ بِمَا عَصَمَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَسَأَلَ رَبَّهُ مَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ.

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ عَلَىٰ مُوسَىٰ فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ رَبَّهُ مُسْتَحِيلًا، وَأَنَّ الرُّؤْيَةَ جَائِزَةٌ عَلَىٰ رَبِّنَا ﷻ[(٤)].

= لما قال: صلُّوا إليَّ، واعبدوني، لَمْ يجزْ أن يقول قائل: عنىٰ غيرَهُ. ولو جازَ لزاعمٍ أن يزعُمَ أن قولَهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أرادَ به أنها لا تدركُ غيرَهُ لجاز لزاعمٍ أن يزعُمَ أن قوله: «صَلُّوا إِلَيَّ واعْبُدُوني» أرادَ به غيرَهُ، فإذا فسدَ هذا فسَدَ ما قالَهُ. (اللمع، ص٣٥).

(١) ذكر القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) عينَ هذا الإلزام للمُعْتزلة في كتابهِ هداية المسترشدين (ج١/ص١٤).

(٢) من أول الباب إلىٰ هنا نقله الحافظ البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص١٦٨ ـ ١٧٠) غالبا بلفظهِ ولكن دون عزوٍ للشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه.

(٣) قال ابنُ قُتَيبة (ت٢٧٦هـ) وفي قول موسىٰ عليه السلام أيضا: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أبينُ الدلالةِ بأنه يُرَىٰ في القيامةِ، ولو كانَ اللهُ لا يُرَىٰ في حالٍ من الأحوالِ ولا يجوزُ عليه النظرُ لكان موسىٰ عليه السلام قد خَفِيَ عليه من صفة الله ما علموه. (الاختلاف في اللفظ، ص٤٦).

(٤) قال ابن التلمساني (ت٦٥٨هـ): وقد احتجَّ الشيخ أبو الحَسنِ علىٰ جواز الرؤيةِ من السمعِ=

وَلَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُسْتَحِيلَةً عَلَىٰ رَبِّنَا ـ كَمَا زَعَمَتِ المُعْتَزِلَةُ ـ وَلَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مُوسَىٰ عليه السلام وَعَلِمُوهُ هُمْ لَكَانُوا ـ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ ـ أَعْلَمَ بِاللهِ مِنْ مُوسَىٰ عليه السلام، وَهَذَا مِمَّا لَا يَدَّعِيهِ مُسْلِمٌ(١).

❁ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ حُكْمَ اللهِ فِي الظِّهَارِ اليَوْمَ، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيُّ اللهِ عليه السلام يَعْلَمُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُنَزَّلَ؟.

❁ قِيلَ لَهُ: لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُلْزِمَ اللهُ العِبَادَ حُكْمَ الظِّهَارِ، فَلَمَّا لَزِمَهُمُ الحُكْمُ بِهِ أَعْلَمَ نَبِيَّهُ قَبْلَهُمْ، ثُمَّ أَعْلَمَ نَبِيُّ اللهِ عِبَادَ اللهِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ وَقْتٌ لَزِمَهُمْ حُكْمُهُ فَلَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ عليه السلام.

وَأَنْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّ مُوسَىٰ عليه السلام كَانَ قَدْ لَزِمَهُ أَنْ يَعْلَمَ حُكْمَ الرُّؤْيَةِ وَأَنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهِ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ وَقْتَ لَزِمَهُ عِلْمُهُ، وَعَلِمْتُمُوهُ أَنْتُمُ الآنَ، لَزِمَكُمْ ـ بِجَهْلِكُمْ ـ أَنَّكُمْ بِمَا لَزِمَكُمُ العِلْمُ بِهِ الآنَ أَعْلَمُ مِنْ مُوسَىٰ عليه السلام بِمَا لَزِمَهُ العِلْمُ بِهِ، وَهَذَا خُرُوجٌ عَنْ دِينِ المُسْلِمِينَ.

= بقول الكليم: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: فإن كان عالمًا بامتناع الرُّؤيةِ عليه تعالىٰ فكيفَ سألَها؟! وإن لم يكن عالمًا بذلكَ فكيْفَ يَسُوغُ أَنْ يَجْهَلَ مِنْ صِفَةِ ربِّهِ ما يعْلَمُهُ حُثالةُ المُعْتزلة؟!. (شرح لمع الأدلة، ص١٩٥).

(١) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): فلو كانت الرؤيةُ تستحيلُ علىٰ الله عز وجل ـ كما قالت المعتزلة ـ كما يستحيلُ أن يكون مُحدَثًا مربوبًا وعَبْدًا مخلوقًا لاستحالَ علىٰ نبيِّهِ وأمِينه علىٰ وَحْيِه ومَن جعَلَهُ واسطةً بينه وبين خَلْقِه ومتحمِّلا لرسالَتِه أن يسألهُ المستحيلَ في صفتهِ، كما يستحيلُ أن يقولَ له: ربِّ كنْ عَبْدًا مربُوبًا ومَألُوهًا مخلوقًا؛ لأن ذلك أجمعُ استخفافٌ بالله سبحانه، سواءٌ سألَهُ السائلُ لنفسهِ أو سألهُ لغيرهِ، وليس يجوزُ علىٰ الأنبياءِ الاستخفافُ بربِّهم، ولا أن يكون أسلافُ المعتزلةِ وأخلافُها أعلمَ من الرُّسُلِ بما يجوزُ علىٰ الله تعالىٰ وما يستحيلُ في صفتِهِ، فدلَّ ما وصفنا علىٰ صحَّةِ رُؤْيتهِ. (التمهيد، ص٢٦٦ ـ ٢٦٧).

وَدَلِيلٌ آخَرُ:

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى بِالأَبْصَارِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣][(١)]، فَلَمَّا كَانَ اللهُ ﷻ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الجَبَلَ مُسْتَقِرًّا، كَانَ قَادِرًا عَلَى الأَمْرِ الَّذِي لَوْ فَعَلَهُ لَرَآهُ مُوسَى، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُرِيَ عِبَادَهُ نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ جَائِزٌ رُؤْيَتُهُ[(٢)].

❖ **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] تَبْعِيدٌ لِلرُّؤْيَةِ؟

❖ **قِيلَ لَهُ**: لَوْ أَرَادَ اللهُ ﷻ تَبْعِيدَ الرُّؤْيَةِ لَقَرَنَ الكَلَامَ بِمَا يَسْتَحِيلُ وُقُوعُهُ، وَلَمْ يَقْرِنْهُ بِمَا يَجُوزُ وُقُوعُهُ، فَلَمَّا قَرَنَهُ بِاسْتِقْرَارِ الجَبَلِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ مَقْدُورٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يُرَى اللهُ ﷻ[(٣)].

---

(١) قال ابنُ قُتَيبة (ت٢٧٦هـ) مُوسى عَلِمَ أنَّ اللهَ يُرَى يوْم القيامة، فسأل اللهَ أن يجعلَ له في الدنيا ما أجَّلهُ لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ يَعْنِي: في الدنيا ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أعلمَهُ أن الجبلَ لا يقوم لتَجلِّيه حتى يصير دكا، وأن الجبال إذا ضعفتْ عن احتمال ذلك فابن آدمَ أحرى أن يكون أضعف، إلى أن يعطيَهُ اللهُ يوم القيامةِ ما يقوى به على النظر، ويكشِفَ عن نَظرِهُ الغِطاءَ الذي كانَ في الدنيا، فيصير بعد الكلال حديدا. والتجلي: هو الظهورُ. (الاختلاف في اللفظ، ص٤٦).

(٢) أوردَ **الحافظ البيهقي** (ت٤٥٨هـ) هذا الدليل بعَيْنِ هذه العباراتِ دُونَ عَزْوٍ للشَّيْخ أَبِي الحسن الأشعري ﵁. (الاعتقاد، ص١٧١).

(٣) قَالَ **أَبو المُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ** (ت٤٨٩هـ): في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] دَلِيلٌ على أنه يَجوزُ أَن يُرَى؛ لِأَنَّهُ لمْ يُعَلِّقِ الرُّؤْيَة بِمَا يَسْتَحِيل وُجُودُه؛ لِأَن اسْتِقْرَار الجَبَل مَعَ تَجَلّيهِ لَهُ غَيْرُ مُسْتَحِيل، بِأَن يَجْعَل لَهُ قُوَّة الاسْتِقْرَار مَعَ التَّجَلِّي. (تفسير القرآن، ج٢/ص٢١٢).

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الخَنْسَاءَ لَمَّا أَرَادَتْ تَبْعِيدَ صُلْحِهَا مِمَّنْ كَانَ حَرْبًا لِأَخِيهَا قَرَنَتِ الكَلَامَ بِأَمْرٍ مُسْتَحِيلٍ فَقَالَتْ[(١)]:

وَلَا أُصَالِحُ قَوْمًا كُنْتُ حَرْبَهُمُ ۞ حَتَّىٰ تَعُودَ بَيَاضًا حُلْكَةُ القَارِ

وَاللهُ ﷻ إِنَّمَا خَاطَبَ العَرَبَ بِلُغَتِهَا، وَبِمَا نَجِدُهُ مَفْهُومًا فِي كَلَامِهَا وَمَعْقُولًا فِي خِطَابِهَا، فَلَمَّا قَرَنَ الرُّؤْيَةَ بِأَمْرٍ مَقْدُورٍ جَائِزٍ عَلِمْنَا أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ بِالأَبْصَارِ جَائِزَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ.

۞ دَلِيلٌ آخَرُ:

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][(٢)].

قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: الزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ[(٣)].

---

(١) من البسيط، للخنساء في ديوانها (ص٤٧)، ويروىٰ: جُؤْنَةُ القَارِ، أي: سوادُهُ.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٧) عن النبي ﷺ أنَّهُ قالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ ﷻ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﷻ**». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** عقب إيراد هذا الحديث: قال ابنُ عرفة (٢٥٧هـ): قال لنا يزيدُ بن هارون (ت٢٠٦هـ): مَنْ كذَّب بهذا الحديثِ فقد برئ مِن الله ﷻ وبرئَ اللهُ منه. ولم يقلْ يزيدُ ذلك إلا وقد تيقَّنَ وتحقَّقَ ثبوتَ الحديثِ عن النبي ﷺ وقيامَ الحجَّةِ به، ولذلك جعلَ من ردَّهُ كافرًا كالرادِّ علىٰ رسول الله ﷺ لو سمِعَه منه. (هداية المسترشدين، ج١/ص٢٦).

(٣) قال **الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قد فسَّر رسول الله ﷺ المُبيِّنُ عن الله ﷻ، فمَن بعدَهُ من الصحابةِ الذين أخذوا عنه، والتابعين الذين أخذوا عن الصحابةِ أنَّ الزيادةَ في هذه الآيةِ النظرُ إلىٰ وَجْهِ الله ﷻ، وانتشر عنهم إثباتُ رؤيةِ الله تعالىٰ في الآخرة بالأبصار، ونحن ذاكرون أقوال بعضهم علىٰ جهة الاختصارِ، فقد أفردْنا لإثباتِ الرؤية كتابًا، وبالله التوفيق. (الاعتقاد، ص١٧١ ـ ١٧٢).

وَلَمْ يُنْعِمِ اللهُ ﷻ عَلَىٰ أَهْلِ جِنَانِهِ بِأَفْضَلَ مِنْ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَرُؤْيَتِهِمِ لَهُ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]. قِيلَ: النَّظَرُ إِلَى اللهِ ﷻ.

وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وَإِذَا لَقِيَهُ المُؤْمِنُونَ رَأَوْهُ(١).

وَقَالَ اللهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فَحَجَبَهُمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ، وَلَا يَحْجُبُ عَنْهَا المُؤْمِنِينَ(٢).

مَسْأَلَةٌ:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟.

قِيلَ لَهُ: **يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: لَا تُدْرِكُهُ فِي الدُّنْيَا**(٣)، وَتُدْرِكُهُ فِي

---

(١) أورد **الحافظ البيهقي** (ت٤٥٨هـ) هذه الآية وقال عقبها: واللِّقاءُ إذا أُطْلِقَ علىٰ الحَيِّ السليمِ لم يكنْ إلا رؤيةَ العينِ، وأهل هذه التحيةِ لا آفة بهم. (الاعتقاد ص١٧١).

(٢) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): قال أبو إسحاق إبراهيم بنُ حمَّاد (٢٤١ ـ ٣٢٣هـ): احتجَّ مالكُ بنُ أنسٍ في تثبيت الرؤية بقوله تعالىٰ في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] يعني أنه لمَّا خصَّ الكُفَّار بالحجاب إهانةً لهمْ وجبَ إكرامُ المؤمنين بإزالته عنهم. (هداية المسترشدين، ج١/ص٤٣).

(٣) وهو نصُّ جوابِ ابنِ قُتيبة (ت٢٧٦هـ) قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: **في الدُّنيا**. (الاختلاف في اللفظ، ص٤٥) وسبق إلىٰ ذلك الإمامُ **عبدُ الله بْنُ المُبارَك** (ت١٨١هـ)، فقد حكىٰ عنه **إسحاقُ بن راهويه** (ت٢٣٨هـ) أنه قيل له: إنَّ فُلَانًا فَسَّرَ الآيَتَيْنِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وَقَوْلَهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] عَلَىٰ أَنَّهَا مُخالِفَةٌ لِلأُخْرَىٰ، فَلِذَلِكَ رَأَىٰ الوَقْفَ فِي الرُّؤْيَةِ، فَقَالَ ابْنُ المُبارِكِ: جَهِلَ الشَّيْخُ مَعْنَىٰ الآيَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لَيْسَتْ بِمُخَالِفَةٍ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] **لأَنَّ هَذِهِ فِي الدُّنْيَا**، وَتِلْكَ فِي الآخِرَةِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ قَالَ: لَا تُفْشُوا هَذَا عَنِ الشَّيْخِ، تَدَّعِيهِ الجَهْمِيَّةُ، وَرَآهُ مِنْهُ غَلَطًا. (مسند إسحاق بن راهويه، ج٢/ص٨٠).

الآخِرَةِ(١)؛ لِأَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ تَعَالَىٰ أَفْضَلُ اللَّذَّاتِ، وَأَفْضَلُ اللَّذَّاتِ تَكُونُ فِي أَفْضَلِ الدَّارَيْنِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الكَافِرِينَ المُكَذِّبِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ كِتَابَ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَمَّا قَالَ فِي آيَةٍ: إِنَّ الوُجُوهَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ: إِنَّ الأَبْصَارَ لَا تُدْرِكُهُ، عَلِمْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَبْصَارَ الكُفَّارِ لَا تُدْرِكُهُ(٢).

مَسْأَلَةٌ وَالجَوَابُ عَنْهَا:

❊ **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: قَدِ اسْتَكْبَرَ اللهُ سُؤَالَ السَّائِلِينَ لَهُ أَنْ يُرَىٰ بِالأَبْصَارِ، فَقَالَ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

---

(١) ذكر **الشيخ أبو الحسن الأشعري** ؓ هذا الجوابَ في «**اللمع**» بقوله: فإنْ قالُوا: فما معْنَىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قيل لهم: في الدنيا دون الآخرةِ؛ لأنَّ القرآن لا يتناقضُ، فلما قال في آيةٍ أخرىٰ: إنه تَنْظُر إليه الأَبْصارُ، عَلِمْنا أن الوقتَ الذي قال أنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] غيرُ الوقتِ الذي أخبَرنا أنها تنظرُ إليه فِيه. (اللمع، ص٣٥).

(٢) قال الإمام **أبو القاسم سَلْمَان الأنصاريُّ (ت٥١٢هـ)**: قال شيخنا أبو الحَسن ؓ: هذه الآية مطلقَةٌ متردِّدَةٌ بين مُقيَّدَيْن، فإمّا أن نقدِّرَ فيها إطلاقًا في الزمان، وقوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] مقيَّدٌ بزمانٍ، والمطلق محمولٌ علىٰ المقيَدِ في الحكمِ الواحدِ، فكأنَّهُ تعالىٰ قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] في الدنيا، وتدركُهُ أبصارُ المؤمنين في الآخرة. وإما أن نقدِّرَ الإطلاقَ في الرائينَ، ثم في كتاب اللهِ تعالىٰ آيتانِ مقيَّدتان في النفي وَالإثباتِ، فالتي في الإثباتِ قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، والتي في النفي قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فكانَ المعنىٰ: لا تدركُهُ أبصارُ الكفار في جميع الأوقاتِ، ويراهُ المؤمنونَ في الآخرةِ، فتعيَّنَ حملُ المطلق في النفيِ علَىٰ المقيَّدِ. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٣١٤).

فيُقال لهم: إنَّ بني إسرائيل سألوا رؤية الله ﷻ على طريق الإنكار لنبوَّة موسى عليه السلام وترك الإيمان به حتَّى يروا الله؛ لأنَّهم قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

فلمَّا سألوه الرُّؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتَّى يُريهم الله نفسه استعظم الله سؤالهم، من غير أن تكون الرُّؤية مستحيلةً عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن يُنزِّل عليهم كتابًا من السَّماء من غير أن يكون ذلك مستحيلًا، ولكن لأنَّهم أبوا أن يؤمنوا بنبيِّ الله حتَّى يُنزِّل عليهم من السَّماء كتابًا(١).

دليلٌ آخرُ:

ومِمَّا يدلُّ على إثبات رؤية الله ﷻ بالأبصار رواية الجماعات من الجهات المختلفات(٢) عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**ترَوْن ربَّكم كما ترَوْن القمر ليلة**

---

(١) فصَّل القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) هذا الجواب فقال: وإن سألوا عن قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وعن قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وعن معنى إنكار الله لذلك من سؤالهم. قيل لهم: لم يُنكِر اللهِ تعالى مسألة أخْلاف بني إسرائيل أن ينزل عليهم كتابًا من السماء ومسألة أسلافهم أن يَرَوُا اللهَ جهرةً لاستحالة ذلك، وإنما أنكره لأنهم سألوا ذلك على طريق العنادِ لموسى ومحمدٍ ـ صَلَّى اللهُ عليهما ـ والشّكِّ في نبوّتهما، والتقدُّم بين أيْدِيهما، والامتناع من فعلِ ما أوجبَ عليهم من الإيمان بالله ﷻ حتى يَفْعَل ما يُؤْثِرُونه ويَقْتَرِحُونه، فأنكر اللهُ ذلك من فِعْلهم وقولهم، كما أنْكَرَ سؤالَهم إنزال كتاب من السماءِ، لَا لِاسْتحالةِ ذلك في قدرته، وكما أنكر قولهُمْ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] إلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: ٩٣] لأن هذا أجْمع إنما كان على وجه الاستخفافِ بالرُّسُلِ والتَّمرُّد، لا على طَلَبِ الزِّيادة في العلم. (التمهيد، ص٢٧٣).

(٢) قال ابنُ قُتيبة (ت٢٧٦هـ) وحديث رسول الله ﷺ قاضٍ على الكتاب ومفسِّرٌ له، والخبرُ=

البَدْرِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»(١)، وَالرُّؤْيَةُ إِذَا أُطْلِقَتْ إِطْلَاقًا وَمُثِّلَتْ بِرُؤْيَةِ العِيَانِ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهَا إِلَّا رُؤْيَةَ العِيَانِ.

وَرُوِيَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ عِدَّةٍ، رُوَاتُهَا أَكْثَرُ مِنْ عِدَّةِ خَبَرِ الرَّجْمِ، وَمِنْ عِدَّةِ مَنْ رَوَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»(٢)، وَمِنْ عِدَّةِ رُوَاةِ المَسْحِ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ(٣)، وَمِنْ عِدَّةِ رُوَاةِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تُنكَحُ المَرْأَةُ عَلَىٰ عَمَّتِهَا وَلَا خَالَتِهَا**»(٤)، وَإِذَا كَانَ الرَّجْمُ وَمَا ذَكَرْنَاهُ سُنَنًا عِنْدَ المُعْتَزِلَةِ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ أَوْلَىٰ أَنْ تَكُونَ سُنَّةً لِكَثْرَةِ رُوَاتِهَا وَنَقَلَتِهَا، يَرْوِيهَا خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ.

وَحَدِيثُ: «**أَنَّىٰ أَرَاهُ**» لَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ سَائِلٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟!**»(٥)؛ لِأَنَّ

= عَن الرؤيةِ ليس من الأخبارِ التي يدفعُها إلا جاهلٌ أو معانِدٌ ظالمٌ لتتابع الروايات به من الجهاتِ الكثيرةِ عن الثقاتِ، فلما قال الله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وجاء عن رسول الله ﷺ: «**تَرَوْنَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» لمْ يَخْفَ علىٰ ذي نظرٍ أنه في وقتٍ دون وقتٍ. (الاختلاف في اللفظ، ص٤٥).

(١) البخاري (٨٠٦) **قال الإمامُ أبو عبد الله بن مجاهد البصري (ت٣٧٠هـ)**: فبيّن ﷺ أن رؤيته تعالىٰ بأعْيُنِ الوُجُوهِ، وَلَمْ يُرِد النبيُّ ﷺ أنَّ الله ﷻ مثلُ القمرِ؛ مِنْ قِبَلِ أنّ النَّبِيَّ ﷺ **شبَّه الرؤيةَ بالرؤية**، ولم يُشَبِّهِ اللهَ تعالىٰ بالقَمرِ. (رسالة إلىٰ أهل الثغر، ص ٢٣٩).

(٢) أحمد (١٧٦٦٣) والترمذي (٢١٢٠) وأبو داود (٢٨٧٠) وابن ماجه (٢٧١٢).

(٣) راجع بعض أحاديث المسح علىٰ الخفين في البخاري (٢٠٢) ومسلم (٢٧٢).

(٤) البخاري (٥١٠٨) ومسلم (١٧٠٨).

(٥) مسلم (١٧٨) والسائل هو أبو ذرٍّ ؓ بقوله للنبيِّ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟. **قال القاضي عياضٌ**: قَوْلُهُ ﷺ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**» أَيْ: كَيْفَ أَرَاهُ مَعَ حِجَابِ النُّورِ المُعْشِي لِلْبَصرِ؟!. (الشفا، ج١/ص٢٤٣) وقال **القاضي أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** رَدًّا علىٰ من تمسَّك بهذا الحديث علىٰ امتناعِ رؤية اللهِ مُطْلَقًا في الدُّنْيَا والآخِرَة: هذا محمول علىٰ أنه أرادَ: أَنَّىٰ أراهُ في الدُّنْيا مع ثبوتِ التكليف والامتحانِ وإلزامهِ تعالىٰ المعرفةَ والإيمانَ بالغَيْبِ؟! ولعَمْري إنه لا يجوزُ=

العَيْنَ لَا تُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا الأَنْوَارَ المَخْلُوقَةَ عَلَىٰ حَقَائِقِهَا لِأَنَّ الإِنْسَانَ لَوْ حَدَّقَ يَنْظُرُ إِلَىٰ عَيْنِ الشَّمْسِ فَأَدَامَ النَّظَرَ إِلَىٰ عَيْنِهَا لَذَهَبَ أَكْثَرُ نُورِ بَصَرِهِ، فَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ حَكَمَ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ لَا تَقُومَ العَيْنُ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ عَيْنِ الشَّمْسِ فَأَحْرَىٰ أَنْ لَا يَثْبُتَ البَصَرُ لِلنَّظَرِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَنْ يُقَوِّيَهُ اللهُ ﷻ.

وَرُؤْيَةُ اللهِ ﷻ فِي الدُّنْيَا قَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا[١]، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ ﷻ تَرَاهُ العُيُونُ فِي الآخِرَةِ، وَمَا رُوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ لَا تَرَاهُ العُيُونُ فِي الآخِرَةِ[٢]، فَلَمَّا كَانُوا عَلَىٰ هَذَا مُجْتَمِعِينَ وَبِهِ قَائِلِينَ، وَإِنْ كَانُوا فِي رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا مُخْتَلِفِينَ، ثَبَتَتِ الرُّؤْيَةُ فِي الآخِرَةِ إِجْمَاعًا، وَإِنْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا مُخْتَلَفًا فِيهَا، وَنَحْنُ إِنَّمَا قَصَدْنَا إِلَىٰ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهِ فِي الآخِرَةِ.

عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ عَلَىٰ المُعْتَزِلَةِ لَا لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ أَنَّ اللهَ نُورٌ فِي الحَقِيقَةِ، فَإِذَا احْتَجُّوا بِخَبَرٍ هُمْ لَهُ تَارِكُونَ وَعَنْهُ مُنْحَرِفُونَ كَانُوا مَحْجُوجِينَ.

= أن يراهُ مع الأمْرِ لَهُ بمَعْرِفَتِهِ. ويمكن أن يكون ﷺ إنما قال ذلك قبل المعراجِ وقَبْلَ رُؤْيَةِ اللهِ تعالىٰ استبعادًا منه لرؤيته في دارِ المِحْنَة، ثم رآه بعدَ ذلك ليلة المعراج. (هداية المسترشدين، ج١/ص٥٦).

(١) قال الإمام **أبو القاسِمِ سَلْمَان الأنْصاريُّ** (ت٥١٢هـ): وأقوىٰ مُتَمَسَّكٍ لأصحابنا في جوازِ رؤية الله تعالىٰ اختلافُ الصَّحابةِ في أنَّ النبيَّ ﷺ هَلْ رَأَىٰ ربَّهُ ليلةَ المعراج؟ واختلافهمْ في الوقوعِ دليلٌ علىٰ اتفاقهمْ علىٰ الجَوَاز، فإنّ ما يستحيل كونُهُ لا يُتَصَوَّرُ الاخْتِلَافُ في وُقُوعِهِ. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٣١١).

(٢) ذكرَ **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): هذا الاستدلالَ فقال: لو كانت الصحابةُ أو مَن بعدهم من التابعين اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الآخرة لعَلِمْنا ذلك علمًا لا يُمْكِنُ ردُّه وجَحْدُهُ، كما أنها لما اختلفت في رؤية النبي ﷺ في الدنيا وخالَفَ ابن عباسٍ عائشةَ في إنكارِهَا اشْتَهَرَ هذا وظهرَ ولم يخْفَ علىٰ الرُّواةِ وحملَةِ الآثارِ، فكذلك لو كانُوا مختلفين في رؤيةِ الله تعالىٰ في المعادِ لوجبَ ظهورُ ذلك ونقْلهُ. (هداية المسترشدين، ج١/ص٤٣).

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ بِالأَبْصَارِ أَنَّهُ لَيْسَ مَوْجُودٌ إِلَّا وَجَائِزٌ أَنْ يُرِينَاهُ اللهُ ﷻ[١]، وَإِنَّمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَىٰ المَعْدُومُ[٢]، فَلَمَّا كَانَ اللهُ ﷻ مَوْجُودًا مُثْبَتًا كَانَ غَيْرَ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يُرِينَا نَفْسَهُ ﷻ.

وَإِنَّمَا أَرَادَ مَنْ نَفَىٰ رُؤْيَةَ اللهِ ﷻ بِالأَبْصَارِ التَّعْطِيلَ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهُمْ أَنْ يُظْهِرُوا التَّعْطِيلَ صُرَاحًا أَظْهَرُوا مَا يَؤُولُ بِهِمْ إِلَىٰ التَّعْطِيلِ وَالجُحُودِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ رُؤْيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ بِالأَبْصَارِ أَنَّ اللهَ ﷻ يَرَىٰ الأَشْيَاءَ، وَإِذَا كَانَ لِلْأَشْيَاءِ رَائِيًا فَلَا يَرَىٰ الأَشْيَاءَ مَنْ لَا يَرَىٰ نَفْسَهُ، وَإِذَا كَانَ لِنَفْسِهِ رَائِيًا فَجَائِزٌ أَنْ يُرِينَا نَفْسَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَا يَعْلَمْ نَفْسَهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، فَلَمَّا كَانَ ﷻ عَالِمًا بِالأَشْيَاءِ كَانَ عَالِمًا بِنَفْسِهِ، فَكَذَلِكَ مَنْ لَا يَرَىٰ نَفْسَهُ لَا يَرَىٰ الأَشْيَاءَ، فَلَمَّا كَانَ رَائِيًا لِلْأَشْيَاءِ كَانَ رَائِيًا لِنَفْسِهِ، وَإِذَا كَانَ رَائِيًا لَهَا فَجَائِزٌ أَنْ يُرِينَا نَفْسَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَالِمًا بِنَفْسِهِ جَازَ أَنْ يُعْلِمَنَاهَا[٣].

---

(١) قال الأستاذُ أبو بكر بن فُورَك (ت٤٠٣هـ) عن الشيخ أبي الحسن: كان يَجْعَلُ العلَّةَ في جواز رُؤْيَةِ ما يُرَىٰ وجودَهُ. (المجرّد، ص٨٠).

(٢) قال الأستاذُ أبو بكر بن فُورَك (ت٤٠٣هـ) عن الشيخ أبي الحسن: وكان يذهبُ إلى إحالةِ رؤيةِ المعدومِ. (المجرّد، ص٨١).

(٣) ذكرَ الإمامُ أبو القاسِم سَلْمان الأنصاريُّ (ت٥١٢هـ): هذه الطريقة لأهل السنَّةِ فقال: ومِمَّا تمسكوا به في جوازِ رؤية الله تعالى أن قالوا: إنَّ البارئَ تعالى لو لمْ يَرَ نفسَهُ لم يَرَ غيْرَهُ؛ إذ يستحيلُ أن يرى الرائي غيرَهُ ولا يَرَىٰ نفسَهُ، ومَنِ اعترفَ منهم بأنَّه سبحانَهُ يَرَىٰ نَفْسَه فنقول له:=

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَيَرَاهُمَا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ ﷻ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَىٰ بِالأَبْصَارِ يَلْزَمُهُ أَنْ لَا يَجُوزَ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ رَائِيًا وَلَا عَالِمًا وَلَا قَادِرًا؛ لِأَنَّ العَالِمَ القَادِرَ الرَّائِيَ جَائِزٌ أَنْ يُرَىٰ.

مَسْأَلَةٌ:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ**» يَعْنِي: تَعْلَمُونَ رَبَّكُمُ اضْطِرَارًا.

قِيلَ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ هَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ البِشَارَةِ، فَقَالَ: «**فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ اللهَ ﷻ**»[(١)]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُبَشِّرَهُمْ بِأَمْرٍ يَشْرَكُهُمْ فِيهِ الكُفَّارُ، عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»، وَلَيْسَ يَعْنِي رُؤْيَةً دُونَ رُؤْيَةٍ، بَلْ ذَلِكَ عَامٌّ فِي رُؤْيَةِ العَيْنِ وَرُؤْيَةِ القَلْبِ.

دَلِيلٌ آخَرُ:

إِنَّ المُسْلِمِينَ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّ الجَنَّةَ فِيهَا «**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[(٢)] مِنَ العَيْشِ السَّلِيمِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، وَلَيْسَ نَعِيمٌ فِي الجَنَّةِ أَفْضَلَ مِنْ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ بِالأَبْصَارِ.

وَأَكْثَرُ مَنْ عَبَدَ اللهَ ﷻ عَبَدَه لِلنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ

= كلُّ صفةٍ جازَ أن تتعلَّقَ من نفسِ القديمِ سبحانه بنفْسِه جازَ أن تتعلَّقَ من غيره بهِ، كالعلمِ والذِّكْرِ والخَبَرِ، وعَكْسُهُ القدرةُ والإرادةُ. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٢٩٧).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٩٥).

(٢) جزء من حديث الصحيحين (البخاري: ٣٢٤٤) و(مسلم: ٢٨٢٤).

أَفْضَلَ مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَكَانَتْ رُؤْيَةُ نَبِيِّ اللهِ أَفْضَلَ لَذَّاتِ الجَنَّةِ، كَانَتْ رُؤْيَةُ اللهِ ﷻ أَفْضَلَ مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّهِ عليه السلام.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَحْرِمِ اللهُ أَنْبِيَاءَهُ المُرْسَلِينَ وَمَلَائِكَتَهُ المُقَرَّبِينَ وَجَمَاعَةَ المُؤْمِنِينَ وَالصِّدِّيقِينَ النَّظَرَ إِلَىٰ وَجْهِهِ ﷻ[١]، **وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ لَا تُؤَثِّرُ فِي المَرْئِيِّ**[٢]؛ **لِأَنَّ رُؤْيَةَ الرَّائِي تَقُومُ بِهِ**.

فَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا، وَكَانَتِ الرُّؤْيَةُ لَا تُؤَثِّرُ فِي المَرْئِيِّ، **لَمْ تُوجِبْ تَشْبِيهًا، وَلَا انْقِلَابًا عَنْ حَقِيقَةٍ**[٣]، وَلَمْ يَسْتَحِلْ عَلَىٰ اللهِ ﷻ أَنْ يُرِيَ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ نَفْسَهُ

---

(١) هذا النصُّ الدالُّ علىٰ رؤية الملائكة لله تبارك وتعالى نقله السيوطيُّ في كتاب «**الحبائك في أخبار الملائك**» وقال في أوَّلِه: نصَّ عليه إمامُ أهل السُّنة والجماعةِ الشيخُ أبو الحسَنِ الأشعري فقال في كتاب «**الإبانة فِي أُصولِ الدِّيَانَة**». (ج١/ص٢٦٥) ومثلهُ قول العلامة القسطلاني: الأقوىٰ أنَّ الملائكةَ يرَوْنَ اللهَ ﷻ كما نصَّ عليه أبو الحسن الأشعريُّ في كتابه «**الإبانة**» فقال: أفضل لذَّات الجنَّة رُؤْيَةُ اللهِ تعالىٰ، ثمَّ رؤية نبيِّه ﷺ، فلذلك لم يَحْرِمِ اللهُ أنبياءَه المرسلين وملائِكتَهُ المُقرَّبين وجماعةَ المؤمنين والصِّدِّيقين النَّظر إلىٰ وَجْهِهِ الكريم. (إرشاد الساري، ج١٠/ص٤١٠).

(٢) ذكرَ الإمامُ **أبو القاسِم سَلْمَان الأنْصاريُّ (ت٥١٢هـ)**: هذه الطريقة لأهل السنَّةِ في إثباتِ جوازِ رؤية اللهِ تعالىٰ فقال: ومِمَّا تَمَسَّكُوا به أيضًا أن قالوا: الرُّؤيةُ لا تؤثِّرُ في المرئيِّ كالعِلْمِ والخَبَرِ، **وكلُّ صفةٍ لا تؤثِّرُ في متعلَّقِهَا لا امتناعَ في تعلقُها بالباريءِ تعالىٰ كالعلمِ والخبر، وعكسُهُ القدرة والإرادةُ**. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٢٩٧).

(٣) وقال **الأستاذُ عبد القاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)**: «ذكرَ شيخُنا **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه **في كتابه في الرؤية** أنَّ الصِّفة التي يَسْتَحِيلُ وصفُ الباريءِ ﷻ بها هي الَّتِي تُوجِبُ: حُدوثَهُ، أو حُدُوثَ مَعْنًى فيه، أو قَلْبَهُ عن حَقِيقَتِهِ، أو تَكْذِيبَهُ في خَبَرِهِ، أو تَجْوِيرَهُ في فِعْلِهِ». ثم قال بعد شرحِ هذه الأقسام الخمسة بالتفصيل: وإذا لم تَدْخُلِ الرؤيةُ في أحدِ هذه الأقسامِ لم تكنْ مستحيلةً. (تفسير الأسماء والصفات، ج١/ص٣٣٣)

وقال الشيخ **أبو الحسَن الأشعريُّ** رضي الله عنه في «**اللمع**»: فإن قال قائل: فهل شاهدتم مَرْئِيًّا إلا جَوْهرًا أو عَرَضًا، مَحْدُودًا أو حالًّا في مَحدُود؟ قِيلَ له: لا، **ولم يَكُنِ المرئيُّ مرئيًّا لأنَّهُ مَحْدُودٌ، ولا لأنه حالٌّ في محدُودٍ، ولا لأنه جوهرٌ، ولا لأنَّه عرضٌ**، فلمَّا لم يكنْ ذلك كذلك لم يَجِبِ=

فِي جَنَّاتِهِ(١).

مَسْأَلَةٌ فِي الرُّؤْيَةِ:

احْتَجَّتِ المُعْتَزِلَةُ فِي أَنَّ اللهَ ﷻ لَا يُرَىٰ بِالأَبْصَارِ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قَالُوا: فَلَمَّا عَطَفَ اللهُ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، وَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ عَلَىٰ العُمُومِ أَنَّهُ يُدْرِكُهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنَّهُ يَرَاهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، كَانَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَا تَرَاهُ الأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَكَانَ فِي العُمُومِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ لِأَنَّ أَحَدَ الكَلَامَيْنِ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ الآخَرِ.

= القضاءُ بذلك على الغائب، كما لم يجبْ إذا لم نَجدْ فاعلا إلا جِسْمًا ولا شيئا إلا جوهرًا أو عَرَضًا، ولا عالما قادرا حيًّا إلّا بعلمٍ وحياةٍ وقدرةٍ محدَثةٍ أن نقضي بذلك على الغائبِ؛ إذ لم يكنْ الفاعلُ فاعلًا لأنه جسمٌ، ولا الشَّيْءُ شيئًا لأنه جوهرٌ أو عرَضٌ. (اللمع، ص٣٦).

(١) هذا الاستدلالُ نسبَهُ **الإمام أبو القاسم الأنصاري (ت٥١٢هـ)** للشيخ **أبي الحسن الأشْعَري** رضي الله عنه فقال: الطريقةُ الثانية لأصحابنا في إثباتِ جواز الرؤيةِ وهي ما اعتمدَهُ أبو الحسَنِ وجوَّزهُ في معظمِ مصنفاته، ومحصولها أن قال: رؤيةُ اللهِ سبحانه إما أن تكون من الجائزات أو من المستحيلاتِ، ولا واسطةَ بين القسمين، قال: ووجوهُ الاستحالاتِ مضبوطةٌ، وجميعُها مرتفعةٌ عن هذا الحُكمِ، فوجبَ أن يكون ذلك داخلا في حكمِ الجوازِ. وعبَّر **القاضي الباقلاني** عن هذه الطريقةِ بعبارةٍ وجيزةٍ فقال: الرؤيةُ لا تقتضي استحالةً في وصفِ القديمِ سبحانه، ولا في صفة الحادثِ، ولا تتضمَّنُ قلبَ حقيقةٍ ولا تغييرَ صفةٍ واجبةٍ، فوجبَ القضاءُ بجَوازِها. وقال أبو الحسنِ: ووجوهُ الاستحالةِ شتَّىٰ، ويجمَعُهَا شيئانِ: حدوثُ المرئِيِّ، أو حدوثُ مَعْنًىٰ فيه، وإنما يمتنعُ حدوثُ معْنًىٰ فيه سبحانه لأنه يُؤَدِّي إلىٰ حدوثهِ، وذلك مستحيلٌ علىٰ القديم. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٢٩٠).

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: فَيَجِبُ إِذَا كَانَ عُمُومُ القَوْلَيْنِ وَاحِدًا، وَكَانَتِ الأَبْصَارُ أَبْصَارَ العُيُونِ وَأَبْصَارَ القُلُوبِ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وَقَالَ: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥]، فَأَرَادَ أَبْصَارَ القُلُوبِ، وَهِيَ الَّتِي يَفْضُلُ بِهَا المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ، وَيَقُولُ أَهْلُ اللُّغَةِ: «فُلَانٌ بَصِيرٌ بِصِنَاعَتِهِ»، يُرِيدُونَ بَصَرَ العِلْمِ، وَيَقُولُونَ: «قَدْ أَبْصَرْتُهُ بِقَلْبِي»، كَمَا يَقُولُونَ: «قَدْ أَبْصَرْتُهُ بِعَيْنِي»، فَإِذَا كَانَ البَصَرُ بَصَرَ العَيْنِ وَبَصَرَ القُلُوبِ، ثُمَّ أَوْجَبُوا عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فِي العُمُومِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لِأَنَّ أَحَدَ الكَلَامَيْنِ مَعْطُوفٌ عَلَى الآخَرِ، وَجَبَ عَلَيْهِمْ ـ بِحُجَّتِهِمْ ـ أَنَّ اللهَ ﷻ لَا يُدْرَكُ بِأَبْصَارِ العُيُونِ وَلَا بِأَبْصَارِ القُلُوبِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فِي العُمُومِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ هَكَذَا فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أَخَصَّ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، وَانْتَقَضَ احْتِجَاجُهُمْ.

وَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ خَاصًّا فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، لَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ خَاصًّا فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، وَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ.

فَإِنْ جَعَلْتُمْ قَوْلَهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ خَاصًّا رَجَعَ احْتِجَاجُكُمْ عَلَيْكُمْ، وَقِيلَ لَكُمْ: إِذَا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ خَاصًّا، وَلَمْ يَجِبْ خُصُوصُ هَذِهِ الآيَاتِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ إِنَّمَا أَرَادَ:

فِي الدُّنْيَا، دُونَ الآخِرَةِ؟! كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أَرَادَ: بَعْضُ الأَبْصَارِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَا يُوجِبُ ذَلِكَ تَخْصِيصَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي عَارَضْتُمُونَا بِهَا[1].

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يُوجِبُ أَنْ لَا يُدْرَكَ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَيْسَ يَنْفِي ذَلِكَ أَنْ نَرَاهُ بِقُلُوبِنَا وَنُبْصِرَهُ بِهَا وَلَا نُدْرِكَهُ بِهَا.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ المَعْنَىٰ: لَا نُدْرِكُهُ بِأَبْصَارِ العُيُونِ؛ وَلَا يَجِبُ إِذَا لَمْ نُدْرِكْهُ بِهَا أَنْ لَا نَرَاهُ بِهَا؟! فَرُؤْيَتُنَا لَهُ بِالعُيُونِ وَإِبْصَارُنَا لَهُ بِهَا لَيْسَ بِإِدْرَاكٍ لَهُ بِهَا، كَمَا أَنَّ إِبْصَارَنَا لَهُ بِالقُلُوبِ وَرُؤْيَتَنَا لَهُ بِهَا لَيْسَ بِإِدْرَاكٍ لَهُ بِهَا[2].

---

(١) هذا الاعتراضُ الذي أورده الشيخ أبو الحسن الأشعري ﷺ على المُعتزلة يتضمَّنُ استدلالًا حكاهُ عنه **الإمام أبو القاسمِ الأنصاري (ت٥١٢هـ)** فقال: قال شيخُنا **أبو الحسَنِ** ﷺ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] آيةٌ مطلقةٌ مترددة بين مقيَّدَيْن، فإما أن نقدّر فيها إطلاقا في الزمان، وقوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] مقيَّدٌ بزمانٍ، والمُطلَقُ محمولٌ على المقيَّدِ في الحكمِ الواحدِ، فكأنه قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ في الدنيا، وتُدْرِكُهُ أبْصارُ المؤمنين في الآخرةِ، وإما أن نقدّر الإطلاق في الرائينَ، ثم في كتاب الله تعالى آيتانِ مقيَّدتان في النفي والإثباتِ، فالتي في الإثباتِ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، والتي في النَّفْي قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فكان المعنى: لا تدركُهُ أبصارُ الكُفّارِ في جميع الأوقات، ويراهُ المؤمنونَ في الآخرةِ، فتعيَّنَ حملُ المُطْلَقِ في النفيِ على المقيَّدِ. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٣١٤).

(٢) هذا مبنيٌّ على أن الإدْراكَ أخصُّ مِنَ الرُّؤْيَة وأنَّهُ رُؤْيَةٌ مع إحاطةٍ بالمَرْئيِّ، ولا يلزمُ من نفي الأخصِّ نفيُ الأعمِّ، قال **الإمام أبو الحسن الواحديُّ (ت٤٦٨هـ)**: قال أصحابُنا: الباريُ تعالى يُرَىٰ ولا يُدْرَكُ؛ لأنَّ مَعْنَى الإدْراك هو إحاطَةُ الرُّؤْيَةِ بالمَرْئِيِّ، وإنَّما يجوز ذلك على مَنْ كانَ مَحْدُودًا ولَهُ جِهَاتٌ، والقَدِيمُ الَّذِي لا نِهايَةَ لوُجُودِهِ يُرَىٰ ولكِنْ لا يُدرك، وعلى هذا القول فقَدْ قُلْنَا بظَاهِرِ الآيَة. (التفسير البسيط، ج٨/ص٣٣٢) وقد فصّل **الإمام الطبري (ت٣١٠هـ)** هذا المعنى في تفسيره إلى أن قال: إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَنْظُرُونَ بِأَبْصَارِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَىٰ اللهِ وَلَا يُدْرِكُونَهُ بِهَا. (جامع البيان، ج٩/ص٤٥٩).

فَإِنْ قَالُوا: رُؤْيَةُ البَصَرِ هِيَ إِدْرَاكُ البَصَرِ.

قِيلَ لَهُمْ: مَا الفَرْقُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ مَنْ قَالَ: إِنَّ رُؤْيَةَ القَلْبِ وَإِبْصَارَهُ هُوَ إِدْرَاكُهُ وَإِحَاطَتُهُ؟! فَإِذَا كَانَ عِلْمُ القَلْبِ بِاللهِ ﷻ وَإِبْصَارُ القَلْبِ لَهُ وَرُؤْيَتُهُ إِيَّاهُ لَيْسَ بِإِحَاطَةٍ وَلَا إِدْرَاكٍ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ رُؤْيَةُ العُيُونِ وَإِبْصَارُهَا لِلَّهِ ﷻ لَيْسَ بِإِحَاطَةٍ وَلَا إِدْرَاكٍ؟!.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فِي العُمُومِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لِأَنَّ أَحَدَ الكَلَامَيْنِ مَعْطُوفٌ عَلَى الآخَرِ، فَخَبِّرُونَا: أَلَيْسَتِ الأَبْصَارُ وَالعُيُونُ لَا تُدْرِكُهُ رُؤْيَةً وَلَا لَمْسًا وَلَا ذَوْقًا وَلَا عَلَى وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ؟.

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: خَبِّرُونَا عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُدْرِكُهَا لَمْسًا وَذَوْقًا بِأَنْ يَلْمَسَهَا؟.

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: لَا.

يُقَالُ لَهُمْ: قَدِ انْتَقَضَ قَوْلُكُمْ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فِي العُمُومِ كَقَوْلِهِ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

مَسْأَلَةٌ:

إِنْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: إِنَّ البَصَرَ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ بَصَرُ العَيْنِ، لَا بَصَرُ القَلْبِ.

قِيلَ لَهُ: وَلِمَ زَعَمْتَ هَذَا وَقَدْ سَمَّى أَهْلُ اللُّغَةِ بَصَرَ القَلْبِ بَصَرًا، كَمَا سَمَّوْا بَصَرَ العَيْنِ بَصَرًا؟!

وَإِنْ جَازَ لَكَ مَا قُلْتَهُ، جَازَ لِغَيْرِكَ أَنْ يَزْعُمَ أَنَّ البَصَرَ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ بَصَرُ القَلْبِ دُونَ العَيْنِ، وَإِذَا لَمْ يَجُزْ هَذَا فَقَدْ وَجَبَ أَنَّ البَصَرَ بَصَرُ العَيْنِ وَبَصَرُ القَلْبِ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: حَدِّثُونَا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣] مَا مَعْنَاهُ؟

فَإِنْ قَالُوا: مَعْنَى ﴿يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ أَنَّهُ يَعْلَمُهَا.

قِيلَ لَهُمْ: وَإِذَا كَانَ أَحَدُ الكَلَامَيْنِ مَعْطُوفًا عَلَى الآخَرِ، وَكَانَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣] مَعْنَاهُ يَعْلَمُهَا، فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لَا تَعْلَمُهُ، وَهَذَا نَفْيٌ لِلْعِلْمِ، لَا لِرُؤْيَةِ الأَبْصَارِ(١).

---

(١) لخَّص الإمامُ **أبو القاسم سَلْمَان الأنْصاريُّ (ت٥١٢هـ)** هذَا الاعتراضَ على معتزلة البَصْرَةِ الذين يُحِيلُونَ أنْ تُرَى الأبْصارُ مطلقًا لأنها ليست من قبيل المرئياتِ بأن قيل لهم: ما معنَى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإن قالوا: معناهُ: وهو يَعْلَمُها. قُلْنَا: فاحْمِلُوا إدْرَاكَ الخَلْقِ أيضًا على العِلْمِ، وإذا تطرَّقَ إلى الآيةِ وَجْهٌ مِن التجوُّزِ صارتْ مُجْمَلةً وسَقَطَ الاستدلالُ بها. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٢٩٧).

فَإِنْ قَالُوا: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَنَّهُ يَرَاهَا رُؤْيَةً لَيْسَ مَعْنَاهَا العِلْمُ.

قِيلَ لَهُمْ: فَالأَبْصَارُ الَّتِي فِي العُيُونِ يَجُوزُ أَنْ تُرَىٰ؟.

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، نَقَضُوا قَوْلَهُمْ: «إِنَّا لَا نَرَىٰ بِالبَصَرِ إِلَّا مَا هُوَ مِنْ جِنْسِ مَا نَرَىٰ السَّاعَةَ»، فَإِنْ جَازَ أَنْ يُرِيَنَا اللهُ مَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِ المَرْئِيَّاتِ ـ وَهُوَ الإِبْصَارُ الَّذِي فِي العَيْنِ ـ فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرِيَنَا نَفْسَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ المَرْئِيَّاتِ؟!

وَيُقَالُ لَهُمْ: حَدِّثُونَا إِذَا رَأَيْنَا شَيْئًا فَبَصَرُنَا يَرَاهُ؟ أَوْ إِنَّمَا يَرَاهُ الرَّائِي دُونَ البَصَرِ؟

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَرَىٰ البَصَرُ الَّذِي فِي العَيْنِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: الآيَةُ تَنْفِي أَنْ تَرَاهُ الأَبْصَارُ، وَلَا تَنْفِي أَنْ يَرَاهُ المُبْصِرُونَ، وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ المُبْصِرِينَ يَرَوْنَهُ عَلَىٰ ظَاهِرِ الآيَةِ.

بَابُ

الكَلَامِ فِي أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقٍ(١)

❁ **إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ** عَنِ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

❁ **قِيلَ لَهُ**: الدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، وَأَمْرُ اللهِ هُوَ كَلامُهُ وَقَوْلُهُ، فَلَمَّا أَمَرَهُمَا بِالقِيَامِ فَقَامَتَا لَا يَهْوِيَانِ كَانَ قِيَامُهُمَا بِأَمْرِهِ(٢).

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَـ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ جَمِيعُ مَا خُلِقَ دَاخِلٌ فِيهِ؛ لِأَنَّ الكَلَامَ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ عَامًّا فَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ عَامٌّ، **وَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُزِيلَ الكَلَامَ عَنْ حَقِيقَتِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ**، فَلَمَّا قَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [الأعراف: ٥٤] كَانَ هَذَا فِي جَمِيعِ الخَلْقِ، وَلَمَّا قَالَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ذَكَرَ

---

(١) قال **أبو داود**: سمعتُ العنبريَّ (ت٢٤٠هـ) قال: سمعتُ أبا الوليد (ت٢٢٧هـ) يقول: **القرآنُ كلامُ الله، لَيْسَ بِبائِنٍ مِنَ اللهِ**. (مسائل أحمد، رقم: ١٧١٧ ـ وفي السُّنة أيضا للخلال، رقم: ٢٠٠٠).
وأبو الوليد: هو هشامُ بن عبد الملكِ الباهلي الطيالسي، أحد أكابر أئمة السنَّةِ من أتباع التابعين. وقال الإمام المحدِّثُ الحافظُ **عمران بن موسىٰ بن مُشاجع الجرجاني (ت٣٠٥هـ)**: سمعتُ سُوَيد بنَ سعيدٍ يقول: سمعتُ مالكاً، وَشريكًا، وَحمّادَ بنَ زَيدٍ، وَابْنَ عُيينةَ، وَالفُضيْلَ بنَ عِياضٍ، وَمُسلمَ بنَ خالدٍ، وابنَ إدريسَ، وَجَميعَ مَنْ حَملتُ عَنهُ العِلمَ يَقولونَ: الإيمانُ قَولٌ وَعَملٌ يزيدُ وَيَنقُصُ، **وَالقُرْآنُ كَلامُ اللهِ مِنْ صِفَةِ ذَاتِهِ، غَيْرُ مَخْلُوْقٍ، مَنْ قَالَ: «إِنَّهُ مَخْلُوقٌ» فَهُو كافِرٌ**. قَالَ عِمرانُ: بِهذا أَدِينُ، وما رَأَيتُ مُحدِّثاً إِلّا وَهُو يَقُولُهُ. (سير أعلام النبلاء، ج١٤/ص١٣٧).

(٢) قال **ابْنُ بَطَّة الحَنْبَليُّ** (ت٣٨٧هـ): قال: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] ولم يَقُلْ: بِخَلْقِه؛ لأنه لو قامتْ بخَلْقِه لَمَا كان ذلك مِن آيات اللهِ ولا مِنْ مُعْجِزات قُدْرَتِه، ولكن من آياتِ اللهِ أن يقومَ المخلوق بالخالِقِ، وبِأَمْرِ اللهِ قامَ المخلوقُ. (الإبانة، ج٢/ص١٦٩).

أَمْرًا غَيْرَ جَمِيعِ الخَلْقِ، فَدَلَّ مَا وَصَفْنَا عَلَىٰ أَنَّ أَمْرَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ(١).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]؟.

قِيلَ لَهُ: نَحْنُ نَخُصُّ القُرْآنَ بِالإِجْمَاعِ وَبِالدَّلِيلِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ ﷻ نَفْسَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَلَمْ يُدْخِلْ فِي ذِكْرِ المَلَائِكَةِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِنْ كَانَا مِنَ المَلَائِكَةِ، ذَكَرَهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ إِلَّا جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، ثُمَّ ذَكَرَهُمَا بَعْدَ ذِكْرِ المَلَائِكَةِ فَقَالَ: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾.

وَلَمَّا قَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَلَمْ يَخُصَّ قَوْلَهُ:

---

(١) هذا الاستدلال منقولٌ عن الإمام سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَة (ت١٩٨هـ) رحمه الله، فقد أخرج ابن أبي حاتمٍ (ت٢٧٧هـ) في تفسيره عنهُ أنه قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]: الخَلْقُ هُوَ الخَلْقُ، وَالأَمْرُ هُوَ الكلامُ. (تفسير بن أبي حاتم، ج٥/ص١٤٩٨) وهو من الأدلّة التي تمسّكَ بها الإمام أحمدُ أيّامَ المِحْنَة وثبتَ عنه في رسالتِه للمُتوكِّل، حكىٰ ذلك عنه ابنُهُ أبو الفضل صالح وهو أصح ما وصلنا من أخبار الإمام أحْمَد، فإنَّه ذَكَرَ فيها الآيَةَ وقال: «فأخْبَرَ بِالخَلْقِ، ثمَّ قَالَ: ﴿وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ **فأخبر أن الأمرَ غيرُ مَخْلُوق**. (سيرة الإمام أحمد، ص١١٦) وروىٰ أبو بكر الخلال (ت٣١١هـ) أيضًا بسَنَدٍ صحيح عن الإمام أحمد أنه قال: الذي أَعْتَقِدُه وأذْهَبُ إليه ولا أَشُكُّ فيه أنَّ القرآن غَيْرُ مخلوقٍ، ثم قال: سبحان الله! ومن يشك في هذا؟! ثم تكلم أبو عبد الله استعظامًا للشَّكِّ في ذلك فقال: سُبحان الله! أَفِي هذَا شكٌّ؟! قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **ففرّقَ بَيْنَ الخَلْقِ والأَمْر**. (السُّنة لأبي بكر الخلال، ج٥/ص١٣٨) ثم توافَقَ أئمةُ أهل السُّنَّة علىٰ ذكر هذا الدليل، فمن ذلك **قول القَاضِي أَبِي بَكْرٍ البَاقِلَّانِيِّ (ت٤٠٣هـ)**: وَٱلَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ نَفْيِ خَلْقِ القُرْآنِ ـ مِنَ القُرْآنِ ـ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ القُرْآنُ مَخْلُوقًا لَكَانَ خَلْقًا ـ لِأَنَّ الخَلْقَ هُوَ المَخْلُوقُ، فَيَصِيرُ تَقْدِيرُ القَوْلِ: أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ، وَذَلِكَ عِيٌّ مِنَ الكَلامِ مُسْتَهْجَنٌ مُسْتَغَثٌّ، وَٱللهُ يَتَعَالَىٰ عَنِ التَّكَلُّمِ وَالإِخْبَارِ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ الخَلْقَ. (التمهيد، ص٢٤٠).

﴿ٱلْخَلْقُ﴾ دَلِيلٌ، كَانَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فِي جَمِيعِ الخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِهِ الخَلْقَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَأَبَانَ[١] الأَمْرَ مِنَ الخَلْقِ، وَأَمْرُ اللهِ كَلَامُهُ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ الأَمْرَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ[٢].

دَلِيلٌ آخَرُ[٣]:

(١) أي: غايَرَ وفرَّقَ.

(٢) أوْرَدَ **الحافظ البيهقيُّ** هذا الدليل بعين هذه الألفاظ دونَ عزوٍ للشيخ أبي الحسن رضي الله عنه. (الاعتقاد، ص١٤٢) وَقَالَ في الأسماء والصفات: ظاهرهُ يدلُّ على أنَّ أمرَهُ قبلَ كلِّ شيءٍ، ويبقى بعدَ كلِّ شيءٍ سواهُ، وما هذا صفتُهُ لا يكونُ إلا قديمًا. (الأسماء والصفات، ج١/ص٧٤٨) وَأوردَ الشيخُ **ابْنُ بَطَّة الحَنْبَليُّ (ت٣٨٧هـ)** هذا الدليل بنحو من ألفاظ الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه. (الإبانة، ج٢/ص١٧٠).

(٣) وهو عينُ الدليل الذي اعتمدَهُ **الشيخ أبو الحَسَنِ الأشعريِّ (ت٣٢٧هـ)** في «**اللُّمَع**» إذ قال: إن قال قائل: لم قلتمْ: إن الله تعالى لم يزلْ متكلِّما، وإن كلامَ الله تعالى غير مخلوق؟ قيل له: قلنا ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَلَوْ كَانَ القرآنُ مخلوقًا لكان الله تعالى قائلا له: كُنْ، والقُرْآنُ قَوْلُهُ، ويستحيل أن يكون قوْله مَقُولًا لَهُ «كُنْ»؛ لأن هذا يُوجِبُ قَوْلًا ثَانِيًا، والقولُ في القول الثاني وفي تعَلُّقِه بقَوْلٍ ثالِثٍ كالقَوْل في القَوْل الأوَّلِ وتعَلُّقِه بقَوْلٍ ثانٍ، **وهذا يقْتَضِي ما لا نِهايَة له مِن الأقْوال** وذلك فاسدٌ، وإذا فسدَ ذلك فسَدَ أنْ يَكُونَ القُرْآن مَخلوقًا. (اللمع، ص١٥).

وهذا الدليل قرّره جمعٌ من الأئمة منهم **الإمامُ أبو بكرِ بنُ خُزَيْمَة (ت٣١١هـ)** فقال: قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فأعلمنا جَلَّ وعَلَا أنه يُكَوِّنُ كلَّ مُكَوَّنٍ مِن خَلْقِه بقَوْلِه ﴿كُن﴾، وَقولُه: ﴿كُن﴾ هُوَ كلامُهُ الَّذِي به يُكَوِّنُ الخَلْقَ، **وكلامُهُ ﷻ الذي به يُكَوِّنُ الخَلْقُ غيْرُ الخَلْقِ الذي يكُونُ مُكَوَّنًا بكلامِه**، فافْهَمْ ولا تغْلط ولا تُغالِط، ومَنْ عقَلَ عنِ اللهِ خطابَه عَلِمَ أنَّ اللهَ سُبحانَه لمَّا أعْلَمَ عبادَه المؤمنين أنه يُكَوِّنُ الشَّيْءَ بقَوْله: ﴿كُن﴾ أنَّ القوْلَ الذي هو ﴿كُن﴾ غيرُ المُكوَّنِ بـ﴿كُن﴾ المَقُولِ له ﴿كُن﴾،=

وَمِمَّا يَدُلُّ ـ مِنْ كِتَابِ اللهِ ـ عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَلَوْ كَانَ القُرْآنُ مَخْلُوقًا لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَقُولًا لَهُ: «كُنْ»، وَلَوْ كَانَ اللهُ ﷻ قَائِلًا لِلْقَوْلِ: «كُنْ» لَكَانَ لِلْقَوْلِ قَوْلٌ، وَهَذَا يُوجِبُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:

[١] ـ إِمَّا أَنْ يؤُولَ الأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ قَوْلَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

[٢] ـ أَوْ يَكُونَ كُلُّ قَوْلٍ وَاقِعًا بِقَوْلٍ لَا إِلَىٰ غَايَةٍ، وَذَلِكَ مُحَالٌ[1].

= وعقَلَ عَنِ الله أنّ قولَهُ: ﴿كُن﴾ لو كانَ خَلْقًا ـ علىٰ ما زعمَتِ الجَهْمِيَّةُ المُفْتَرِيَةُ علىٰ اللهِ ـ كان اللُّ إنَّما يَخْلُقُ الخَلْقَ ويُكَوِّنُه بخَلْقٍ لَوْ كان قَوْلُه ﴿كُن﴾ خَلْقًا، فيقالُ لهم: يا جهلَة! فالقَوْلُ الّذي يُكَوِّنُ به الخَلْقَ ـ علىٰ زَعْمِكم ـ لو كانْ خَلْقًا ثُمَّ يُكَوِّنُهُ علىٰ أصْلِكُم أليْس قَوَدُ مقالتِكُم الذي تزعمون أنَّ قوله ﴿كُن﴾ إنَّما يَخْلُقه بقَوْلٍ قبْلَهُ، وهو عندكم خَلْقٌ، وذلك القَوْلُ يخْلُقُه بقَوْلٍ قبْلهُ، وهو خَلْقٌ، **حتىٰ يَصِيرَ إلىٰ ما لا نِهايَة له ولا عدَد ولا أوّل، وفي هذا إبطالُ تكْوِينِ الخَلْقِ وإنشاء البَرِيَّةِ وإحْداثِ ما لَمْ يَكُنْ قبْلَ أن يُحْدِثَ اللهُ الشَّيْءَ ويُنْشِئَهُ ويَخْلُقَهُ**، وهذا قول لا يتوَهَّمُهُ ذو لُبٍّ لو تَفَكَّرَ فيه ووُفِّقَ لإدراك الصواب والرَّشادِ. (كتاب التوحيد، ج١/ص٣٣٢).

(١) قال الخطيب البغداديُّ: أَخْبَرَنَا أَبُو سعد الإستراباذي، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيّ بْن مُحَمَّد الطيبي، قَالَ: قَالَ أَبُو نُعَيْم عَبْد الملك بْن مُحَمَّد: قُلْتُ للرَّبيعِ: سَمِعْتَ **البُوَيْطِيَّ (ت٢٣١هـ)** يَقُولُ: «إِنَّمَا خَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ بِـ«كُنْ»، فَإِنْ كَانَتْ «كُنْ» مَخْلُوقَةً فَمَخْلُوقٌ خَلَقَ مَخْلُوقًا؟!» قَالَ: نَعَمْ. (تاريخ بغداد، ج١٦/ص٤٣٩).

قال **اللالكائي**: من دلائل الكتاب من حيث الاستنباط قولُه ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، قال **البُوَيْطِيُّ (ت٢٣١هـ)**: إنَّما خلقَ **اللهُ كُلَّ شَيْءٍ** بـ«كُنْ»، فإن كانَتْ «كُنْ» مخلوقةً فمَخْلُوقٌ خلقَ مَخلُوقًا. قلتُ: وهذا ما يعبِّرُ عنه العلماءُ اليوم بقولهم: «كُنْ» الأوَّلُ إنْ كانَ مخلوقًا فهو مَخْلُوقٌ بـ«كن» أخرىٰ، **فهذا يُؤَدِّي إلىٰ ما لا يتناهَىٰ، وهو قَوْلٌ مُسْتَحِيلٌ**. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١/ص٣١٩).

وقال **قوام السُّنة أبو القاسم الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)** بعد إيراد كلام **البُوَيْطي**: قال العلماء: لوْ كان «كُنْ» الأوَّلُ مَخلوقًا فهو مخلوقٌ بأُخْرَىٰ، **وهذا يُؤَدِّي إلىٰ ما لا يتناهىٰ، وهو مستحيلٌ**.=

....

= (الحجة في بيان المحجة، ج١/ص٢٢٨) ثم قال **قوام السنَّةِ** في الردّ على القائلين بخَلق القرآن: ولأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَأخبر تَعالَى أنه كَوَّنَ الأَشْياء بـ﴿كُن﴾، فَلَو كَانَت ﴿كُن﴾ مَخْلوقةً لاحْتاجَتْ إِلَى ﴿كُن﴾ أُخْرَى تُخْلَقُ بها، وَالأُخْرَى إِلَى أُخْرَى، إِلَى مَا لَا نِهَايَة لَهُ، **فيُفْضِي إِلَى قِدَمِ المَخْلُوقَات**. (الحجة في بيان المحجَّة، ج٢/ص٢١٠).

وقال **أبو عبد الله بن مجاهد البصري** (٣٧٥هـ): وأجمعوا على أن أمرَهُ ﷻ وقَوْلَهُ غيرُ مُحدَثٍ ولا مخلوقٍ، وقد دلّ الله تعالى على صحة ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فبيّن بذلك أنَّ الأشياء المخلوقةَ تكُونُ شَيْئاً بعد أن لم تكن بقَوْله وإرَادَتِه، وأنّ قوله غَيْرُ الأشياء المخلوقةِ، مِن قِبَلِ أَنَّ أمْرَهُ تَعالى للأشياء وقوله لها: «كُوني» لو كان مخلوقاً لوجَبَ أن يكون قَدْ خَلَقَهُ بأمْرٍ آخَرَ، وذلك القولُ لو كان مخلوقاً لكانَ مخلوقاً بقول آخر، وهذا يوجب على قائله أحد شيئين: **إما أن يكون كُلُّ قَوْلٍ مُحْدَثٍ قد تقدَّمهُ قولٌ مُحْدَثٌ إلى ما لا نهاية له، وهذا قَوْلُ أهْلِ الدَّهْر بِعَيْنِه**، أوْ يكونَ ذلك الشيءُ حادثاً بغير أَمْرِه ﷻ لهُنّ، فبطل معنى الامتداح بذلك. (رسالة إلى أهل الثغر، ص ٢٢٣).

وقال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): ويدل على كون كلام الله قديماً غيْرَ مَخْلُوق من الكتاب أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فلَوْ أنَّ كلامَهُ مَخْلُوقٌ لاحْتاج في خَلْقِه إلى قوْلٍ يَقُولُ بِهِ كُنْ، واحتاج القَوْلُ إلى قَوْل ثالثٍ، والثالثُ إلى رابع، **إلى ما لا نهاية له، وهذا مُحالٌ باطل**، فثبت أن القول الذي تكون به الأشياء المخلوقة غير مخلوق، وهو كلامه القديم. (رسالة الحرة المطبوعة باسم الإنصاف، ص٦٢).

وقال **أبو القاسم القُشَيْرِيُّ** (ت٤٦٥هـ): الآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ إِذْ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ مَقُولًا لَهُ «كُنْ»، وكذَلِكَ القَوْلُ يَجِبُ أَنْ يكُونَ مَقُولًا لَهُ بِقَوْلٍ آخَرَ «كُنْ»، **وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَتَسَلْسَلَ، وَلَوْ تَسَلْسَلَ مَا تَحَصَّلَ**. (اللطائف، ج٢/ص٢٩٨).

وقال الشيخ **أبو محمد الأصبهاني بن اللبان الشافعي** (ت٤٦٦هـ): ويدل أيضا على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق ولا مُحدَث، وأنه قديمٌ: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فلو كان قوله مخلوقًا لكان قائلا له «كُنْ»، والكلام في القول الثاني إن كان مخلوقًا وفي القول الثالث والرابع إلى ما لا نهاية له كالكلام في القول الأول، فيؤدي إلى أن لا يَخْلُقَ اللهُ شيئا، وهذا لا يجوزُ، وإذا لم يَجُزْ هذا عُلِمَ أن الله أعلمنا بذلك أن الذي=

....

= كوّن به الأشياء غيرُ مُحْدَثٍ ولا مخلوقٍ ولا مقولٍ له: «كُنْ»، وثبت قدمُ كلامِهِ. (الكفاية في أصول الدين، ق٧٣/أ).

وقال الشيخ **أبو علي بن البنا الحنبلي البغدادي (ت٤٧١هـ)**: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فلو كانت ﴿كُن﴾ مخلوقةً لافتقرتْ إلىٰ لفظةٍ ثانية، إلىٰ ما لا نهاية له. (الردّ علىٰ المبتدعة، ص١١٧).

وقال **الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: «القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ ﷻ، وَكَلَامُ اللهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ مَخْلُوقاً وَلَا مُحْدَثاً وَلَا حَادِثاً». قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فلو كان القرآن مَخْلُوقًا لكانَ الله سبحانه قائلا له ﴿كُن﴾، والقرآنُ قَوْلُه، ويسْتَحِيلُ أن يكون قَوْلُه مقولاً له ﴿كُن﴾؛ لأن هذا يُوجِبُ قَوْلًا ثانِيًا، والقولُ في القول الثاني وفي تعلقه بقول ثالث كالأول، وهذا يُفْضِي إلىٰ ما لا نهاية له، وهو فاسِدٌ. (الاعتقاد، ص ٩٥).

وقال الإمام أبو إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ) قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فلَوْ كان قَوْلُهُ: «كُنْ» مَخْلُوقًا لافْتَقَر إلىٰ قولٍ قبلَهُ، وكذلك ما قبْلَهُ، ويُؤَدِّي ذلك إلىٰ التَّسَلْسُل وعدَمِ التناهي، ويؤدي ذلك إلىٰ عَدَمِ المَخْلُوقاتِ. (الإشارة إلىٰ مذهب أهل الحق، ص١٣٢).

وقال الإمام **أبو القاسم سلمان الأنْصاريُّ (ت٥١٢هـ)**: تمسك أئِمتنا في نَفْي خَلْق القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. قالوا: ولو كان قول الله تعالىٰ حادثا أيضا لكان في حكم الحوادث في أنه لم يحدث إلا بقول آخر سابق عليه، وهذا يؤدي إلىٰ إثبات أقوال حادثة لا نهاية لها، أو يفضي إلىٰ قول قديمٍ ليس بحادث. (شرح الإرشاد، ج٢/ص٨٩ ـ ٩٠) وذكره أيضا في الغنية (ج٢/ص٦٥٥) وراجع أيضا التمهيد للباقلاني (ص٢٤٠، ٢٤١) حيث فصَّل هذا الدليل.

قال الإمام **أبو الفرج بنُ الجوزي الحنبليُّ** (ت٥٩٧هـ) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]: **وقد اسْتَدَلَّ أصحابُنا علىٰ قِدَمِ القُرْآن** بقوله: ﴿كُن﴾ فقالوا: لو كانت ﴿كُن﴾ مَخْلُوقَةً لافْتَقَرَتْ إلىٰ إيجادِهَا بمِثْلِها، وتسَلْسَل ذلِكَ، والتّسَلْسُلُ مُحالٌ. (زاد المسير، ج١/ص١٠٤).

وَإِذَا اسْتَحَالَ ذَلِكَ صَحَّ وَثَبَتَ أَنَّ لِلَّهِ ﷻ قَوْلًا غَيْرَ مَخْلُوقٍ.

سُؤَالٌ:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَعْنَى قَوْلِ اللهِ: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾: إِنَّمَا نُكَوِّنُهُ ﴿فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

قِيلَ لَهُ: الظَّاهِرُ: «أَنْ نَقُولَ لَهُ»، **وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ اللهِ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا: «كُونِي» هُوَ الأَشْيَاءَ؛ لِأَنَّ هَذَا يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا كَلَامَ اللهِ ﷻ**، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ أَعْظَمَ الفِرْيَةَ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ شَيْءٍ فِي العَالَمِ - مِنْ إِنْسَانٍ وَفَرَسٍ وَحِمَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ - كَلَامَ اللهِ، وَفِي هَذَا مَا فِيهِ، فَلَمَّا اسْتَحَالَ ذَلِكَ صَحَّ أَنَّ قَوْلَ اللهِ لِلْأَشْيَاءِ: «كُونِي» غَيْرُهَا، وَإِذَا كَانَ غَيْرَ المَخْلُوقَاتِ فَقَدْ خَرَجَ كَلَامُ اللهِ ﷻ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا.

وَيَلْزَمُ مَنْ أَثْبَتَ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقًا أَنْ يُثْبِتَ اللهَ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ وَلَا قَائِلٍ، وَذَلِكَ فَاسِدٌ، كَمَا يَفْسُدُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُ اللهِ مَخْلُوقًا وَأَنْ يَكُونَ اللهُ غَيْرَ عَالِمٍ.

فَلَمَّا كَانَ اللهُ ﷻ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا؛ إِذْ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ بِخِلَافِ العِلْمِ مَوْصُوفًا، اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ بِخِلَافِ الكَلَامِ مَوْصُوفًا؛ **لِأَنَّ خِلَافَ الكَلَامِ** - الَّذِي لَا يَكُونُ مَعَهُ كَلَامٌ - **سُكُوتٌ أَوْ آفَةٌ**، كَمَا أَنَّ خِلَافَ العِلْمِ - الَّذِي لَا يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ - جَهْلٌ أَوْ شَكٌّ أَوْ آفَةٌ.

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُوصَفَ رَبُّنَا ﷻ بِخِلَافِ العِلْمِ، **وَكَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوصَفَ**

بِخِلَافِ الكَلَامِ مِنَ السُّكُوتِ(١) وَالآفَاتِ، فَوَجَبَ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا، كَمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا(٢).

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، فَلَوْ كَانَتِ البِحَارُ مِدَادًا يُكْتَبُ بِهِ لَنَفِدَتِ البِحَارُ وَتَكَسَّرَتِ الأَقْلَامُ **وَلَمْ يَلْحَقِ الفَنَاءُ كَلِمَاتِ رَبِّي، كَمَا لَا يَلْحَقُ الفَنَاءُ عِلْمَ اللهِ** ﷻ، لِأَنَّ مَنْ فَنِيَ كَلَامُهُ لَحِقَتْهُ الآفَاتُ **وَجَرَىٰ عَلَيْهِ السُّكُوتُ**، فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ عَلَىٰ رَبِّنَا ﷻ صَحَّ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا(٣)؛ لِأَنَّهُ **لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا وَجَبَ عَلَيْهِ السُّكُوتُ وَالآفَاتُ**، تَعَالَىٰ رَبُّنَا عَنْ قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ عُلُوًّا كَبِيرًا(٤).

---

(١) تنزيهُ الله تعالىٰ عن السُّكُوتِ ـ الذي هو ضدٌّ مِنْ أضْدَادِ صِفَةِ الكلامِ ـ هو اعتقادُ أهل السُّنة والجماعة، وقد قال **الإمَامُ أَبُو جَعْفَر الطَّبَرِيُّ (ت٣١٠هـ)** فِي وَصْفِ اللهِ ﷻ: «**هُوَ المُتَكَلِّمُ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ السُّكُوتُ**». (التبصير في معالم الدين، ص ١٢٨) وقال **الإمام أبو عَمْرٍو الدَّانِيُّ (ت٤٤٤هـ)** في ذِكْرِه لصفات الله تعالىٰ الذاتيَّة: **وَالكَلَامُ الَّذِي بَايَنَ بِهِ أَهْلَ السُّكُوتِ وَالخَرَسِ وَذَوِي الآفَاتِ**. (الرسالة الواعية، ص١٢١).

(٢) قرّر الشيخُ **أبو الحسَن الأشعريُّ** رضي الله عنه نحوَ هذَا الدليلِ في «**اللُّمَع**» بقوله: ومما يدلُّ من القياسِ علىٰ أن الله تعالىٰ لم يزلْ متكلِّمًا أنه لو كان لم يزلْ غير متكلِّمٍ وهو الآن ممن لا يستحيلُ عليه الكلامُ لكان موصوفًا بضدٍّ من أضدادِ الكلامِ من السكوتِ أو الآفةِ، ولو كان لم يزلْ موصوفًا بضدِّ الكلامِ لكان ضدُّ الكلامِ قديمًا، ولو كان ضدُّ الكلامِ قديمًا لاستحالَ أن يُعْدَمَ وأن يتكلَّمَ الباريُ لأن القديمَ لا يجوزُ عدمُهُ كما لا يجوزُ حدوثُهُ، فكان يجب أن لا يكون الباريُ تعالىٰ قائلا ولا آمرا ولا ناهيًا علىٰ وجهٍ من الوجوهِ، وهذا فاسدٌ عندنا وعندهمْ، وإذا فسدَ هذا صحَّ وثبتَ أن الباريَ لم يزلْ متكلِّما قائلا. (اللمع، ص١٧).

(٣) هذا الدليل نقلَهُ **البيهقيُّ (ت٤٥٨هـ)** من أوّله إلىٰ هنا دون عزوٍ للشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، ثم قال: قدْ نفىٰ النفادَ عن كلامِهِ كما نفىٰ الهلاكَ عن وَجْهه. (الاعتقاد، ص١٤٥).

(٤) قال **الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)**: قَالَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (ت٢٧٧هـ): حَدثَنَا أَبِي سَمِعت=

مَسْأَلَةٌ:

وَزَعَمَتِ الجَهْمِيَّةُ كَمَا زَعَمَتِ النَّصَارَىٰ لِأَنَّ النَّصَارَىٰ زَعَمَتْ أَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَوَاهَا بَطْنُ مَرْيَمَ(١)، وَزَادَتِ الجَهْمِيَّةُ عَلَيْهِمْ فَزَعَمَتْ أَنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ حَلَّ فِي شَجَرَةٍ(٢)، وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ حَاوِيَةً لَهُ.

فَلَزِمَهُمْ أَنْ تَكُونَ الشَّجَرَةُ بِذَلِكَ الكَلَامِ مُتَكَلِّمَةً، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنَّ مَخْلُوقًا مِنَ المَخْلُوقِينَ كَلَّمَ مُوسَىٰ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ قَالَتْ: يَا مُوسَىٰ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤].

فَلَوْ كَانَ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقًا فِي شَجَرَةٍ لَكَانَ المَخْلُوقُ قَالَ: يَا مُوسَىٰ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤](٣).

= بعض أَهْلَ الْعِلْمِ يَقُولُ: قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ **لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ لَهُ قَدْرٌ، وَكَانَتْ لَهُ غَايَةٌ، وَلَنَفِدَ كَنَفَادِ المَخْلُوقِينَ**. وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ. (فتح الباري، ج١٣/ص٤٤٥).

(١) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) وقالت المعتزلةُ بأسْرها: إنّ كلمةَ اللهِ تعالىٰ مخلوقةٌ، يَخْلُقها في الشَّجرة وغيرها مِن الأجسام، اتباعًا منهم للنصارىٰ في قولهم: إنَّ كلِمَةَ اللهِ مخلوقةٌ من وَجْهٍ، وحالَّةٌ في جسدٍ مخلوقٍ. (التمهيد، ص٢٥٣).

(٢) قال القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) حاكيا أقوال المعتزلة: وَجَحَدَ معْمَرٌ - شيخٌ من شيوخهم - أنْ يكون لِلَّهِ سبحانه كلامٌ، وزعمَ أن الكلامَ الذي سمعهُ مُوسَىٰ ﵇ كلامٌ للشجرةِ التي وُجِدَ بها، وأنه لم يأمرْ قطُّ ولم يَنْهَ عنْ شَيْءٍ ولا رغَّبَ في شَيْءٍ ولا زَجَرَ عنه ولا كلَّمَ أحدًا ولا أخْبَرَ بخَبَرٍ البتَّةَ. (التمهيد، ص٢٥٢).

(٣) وقال **أبو داود السجستاني** (ت٢٧٥هـ): حدَّثنا محَمَّد بنُ عبْد العزيز بن أبي رزمة قال حدثنا أبو الوزير محمد بن أعْين (ت٢١٣هـ) قال: سَمِعْتُ **النَّضْرَ بنَ مُحَمَّدٍ (ت٢٠١هـ)** يقولُ: مَن=

....

= قال في هذه الآية: مَخْلُوقٌ ؛ فهو كافِرٌ. فَجِئتُ إلىٰ عبدِ اللهِ بْنِ المُبارك فأخبَرْتُه بقَولِ النَّضْرِ فقَال: صدَقَ عافَاهُ اللهُ، ما كانَ لِيَأْمُرَ أنْ نعبُدَ مَخْلُوقًا. (مسائل الإمام أحمد، ص٣٥٩).

قال القاضي البُسْتِي إسحاقُ بن إبراهيم (ت٣٠٧هـ): سَمِعْتُ **أبا رجاء قتيبةَ بن سعيدٍ (ت٢٤٠هـ)** يقول: من قال: قوله: يا موسىٰ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] مَخلوقٌ، فهو كافرٌ باللهِ، وما كان الله ﷻ ليأمر محمَّدًا ﷺ بعباده مخلوقٍ. (تفسير البستي، ج١/ص٤٠٥).

وقال الحافظُ **محمد بن أسْلم الطوسي (ت٢٤٢هـ)** في كتابه «الردّ علىٰ الجهمية»: مَنْ زَعَمَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ ـ ١٢] خَلْقٌ، وَلَيْسَ بِكَلَامِهِ تَعَالَىٰ، فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ؛ لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ خَلْقًا قَالَ لِمُوسَىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، فَقَدْ جَعَلَ هَذَا الزَّاعِمُ رَبًّا لِمُوسَىٰ دُونَ اللهِ. (نقله أبو نعيم في الحلية، ج٩/ص٢٤٤)،

وقال **يَحْيَىٰ بْنُ عَوْنٍ القَيْرَوَانِيُّ (ت٢٩٦هـ)**: يقال لهم في هذه الآيةِ: يا موسىٰ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] أمَخْلُوقٌ ذلك؟ فإن قالوا: نعم، فقد افْتَرَوْا علىٰ اللهِ وقالُوا عظيمًا مِن القولِ؛ لأنهم زَعمُوا أنَّ الخَلْقَ ادَّعَىٰ الرُّبوبيَّةَ مِن دون اللهِ حيث يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾، وقد قال اللهُ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وزعموا أن موسىٰ عبَدَ الخَلْقَ من دون اللهِ، وقد عصمَ اللهُ الرُّسُلَ والأنبياءَ عن الكُفْرِ والكَذِبِ، ولوكان كما يقول الزنادقةُ الملحدون أنه مخلوقٌ لكانت تكون: يا موسىٰ إنه هو اللهُ لا إله إلا هو فاعبدْهُ وأقمِ الصلاةَ لذكرِهِ، ولا يكون شيءٌ يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ غيرَ الله ﷻ. (الحجة في الرد علىٰ أهل البدع ـ مخطوط)،

وحكىٰ الإمام **أبو عثمان سعيد بن الحداد** القيرواني (ت٣٠٢هـ) عن بعض مناظراته قال: «جرىٰ ذكر تكْلِيمُ اللهِ تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام فقلت: مِمَّنْ سَمِعَ مُوسَىٰ الكَلام؟ قال ابْنُ الأَشَجّ: مِنَ الشجرة. قُلْتُ: مِنْ وَرَقِهَا أو لِحائِهَا؟ قال أبو عثمان: فوَ اللهِ ما درَىٰ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ المَجْلِس مُرادي ـ فيما ظهَرَ لي ـ إلا الأميرَ، فبدَرَ فقال لابن الأشج: اسْكُتْ وَيْلَك! خوْفًا أن يجيب فيجبَ عليه القَتْلُ. قيل لأبي عثمان: ما أردتَ ـ أصلَحَكَ اللهُ ـ بهذا الكلام؟ فقال: لأنه كلما صرّح فقال بأنه من الشجرة علىٰ الحقيقة كفَرَ وزعَمَ أنَّ الله ﷻ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَىٰ، وأنَّهُ لَمْ يُفَضِّلْهُ بكَلامِه. قال: ثم حوَّل الأميرُ وجْهَهُ إليّ فقال لي: أقول لك كما قلت لابن طالب: لا أقول مخلوقٌ، ولا غير مخلوق. قال: فقلت له: لِـمَ؟ قال: لأن الله تعالىٰ قال: كلامي، ولم يقل مخلوقٌ ولا غيرُ=

وَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وَكَلَامُ اللهِ ﷻ مِنَ اللهِ[(١)]، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ ـ الَّذِي هُوَ مِنْهُ ـ مَخْلُوقًا فِي شَجَرَةٍ مَخْلُوقَةٍ، **كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ مَخْلُوقًا فِي غَيْرِهِ**، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا[(٢)].

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ ﷻ إِرَادَتَهُ فِي بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ كَلَامَهُ فِي بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ.

= مَخْلُوق. قال: فقلت له: فإن قال غيرك مثل ما قلت في علم الله سبحانه فقال: إن الله ﷻ لم يقل مخلوقٌ ولا غير مخلوق، وسلَك في العلم مسلكَكَ في الكلام؟ قال: فقال: والله لو قال ذلك أحد لقسمته بسيفي. قال فقلت له: ولِـمَ؟ قال: لأنه لو كان مخلوقا لكان قبل أن يخلق العلم جاهلًا لأن ضد العلم الجهل. قال: فقلت له: فكذلك لا يقال في الكلام مخلوقٌ لأنه **لو كان مخلوقاً لكان موصوفا قبل خلقه بضده وهو الخرَسُ، وما لزم في العِلْمِ لزمَ مِثْلُه في الكلام**. ودليل آخر: إن العلم لا يعدو إحدىٰ منزلتين: إما أن يكون صِفَةَ فِعْلٍ كان من الله ﷻ، فمن شكّ في خَلْقِ ذلك فهو كافِر، وإما أن يكون صفة ذاتٍ كعِلْمِ الله وقدرته، ومن شك فلم يَدْرِ أذلِكَ مخلوقٌ أمْ غيْرُ مخلوق فهو كافرٌ، والكلام لا يعدو هاتين المنزلتين، فالواقف شاهد علىٰ نفسه بأنه تارك للقَوْلِ الحَقِّ حَتْمًا. (رياض النفوس، ج٢/ص٧٢، ٧٣).

(١) نقلَ **اللالكائي** عن وكيع بن الجراح أنه قال: مَن زعمَ أن القرآن مخلوقٌ فقد زعمَ أن شيئًا من الله مخلوقٌ. فقلتُ: يا أبا سفيانَ، من أينَ قلتَ هذا؟ قال: لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، **ولا يكونُ من الله شيءٌ مخلوقٌ**. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١/ص٣٢٢).

(٢) ذكر **ابْنُ بَطَّة الحَنْبَليُّ (ت٣٨٧هـ)** عين هذا الاستدلال فقال: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، فمن زعمَ أنّ مِن الله شيْئًا مخْلُوقًا فقدْ كفَر، وَمَنْ زعمَ أنّ عِلْمَ الله مخلوقٌ فقد زعمَ أن اللهَ كان ولا علمَ له، ومن قال ذلك فقد جعلَ اللهَ تعالىٰ كخَلْقِه الذين خلَقَهُمُ الله جُهَّالًا ولا يعْلَمُون ثُمَّ علَّمَهُم؛ لأن من سبق كونُهُ علمَهُ فقد كان جاهِلًا فيما بين حدوثه إلىٰ حدوث علمِهِ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن علم الله مخلوق. (الإبانة، ج٢/ص٢١٨).

وَلَوْ كَانَتْ إِرَادَةُ اللهِ مَخْلُوقَةً فِي بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ لَكَانَ ذَلِكَ المَخْلُوقُ هُوَ المُرِيدَ بِهَا، وَذَلِكَ يُسْتَحِيلُ، وَكَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ كَلَامَهُ فِي مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ هَذَا يُوجِبُ أَنَّ ذَلِكَ المَخْلُوقَ مُتَكَلِّمٌ بِهِ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ ﷻ كَلَامًا لِلْمَخْلُوقِ[١].

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَمِمَّا يُبْطِلُ قَوْلَهُمْ: أَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ مُخْبِرًا عَنِ المُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] يَعْنُونَ القُرْآنَ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ جَعَلَهُ قَوْلًا لِلْبَشَرِ، وَهَذَا مَا أَنْكَرَهُ اللهُ عَلَى المُشْرِكِينَ[٢].

وَأَيْضًا فَلَوْ لَمْ يَكُنِ اللهُ مُتَكَلِّمًا حَتَّى خَلَقَ الخَلْقَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ، لَكَانَتِ الأَشْيَاءُ قَدْ كَانَتْ لَا عَنْ أَمْرِهِ وَلَا عَنْ قَوْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ قَائِلًا لَهَا: «كُونِي»، وَهَذَا رَدٌّ لِلْقُرْآنِ، وَخُرُوجٌ عَمَّا عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الإِسْلَامِ[٣].

---

(١) قرّر الشيخ **أبو الحسَن الأشعريُّ** رضي الله عنه هذا الدليلَ في «**اللُّمَع**» فقال: وهذا الدليل على قدم الكلامِ هو الدليل على قدم الإرادةِ لله تعالى لأنها لو كانتْ مُحْدَثَةً لكانت لا تخلو من أن يكون يُحدِثُها في نَفْسه أو في غيرِه أو قائمةً بنفسها، فيستحيلُ أن يحدثها في نفسهِ لأنه ليس بمحلٍّ للحَوادِث، ويستحيلُ أن يحدثها قائمةً بنفسها لأنها صفةٌ، والصفةُ لا تقومُ بنَفْسِها، كما لا يجوزُ أن يحدث علما وقدرةً قائمين بأنفسهما، ويستحيلُ أن يحدثها في غيرٍ لأن هذا يوجبُ أن يكون ذلك الغيرُ مُريدًا بإرادة اللهِ تعالى، فلما استحالتْ هذه الوجوهُ ـ التي لا تخلو الإرادة منها لو كانتْ مُحْدَثَةً صحَّ أنها قديمةٌ وأن الله لم يزلْ مُريدًا بها. (اللمع، ص٢٣).

(٢) هذا الدليل ذكره الحافظ البيهقيُّ بألفاظه دونَ عزوٍ للشيخ أبي الحسن رضي الله عنه. (الاعتقاد، ص١٤٥).

(٣) وهذا الاستدلال نَحْوُ قول **يَحْيَى بن معين (ت٢٣٣هـ)**: بيننا وبيْن الجَهْمِيَّةِ كلمتانِ، يُسألون: أكانَ اللهُ وكلَامُهُ؟ أوْ كَانَ اللهُ وَلَا كَلَامَ؟ فإن قالوا: «كانَ اللهُ وكلَامُه» فليس لهُم حجَّةٌ، وإن قالوا: «كانَ اللهُ ولا كَلَامَ»، يقال لهم: كيْفَ خلقَ الأشْياءَ وَهُو قَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن=

مَسْأَلَةٌ:

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ قَوْلَ الجَهْمِيَّةِ: «إِنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ» يَلْزَمُهُمْ بِهِ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ لَمْ يَزَلْ كَالأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْطِقُ وَلَا تَتَكَلَّمُ **لَوْ كَانَ لَمْ يَزَلْ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ**؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ يُخْبِرُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ لَمَّا قَالُوا لَهُ: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢ ـ ٦٣]، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الأَصْنَامَ إِذَا لَمْ تَكُنْ نَاطِقَةً مُتَكَلِّمَةً لَمْ تَكُنْ آلِهَةً، وَإِنَّ الإِلَهَ لَا يَكُونُ غَيْرَ نَاطِقٍ وَلَا مُتَكَلِّمٍ.

فَلَمَّا كَانَتِ الأَصْنَامُ الَّتِي لَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يُحْيِيَهَا اللهُ وَيُنْطِقَهَا لَا تَكُونُ آلِهَةً، **فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الكَلَامُ فِي قِدَمِهِ إِلَهًا؟!** تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي قِدَمِهِ بِمَرْتَبَةٍ دُونَ مَرْتَبَةِ الأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْطِقُ، **فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ اللهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا**.

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]،

= نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. (الإبانة لابن بطة، ج٢/ص٢٩) ونَحْوُ قولِ **يَحْيَى بْنِ عَوْنٍ القَيْرَوانِيِّ** (ت٢٩٦هـ): وزعمتِ الجهميةُ أنّ القرآن مخلوقٌ، فيقال لهم: أخبرونا عن رَبِّنا ﷻ، خلقَ فتكلَّمَ؟ أو تكلَّمَ فخَلَقَ؟ فإن قالوا: «تكلَّمَ فخَلَقَ» فقد صارَ القرآنُ غيرَ مخلوقٍ، والخَلْقُ كلُّهُ بعْدَ القرآنِ، وإن قالوا: «خلقَ فتكلَّمَ» فقد حلَّت دِماؤهمْ وكفَرُوا باللهِ العظيمِ، وعارَضُوا القرآنَ بردِّهمْ لقول اللهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] لأن الله ﷻ خلَقَ خلْقَهُ بقَوْلِه: ﴿كُن﴾. (الحجة في الردّ على أهل البدع ـ مخطوط).

وَجَاءَتِ الرِّوَايَةُ أَنَّهُ يَقُولُ هَذَا القَوْلَ فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ أَحَدٌ شَيْئًا، فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦](١).

فَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ قَائِلًا مَعَ فَنَاءِ الأَشْيَاءِ - إِذْ لَا إِنْسَانَ وَلَا مَلَكَ وَلَا حَيَّ وَلَا جَانَّ وَلَا شَجَرَ وَلَا مَدَرَ - **فَقَدْ صَحَّ أَنَّ كَلَامَ اللهِ ﷻ خَارِجٌ عَنِ الخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ وَلَا شَيْءَ مِنَ المَخْلُوقَاتِ مَوْجُودٌ**.

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَالتَّكْلِيمُ

---

(١) في صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**». (البخاري: ٦٥١٩). وقَدْ أورده الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» وترجم له بـ«باب قول الله ﷻ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. قال **الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)**: قَالَ ابن أَبِي حَاتِمٍ (ت٢٧٧هـ) فِي كِتَابِ «الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ»: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي عُمَرَ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ: يُقَالُ لِلْجَهْمِيَّةِ: «أَخْبِرُونَا عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦] فلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، فَيَرُدُّ عَلَى نَفْسِهِ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وَذَلِكَ بَعْدَ انْقِطَاعِ أَلْفَاظِ خَلْقِهِ بِمَوْتِهِمْ أَفَهَذَا مَخْلُوقٌ؟!» انْتَهَى. وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ كَلَامًا فَيَسْمَعُهُ مَنْ شَاءَ بِأَنَّ الوَقْتَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦] لَا يَبْقَى حِينَئِذٍ مَخْلُوقٌ حَيًّا، فَيُجِيبُ نَفْسَهُ فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، **فَثَبَتَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِذَلِكَ، وَكَلَامُهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**. (فتح الباري، ج١٣/ص٣٦٨).

وأورد الحافظ اللالكائي ضمن «**سياق مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الآيَاتِ مِمَّا فُسِّرَ أَوْ دَلَّ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**»، قال: اسْتِنْبَاطُ آيَةٍ أُخْرَى مِنَ القُرْآنِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾ [لقمان: ٢٧] وَالمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا تَنْفَدُ وَتَفْنَى، وَكَلِمَاتُ اللهِ لَا تَفْنَى، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِينَ يُفْنِي خَلْقَهُ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦] فَيُجِيبُ تَعَالَى نَفْسَهُ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج١/ص٣٢٣).

هُوَ المُشَافَهَةُ بِالكَلَامِ(١)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ المُتَكَلِّمِ حَالًّا فِي غَيْرِهِ مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ سِوَاهُ، كَمَا لَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي العِلْمِ(٢).

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، فَكَيْفَ يَكُونُ القُرْآنُ مَخْلُوقًا وَاسْمُ اللهِ فِي القُرْآنِ؟! هَذَا يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ أَسْمَاءُ اللهِ مَخْلُوقَةً، وَلَوْ كَانَتْ أَسْمَاؤُهُ مَخْلُوقَةً لَكَانَتْ وَحْدَانِيَّتُهُ مَخْلُوقَةً، وَكَذَلِكَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وَلَا يُقَالُ لِمَخْلُوقٍ ﴿تَبَارَكَ﴾، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ.

وَقَالَ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فَكَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ رَبِّنَا مَخْلُوقًا، فَكَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَسْمَاؤُهُ مَخْلُوقَةً.

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ

---

(١) قال القاضي عياضٌ: المُشافهةُ: الكلامُ بغير واسطةٍ. (مشارق الأنوار، ج٢/ص٢٥٧).

(٢) أورد الحافظ البيهقي عَيْنَ هذا الاستدلال مع بعض الزيادات للتوضيح فقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ولا يجوزُ أن يكونَ كلامُ المتكلِّمِ قائمًا بغَيْرِهِ ثم يكونَ هو به قائِلًا متكلِّمًا دون ذلك الغَيْرِ، كما لا يجوزُ ذلك في العلمِ والسمعِ والبصرِ. (الاعتقاد، ص١٤٢).

قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ شَهِدَ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ وَسَمِعَهَا مِنْ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ سَمِعَهَا مِنْ مَخْلُوقٍ فَلَيْسَتْ شَهَادَةً لَهُ، وَإِذَا كَانَتْ شَهَادَةً لَهُ وَقَدْ شَهِدَ بِهَا فَلَا يَخْلُو:

[١] ـ أَنْ يَكُونَ شَهِدَ بِهَا قَبْلَ كَوْنِ المَخْلُوقَاتِ.

[٢] ـ أَوْ بَعْدَ كَوْنِ المَخْلُوقَاتِ.

* فَإِنْ كَانَ شَهِدَ بِهَا بَعْدَ كَوْنِ المَخْلُوقَاتِ فَلَمْ تَتَّسِقْ شَهَادَتُهُ لِنَفْسِهِ بِالإِلَهِيَّةِ قَبْلَ الخَلْقِ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَمْ يَكُنْ يَشْهَدُ بِهِ شَاهِدٌ قَبْلَ الخَلْقِ؟!

وَلَوِ اسْتَحَالَتِ الشَّهَادَةُ بِالوَحْدَانِيَّةِ قَبْلَ كَوْنِ الخَلْقِ لَاسْتَحَالَ إِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ وَوُجُودُهُ وَأَنْ يَكُونَ وَاحِدًا قَبْلَ الخَلْقِ؛ لِأَنَّ مَا تَسْتَحِيلُ الشَّهَادَةُ عَلَيْهِ فَمُسْتَحِيلٌ.

* وَإِنْ كَانَتْ شَهَادَتُهُ لِنَفْسِهِ بِالتَّوْحِيدِ قَبْلَ الخَلْقِ فَقَدْ بَطَلَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ ﷻ مَخْلُوقًا؛ لِأَنَّ كَلَامَ اللهِ شَهَادَتُهُ[1].

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ، وَأَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ: أَنَّ

---

(١) قال أبو العباس بن عطاء الأدمي (ت٣٠٩هـ): إنَّ اللهَ تعالى وَحَّدَ نَفْسَهُ ولَمْ يَكُنْ مَعَه غيْرُه، فكان الشّاهِدَ عليْه بتَوْحِيده، ولا يَسْتَحِقُّ أنْ يَشْهَدَ عليْهِ من حيث الحقيقة سِواهُ؛ إذ هُو الشَّاهِدُ فلا شاهِدَ معَهُ. (حقائق التفسير، ج١/ص٩١).
وقال أبو القاسم القُشَيْرِيُّ (ت٤٦٥هـ): ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] أيْ: عَلِمَ اللهُ وأخْبَرَ اللهُ وحَكَمَ اللهُ بأنَّهُ لا إلَهَ إلَّا هُو، فهُوَ شهادَةُ الحَقِّ لِلْحَقِّ بأنَّهُ الحَقُّ، وأوَّلُ مَنْ شَهِدَ بأنَّهُ اللهُ اللهُ، فشَهِدَ في آزالِه بقَوْلِه وكَلامِه وخِطَابِه الأزَلِيِّ. (لطائف الإشارات، ج١/ص٢٢٦).

أَسْمَاءَ اللهِ مِنَ القُرْآنِ، وَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ١-٢]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ ﴿رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ مَخْلُوقًا، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣] مَخْلُوقًا، قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الجِنِّ: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]، وَكَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَظَمَتُهُ مَخْلُوقَةً، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ مَخْلُوقًا.

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٥١]، فَلَوْ كَانَ كَلَامُ اللهِ لَا يُوجَدُ إِلَّا مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ مَخْلُوقٍ لَمْ يَكُنْ لِاشْتِرَاطِ هَذِهِ الوُجُوهِ مَعْنًى؛ لِأَنَّ الكَلَامَ قَد سَمِعَهُ جَمِيعُ الخَلْقِ، وَوَجَدُوهُ -بِزَعْمِ الجَهْمِيَّةِ- مَخْلُوقًا فِي غَيْرِ اللهِ ﷻ[(١)]، وَهَذَا يُوجِبُ إِسْقَاطَ مَرْتَبَةِ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.

وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ إِذَا زَعَمُوا أَنَّ كَلَامَ اللهِ لِمُوسَى خَلَقَهُ فِي شَجَرَةٍ:

* أَنْ يَكُونَ مَنْ سَمِعَ كَلَامَ اللهِ ﷻ مِنْ مَلَكٍ أَوْ مِنْ نَبِيٍّ أَتَى بِهِ[(٢)] مِنْ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلَ مَرْتَبَةً مِمَّنْ سَمِعَ الكَلَامَ مِنْ مُوسَى؛ لِأَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ مُوسَى مِنَ اللهِ ﷻ، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ شَجَرَةٍ.

---

(١) هنا اختلافٌ يسير عند الحافظ **البيهقي** (ت٤٥٨هـ) ونصُّهُ: لَمْ يَكُنْ لِاشْتِرَاطِ هَذِهِ الوُجُوهِ مَعْنًى لاستِواءِ جميع الخَلْق في سماعهِ من غيرِ اللهِ ووجودِهِمْ ذلك - عندَ الجهميَّةِ - مخلوقًا في غَيْرِ اللهِ. (الاعتقاد، ص١٤٣).

(٢) خـ: أتاه بِهِ.

* وَأَنْ يَزْعُمُوا أَنَّ اليَهُودَ إِذَا سَمِعَتْ[١] كَلَامَ اللهِ مِنْ مُوسَىٰ[٢] عليه السلام أَفْضَلُ مَرْتَبَةً فِي هَذَا المَعْنَىٰ مِنْ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ؛ لِأَنَّ اليَهُودَ سَمِعَتْهُ[٣] مِنْ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ، وَمُوسَىٰ سَمِعَهُ مَخْلُوقًا فِي شَجَرَةٍ.

وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا فِي شَجَرَةٍ لَمْ يَكُنِ اللهُ مُكَلِّمًا لِمُوسَىٰ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ[٤]؛ لِأَنَّ مَنْ حَضَرَ الشَّجَرَةَ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ قَدْ سَمِعُوا الكَلَامَ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ، وَكَانَ سَبِيلُ مُوسَىٰ وَغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ سَوَاءً فِي أَنَّهُ لَيْسَ كَلَامُ اللهِ لَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

مَسْأَلَةٌ:

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ عز وجل كَلَّمَ مُوسَىٰ أَنَّهُ خَلَقَ كَلَامًا كَلَّمَهُ بِهِ، وَقَدْ خَلَقَ اللهُ عِنْدَكُمْ فِي الذِّرَاعِ كَلَامًا لِأَنَّ الذِّرَاعَ قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَأْكُلْنِي فَإِنِّي مَسْمُومَةٌ**»[٥]، فَيَلْزَمُكُمْ أَنَّ ذَلِكَ الكَلَامَ الَّذِي سَمِعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَلَامُ اللهِ عز وجل.

فَإِنِ اسْتَحَالَ أَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ الكَلَامِ المَخْلُوقِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ عز وجل كَلَامَهُ فِي شَجَرَةٍ لِأَنَّ الكَلَامَ المَخْلُوقَ لَا يَكُونُ كَلَامًا لِلَّهِ؟! فَإِنْ كَانَ كَلَامَ اللهِ، وَكَانَ مَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ عِنْدَكُمْ أَنَّهُ خَلَقَ الكَلَامَ،

---

(١) خـ: اليَهُودِيَّ إذا سَمِعَ.

(٢) خـ: مِن نبيٍّ.

(٣) خـ: اليَهُودِيَّ سَمِعَهُ.

(٤) من أول هذا الدليل إلى هذا الموضع نقَلَهُ الحافظ البيهقيُّ بألفاظه ثم قال: **وقد احتجَّ عليُّ بن إسماعيلَ** رحمه الله **بهذه الفصول**، واحتجَّ بها غيرُهُ من سلفنا رحمهم الله. (كتاب الاعتقاد، ص١٤٣ ـ ١٤٤).

(٥) في سنن أبي داود (٤٥١٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «**ارفعوا أيْدِيَكُمْ؛ فإنَّهَا أخْبَرَتْنِي أنَّهَا مَسْمُومَةٌ**».

فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ مُتَكَلِّمًا بِالكَلَامِ الَّذِي خَلَقَهُ فِي الذِّرَاعِ.

فَإِنْ أَجَابُوا إِلَىٰ ذَلِكَ قِيلَ لَهُمْ: فَاللهُ ﷻ عَلَىٰ قَوْلِكُمْ هُوَ القَائِلُ: «لَا تَأْكُلْنِي فَإِنِّي مَسْمُومَةٌ»، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ قَوْلِكُمْ وَافْتِرَائِكُمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

❖ **وَإِنْ قَالُوا**: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقًا فِي ذِرَاعٍ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقًا فِي شَجَرَةٍ.

مَسْأَلَةٌ:

ثُمَّ يُسْأَلُونَ عَنِ الكَلَامِ الَّذِي أَنْطَقَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ الذِّئْبَ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ اللهُ ﷻ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يَخْلُقُهُ فِي غَيْرِهِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الذِّئْبِ كَلَامًا لِلَّهِ، وَيَكُونَ إِعْجَازُهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ؟!.

وَفِي هَذَا مَا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ أَنَّ الذِّئْبَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ كَوْنَ الكَلَامِ مِنَ الذِّئْبِ مُعجِزٌ، كَمَا أَنَّ كَوْنَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ مُعْجِزٌ، فَإِنْ كَانَ الذِّئْبُ مُتَكَلِّمًا بِذَلِكَ الكَلَامِ المَفْعُولِ فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنَّ الشَّجَرَةَ مُتَكَلِّمَةٌ بِالكَلَامِ إِنْ كَانَ خُلِقَ فِي الشَّجَرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ المَخْلُوقُ قَالَ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

مَسْأَلَةٌ:

❖ **ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ**: إِذَا كَانَ كَلَامُ اللهِ ﷻ مَخْلُوقًا فِي غَيْرِهِ عِنْدَكُمْ فَمَا يُؤْمِنُكُمْ أَنْ يَكُونَ كُلُّ كَلَامٍ تَسْمَعُونَهُ مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ ـ وَهُوَ حَقٌّ ـ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا لِلَّهِ ﷻ؟.

فَإِنْ قَالُوا: لَا تَكُونُ الشَّجَرَةُ مُتَكَلِّمَةً لِأَنَّ المُتَكَلِّمَ لَا يَكُونُ إِلَّا حَيًّا.

قِيلَ لَهُمْ: وَلَا يَجُوزُ خَلْقُ الكَلَامِ فِي شَجَرَةٍ؛ لِأَنَّ مَنْ خُلِقَ الكَلَامُ فِيهِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَيًّا، فَإِنْ جَازَ أَنْ يُخْلَقَ الكَلَامُ فِيمَا لَيْسَ بِحَيٍّ فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ؟!.

وَيُقَالُ لَهُمْ: لِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ يَقُولُ مَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ أَخْبَرَ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَالَتَا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]؟!.

مَسْأَلَةٌ:

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ لِإِبْلِيس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقًا، وَكَانَتِ المَخْلُوقَاتُ فَانِيَاتٍ، فَيَلْزَمُكُمْ إِذَا أَفْنَى اللهُ ﷻ الأَشْيَاءَ أَنْ تَكُونَ اللَّعْنَةُ عَلَى إِبْلِيسَ قَدْ فَنِيَتْ، فَيَكُونَ إِبْلِيسُ غَيْرَ مَلْعُونٍ، وَهَذَا تَرْكٌ لِدِينِ المُسْلِمِينَ، وَرَدٌّ لِقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨].

وَإِذَا كَانَتِ اللَّعْنَةُ بَاقِيَةً عَلَى إِبْلِيسَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ يَوْمُ الجَزَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَة؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] يَعْنِي يَوْمَ الجَزَاءِ، ثُمَّ هُوَ أَبَدًا فِي النَّارِ، وَاللَّعْنَةُ كَلَامُ اللهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾ [ص: ٧٨]، فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ ﷻ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الفَنَاءُ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ

المَخْلُوقَاتِ يَجُوزُ عَلَيْهَا العَدَمُ، فَإِذَا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ عَلَىٰ كَلَامِ اللهِ ﷻ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

مَسْأَلَةٌ عَلَى الجَهْمِيَّةِ.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ غَضَبُ اللهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَكَذَلِكَ رِضَاهُ وَسَخَطُهُ، فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ؟!.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ مَخْلُوقٌ لَزِمَهُ أَنَّ غَضَبَ اللهِ وَسَخَطَهُ عَلَى الكَافِرِينَ يَفْنَيَانِ، وَأَنَّ رِضَاهُ عَنِ المَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ يَفْنَىٰ، حَتَّىٰ لَا يَكُونَ رَاضِيًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ، وَلَا سَاخِطًا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، وَهَذَا خُرُوجٌ عَنِ الإِسْلَامِ(١).

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ: خَبِّرُونَا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، أَتَزْعُمُونَ أَنَّ قَوْلَهُ لِلشَّيْءِ: «كُنْ» مَخْلُوقٌ مُرَادٌ لِلَّهِ؟

فَإِنْ قَالُوا: لَا.

قِيلَ لَهُمْ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ ـ الَّذِي هُوَ القُرْآنُ ـ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّ قَوْلَ اللهِ لِلشَّيْءِ «كُنْ» غَيْرُ مَخْلُوقٍ ؟!.

وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ قَوْلَ اللهِ لِلشَّيْءِ: «كُنْ» مَخْلُوقٌ.

(١) حكَىٰ الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عنِ الشيخِ أبي الحسن الأشعريِّ ﷺ أنه كان يقول: كان يقول: إنَّ إرادةَ اللهِ صفةٌ من صفاتِ ذاتهِ، واجبةٌ له. (المجرّد، ص٦٩) ويقول: إنَّ رِضاهُ وسخطه يرجعُ إلىٰ الإرادةِ، وهي سابقةٌ للأفعالِ. (المجرد، ص٧٣).

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُرَادٌ فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فَيَلْزَمُكُمْ أَنَّ قَوْلَهُ لِلشَّيْءِ «كُنْ» قَدْ قَالَ لَهُ: «كُنْ»، وَفِي هَذَا مَا يُوجِبُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:

[١] - إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَوْلُ اللهِ لِغَيْرِهِ «كُنْ» غَيْرَ مَخْلُوقٍ.

[٢] - أَوْ يَكُونَ لِكُلِّ قَوْلٍ قَوْلٌ لَا إِلَى غَايَةٍ، وَذَلِكَ مُحَالٌ[١].

فَإِنْ قَالُوا: إِنَّ لِلَّهِ قَوْلًا غَيْرَ مَخْلُوقٍ.

قِيلَ لَهُمْ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةُ اللهِ لِلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ؟!.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: مَا العِلَّةُ الَّتِي لَهَا قُلْتُمْ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ لِلشَّيْءِ «كُنْ» غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟.

فَإِنْ قَالُوا: لِأَنَّ القَوْلَ لَا يُقَالُ لَهُ «كُنْ».

فَيُقَالُ لَهُمْ: وَالقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ لِأَنَّهُ قَوْلُ اللهِ، وَاللهُ لَا يَقُولُ لِقَوْلِهِ: «كُنْ».

مَسْأَلَةٌ عَلَى الجَهْمِيَّةِ

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ لَمْ يَزَلِ اللهُ عَالِمًا بِأَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ؟

---

(١) لخَّصَ القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) هذا الدليل بقوله: والذي يدلّ على نَفي خَلْقِ القُرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فلو كان القرآن مخلوقًا لكان مخلوقًا بقول آخر، وذلك يوجبُ أن لا يوجَدَ من الله تعالى فعلٌ أصلًا؛ إذْ كان لا بُدَّ أن يُوجِدَ قَبْلَهُ أفعالًا هي أقاويل لا غايةَ لها، وذلك محالٌ باتفاقٍ مِنَّا ومِنْهُم. (التمهيد، ص٢٣٧).

❖ فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: فَهَلْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا لِلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: نَعَمْ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: فَإِذَا كَانَتْ إِرَادَةُ اللهِ لَمْ تَزَلْ فَهِيَ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَإِذَا كَانَتْ إِرَادَتُهُ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: «لَا نَقُولُ: لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا لِلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ» زَعَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يُرِيدُ التَّفْرِيقَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَنَسَبُوهُ سُبْحَانَهُ إِلَى النَّقْصِ، تَعَالَى عَنْ قَوْلِ القَدَرِيَّةِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

❁ مَسْأَلَةٌ:

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ**: إِنَّ الشَّيْءَ المَخْلُوقَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَدَنًا مِنَ الأَبْدَانِ شَخْصًا مِنَ الأَشْخَاصِ، أَوْ يَكُونَ نَعْتًا مِنْ نُعُوتِ الأَشْخَاصِ.

❁ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ شَخْصًا؛ لِأَنَّ الأَشْخَاصَ يَجُوزُ عَلَيْهَا الأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالنِّكَاحُ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَى كَلَامِ اللهِ ﷻ.

❁ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ نَعْتًا لِشَخْصٍ مَخْلُوقٍ؛ **لِأَنَّ النُّعُوتَ لَا تَبْقَى طَرْفَةَ عَيْنٍ**؛ لِأَنَّهَا لَا تَحْتَمِلُ البَقَاءَ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ قَدْ فَنِيَ وَمَضَى(١).

---

(١) ذكَرَ **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** هذا التقسيم ورتَّبَ عليه لوازم أُخَر فقال بعْدَ أن أبطل كون كلامِ الله جِسْمًا: لوْ كان كلام الله سبحانه مخْلُوقًا وليس مِنْ جنس الأجسام عندنا وعندهم=

فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ شَخْصًا، وَلَا نَعْتًا لِشَخْصٍ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا.

عَلَىٰ أَنَّ الأَشْخَاصَ يَجُوزُ أَنْ تَمُوتَ، فَمَنْ يُثْبِتُ كَلَامَ اللهِ شَخْصًا مَخْلُوقًا لَزِمَهُ أَنْ يُجَوِّزَ المَوْتَ عَلَىٰ كَلَامِ اللهِ ﷻ، وَذَلِكَ مَا لَا يَجُوزُ.

وَأَيْضًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقًا فِي شَخْصٍ مَخْلُوقٍ، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَعْتًا لِشَخْصٍ مَخْلُوقٍ.

وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا فِي شَخْصٍ وَكَلَامًا لِإِنْسَانٍ مَفْعُولًا فِيهِ لَكَانَ لَا يُمْكِنُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ كَلَامِ اللهِ وَكَلَامِ الخَلْقِ؛ إِذْ كَانَا مَخْلُوقَيْنِ فِي شَخْصٍ مَخْلُوقٍ، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ مَخْلُوقًا فِي شَخْصٍ مَخْلُوقٍ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ أَيْضًا: لَوْ كَانَ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقًا لَكَانَ جِسْمًا أَوْ نَعْتًا لِجِسْمٍ:

* وَلَوْ كَانَ جِسْمًا كَالأَجْسَامِ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ مُتَكَلِّمًا، وَاللهُ قَادِرٌ عَلَىٰ قَلْبِهَا، وَفِي هَذَا مَا يُلْزِمُهُمْ وَيُوجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُجَوِّزُوا أَنْ يَقْلِبَ اللهُ القُرْآنَ إِنْسَانًا أَوْ جِنِّيًّا أَوْ شَيْطَانًا، تَعَالَىٰ اللهُ ﷻ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ كَذَلِكَ.

* وَلَوْ كَانَ نَعْتًا لِجِسْمٍ كَالنُّعُوتِ فَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَهَا أَجْسَامًا، وَلَكَانَ

= لوجبَ أن يكون عَرَضًا، ولو كان عرضًا لوجبَ أن يَكُونَ فَانِيًا في الثاني من حَالِ حدوثِهِ، وأن لا يكون الباريُ سبحانَهُ في وقتنا هذا آمرًا بشيءٍ ولا ناهيا عنه ولا واعِدًا ولا مُتَوَعِّدًا ولا مُوعِدًا ولا مخبِرًا، وفي إجماعِ الأمة على أن الله ﷻ آمرٌ لخَلْقِه في هذا الوقتِ بطاعتِه وناهٍ لهم عن معصيتِهِ، وأنه متكلمٌ بالأمر والنهي لخَلْقِه دليلٌ على أنه لا يجوزُ أن يكونَ متكلمًا بكلامٍ عَرَضٍ مخلوقٍ لأن الدلالة قد دلّت على استحالة بقاءِ الأعْراض. (التمهيد، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩).

يَجِبُ عَلَى الجَهْمِيَّةِ أَنْ يُجَوِّزُوا أَنْ يَجْعَلَ اللهُ القُرْآنَ جِسْمًا مُتَجَسِّدًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، أَوْ أَنْ يَجْعَلَهُ إِنْسَانًا وَيُمِيتَهُ، وَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ عَلَى كَلَامِهِ ﷻ.

بَابُ
فِي ذِكْرِ الرِّوَايَةِ فِي القُرْآنِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ(١): أَتَيْتُ أَنَا وَالعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ العَظِيمِ العَنْبَرِيُّ(٢) أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَسَأَلَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ العَظِيمِ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَقَالَ لَهُ: قَوْمٌ هَاهُنَا قَدْ حَدَثُوا، يَقُولُونَ: «لَا نَقُولُ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ».

فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَضَرُّ مِنَ الجَهْمِيَّةِ عَلَىٰ النَّاسِ، وَيْلَكُمْ! فَإِنْ لَمْ تَقُولُوا: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، فَقُولُوا: مَخْلُوقٌ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَؤُلَاءِ قَوْمُ سُوءٍ.

فَقَالَ العَبَّاسُ: مَا تَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟.

فَقَالَ: الَّذِي أَعْتَقِدُ وَأَذْهَبُ إِلَيْهِ وَلَا أَشُكُّ فِيهِ أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَمَنْ يَشُكُّ فِي هَذَا؟!.

ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُسْتَعْظِمًا لِلشَّكِّ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، فِي هَذَا شَكٌّ؟! قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ(٣).

---

(١) هو أحمد بن محمد بن هانئ الطائي الأثرم البغدادي (ت٢٧٣هـ) صاحب الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) هو أبو الفضل، حافظ ثقةٌ من أهل البصرة (ت٢٤٦هـ) روىٰ عن يحيىٰ القطان، وعبد الرحمن بن مهدي.

(٣) قال الشيخُ ابْنُ بَطَّة الحَنْبَليُّ (ت٣٨٧هـ): لمَّا كان الأمرُ غيرَ الخلقِ فصل بالواو فقال: ﴿أَلَا لَهُ=

وَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٣]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَبَيْنَ القُرْآنِ، فَقَالَ: ﴿عَلَّمَ﴾، ﴿خَلَقَ﴾، فَجَعَلَ يُعِيدُهَا: ﴿عَلَّمَ﴾، ﴿خَلَقَ﴾، أَيْ: فَرَّقَ بَيْنَهُمَا.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَالقُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللهِ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ٢]؟! وَالقُرْآنُ فِيهِ أَسْمَاءُ اللهِ ﷻ، أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُونَ؟! أَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؟! مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ[1]. لَمْ يَزَلِ اللهُ قَدِيرًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا؟! فَلَسْنَا نَشُكُّ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ ﷻ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَلَسْنَا نَشُكُّ أَنَّ عِلْمَ اللهِ ﷻ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَالقُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللهِ، وَفِيهِ أَسْمَاءُ اللهِ، لَا نَشُكُّ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ ﷻ، **وَلَمْ يَزَلْ بِهِ مُتَكَلِّمًا**[2].

= ﴿ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالأمر أمرهُ وكلامُهُ، والخلقُ خَلْقٌ، وبالأمرِ خلق الخلقَ لأن الله ﷻ أمرَ بما شاء وخلق بما شاء، فزعمَ الجهميُّ أن الأمرَ خَلْقٌ، والخَلْقَ خلقٌ، فكان معنى قول الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] إنما هو: الا له الخَلْقُ والخَلْقُ، فجمعَ الجهميُّ بين ما فصله الله. (الإبانة، ج٢/ص١٦٨ ـ ١٦٩).

(١) المعتمدُ عند أهل السُّنة عدمُ تكفيرِ أهْل الأهواء والبدع، وقد روىٰ الحافظُ البيهقيُّ (ت٤٥٨هـ) عن زاهِر بن أَحمَدَ السَّرَخْسِيِّ أنه قال: لَمَّا قَرُبَ حَضُورُ أَجَلِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ ﷺ فِي دَارِي بِبَغْدَادَ دَعَانِي فَقَالَ: «**اشْهَدْ عَلَيَّ أَنِّي لَا أُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ القِبْلَةِ، لأَنَّ الكُلَّ يُشِيرُونَ إِلَىٰ مَعْبُودٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا هَذَا اخْتِلَافُ العِبَارَاتِ**» (السنن الكبرىٰ: ٢٠٩٤٠) ثم نقل عن الإمامِ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ أنهم أرادُوا مِنْ تَكْفِيرِ المُبْتَدِعَةِ **كُفْرًا دُونَ كُفْرٍ**، وهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ لَيْسَ بِالكُفْرِ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَن مِلَّةٍ، وَلَكِنْ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ. (السنن الكبرىٰ، ج٢١/ص٨٥).

(٢) لخَّص الشيخُ **ابنُ بَطَّة الحَنْبَليُّ (ت٣٨٧هـ)** كلام الإمام أحمد وزاد عليه فقال: القرآنُ مِن عِلْم تعالىٰ، وفيهِ صفاته العُليا وأسماؤه الحُسنىٰ، **فَمَنْ زعَمَ أنَّ القرآنَ مَخلوقٌ فقَدْ زعَمَ أنَّ اللهَ كان ولا عِلْمَ، وَمَنْ زعَمَ أنَّ أسماء الله وصِفَاتِه مخلوقةٌ فقد زعَمَ أنَّ اللهَ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ**، وأنه لم=

ثُمَّ قَالَ: وَأَيُّ كُفْرٍ أَكْفَرُ مِنْ هَذَا؟! وَأَيُّ كُفْرٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا؟! إِذَا زَعَمُوا أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ، وَأَنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ؟![١] وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَهَاوَنُونَ بِهَذَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا يَقُولُونَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَيَتَهَاوَنُونَ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هَيِّنٌ، وَلَا يَدْرُونَ مَا فِيهِ وَهُوَ الكُفْرُ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَبُوحَ بِهَذَا لِكُلِّ أَحَدٍ، وَهُمْ يَسْأَلُونِي فَأَقُولُ: إِنِّي أَكْرَهُ الكَلَامَ فِي هَذَا، فَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنِّي أُمْسِكُ.

فَقُلْتُ لَهُ: فَمَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ وَلَا عِلْمُهُ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَىٰ هَذَا، أَتَقُولُ: هُوَ كَافِرٌ؟

فَقَالَ: هَكَذَا هُوَ عِنْدَنَا.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: نَحْنُ نَحْتَاجُ أَنْ نَشُكَّ فِي هَذَا؟! القُرْآنُ عِنْدَنَا فِيهِ أَسْمَاءُ اللهِ ﷻ، وَهُوَ مِنْ عِلْمِ اللهِ، فَمَنْ قَالَ: «إِنَّهُ مَخْلُوقٌ» فَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ[٢].

= **يكن ثم كانَ**، تعالىٰ اللهُ عما تقولهُ الجهمية الملحدةُ عُلوًّا كبيرًا، وَكُلَّ مَا تَقُولهُ وَتَنْتَحِلُهُ فَقَدْ أَكْذَبَهُمُ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَفِي أَقْوَالِ الصَّحابَةِ، وَإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ فِي السّابقِينَ وَالغَابِرِينَ؛ **لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَلِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا، تَامًّا بِصِفَاتِهِ العُلْيَا وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، قَبْلَ كَوْنِ الْكَوْنِ**، وَقَبْلَ خَلْقِ الأَشْيَاءِ، لَا يَدْفَعُ ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا الضَّالُّ الجَحُودُ الجَهْمِيُّ المُكَذِّبُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ. (الإبانة، ج٣/ص٢١٣).

(١) نقلَ الشيخُ ابنُ بَطَّة الحَنْبَليُّ (ت٣٨٧هـ) عن الإمام أحمد قولَهُ: «إنَّ الله ﷻ لم يَخْلُ مِنَ العِلْمِ وَالكَلام، ولَيْسَا مِنَ الخَلْقِ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُمَا، فالقُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللهِ». (الإبانة، ج٢/ص٢٧) ونقل عنه أيضا قوله في المناظرة: وقال لي عبد الرحمن: كان اللهُ ولا قرآنَ. فقلتُ له مجيبًا: كان اللهُ ولا علمَ؟! فالعِلمُ مِنَ اللهِ ولَهُ، وعِلْمُ اللهِ منهُ، والعِلْمُ غيرُ مَخْلُوقٍ، فمن قالَ: «إنَّهُ مخلوقٌ» فقد كفرَ باللهِ، وزعمَ **أن اللهَ مخلوقٌ**، فهذا الكُفْرُ البيِّنُ الصُّراحُ. (الإبانة، ج٢/ص٣٤).

(٢) شرحَ الشيخُ **ابنُ بَطَّة الحَنْبَليُّ (ت٣٨٧هـ)** كلام الإمام أحمَد فقال: مَنْ زعمَ أن علمَ الله=

فَجَعَلْتُ أُرَدِّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِيَ العَبَّاسُ وَهُوَ يَسْمَعُ: سُبْحَانَ اللهِ، أَمَا يَكْفِيكَ دُونَ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: بَلَىٰ[١].

وَذَكَرَ الحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الأَوَّلِ قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ: مَنْ قَالَ: «القُرْآنُ مَخْلُوقٌ» فَهُوَ مُرْتَدٌّ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ[٢].

= مخلوقٌ فقد زعمَ أن اللهَ كان ولا عِلْمَ لَهُ، ومن قال ذلك فقد جعلَ اللهَ تعالىٰ كخَلْقِهِ الَّذِينَ خلقَهُمُ اللهُ جُهَّالًا ولا يعْلَمُون ثُمَّ عَلَّمَهُم؛ لأنَّ مَنْ سبَقَ كَونُهُ عِلْمَهُ فقد كانَ جاهِلًا فيما بين حدُوثِه إلىٰ حدُوث عِلْمِهِ، فمن زعَم أنَّ القرآنَ مَخْلُوقٌ فقد زعم أن عِلْمَ الله مَخْلُوقٌ. (الإبانة، ج٢/ص٢١٨).

(١) وهذا الأثر رواه الخلال في السُّنة، ولكن في آخره اختلافٌ. (ج٥/ص١٣٧) وابن بطة في الإبانة (ج٢/ص٢٩٢).

(٢) أخرجه اللالكائي عن وكيع بن الجراح بلفظ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ القرآن مخلوقٌ فقد زعم أن القرآن مُحدَثٌ، ومن زَعم أن القرآن مُحدَثٌ فقد كفَر بمَا أُنزل علىٰ محمد ﷺ، يستتاب فإن تاب وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُه. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج٢/ص ٣٥٠)، وَأخرج ابنُ أبي حَاتِمٍ (ت٢٧٧هـ) عن الفضيل بنْ عياضٍ أنه قال: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مُحْدَثٌ فَقَدْ كَفَر». (كتاب العلو للذهبي، ص١٥٠) وقد شرح الشيخ ابْنُ بَطَّةَ علَّةَ حُكْمِ وكيع ابن الجراح بقوله: «كُلُّ مَنْ حَدَثَتْ صِفَاتُه فمُحْدَثٌ ذاتُه، ومَنْ حدَثَ ذَاتُه وصِفَتُهُ فإِلَىٰ فناءٍ حَياتُهُ، وتعالَىٰ الله عن ذلك علوا كبيراً. (الإبانة، ج٢/ص١٨٣)، وقال عَبْدُ الله بْن بِشْر بْن عُمَيْرة الطَّالْقانيّ (ت٢٧٥هـ) تلميذُ الإمام أحمد: القُرْآنُ كَلامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وبكَلَامِه خلقَ الخَلْقَ وكَوَّنَ الأَشْيَاءَ، وليْسَ مِنَ الخَلَّاقِ العَلِيم شَيْءٌ مخلوقٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ كلامَهُ مَخْلُوقٌ فقد زَعَمَ أَنَّ اللهَ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ، فتعَالَىٰ اللهُ عن هذا، فلقد جاء قائِلُ هذا القَوْلِ شَيْئًا نُكْرًا، وٱفْتَرَىٰ عَظِيمًا، قال اللهُ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففَصَلَ الخَلْقَ مِنَ الأَمْرِ. (تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٧/ص١٦٨)، قال الإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): «مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الحَدَثِ لَا شَكَّ أَنَّهُ مُحدَثٌ». (التاريخ، ج١/ص٢٨)، ونقلَ الفخرُ الرازي ما حكاه الربيع من أن حفصاً الفرد قال للشافعي: القرآنُ مَخْلُوقٌ، فقال لهُ الشافعي: كفَرْتَ بالله العظيم. ثم قال: يُشْبِهُ أن يكون هذا التكفير بسبب أن الإله هو الذات الموصوفَةُ بالصفات، فقِدَمُ الإلهِ يقتضي قِدمَ الذات والصفات معاً، فمن أنْكَرَ قِدَمَ الصفات تعذّر عليه القَوْلُ بقِدَم الإله، وهذا كُفْرٌ. (مناقب الشافعي، ص ١١٦).

وَذَكَرَ الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ البَزَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الحُسَنِ بْنِ شَقِيقٍ(١)، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ المُبَارَكِ يَقُولُ: إِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ اليَهُودِ وَالنَّصارَىٰ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الجَهْمِيَّةِ(٢).

قَالَ الحَسَنُ: يَقُولُ: نَخَافُ أَنْ نَكْفُرَ وَلَا نَعْلَمَ.

وَذَكَرَ هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ الهَمْدَانِيُّ، عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ(٣)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عِيسَىٰ القَارِئِ(٤)، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي حَمَّادُ بْنُ سُلَيْمَانَ(٥): أَبْلِغْ أَبَا حَنِيفَةَ(٦) المُشْرِكَ أَنِّي مِنْهُ بَرِيءٌ. قَالَ سُلَيْمَانُ: ثُمَّ قَالَ سُفْيَانُ: لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

---

(١) هو علي بن الحسن بن شقيق بن دينار (ت٢١١هـ) روىٰ عن عبد الله بن المبارك.

(٢) رواه أبو داود السجستاني في كتاب مسائل الإمام أحمد (ص٣٦١) وقد أخرج الحافظ البيهقيُّ عن عليِّ بنِ الحسَنِ بن شَقيقٍ أيضا أنه قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ المُبارَك يقولُ: «**نَعْرِفُ رَبَّنَا فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الجَهْمِيَّةُ بِأَنَّهُ هَهُنَا**». وَأَشَارَ إِلَىٰ الأَرْضِ. قال **الحافظ البيهقيُّ**: قُلْتُ: قَوْلُهُ: «**بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ**» يُرِيدُ بِهِ مَا فَسَّرَهُ بَعْدَهُ مِنْ نَفْيِ قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ، **لَا إِثْبَاتَ جِهَةٍ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ**، يُرِيدُ مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ، وَاللهُ أَعْلَمُ. (الأسماء والصفات، ج٢/ص٣٦٨).

(٣) أبو نُعَيْم: هو ضرار بن صُرَد التيميُّ (ت٢٢٩هـ). وهو ضعيف عند أهل الحديث. وقد تفرّد بهذه القصة. وفي ترجمته من التهذيب عن ابن معين: بالكوفة كذابانِ: أبو نُعيم النخعي، وأبو نُعيم ضرار بن صردَ. (تهذيب الكمال للحافظ المزي، ج١٢/ص٣٠٥).

(٤) هو سُلَيْمُ بن عيسىٰ القارئ. سمعَ الثوريَّ وحمزَةَ الزيات. روىٰ عنه أحمد بن حميد وضرار بنْ صُرَد. وفي الأصول الخطية لكتاب خلق أفعال العباد للبخاري «سُلَيْمان».

(٥) حماد بن سليمان: هو مُسلم الأشعري مولاهم، أبو إسماعيل الكوفي الفقيه، صدوق له أوهامٌ، وَرُمِي بالإرْجاء، توفي سنة (١٢٠هـ) أو قبلها. (تهذيب الكمال، ج٢/ص٢٨١).

(٦) غالب الظنِّ أن الشيخ **أبا الحسن الأشْعَرِيَّ** نَقَلَ الأخبارَ المتعلِّقَةَ بالإمام أبي حنيفة من كتاب «**العِلَل**» لشيخه زَكَرِيًّا بن يَحْيَىٰ السَّاجي، وقد روىٰ الخطيب البغدادي بسنده عن هذا الكتاب أخبارًا كثيرة كما في تاريخ بغداد. وقد قال ابن عبد البرّ في «**الانتقاء**» (ص١٥٠): وَالسَّاجِيُّ مِمَّنْ كَانَ يُنَافِسُ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيفَةَ.

القُرْآنُ مَخْلُوقٌ(١).

وَذَكَرَ سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ(٢) قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي(٣) قَالَ: الكَلَامُ الَّذِي اسْتَتَابَ فِيهِ ابْنُ أَبِي لَيْلَىٰ أَبَا حَنِيفَةَ هُوَ قَوْلُهُ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، قَالَ: فَتَابَ مِنْهُ وَطَافَ بِهِ فِي الخَلْقِ. قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ صِرْتَ إِلَىٰ هَذَا؟ قَالَ: خِفْتُ وَاللهِ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيَّ فَأَعْطَيْتُهُ التَّقِيَّةَ(٤).

وَذَكَرَ هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي الحَكَمِ يَذْكُرُ عَنْ

---

(١) أورده البخاري في التاريخ الكبير (ج٤/ص١٢٧) والعقيلي في الضعفاء ثم قال: ضرارٌ ليس بثقةٍ. (الضعفاء، ج٦/ص١٥٣) والثابت عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه خلافُ ذلك، فقد نقل البيهقي أنَّ أبا يوسف سُئِلَ: أَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فقالَ: **مَعَاذَ اللهِ، وَلَا أَنَا أَقُولُهُ**. (الأسماء والصفات، ج١/ص٨٠٤) ورواه بنحوه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج١/ص٣٧٢)، وأخرج الخطيب البغدادي عن الخلال قال: أخبرنا الحريريّ عن النخعي، حدثنا أبو بكر المروذيُّ قال: سمعتُ أبا عبد الله أحمدَ بن حنبلٍ يقول: **لم يصحَّ عندنا أن أبا حنيفةَ كان يقول: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ**. (تاريخ بغداد، ج١٥/ص٥١٦)، وروىٰ الحافظ ابن عبد البرّ أنَّ أبا مقاتلٍ حَفصَ بنْ سَلْمٍ (ت٢٠٨هـ) سُئِلَ عن القرآن فقال: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، ومن قال غير هذا فهو كافرٌ. فقال ابنُهُ سَلْمٌ: يا أبَتِ هل تُخْبِرُ عن أبي حنيفةَ في هذا بشيءٍ؟ فقال: نعمْ، كان أبو حنيفةَ علىٰ هذا عهدي به، ما علمتُ منه غيْرَ هذا، ولو علمتُ منه غيْرَ هذا لَمْ أَصْحَبْهُ. (الانتقاء، ص١٦٧).

(٢) هو سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي أبو محمد (ت٢٤٧هـ) قال أبو زرعة: لا يُشتغل به، اتهم بالكذبِ. (تهذيب الكمال، ح٤/ص٨٥) وممن أخذ عنه زكريا الساجِي صاحب كتاب «العلل»، وهذا ما يقويّ أن الشيخ أبا الحسن الأشعريَّ ينقل هذه الأخبار من كتابه «العِلَل» كما أشَرنا من قبل.

(٣) هو حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٧٦هـ). (وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٢/ص٢٠٥).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (ج١/ص١٨٣) والخطيب البغدادي في تاريخه (ج١٥/ص٥١٦).

عُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيِّ أَنَّ حَمَادًا ـ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ(١) ـ بَعَثَ إِلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَقُولُ إِلَّا أَنْ تَتُوبَ، وَكَانَ عِنْدَهُ ابْنُ أَبِي غَنِيَّةَ(٢)، قال: فَقَالَ: أَخبَرَنِي جَارٌ لِي أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ دَعَاهُ إِلَىٰ مَا اسْتُتِيبَ مِنْهُ بَعْدَ مَا اسْتُتِيبَ(٣).

وَذُكِرَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: نَاظَرْتُ أَبَا حَنِيفَةَ شَهْرَيْنِ حَتَّىٰ رَجَعَ عَنْ خَلْقِ القُرْآنِ(٤).

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ(٥): «القُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَخَذْتُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، **وَكَلَامُ اللهِ وَنَظَرُهُ وَاحِدٌ**»(٦)، يَعْنِي: غَيْرَ مَخْلُوقٍ.

---

(١) حماد بن أبي سليمان. مولىٰ إبراهيم بن أبي موسىٰ الأشعري. مات سنة (١٢٠هـ) يكنىٰ أبا إسماعيل. (سير أعلام النبلاء، ج٥/ص٢٣١).

(٢) عبد الملك بن حميد بن أبي غَنِيَّة. (تهذيب الكمال، ج١/ص٣٠٢).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (ج١٥/ص٥٢١).

(٤) في ختم الشيخ **أبي الحسَن الأشعري** رضي الله عنه ما أورده من الأخبار عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بهذا الخبر الصحيح إشارةٌ إلىٰ الصحيح الذي استقرّ عليه أهلُ السُّنةِ من براءته مِنَ القَوْل بخَلْق القرآن، وقد روىٰ ابنُ أبي حَاتِم (ت٢٧٧هـ) بسند حسنٍ أن أبا يوسُف قال: ناظرتُ أَبَا حنيفَة سِتَّة أشهر، **فاتفق رَأينا علىٰ أَن من قَالَ: «القُرْآن مَخْلُوق» فَهُوَ كَافِر**. (العلوّ للذهبي، ص١٥٢) وروىٰ البيهقي عن الحاكم بسند صحيح إلىٰ الدشتكيِّ قال: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ أبا يوسف القاضي يقول: كلَّمتُ أبا حنيفةَ سنةً جرداءَ في أن القرآن مخلوقٌ أم لا؟ فاتفق رأيُهُ ورأيي علىٰ أن من قال: القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ. (الأسماء والصفات، ج١/ص٨٠٥).

(٥) قال الحافظُ ابنُ حِبَّان (ت٣٥٤هـ): سُلَيْمَان بْنُ حَرْبٍ: أَبُو أَيُّوب الوَاشِحِيُّ الأَزْدِيُّ (١٤٠ ـ ٢٢٤هـ) مِن أَهْل البَصْرَة، وَكَان علىٰ قَضَاء مَكَّة، يَرْوِي عَن شُعْبَةَ (ت١٦٠هـ)، وَحَمَّادِ بن سَلَمَة (ت١٦٧هـ)، حَدَّثَنَا عَنهُ الفَضْلُ بنُ الحُبَابِ الجُمَحِيُّ (ت٣٠٤هـ). (الثقات، ج٨/ص٢٧٦).

(٦) أخرجه الخلال في السنة برقم (١٩٧٥) وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة برقم (١٦٨) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٤١٦) وفيه قياس صفة الكلام علىٰ صفة=

وَذَكَرَ الحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الأَوَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الهَمْدَانِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ المَلَائِيِّ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَضْلُ كَلَامِ اللهِ ﷻ عَلَىٰ سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ»**(١).

فَهَذَا يُثْبِتُ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ﷻ، وَمَا كَانَ كَلَامًا لِلَّهِ ﷻ لَمْ يَكُنْ خَلْقًا لِلَّهِ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُهُ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَدَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ مُخْبِرًا أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا.

وَرَوَىٰ وَكِيعٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»**(٢).

وَمِمَّا يَدُلُّ أَنَّ اللهَ ﷻ مُتَكَلِّمٌ، وَأَنَّ لَهُ كَلَامًا، مَا رَوَاهُ عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنِ الأَشْعَثِ الحُدَّانِيِّ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: **«فَضْلُ كَلَامِ اللهِ ﷻ عَلَىٰ سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ»**(٣).

= البصر، كما قاس الإمام أحمد وغيره صفة الكلام علىٰ صفة العلم.

(١) أخرجه الترمذي بهذا السند في سننه (٢٩٢٦) وقال حديثٌ حسنٌ غريب. وقال الحافظ ابن حجر: رجالهُ ثقاتٌ إلا عطيَّةَ العوفيَّ ففيه ضعفٌ. (فتح الباري، ج٩/ص٦٦) **قال الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: قال أصحابنا: **لمَّا كانَ مِنْ فَضْلِ اللهِ علىٰ خَلْقِه أنه قديمٌ غيْرُ مَخْلُوقٍ، كانَ مِنْ فَضْلِ كلامهِ علىٰ كلامِ خَلْقِه أنَّهُ لَمْ يَزَلْ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ**. (اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص١٥٠).

(٢) البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦).

(٣) أخرجه الدارمي في السنن (٣٦٧٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وَرَوَىٰ يَعْلَىٰ بْنُ المِنْهَالِ السَّعْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الجَرَّاحُ بْنُ الضَّحَّاكِ الكِنْدِيُّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).

وَقَالَ: «**إِنَّ فَضْلَ القُرْآنِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ**»، وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْهُ.

وَرَوَىٰ سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سُفْيَانَ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، قَالَ: قَالَ المُشْرِكُونَ: إِنَّمَا هَذَا كَلَامٌ يُوشِكُ أَنْ يَنْفَدَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ مَا تَسْمَعُونَ، يَقُولُ: لَوْ كَانَ شَجَرُ الأَرْضِ أَقْلَامًا، وَمَعَ البَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مِدَادًا، لَتَكَسَّرَتِ الأَقْلَامُ وَنَفِدَ مَاءُ البُحُورِ وَلَمْ تَنْفَدْ عَجَائِبُ رَبِّي وَكَلَامُهُ وَعِلْمُهُ(٢).

وَذَكَرَ هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ

---

(١) أخرجه الدارمي في كتاب الرد على الجهمية (٣٤١) وأصله في البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أوردهُ **اللالكائي** عن قتادةَ في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج١/ص٣٢٤) واختصرهُ **أبو المُظَفَّر السَّمْعَانِيُّ** (ت٤٨٩هـ) في تفسيره فقال: رُوِيَ أن المُشْركين قَالُوا: إن مَا أَتَى بِهِ مُحَمَّد من الكَلَام يَنْقَطِع ويَفْنَى، فَأنْزل الله تَعَالَى هَذِه الآيَة، بِمَعْنى: أَن جَمِيع أَشجَار العَالم ونباتها لَو بريت أقلاما، وَصَارَت البحور مدادا مَا نفدت كَلِمَات الله أي: كَلَام الله وَعِلْمُهُ. (تفسير القرآن، ج٤/ص٢٣٥).

ووجه الدليل من الآية ما أشار إليه **الحافظُ البيهقي** (ت٤٥٨هـ) بقوله: كلماتُ اللهِ لا تنتهي إلى أمَدٍ ولا تُحْصَرُ بعَدَدٍ، وقد نَفَى اللهُ عنها النفادَ كما نَفَى عنْ ذَاتِهِ الهلاكَ. (الأسماء والصفات، ج١/ص٦٤٥).

أَسَافٍ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: كُنْتُ جَارًا لِخَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، فَقَالَ لِي: يَا هَذَا، تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ عَجَّلَ بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ[1].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَجَّلَ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] قَالَ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ[2].

وَذَكَرَ اللَّيْثُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الأَشْعَثِ، قَالَ: سَمِعْتُ مُؤَمِّلَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الثَّوْرِيِّ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ[3].

وَصَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ القُرْآنَ لَا خَالِقٌ وَلَا مَخْلُوقٌ[4].

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَمِّهِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ.

وَمَنْ قَالَ: «إِنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّ مَنْ قَالَ بِخَلْقِهِ كَافِرٌ» مِنَ العُلَمَاءِ وَحَمَلَةِ الآثَارِ وَنَقَلَةِ الأَخْبَارِ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، مِنْهُمُ الحَمَّادَانِ: [ابنُ سلمة ت١٦٧هـ - وابنُ زَيْد ت١٩٧هـ][5]، وَالثَّوْرِيُّ [ت١٦١هـ]، وَعَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ

---

(١) ذكره الإمام أحمد عن فروة في جوابه للمتوكل. (مناقب أحمد لابن صالح، ص١١٤).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (ح١/ص٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد (ج٢/ص١٣).

(٤) رواه البخاري في كتابه خلق أفعال العباد (١١٤) بسند صحيح، وبه رواه أبو داود السجستاني قال: حدثنا الحسنُ بنُ الصَّبّاح قال: حدثنا معبدٌ أبو عبد الرحمن ثقةٌ، عن معاوية بن عمار قال: سألتُ جعفرَ بن محمَّدٍ عن القرآن فقال: **لَيْسَ بخَالِقٍ ولا مَخلُوقٍ، ولكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ**. (كتاب مسائل الإمام أحمد، ص٣٥٦).

(٥) أخرج **الحافظ البيهقي** (ت٤٥٨هـ) بسنده عن أبي داود الطيالسي (ت٢٠٤هـ) أنه قال: كَانَ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ، وَشُعْبَةُ، وَحمّادُ بْنُ زَيدٍ، وَحمّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَشَرِيكٌ، وَأَبُو عَوَانَةَ **لَا يحدُّونَ وَلَا يُشَبِّهُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ**، يَرْوُونَ الحَدِيثَ، لَا يَقُولُونَ كَيْفَ، وَإِذَا سُئِلُوا أَجابُوا بِالأَثَرِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ:=

[ت١٦٤هـ]، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ [ت١٧٩هـ]، وَالشَّافِعِيُّ [ت٢٠٤هـ]، وَأَصْحَابُهُ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ [ت١٧٥هـ]، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ [ت١٩٨هـ]، وَهِشَامٌ [ت٢٢٧هـ]، وَعِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ [ت١٨٧هـ]، وَحَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ [ت١٩٤هـ]، وَسَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ [ت٢٠٨هـ]، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ [ت١٩٨هـ]، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ [ت١٩٣هـ]، وَوَكِيعٌ [ت١٩٧هـ]، وَأَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ [ت٢١٢هـ]، وَيَعْلَىٰ بْنُ عُبَيْدٍ [ت٢٠٩هـ]، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ [ت٢١٢هـ]، وَبِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ [ت١٨٦هـ]، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ دَاوُدَ [ت٢١٣هـ]، وَسَلَامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ [ت١٦٤هـ]، وَابْنُ الْمُبَارَكِ [ت١٨١هـ]، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ [ت٢٠١هـ]، وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ [ت٢٢٧هـ]، وَأَبُو نُعَيْمٍ [ت٢١٩هـ]، وَقَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ [ت٢١٥هـ]، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ [ت١٩٤هـ]، وَأَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ [ت٢٢٤هـ]، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ [ت٢٠٦هـ]، وَغَيْرُهُمْ.

وَلَوْ تَتَبَّعْنَا ذِكْرَ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ لَطَالَ ذِكْرُهُمْ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ مَقْنَعٌ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَقَدِ احْتَجَجْنَا لِصِحَّةِ قَوْلِنَا: «إِنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ» مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ، وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ البُرْهَانِ، وَأَوْضَحَهُ مِنَ البَيَانِ، وَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا مِمَّنْ تُحْمَلُ عَنْهُ الآثَارُ وَتُنْقَلُ عَنْهُ الأَخبَارُ وَيَأْتَمُّ بِهِ المُؤْتَمُّونَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَقُولُ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ رَعَاعُ النَّاسِ وَجُهَّالٌ مِنْ جُهَّالِهِمْ لَا مَوْقِعَ لِقَوْلِهِمْ.

وَالحِجَاجُ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ فِي ذَلِكَ يَأْتِي عَلَىٰ كَسْرِ قَوْلِهِمْ وَدَفْعِ بَاطِلِهِمْ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ قُوَّةِ الحَقِّ حَمْدًا كَثِيرًا.

= وَهُوَ قَوْلُنَا. قال البيهقي: قُلْتُ: وَعَلَىٰ هَذَا مَضَىٰ أَكَابِرُنَا. (الأسماء والصفات، ج٢/ص٣٦٥).

بَابُ الكَلَامِ عَلَى مَنْ تَوَقَّفَ فِي القُرْآنِ وَقَالَ: لَا أَقُولُ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ[1]

❖ **يُقَالُ لَهُمْ:** لِمَ زَعَمْتُمْ ذَلِكَ وَقُلْتُمُوهُ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا:** قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَقُلْ فِي كِتَابِهِ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَلَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَا أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقُلْ فِي كِتَابِهِ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُهُ ﷺ، وَلَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ، فَتَوَقَّفْنَا لِذَلِكَ، وَلَمْ نَقُلْ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ وَلَا إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

❖ **يُقَالُ لَهُمْ:** فَهَلْ قَالَ اللهُ ﷻ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ: تَوَقَّفُوا فِيهِ وَلَا تَقُولُوا إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟! وَقَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَوَقَّفُوا عَنْ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟! وَهَلْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى التَّوَقُّفِ عَنِ القَوْلِ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟!.

---

(١) قال **أبو بكر الخلال (ت٣١١هـ)**: سمعتُ سليمان بن الأشعثِ (ت٢٧٥هـ) قال: سمعتُ أحمَدَ (ت٢٤١هـ) سُئِلَ: لهم رخصةٌ أنْ يقول الرجلُ: كلامُ اللهِ، ويَسْكُت؟ قال: ولم يَسْكُتُ؟! قال: لوْ لا ما وَقعَ الناسُ فيهِ كان يَسَعُهُ السكوتُ، ولكن حيثُ تكلّموا فيما تكلَّموا لأيِّ شَيْءٍ لا يتَكَلَّمُ؟!. (مسند الخلال، ص٣١٥) وقال أيضًا: أخبرني علي بن عيسى أن حَنْبَلًا حدَّثهم قال: قلتُ لأبي عبد الله (ت٢٤١هـ): إن يعقوبَ بن شيبةَ وزكريا الشوكي أخذَا عنك هذا الأمر ـ الوقفَ. فقال أبو عبد الله: كُنَّا نَأْمُر بالسكوتِ وبتركِ الخَوْضِ في الكلامِ وفي القرآن، فلما دُعِينَا إلى أمرٍ ما كان بدٌّ لنا من أن ندفعَ ذلك ونبيِّنَ من أمره ما ينبغي. (مسند الخلال، ص٣١٥).
وقال الشيخ **عبد الجليل الرَّبَعي (كان حيا سنة ٤٧٨هـ)**: وأمَّا قول من قال: لا أقول: مخلوقٌ، ولا غير مخلوقٍ، ولا أتكلم على ما لم يتكلم عليه الصحابة ولا خاضوا في، فإنه قولٌ ظاهرُ البطلانِ؛ لأنا لو تركنا الكلامَ على كُلِّ ما لمْ يتكلَّمْ عليه الصحابةُ لتَركْنا أكْثَر ما بأيْدِينا مِنَ العلومِ. (التسديد في شرح التمهيد، ج٢/ص٤٨٩).

❖ **فَإِنْ قَالُوا:** نَعَمْ، فَقَدْ بَهَتُوا.

❖ **وَإِنْ قَالُوا:** لَا.

❖ **قِيلَ لَهُمْ:** فَلَا تَقِفُوا عَنْ أَنْ تَقُولُوا: غَيْرُ مخْلُوقٍ، بِمِثْلِ الحُجَّةِ الَّتِي بِهَا أَلْزَمْتُمْ أَنْفُسَكُمُ التَّوَقُّفَ(١).

❖ **ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ:** وَلِمَ أَبَيْتُمْ أَنْ يَكُونَ فِي كِتَابِ اللهِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا:** لَمْ نَجِدْهُ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ:** وَلِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ إِذَا لَمْ تَجِدُوهُ فِي القُرْآنِ فَلَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِيهِ؟!.

---

(١) قال الشيخ **أبو محمد الأصبهاني بن اللَّبان (ت٤٦٦هـ)**: لا يجوزُ الوقفُ في كلامِ الله تعالىٰ والقول بأننا لا نقول: إنه مخلوقٌ، أو غير مخلوقٍ، **بل يجب أن نقطعَ ونعلم أن كلام الله أزليٌّ غير مُحْدَثٍ ولا مخلوقٍ ولا خَلْقٍ ولا فعلٍ**، خلافًا للواقفية حيث قالوا: يجبُ الوقفُ في ذلك. وهم قومٌ نَبَغُوا في زمن الإمام أحمدَ بن حنبلٍ (ت٢٤١هـ) فسمَّاهم أحمدُ الواقفيَّةَ. والدليل علىٰ فساد قولهم ما قد ثبتَ من الأدلة التي قدَّمنا ذكرها من القرآن والآثارِ وحجج العقولِ علىٰ أن كلامَ الله قديمٌ أزليٌّ ليس بمُحْدَثٍ ولا مخلوقٍ، وإذا كان كذلك عُلِم أنه لا يجوزُ الوقفُ فيه. فإن قالوا: الصحابةُ وسلفُ الأمَّةِ لم يقل أحدٌ منهم: إنه مخلوقٌ ولا غير مخلوقٍ، فيجبُ أن يُوقَف فيه. قلنا: لم ينقل عن واحدٍ منهم القول بالوقفِ، فوجَبَ أن لا يجوزُ الوقفُ، وذلك أنه لم ينقلْ عنهم ولا عن أحدٍ منهم أنه لا يجوزُ أن يقال: إن كلامَ الله مخلوقٌ ولا غير مخلوقٍ، فمن قال: «إنه يجبُ الوقفُ» فقد خالفَ الإجماعَ. علىٰ أنه في القرآن وفي السُنَّةِ وفي أقاويل الصحابةِ ما يدلُّ علىٰ أنه غير مخلوقٍ وأنه قديمٌ، فدلَّ علىٰ فسادِ قولهم. ثم يقال لهم: يلزمكم أن تقولوا: إنه يجبُ الوقفُ في البارئِ هل هو قديمٌ أو ليس بقديمٍ لأنّ أحدًا من السلفِ لم يقل: إنه قديمٌ أو ليس بقديم، فلما لم يجزِ الوقفُ في ذلك وإن لم يُنْقَل عنهم بطلَ قولكم. (الكفاية في أصول الدين، ق٧٣/أ ـ ب).

ثُمَّ إِنَّا نُوجِدُهُمْ ذَلِكَ وَنَتْلُو عَلَيْهِمُ الآيَاتِ الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا، وَاسْتَدْلَلْنَا بِهَا عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، وَسَائِرِ مَا احْتَجَجْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ آيِ القُرْآنِ.

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ**: يَلْزَمُكُمْ أَنْ تَقِفُوا فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ، وَلَا تُقْدِمُوا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ قَوْلٍ، فَإِنْ جَازَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِبَعْضِ تَأْوِيلِ المُسْلِمِينَ إِذَا دَلَّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ دَلِيلٌ فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: «إِنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ» بِالحُجَجِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا قَبْلَ هَذَا المَوْضِعِ؟![١].

❁ مَسْأَلَةٌ:

❖ **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: حَدِّثُونَا، أَتَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ؟

❖ **قِيلَ لَهُ**: كَذَلِكَ نَقُولُ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، فَالقُرْآنُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، وَهُوَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وَهُوَ مَتْلُوٌّ بِالأَلْسِنَةِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦][٢].

---

(١) هذه الأجوبة والإلزامات موافقة لما قرره الشيخ أبو الحسن الأشْعرِيُّ رضي الله عنه في رسالته استحسان الخوضِ في عِلْم الكلام (ص٩٥ - ٩٦).

(٢) قال الإمام الحافظُ **أبو بكر الإسماعيلي** (ت٣٧١هـ): ويقُولون: القرآنُ كلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلوقٍ، وإنه كيفما تصَرَّفَ، بقِراءة القارئ له وبلفظهِ، ومحفوظًا في الصُّدُور، مَتْلُوًّا بالألْسُن، مَكْتُوبًا=

فَالقُرْآنُ مَكْتُوبٌ فِي مَصَاحِفِنَا فِي الحَقِيقَةِ، مَحْفُوظٌ فِي صُدُورِنَا فِي الحَقِيقَةِ، مَتْلُوٌّ بِأَلْسِنَتِنَا فِي الحَقِيقَةِ، مَسْمُوعٌ لَنَا فِي الحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦](١).

مَسْأَلَةٌ:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: حَدِّثُونَا عَنِ اللَّفْظِ بِالقُرْآنِ، كَيْفَ تَقُولُونَ فِيهِ؟.

قِيلَ لَهُ: القُرْآنُ يُقْرَأُ فِي الحَقِيقَةِ وَيُتْلَىٰ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يُلْفَظُ بِهِ؛ لِأَنَّ القَائِلَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقُولَ: «إِنَّ كَلَامَ اللهِ مَلْفُوظٌ بِهِ»؛ لِأَنَّ العَرَبَ إِذَا قَالَ قَائِلُهُمْ: «لَفَظْتُ بِاللُّقْمَةِ مِنْ فَمِي» فَمَعْنَاهُ: رَمَيْتُ بِهَا، وَكَلَامُ اللهِ ﷻ لَا يُقَالُ: يُلْفَظُ بِهِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: يُقْرَأُ، وَيُتْلَىٰ، وَيُكْتَبُ، وَيُحْفَظُ.

وَإِنَّمَا قَالَ قَوْمٌ: «لَفَظْنَا بِالقُرْآنِ» لِيُثْبِتُوا أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَيُزَيِّنُوا بِدْعَتَهُمْ وَقَوْلَهُمْ بِخَلْقِهِ، وَيُدَلِّسُوا كُفْرَهُمْ(٢) عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَىٰ مَعْنَاهُمْ، فَلَمَّا وَقَفْنَا عَلَىٰ مَعْنَاهُمْ

= في المصاحِف: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ومَن قال بخَلْقِ اللَّفْظِ بالقُرآن ـ **يُرِيدُ به القُرآنَ** ـ فقد قال بِخَلْقِ القُرْآن. (اعتقاد أهْلِ السُّنَّة، ص٤٠).

(١) هذه السؤال وجوابه أوْرَدَهُما الحافِظُ **البيهقي** (ت٤٥٨هـ) بألفاظهما هنا مفتتحا بقوله: وقال **أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل** رحمه الله في كِتابه. (كتاب الاعتقاد، ص١٥٧) وقد قال قبل إيرادِهِ بعد ذكر كلام للإمام الشافعيِّ: وَبِمعناهُ ذكرَهُ أيضًا **عليُّ بن إسماعيلَ** في كتابه «**الإبانة**». (الاعتقاد، ص١٥٦).

(٢) وهؤلاء هُم الذين ذمَّهمُ السلفُ ومنهم الإمام أحمَدَ رحمه الله الذي وردَ عنه من طرق صحيحةٍ قيودٌ في كلامِهِ تعيِّنُ جهةَ الذمِّ على اللَّفظِيَّة، فقد قال ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ: «سَمِعْتُ أَبِيَ رحمه الله يَقُولُ: «كُلُّ مَنْ يَقْصِدُ إِلَىٰ القُرْآنِ بِلَفْظٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ـ **يُرِيدُ بِهِ مَخْلُوقٌ** ـ فَهُوَ جَهْمِيٌّ». (السنة، ج١/ص١٦٤).
وقال **الحافظ البيهقيُّ** (ت٤٥٨هـ): «سمعتُ أبا عمرٍو الأديبَ يقول: سَمِعْتُ **أبا بكرٍ الإسماعيليَّ**=

أَنْكَرْنَا قَوْلَهُمْ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: «إِنَّ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ مَخْلُوقٌ»؛ لِأَنَّ القُرْآنَ بِكَمَالِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

مَسْأَلَةٌ:

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم

= (ت٣٧١هـ) يقول: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ ناجِيةَ يَقولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل يَقولُ: سَمِعتُ أَبي يَقولُ: «منْ قال: لَفْظي بِالقُرْآنِ مَخْلوقٌ ـ يُرِيدُ به القُرْآنَ ـ فَهُوَ كافِرٌ».
ثم علّق البيهقيُّ بقوله: «فإِنّما أنْكرَ قولَ مَنْ تَذرَّعَ بهذا إلى القَوْلِ بخَلْقِ القُرْآنِ، وكَانَ يَسْتَحِبُّ تَرْكَ الكَلامِ فِيهِ لِهذا المعْنَىٰ، وَاللهُ أَعْلَمُ». (الاعتقاد، ص١٥٩).
وأورده أيضا في كتاب الأسماء والصفات وعلَّق بقوله: فهذا تقييدٌ حَفِظَهُ عنه ابنُهُ عبْدُ اللهِ وهو قوله: «يُرِيدُ بِهِ القرآنَ»، قد غفل عنه غيرُهُ ممن حكىٰ عنه في اللفظِ خلافَ ما حكينا حتىٰ نسبَ إليه ما تبرَّأ عنه فيما ذكرنا. (الأسماء والصفات، ج١/ص٨٣٩).
وقال إبراهيم الحربيُّ (٢٨٥هـ) تلميذ الإمام أحمدَ: كنتُ جالسًا عند أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) إذ جاء رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله، إنَّ عندنا قومًا يقولون: «إنَّ أَلْفاظَهُم بالقُرآن غيْرُ مَخْلُوقَةٍ»، فقال أحمد بن حنبلٍ: يتوجَّهُ العبدُ بالقرآن إلىٰ الله بِخَمْسَة أوجُهٍ كلُّها غيْرُ مخلوقةٍ، حفظٌ بقلبٍ، وتلاوةٌ بلسانٍ، وسمعٌ بآذانٍ، ونَظرٌ ببَصرٍ، وخطٌّ بِيَدٍ، فالقلبُ مخلوقٌ والمحفوظُ غيرُ مَخْلُوقٍ، والتلاوةُ مخلوقةٌ والمَتْلوُّ غيْرُ مَخْلُوقٍ، والنظرُ مخلوقٌ والمنظور إليه غير مخلوقٍ. (رسالة في أن القرآن غير مخلوقٍ، ص٣٢).
ونقلَ الذهبيُّ عن الحاكمِ قال: حَدَّثَنَا الأَصَمُّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ إِسْحَاقَ الصَّغَانِيَّ، سَمِعْتُ فُوْرَانَ صَاحِبَ أَحْمَدَ يَقُوْلُ: سَأَلَنِي الأَثْرَمُ وَأَبو عَبْدِ اللهِ المُعَيْطِيُّ أَنْ أطلبَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ خَلوةً، فَأَسأَلُهُ فِيْهَا عنْ أَصْحَابِنَا الذينَ يُفرِّقونَ بينَ اللَّفْظِ وَالمحكِيِّ. فَسَأَلْتُه، فَقَالَ: القُرْآنُ كَيْفَ تَصَرَّفَ فِي أَقوَالِه وَأَفْعَالِه فَغَيرُ مَخْلُوْقٍ. فَأَمَّا أَفْعَالُنَا فَمَخْلُوْقَةٌ. قُلْتُ: فَاللَّفظيَّةُ تَعدُّهُم يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ فِي جُمْلَةِ الجَهْمِيَّةِ؟ فَقَالَ: لَا، الجَهْمِيَّةُ الَّذِيْنَ قَالُوا: القُرْآنُ مَخْلُوْقٌ. (سير أعلام النبلاء، ج١١/ص٢٩١).

مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢][١].

---

(١) قال الإمام أحمدُ بْنُ حَنْبَلٍ (ت٢٤١هـ) فيما رواه عنه ابنهُ صالح (ت٢٦٥هـ) عن المناظرة: وجعلَ صوتي يَعْلُو أصواتَهم، فقال لي إنسانٌ منهم: قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أَفيكونُ مُحدَثًا إلا مَخْلُوقًا؟! قلتُ له: قال اللهُ تعالىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]، فالذِّكْرُ هو القرآنُ، وتلكَ ليس فيها ألِفٌ ولامٌ. (كتاب المحنة، ص١٥٢)

قال ابن قُتيبة (ت٢٧٦هـ): ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أي: ذِكْرٍ حدَثَ عِندهم لم يكنْ من قبلُ. (الاختلاف في اللفظ، ص٣٩).

قال الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ): وحين احْتُجَّ به على **أحمد بن حنبل** رحمه الله قال: «قد يحتملُ أن يكون تنزيلُهُ إلينا هو المُحْدَث، **لا الذِّكْرُ نفسُهُ مُحْدَثٌ**». وهذا الذي أجابَ به أحمدُ بن حنبلٍ ظاهرٌ في الآية، فإتيانُهُ: تنزيلُهُ على لسانِ الملَكِ الذي أتى به، والتنزيلُ مُحْدَثٌ. (كتاب الاعتقاد، ص١٤٦) وذكره أيضًا في الأسماء والصفات (ج١/ص٧٦٥).

وأورد **الحافظ الذهبيُّ** (ت٧٤٨هـ) عن **هشامِ بن عبيد الله الرازي** (ت٢٢١هـ) أنه قال: القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَلَيْسَ اللهُ يَقُوْلُ: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]؟ فَقَالَ: مُحْدَثٌ إِلَيْنَا، وَلَيْسَ عِنْدَ اللهِ بِمُحْدَثٍ. ثم علق الذهبيُّ قائلا: لأَنَّه مِنْ عِلْمِ اللهِ، وَعِلْمُ اللهِ لَا يُوْصَفُ بِالحَدَثِ. (سير الأعلام، ج١٠/ص٤٤٧).

ونقل الإمام البخاري عن الإمام **أبي عبيد القاسم بن سلام** (ت٢٢٤هـ) أنه أَوْرَدَ مِن شبهات الجَهْمية في احتجاجهم على خَلْقِ القرآن قولهم: والثالثة: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقلتم: ليس بِمُحْدَثٍ». ثم أجاب بقوله: وأما تحريفُهم ﴿مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فإنما حَدَثَ عِنْدَ النَّبِيِّ وأصحابِه لَمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ما لم يَعْلَمْ. (وفي نسخة: ما لم يكن يعلم. وفي نسخة: ما لم يكن يعلمهُ. (خلق افعال العباد، ج٢/ص٦٢).

وقال **ابنُ بطة الحنبلي** (ت٣٨٧هـ): إنما معنى قوْلِهِ: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أراد: مُحْدَثًا علمُهُ وخَبَرُهُ وزجره وموعظته عند محمد ﷺ، وإنما أراد: إن علمَكَ يا محمَّدُ ومَعْرفتَكَ مُحْدَثٌ بما أوحي إليك من القرآن، وإنما أرادَ: إن نزول القرآن عليكَ يُحْدِثُ لك ولمن سمعهُ عِلْمًا وذِكْرًا لم تكونوا تعلمونه. (الإبانة، ج٢/ص١٨٤).

قَالَ **مُحْيِي السُّنَّةِ البَغَوِيُّ** (ت٥١٦هـ): الذِّكْرُ المُحْدَثُ: مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَبَيَّنَهُ مِنَ السُّنَنِ وَالمَوَاعِظِ سِوَى القُرْآنِ، وَأَضَافَهُ إِلَى الرَّبِّ ﷻ لِأَنَّهُ قَالَهُ بِأَمْرِ الرَّبِّ. (معالم التنزيل، ج٥/ص٣٠٩). =

❖ **قِيلَ لَهُ**: الذِّكْرُ الَّذِي عَنَاهُ اللهُ ﷻ لَيْسَ هُوَ القُرْآنَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ الرَّسُولِ ـ عليه السلام ـ وَوَعْظُهُ إِيَّاهُمْ(١).

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥](٢).

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١]، فَسَمَّىٰ الرَّسُولَ ذِكْرًا، وَالرَّسُولُ مُحْدَثٌ(٣).

وَأَيْضًا فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] يُخْبِرُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ ذِكْرٌ مُحْدَثٌ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، **وَلَمْ يَقُلْ: لَا يَأْتِيهِمْ ذِكْرٌ إِلَّا كَانَ مُحْدَثًا**، وَإِذَا لَمْ يَقُلْ هَذَا لَمْ يَجِبْ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ مُحْدَثًا(٤).

= وقال **قوام السُّنة أبو القاسم الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)** احتجت المبتدعة بقوله تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وَلَيْسَ لَهُم فِي ذَلِكَ حجَّة، لِأَن معنىٰ قَوْله «مُحْدَث» أَي: مُحْدَثِ التَّنْزِيل، **تَكَلَّمَ اللهُ بِهِ فِي الأَزَل**، فَلَمَّا بعثَ مُحَمَّدًا ﷺ أنزلَهُ عَلَيْهِ، وَلِأَنَّهُ قَالَ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الأنبياء: ٢] وَ«مِنْ» للتَّبْعِيض، **وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَن ثَمَّ ذِكْرًا قَدِيمًا**، وَعِنْدهم لَيْسَ ثَمَّ ذِكْرٌ قَدِيمٌ. (الحجة في بيان المحجة، ج٢/ص٢٠٩).

(١) وبه أجابَ **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** فقال: فإن قالوا: فما معنىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]؟ قيل لهم: معناهُ: ما يَأتِيهِم من وَعْظٍ من النبيِّ ﷺ ووَعْدٍ وتخويفٍ ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ لأن وَعْظَ النبيِّ ﷺ ووعيدَهُ وتحذيرَهُ ذِكْرٌ. (التمهيد، ص٢٤٨).

(٢) أوردهُ **البيهقي (ت٤٥٨هـ)** بألفاظه لكن لا في صيغة السؤال ودون عزوٍ للأشعريِّ. (الاعتقاد، ص١٤٦).

(٣) أورده **البيهقي (ت٤٥٨هـ)** أيضا وزاد عليه فقال: فَدَلَّ أنّ ذِكْرًا غَيْرُ مُحْدَثٍ. (الاعتقاد، ص١٤٦) وذكرَ **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** هذا الدليل أيضًا في (التمهيد، ص٢٤٨).

(٤) ذكر **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** أيضًا هذا الجواب بقوله: وأيضًا فإن الله تعالىٰ لم يقل:=

وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: «مَا يَأْتِيهِمْ رَجُلٌ مِنَ التَّمِيمِيِّينَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الحَقِّ إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْهُ» لَمْ يُوجِبْ هَذَا القَوْلُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَ تَمِيمِيًّا، فَكَذَلِكَ الحُكْمُ فِيمَا سَأَلُونَا عَنْهُ.

مَسْأَلَةٌ:

فَإِنْ سَأَلُونَا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

قِيلَ لَهُمْ: اللهُ ﷻ أَنْزَلَهُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

فَإِنْ قَالُوا: فَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] وَالحَدِيدُ مَخْلُوقٌ.

قِيلَ لَهُمْ: الحَدِيدُ جِسْمٌ مَوَاتٌ، وَلَيْسَ يَجِبُ إِذَا كَانَ القُرْآنُ مُنْزَلًا أَنْ يَكُونَ جِسْمًا مَوَاتًا، وَكَذَلِكَ لَا يَجِبُ إِذَا كَانَ القُرْآنُ مُنْزَلًا أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا وَإِنْ كَانَ الحَدِيدُ مَخْلُوقًا.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ أَمَرَنَا اللهُ ﷻ أَنْ نَسْتَعِيذَ بِهِ(١)، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَمَرَنَا

= ما يأتيهم مِنْ ذِكْرٍ مِن رَبِّهِم إلا كانَ مُحْدَثًا، وفي الآيةِ دلالةٌ على أنَّ في الذكرِ ما ليس بمُحْدَثٍ لأجلِ نعتِهِ للذِّكْرِ بالحدوثِ، ولو كان لا ذِكْرَ إلا مُحْدَثًا لم يكن لقوله: ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] مَعْنًى، كما أنه لا معنى لقول القائل: «ما يأتيني مِن رَجُلٍ إلا أكرمتُهُ ولا هاشِمِيٍّ شريفٍ إلا قدَّمْتُهُ» إذا كان الرجلُ لا يكون إلا ذَكَرًا والهاشميُّ لا يكون إلا شريفًا، **فوجَب أن يكون نعتُ الذكرِ بالحُدُوثِ دلالةً على أنَّ منه ما ليس بمُحْدَثٍ**، فيجبُ أن يكون هو القرآن للإجماعِ على أن كلَّ ما عداهُ من الذِّكْرِ مُحْدَثٌ، واختلَفنا في كلامِ الله سبحانه، والآيةُ بأن تدلَّ على قولنا أقربُ. (التمهيد، ص٢٤٨).

(١) يعني في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]،=

أَنْ نَسْتَعِيذَ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ(١)، وَإِذَا لَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَسْتَعِيذَ بِمَخْلُوقٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَأُمِرْنَا أَنْ نَسْتَعِيذَ بِكَلَامِ اللهِ، فَقَدْ وَجَبَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

= وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وغير ذلك مِن الآي.

(١) يعني في قوله ﷺ: «**إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**» (مسلم: ٥٥/٢٧٠٨) قال **الحافظ البيهقي**: وفي هذا إثباتُ صفة الكلامِ لله ﷻ، وإنما قال: «**كَلِمَاتِ**» على طريق التعظيم. (كتاب الاعتقاد، ص١٣٣) وقال **البغويُّ (ت٥١٦هـ)** بعد أن أورد حديث مسلم بسنده: فِي هَذَا الحَدِيثِ وَفِي أَمْثَالِهِ مِمَّا جَاءَ فِيهِ الاسْتِعَاذَةُ بِكَلِمَاتِ اللهِ **دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كَلامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**، لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعَاذَ بِهِ، كَمَا اسْتَعَاذَ بِاللهِ، فَقَالَ: ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨]، وَقَالَ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَقَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». وَاسْتَعَاذَ بِصِفَاتِهِ، كَمَا جَاءَ فِي دُعَاءِ الْمُشْتَكِي «**قُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ**». وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيذُ بِمَخْلُوقٍ مِنْ مَخْلُوقٍ. وَبَلَغَنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رحمه الله أَنَّهُ كَانَ يَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ**» عَلَى أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لأَنَّهُ مَا مِنْ مَخْلُوقٍ إِلا وَفِيهِ نَقْصٌ. (شرح السنة، ج١/ص١٨٥) وانظر هذا الاستدلال عند نُعيم بن حماد في ردِّه على الجهمية فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج١٣/ص٣٨١).

وعنْ عليٍّ رضي الله عنه أنَّ رسول اللهِ ﷺ كان يقول عند مَضْجَعِه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ**» الحديثَ، رواه أبو داود (٥٠٥٢) قال **الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: فاستعاذَ رسول اللهِ ﷺ في هذا الخبرِ وغَيْرِه بكَلِمَات اللهِ، كما استعاذَ بوَجْهِه الكريم، **وكمَا أنَّ وَجْهَهُ الَّذِي استَعاذَ به غيْرُ مَخْلُوق، فكذلك كَلِمَاتُهُ التي استعاذَ بها غيْرُ مَخْلُوقَةٍ**. (الاعتقاد، ص١٤٩).

وقال البيهقي (ت٤٥٨هـ) أيضا: فَاسْتَعاذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَمَرَ أنْ يُسْتَعاذَ في هذه الأخبار بكَلِمَاتِ الله، كما أَمَرَهُ اللهُ جلَّ ثناؤه أن يَسْتَعِيذَ به فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨]، وقال ﷻ: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، ولا يصحّ أن يستعيذَ بمخلوقٍ من مخلوقٍ، ف**دلَّ أنه استعاذ بصِفَةٍ مِن صِفاتِ ذاتِه، وأمَرَ أنْ يُسْتعاذَ بصِفَةٍ من صفات ذاته، وهي غير مخلوقة**، كما أَمَرَهُ الله تعالى أن يستعيذ بذاته وذاتُه غيْرُ مَخْلُوقٍ. (الأسماء والصفات، ج١/ص٤٧٧).

بَابُ
ذِكْرِ الاسْتِوَاءِ عَلَى العَرْشِ (1)

(1) المقصود من عقدِ هذا الباب ما أفصحَ به الحافظ البيهقي في الباب الذي ترجمه في كتابه بالاستواء على العرش إذ قال: **فيما كتبنا من الآياتِ دلالةٌ على إبطالِ قول من زعَم من الجَهْمِيَّة أن الله سبحانه وتعالى بذاته في كلِّ مكانٍ**. (الاعتقاد، ص١٦٢) وهذا أيضا ما نصَّ عليه الحافظ ابن عبد البرّ بعد ذكر آياتِ هذا الباب: «وَهَذِهِ الآياتُ كُلُّهَا وَاضِحاتٌ **فِي إِبْطالِ قَوْلِ المُعْتَزِلَةِ فِي قولهم: إنَّ الله في كلِّ مكانٍ**. (التمهيد، ج٧/ص١٣٠).

قال الشيخ **عبد الجليل الرَّبَعي** (ت٤٧٨هـ): قد قال **الشيخُ أبو الحسنِ**: أقول: **إن الله مُسْتَوٍ على العرشِ بلا تكييفٍ ولا تحديدٍ**، وأقول كما قال، وأصِفُهُ تعالى بما وصفَ به نفسَهُ، ولَا أتقدَّمُ بين يديهِ، ولا أعترض عَلَيْهِ. (التسديد في شرح التمهيد، ج٢/ص٥١١).

وقال الشيخ أبو الحسن الأشْعرِيُّ في «**المقالات**» بعد أن أوردَ أقْوال المجسِّمةِ في فَهْمِهم لِعُلوِّ الله تعالى وَذمَّها: وقال أَهْلُ السُّنَّةِ وأصْحابُ الحَدِيث: **لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلا يُشْبِهُ الأشْياءَ، وإِنَّهُ عَلَى العَرْش** كما قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولا نُقدِّمُ بيْن يَدَيِ اللهِ في القَوْلِ، بَلْ نَقُولُ: اسْتَوَى، **بِلَا كَيْفٍ**. (مقالات الإسلاميين، ص٢١١).

وقد قال **أبو القاسم الكعبي** المعتزليّ (ت٣١٩هـ) في مقالاته: إنّ **ابْنَ كُلَّابٍ** يقول ما لا يُفْهَمُ، **يزعمُ أنه على العَرْشِ لا في مكانٍ**، وليس يريدُ بالعَرْشِ المُلْكَ، **ويقول: إنه تعالى ليس بجِسْمٍ**. (كتاب المقالات، ص٢٤٥).

وقال الأستاذُ **عبد القاهر البغدادي** (ت٤٢٩هـ): كان عبد الله بن سعيدٍ يقول: إنّ الله تعالى مباينٌ لخَلْقِهِ، وأرادَ به المباينةَ التي هي ضدُّ المماسَّةِ، وقال أيضًا: إنه سبحانه بايَنَ خَلْقَهُ لا بمسافةٍ ولا بتَحَيُّزٍ. (تفسير الأسماء والصفات، ج١/ص٣١٥) وقال **عبد القاهر** (ت٤٢٩هـ) أيضًا: وكان عبد اللهِ بنُ سعيدٍ يقول: إنه تعالَى في السَّماءِ، وإنه على العرشِ، **لا على معنى كون الجِسْمِ في مكانٍ، ولا على طريق المماسَّةِ**، ولكن لاتباع الشَّرْع لقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وحكى **الكعبيُّ** في مقالاته أن قول ابن كلابٍ ـ يعني عبدَ الله بن سعيدٍ ـ غير معقولٍ في هذا الباب، **وذلك لجَهْلِه بمعرفة المذاهب**، فإذا لم يَعْرِف مذاهبَ خصومِهِ ادعى أنها غيْرُ معقولةٍ، ولو نظرَ في كتُبِ عبد الله بن سعيدٍ أو رجعَ إلى المُحَصّلين من أصحابه لم يخفَ عليه مذهبُه. (تفسير الأسماء الحسنى،=

✤ إِنْ[(١)] قَالَ قَائِلٌ: مَا تَقُولُونَ فِي الاسْتِوَاءِ؟

✤ قِيلَ لَهُ: نَقُولُ: إِنَّ اللهَ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][(٢)].

= ج٢/ص٤٧٠) ثم قال بعد أن شرح مذهب ابنَ كُلَّاب: فقول الكعبيِّ: «إن مذهبَ ابن كُلَّابٍ غير معقولٍ» يرجعُ إلىٰ تحقيق جَهْلِه بمذْهَب خصُومِه كما بيناه. (السابق، ج٢/ص٢٧١).

(١) من هنا يبدأ نقل الذَّهبي عنِ الإبانَةِ في كتاب العلو (ص٢١٨).

(٢) هذا القول الذي اختارهُ **الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ** (ت٣٢٤هـ) في هذا الكتاب هو اختيارُ جماعةٍ من السَّلَفِ كالإمام عبد الله بْنِ سَعِيد بن كُلَّابٍ (ت٢٤٥هـ) كما بيَّن ذلك الأستاذُ **عبد القاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)** فقال: التأويل الثاني: أن المرادَ به الاستواءُ بمعنىٰ **العُلوِّ عليْهِ مِنْ غَيْرِ مماسَّةٍ منه**، كما ذهب إليه عبدُ الله بن سعيدٍ **لأنه فوقَ جميعِ الخَلْقِ بلا مماسَّةٍ ولا تحيُّز**، ويكون فائدة الاستواءِ علىٰ هذا المذهبِ أنَ اللهَ ﷻ **عرَّفنا أنه ليس في مكانٍ، ولا بينَ طبقتينِ من أطباقِ السمواتِ والأرضين، ولا بينَ أجسامٍ محيطةٍ به**. (تفسير الأسماء والصفات، ج٢/ص٤٧٣) وهذا هو مرادُ الإمام ابن عبد البرّ عندما قال: الاستوَاءُ: **هُوَ الاسْتِقْرارُ فِي العُلوِّ**. (التمهيد، ج٧/ص١٣١) أي أن الله تعالىٰ يتنزَّهُ عن أن يختلط بخَلْقِه أو يختلط خَلْقُه بهِ، بل هو مستقرٌّ في تِلْك المُباينة بالحقيقة لِخَلْقِه لا يتغيَّرُ ولا يزول ولا يحُول عنها بحيث يصير ممتزجًا بهم.

وقال الشيخ **أبو محمد الأصبهاني بن اللَّبان الشافعي (ت٤٦٦هـ)**: قال عبدُ الله بن سعيدٍ القطان: الاستواءُ مِن صفات الذات، وهو العلوُّ، ومعنىٰ ذلك أنه تعالىٰ هو في نفسهِ علىٰ هذه الصفةِ، وإنه لكونه عليها يَسْتَحِيلُ عليه النقائصُ وسماتُ الحَدَث، وأنه عالٍ ومرتفعٌ عن أن تلحقهُ النقائص. ودليل أبي محمد عبْدِ الله هو أن الله تعالىٰ أضاف الاستواءَ إلىٰ نفْسِه، فيجب أن يكون صفةً له لا للعرشِ لأنه قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولم يقل: العرشُ استوىٰ، فلا يجوزُ العدول عنه إلىٰ المجازِ بغير دلالةٍ. (الكفاية، ق١٠/أ).

قال القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ): فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قِيلَ لَهُ: الأَيْنُ سُؤَالٌ عَنِ المَكَانِ، وَلَيْسَ هُوَ مِمَّنْ يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يُحِيطُ بِهِ أَقْطَارٌ، غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ: **إِنَّهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ**، لَا عَلَىٰ مَعْنَىٰ كَوْنِ الجِسْمِ عَلَىٰ الجِسْمِ بِمُلَاصَقَةٍ وَمُجَاوَرَةٍ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. (تمهيد الأوائل، ص٢٦٤).

وقال الإمام **أبو عَمْرٍو الدانيُّ** (ت٤٤٤هـ): ٱسْتِوَاؤُهُ ﷻ: **عُلُوُّهُ بغير كَيْفِيَّةٍ، ولَا تَحْدِيدٍ**،=

وَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وَقَالَ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وَقَدْ قَالَ ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

وَقَالَ حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧]، كَذَّبَ مُوسَىٰ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ ﷻ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ[١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦][٢]،

= **ولَا مُجَاوَرَةٍ، ولَا مُمَاسَّةٍ**. (الرسالة الواعية، ص١٣٠).

وقال **القاضي ٱبن رشد (ت٥٢٠هـ)**: المعنيُّ في وَصْفِ الله ﷻ نفْسه بأنه ٱسْتَوَىٰ على العرش: أنه أعْلَىٰ مِنْهُ ومِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ، **لا أنه ٱسْتوىٰ عليه بمعنىٰ الجُلوسِ عَلَيْهِ والتَّحيُّزِ فيه والمُمَاسَّةِ**؛ لأنه مستحيلٌ في صفات الله تعالىٰ؛ لأنه مِن التكييف الذي هو مِنْ صفاتِ المخلوق، ولذلك قال فيه مالِكٌ في الرواية: «**إِنَّهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ**». (البيان والتحصيل، ج١٦/ص٣٦٩).

وقال **قوام السُّنة أبو القاسم الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)**: قَالَ أهل السُّنة: خلَق الله السَّمَوَات وَالْأَرْض، وَكَانَ عَرْشه عَلَىٰ المَاء مخلوقا قبل خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض. ثمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْش بعد خَلْقِ السَّمَوَات وَالْأَرْض عَلَىٰ مَا ورد بِهِ النَّص، **وَلَيْس مَعْنَاهُ المُمَاسَّةَ، بل هُوَ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشه بِلَا كَيفَ**، كَمَا أخبر عَن نَفسه. (الحجة في بيان المحجة، ج٢/ص١١٦).

وقال الشيخ **علاء الدين بن العطار (ت٧٢٤هـ)**: ويجب أن يعتقدَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ ـ كَمَا نَطَقَ بِهِ الكِتَابُ العَزِيزُ فِي سِتِّ آيَاتٍ كَرِيمَاتٍ ـ بِلَا كَيْفٍ، بَلْ كَيْفَ شَاءَ، **مِنْ غَيْرِ مُمَاسَّةٍ أَوِ احْتِيَاجٍ إِلَىٰ العَرْشِ**، **مَعَ تَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الجُلُوسِ أَوِ القُعُودِ** أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ. (الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، ص١٠ ـ ١١).

(١) قال **الحارث المحاسبي (ت٢٤٢هـ)**: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧] **فيما قال لي: إنه في السماءِ**، فطلبَهُ حيث قال له موسىٰ عليه السلام، مع الظنِّ منه بموسىٰ عليه السلام **أنه كاذبٌ، ولو أن موسىٰ عليه السلام أخبرهُ أنه في كل مكانٍ بذاته لطلبه في الأرض أو في بيته وبدنه ولم يتعنَّ ببنيان الصَّرْح**. (فهم القرآن، ص١٣١).

(٢) قال **الحارث المحاسبي (ت٢٤٢هـ)**: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] **يعني: فَوْقَ**=

فَالسَّمَوَاتُ فَوْقَهَا العَرْشُ، فَلَمَّا كَانَ العَرْشُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ قَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] لِأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَىٰ العَرْشِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ، وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، فَالعَرْشُ أَعْلَىٰ السَّمَوَاتِ[١].

وَلَيْسَ إِذَا قَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] يَعْنِي جَمِيعَ السَّمَوَاتِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ العَرْشَ الَّذِي هُوَ أَعْلَىٰ السَّمَوَاتِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ ذَكَرَ السَّمَوَاتِ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، **وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ القَمَرَ يَمْلَأُهُنَّ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ فِيهِنَّ جَمِيعًا**[٢].

= العَرْشِ، والعرشُ على السماءِ لأن مَن كان فَوْقَ شَيْءٍ علىٰ السماءِ فهو في السماءِ، وقد قال مثل ذلك: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] يعني: عَلَىٰ الأرض، **لا يُريدُ الدخول في جَوْفها**. (فهم القرآن، ص١٢٩، ١٣٠)

قال **الحافظُ البيهقي**: مَعْنَىٰ قَوْلِهِ فِي الكِتَابِ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]: مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَىٰ العَرْشِ، كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، وَالعَرْشُ أَعْلَىٰ السَّمَاوَاتِ، فَهُوَ عَلَىٰ العَرْشِ كَمَا أَخْبَرَ، **بِلَا كَيْفٍ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، غَيْرُ مُمَاسٍّ لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ**، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. (الخلافيات، ج٦/ص٣٤٠).

(١) جملة: «**وَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، فَالعَرْشُ أَعْلَىٰ السَّمَوَاتِ**» أوردها بلفظها الحافِظُ البَيهَقِيُّ ثم قال: «فمعنىٰ الآية: أأمِنْتُمْ مَنْ عَلَىٰ العَرْشِ، كما صرَّح به في سائر الآيات». (الاعتقاد، ص١٦١).

(٢) إلىٰ هنا انتهىٰ نقْلُ الذَّهبيِّ في كتاب العلو مع شيء من الاختصار منه (ص٢١٩) يريدُ أن يقول: كذلك لا يرادُ مِن قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أن الله ﷻ ممتزجٌ بذاته في السموات أو يملؤهنّ جميعًا، بل هو سبحانَ بائنٌ عن سَمواتِه متميِّزٌ بذاتِه عنها، وهذا معنىٰ أنه تعالىٰ فوقها وفوق العرشِ، في عين تنزُّهه سبحانه وتعالىٰ عن الحُدودِ والأقطار والكَيْفِ. وقد قال الإمام عبد القاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ): **كان أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه **إذا قال: إنه تعالىٰ مُبايِنٌ لِخَلْقِه، أو بَائِنٌ مِن خَلْقِه، فمعناه عندهُ أنهُ مُخَالِفٌ لِخَلْقِه في الصفاتِ**. (تفسير الأسماء والصفات، ج١/ص٣١٦).

وَرَأَيْنَا المُسْلِمِينَ جَمِيعًا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا دَعَوْا نَحْوَ السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَىٰ العَرْشِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ ، فَلَوْ لَا أَنَّ اللهَ ﷻ عَلَىٰ العَرْشِ لَمْ يَرْفَعُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْوَ العَرْشِ ، كَمَا لَا يَحُطُّونَهَا ـ إِذَا دَعَوْا ـ إِلَىٰ الأَرْضِ .

فَصْلٌ:

وَقَدْ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ المُعْتَزِلَةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَالحَرُورِيَّةِ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أَنَّهُ اسْتَوْلَىٰ وَمَلَكَ وَقَهَرَ ، **وَأَنَّ اللهَ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ**(١) .

وَجَحَدُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ مُسْتَوِيا عَلَىٰ عَرْشِهِ ـ كَمَا قَالَ أَهْلُ الحَقِّ(٢) ـ

---

(١) قال **أبو القاسم الكعبي**: القول في المكان: قالت المعتزلة والخوارجُ والزيديةُ والمرجئةُ: إن اللهَ بكلِّ مكانٍ ، وإنه لا يجوزُ أن يكونَ في مكانٍ دونَ مكانٍ لأن ذلك من صفات الحَدَثِ . (كتاب المقالات ، ٢٤٥) وقد حكىٰ **الحارث المحاسبي** (ت٢٤٢هـ) هذه المقالة عن بعض أهل الضلال وأنهم استدلوا علىٰ ذلك بظواهر آيات منها قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] ، ثمّ ردّ عليهم بقوله: **هذه الآية معناها أنّ الله لم يُرِدِ الكونَ بذاتِه في أسْفلِ الأشياءِ وينتقل فيها بانتقالها وينهض فيها علىٰ أقدارها ويزول عنها عند فنائها ، جلّ مولانا تعالىٰ عن ذلك علوا كبيرًا** . (فهم القرآن ، ص١٢٨) .

(٢) وهذا الذي اختارَهُ الشيخ **أبو الحسن الأشعريِّ** رضي الله عنه في الاستواء في هذا الكتاب عَلِمَهُ أصحابُهُ وقبلوهُ قولًا وحَكَوْهُ في كُتُبِهِم ، فقد قال الشيخ عبد الجليل الربعِيُّ: وقد قال الشيخ أبو الحسنِ: **أقول: إن الله مستوٍ علىٰ العرشِ بلا تكييفٍ ولا تحديدٍ** ، وأقول كما قال ، وأصفهُ بما وَصفَ به نفسَهُ ، ولا أتقدَّمُ بين يديه ، ولا أعترضُ عليه . (التسديد في شرح التمهيد ، ح٢/ص٥١١) .
وقال **الحافظ البيهقي** (ت٤٥٨هـ): وَذَهبَ أَبُو الحَسنِ عَلِيُّ بْنُ مُحمّدِ بْنِ مَهْدِيٍّ الطَّبريُّ فِي آخرينَ مِنْ أَهْلِ النَّظرِ إلىٰ أَنَّ اللهَ تعالىٰ في السَّماءِ فَوقَ كُلِّ شيءٍ ، مُسْتَوٍ علىٰ عَرْشِهِ ، بمعْنَىٰ أنَّهُ عالٍ عَليهِ ، وَمَعْنَىٰ الاسْتواءِ: الاعْتلاءُ ، كما تَقولُ: اسْتَوَيْتُ عَلَىٰ ظَهْرِ الدَّابَّةِ ، وَاسْتَوَيْتُ على السَّطح ، بِمعْنَىٰ عَلَوْتهُ ، وَاسْتَوتِ الشَّمسُ علىٰ رَأْسي ، وَاسْتوىٰ الطَّيرُ علىٰ قِمَّةِ رَأْسِي ،=

وَذَهَبُوا فِي الاسْتِوَاءِ إِلَىٰ القُدْرَةِ.

وَلَوْ كَانَ هَذَا كَمَا ذَكَرُوهُ كَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَ العَرْشِ وَالأَرْضِ السَّابِعَةِ، لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَالأَرْضُ شَيْءٌ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَيْهَا وَعَلَىٰ الحُشُوشِ وَعَلَىٰ كُلِّ مَا فِي العَالَمِ.

فَلَوْ كَانَ اللهُ مُسْتَوِيًا عَلَىٰ العَرْشِ بِمَعْنَىٰ الاسْتِيلَاءِ، وَهُوَ ﷻ مُسْتَوْلٍ عَلَىٰ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، لَكَانَ مُسْتَوِيًا عَلَىٰ العَرْشِ وَعَلَىٰ الأَرْضِ وَعَلَىٰ السَّمَاءِ وَعَلَىٰ الحُشُوشِ وَالأَقْذَارِ لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ الأَشْيَاءِ مُسْتَوْلٍ عَلَيْهَا.

وَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَجُزْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللهَ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَىٰ الحُشُوشِ وَالأَخْلِيَةِ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الاسْتِوَاءُ عَلَىٰ العَرْشِ الاسْتِيلَاءَ[1] الَّذِي هُوَ عَامٌّ فِي الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ

= بِمعْنىٰ علا فِي الجَوِّ فوُجد فَوْق رَأسي، **فَالقديمُ سُبْحانهُ عَالٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، لَا قاعِدٌ ولا قائِمٌ، وَلَا مُماسٌّ وَلَا مُباينٌ عَنِ العَرْشِ.** يُرِيدُ بِهِ: **مُبايَنةَ الذَّاتِ الَّتي هي بِمَعنَىٰ الاعْتِزالِ أو التَّباعُدِ لأنَّ المُماسّةَ والمُبايَنةَ الَّتي هِي ضِدُّها، والقِيَامَ وَالقُعُودَ مِنْ أَوْصَافِ الأَجْسَامِ**، وَاللهُ ﷻ أَحَدٌ صَمَدٌ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤]، فلا يجُوزُ عَلَيْهِ ما يَجوزُ علىٰ الأجْسامِ، وحكَىٰ الأُستاذُ **أَبو بَكْرِ بنُ فُورَكَ** هذه الطّرِيقةَ عَنْ بَعضِ أصْحابنا أَنّهُ قال: اسْتَوىٰ بِمَعْنَىٰ: عَلَا، ثُمَّ قال: ولا يُريدُ بِذَلكَ عُلُوًّا بِالمسافةِ وَالتَّحيُّزِ والكوْنِ في مَكانٍ مُتَمكّنًا فيه، ولكنْ يُريدُ مَعْنىٰ قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أَيْ: مَن فوقَها، **عَلَىٰ مَعْنَىٰ نَفْيِ الحَدِّ عَنْهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَحْوِيهِ طَبَقٌ أَوْ يُحِيطُ بِهِ قُطْرٌ**، وَوَصْفُ اللهُ سُبْحانَهُ بذلكَ طَرِيقُهُ الخبرُ، فلا نَتعدَّىٰ ما وَرَدَ بِهِ الخَبَرُ. (الأسماء والصفات، ج٢/ص٣٢٥ ـ ٣٢٧) وسَبقَهُمْ إلىٰ ذلك الإمام **الحارث المُحاسبي** (ت٢٤٢هـ) الذي ذكرَ الآيات التي أوْرَدَها الأشعري في هذه المسألة ثم قال: **وهذا قَطْعٌ يُوجِبُ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ فَوْقَ الأشياءِ، منزّهٌ عن الدُّخُولِ في خَلْقِه**، لا يَخْفَىٰ عَلَيْه منهم خافِيَةٌ. (فهم القرآن، ص١٢٩).

(١) إلىٰ هنا انتهىٰ نقل الذهبي في العلو مع شيء من الاختصار منه (ص٢١٩).

الاسْتِوَاءِ يَخْتَصُّ بِالعَرْشِ دُونَ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

وَزَعمَتِ المُعْتَزِلَةُ وَالحَرُورِيَّةُ وَالجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللهَ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَلَزِمَهُمْ أَنَّهُ فِي بَطْنِ مَرْيَمَ، وَفِي الحُشُوشِ وَالأَخْلِيَةِ، وَهَذَا خِلَافُ الدِّينِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ(١).

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًا عَلَىٰ العَرْشِ بِمَعْنًى يَخْتَصُّ العَرْشَ دُونَ غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ أَهْلُ العِلْمِ وَنَقَلَةُ الآثَارِ وَحَمَلَةُ الأَخْبَارِ، وَكَانَ اللهُ ﷻ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَهُوَ تَحْتَ الأَرْضِ الَّتِي السَّمَاءُ فَوْقَهَا، وَإِذَا كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ، وَالأَرْضُ فَوْقَهُ، وَالسَّمَاءُ فَوْقَ الأَرْضِ، فَفِي هَذَا مَا يُلْزِمُكُمْ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ اللهَ تَحْتَ التَّحْتِ، وَالأَشْيَاءَ فَوْقَهُ، وَإِنَّهُ فَوْقَ الفَوْقِ، وَالأَشْيَاءَ تَحْتَهُ.

---

(١) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): فإن قالوا: فهل تقولون: إنه في كلِّ مكانٍ؟ قيل: معاذَ اللهِ، **بل هو مُسْتوٍ علىٰ العَرْشِ**، كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦]، ولو كان في كلِّ مكانٍ لكان في جَوْفِ الإنسان وَفمِهِ، وفي الحشوشِ والمواضعِ التي يُرغَبُ عن ذِكْرِها، تعالىٰ الله عن ذلك، ولوجب أن يزيدَ بزيادةِ الأماكن إذا خلق منها ما لم يكنْ خلقَهُ، وينقصَ بنقصانها إذا بطل منها ما كانَ، ولصحَّ أن يُرْغَبَ إليه نَحْوَ الأرضِ وإلىٰ وراء ظُهورِنا وعن أيماننا وشمائلنا، وهذا ما قد أجمعَ المسلمون علىٰ خلافه وتخطئة قائله. (التمهيد، ص٢٦٠).

وقال **ابن طلحة اليابري** (ت٥١٦هـ): من صفاته تعالىٰ الأزلية: العلوُّ والعظمَةُ والقهر والغلبة والملكُ، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أي: بالعلوِّ والعظمة وما ذكرناه، ولا يصحّ أن يقال: «هو عليه» علىٰ معنىٰ المماسَّة والمقاربة والمجاورة، **ولا أن يقال: هو في كل مكانٍ؛ لأنه يؤدي إلىٰ أن يكون في جوف الإنسان وفي الحشوش وغيره**، بل هو لا في مكان، كذلك كان ويكون. (المختصر في أصول الدين، ص١٥٩ ـ ١٦٠).

وَفِي هَذَا مَا يُوجِبُ أَنَّهُ تَحْتَ مَا هُوَ فَوْقَهُ، وَفَوْقَ مَا هُوَ تَحْتَهُ، وَهَذَا هُوَ المُحَالُ المُتَنَاقِضُ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ اللهَ ﷻ مُسْتوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ دُونَ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا مَا نَقَلَهُ أَهْلُ الرِّوَايَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

رَوَىٰ عَفَّانُ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ اللهُ ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرُ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الفَجْرُ**»(١).

وَرَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ يَحْيَىٰ ابْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) قال **يَحْيَىٰ بْنُ عَوْنٍ القَيْرَوَانِيُّ** (ت٢٩٦هـ): اللهُ تبارك وتعالى ليس بِمَنْزلة الخَلْق في نُزُوله؛ لأنَّهُ ليس أحَدٌ مِنَ الخلق يصيرُ من مكانٍ إلىٰ مكانٍ ومَوْضعٍ كان فيه إلىٰ غيرِهِ إلا وهو زائلٌ عن مَوْضِعِهِ أوْ مَكانِهِ الأوَّلِ بِنَفْسِه، وإن اللهَ إذا اسْتَوَىٰ مِنَ الأرْضِ إلَىٰ السَّماء، أو نزَلَ مِن السَّماءِ إلىٰ الأرْضِ لَمْ يَعْزُبْ عَنْ عِلْمِهِ ما في السَّموات ولا في الأرض، عِلْمُهُ فيهنَّ بعدَ الاستواءِ وبعد النزول كعِلْمِهِ قَبْلَ ذلك، فمن كانت هذه حالُه فَلَيْسَ بزَائِلٍ مِثْلَ خَلْقِه، تباركَ الله ربُّ العالَمين. (الحُجَّة في الردِّ علىٰ أهل البِدَع ـ مخطوطٌ في القيروان).

قال الإمامُ **ابنُ عبد البرّ في شرح حديث النزول**: **لَيْس بِمَحلٍّ لِلْحَرَكاتِ، ولا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَلامَاتِ المَخْلُوقاتِ**. (الاستذكار، ج٢/ص٥٣٠).

قال **شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني** (ت٤٤٩هـ): قال بعضهم: ينزل نُزولًا يَلِيقُ بالرُّبُوبيَّة، بلا كيْفٍ، **مِن غيرِ أن يكون نُزولُه مِثْلَ نزُولِ الخَلْقِ بالتَّخَلِّي والتَّمَلِّي**؛ لأنَّه ﷻ منزَّهٌ أن تكون صفاتُه مِثْلَ صِفاتِ الخَلْقِ، كما كان منزَّهًا أن تكون ذاتُه مثلَ ذواتِ المَخْلُوقِين، فمجيئُه وإتيانُه ونزُولُهُ علىٰ حسَب ما يليق بصفاته، من غير تشبيهٍ وكيْفٍ. (عقيدة السلف، ص٦٠).

«إِذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكْشِفَهُ عَنْهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»(١).

وَرَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ السَّهْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، قَالَ: حَدَّثنا عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّ رِفَاعَةَ الجُهَنِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ: قَفَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِالكَدِيدِ ـ أَوْ قَالَ: بِقُدَيْدٍ ـ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ ـ أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ ـ نَزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»(٢).

دَلِيلٌ آخَرُ:

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وَقَالَ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وَقَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

وَقَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وَقَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤].

فَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ فِي السَّمَاءِ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَالسَّمَاءُ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ لَيْسَتِ الأَرْضَ، **فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مُنْفَرِدٌ بِوَحْدَانِيَّتِهِ**، مُسْتَوٍ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧٥٠٩) والدارقطني في النزول (ص١٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٦٢١٥).

عَلَىٰ عَرْشِهِ[(١)].

دَلِيلٌ آخَرُ[(٢)]:

قَالَ ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وَقَالَ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وَقَالَ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٢] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨].

وَقَالَ ﷻ لِعِيسَىٰ بنِ مَرْيَمَ عليه السلام: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وَقَالَ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ رَفَعَ عِيسَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

وَمِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الإِسْلَامِ جَمِيعًا إِذَا هُمْ رَغِبُوا إِلَىٰ اللهِ ﷻ فِي الأَمْرِ النَّازِلِ بِهِمْ يَقُولُونَ جَمِيعًا: يَا سَاكِنَ العَرْشِ[(٣)].

---

(١) قال الشيخ **عبد الجليل الربعيُّ**: وقد قال **الشيخ أبو الحَسنِ**: أقول: إن الله مستوٍ علىٰ العرشِ **بلا تكييفٍ ولا تَحْدِيدٍ**، وأقول كمَا قال، وأصفهُ بما وصفَ به نفسَهُ، ولا أتقدَّمُ بين يديه، ولا أعترضُ عليه. (التسديد في شرح التمهيد، ح٢/ص٥١١).

(٢) يعني: علىٰ أنّ الله تعالىٰ بائنٌ من خَلقِه، متميِّزٌ عنهُم بذاتِه، فالآياتُ المذكورة ظاهِرُها الأول يفيدُ نَفْيَ امْتِزَاجِه بخَلْقِه، وهو المطلوبُ، وإلا لبطل ظاهِرُ المَجِيء والإتيان والتَّدلِّي ونحو ذلك المفيد لحصول المُباينة، دون اعتقادِ أن الله تعالىٰ جسمٌ له أقطار وحُدُودٌ، فهذا ظاهر ثانٍ غير مرادٍ.

(٣) في خـ: السَّمَاءِ. وقد نَقلَ الذهبيُّ (ت٧٤٨هـ) عن الحافظ أبي العباس أحمد بن ثابت الطَّرْقِي=

وَمِنْ حَلِفِهِمْ جَمِيعًا: «لَا وَالَّذِي احْتَجَبَ بِسَبْعِ سَمَوَاتٍ»[(١)].

دَلِيلٌ آخَرُ:

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]، وَقَدْ خَصَّتِ الآيَةُ البَشَرَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ البَشَرِ.

= (ت٥٢١هـ) أنه قال: قرَأْتُ في كتابِ **أبي الحسن الأشعري** الموسوم بـ«**الإبانة**» أدِلَّةً على إثبات الاستواء، قال في جملة ذلك: «ومِنْ دُعاءِ أهْلِ الإسْلَام إذا هُمْ رَغِبُوا إلى الله يقولون: يا سَاكِنَ العَرْش، ومِنْ حَلِفِهم: «لا والذي احتجب بسبع سموات». قال الطَّرْقي: وهَذَا مأخوذٌ مِنْ قَوْله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ثُمَّ اخْتَارَ العُلْيَا فَسَكَنَهَا**». (كتاب العرش، ج٢/ص٣٨١) والخبر أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٥٠) وغيره. والمقصودُ من ذلك الإطلاقِ بيانُ أن الله تعالى بائنٌ من خَلْقِه، ردًّا على الجهميَّة القائلين بأن الله ممتزجٌ بخَلْقِه. ومن الأبيات القديمة التي تمثل بها أبو محمد الأعرابي الغُنْدِجَاني (ت٤٣٠هـ) كما في كتابه إصلاح ما غلط فيه النمري (ص٤٤٠):

فَـلا يَـدْرِي نُصَـيْرٌ مَـنْ دَحَاهَـا ❀ وَمَـنْ هُـوَ سَـاكِنُ العَـرْشِ الرَّفِيـعِ

وأما لفظة «السَّماءِ» قد خرّج الحافظ أبو نعيم في الحلية عن ثابتٍ البناني قال: **كَانَ دَاوُدُ نَبِيُّ اللهِ** ﷺ **يُطِيلُ الصَّلَاةَ ثُمَّ يَرْكَعُ ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِلَيْكَ رَفَعْتُ رَأْسِي يَا عَامِرَ السَّمَاءِ، نَظَرَ العَبِيدِ إِلَى أَرْبَابِهَا يَا سَاكِنَ السَّمَاءِ**. (الحلية، ج٢/ص٣٢٧) ورواه قبله ابن الجعد (ت٢٣٠هـ) في مسنده (ص٢١٠).

(١) إثباتُ الحِجاب أو الاحتجاب لِلَّهِ تعالى المَقصودُ منه إثباتُ مُبايَنَةِ الله تعالى لمَخلوقاته وتميُّزه عنهم بذاته، بمعنى أنه ليس مُمْتَزِجًا بهم، فإن الحجاب هو الحاجز بين شيئين، وهذا الظاهرُ للحجابِ مفيدٌ للمَطْلوبِ وهو الرّد على الجهميَّة، كما استفادَ أهل السُّنة من ظاهرِ الحجاب في مقامٍ آخر جواز رؤية الله تعالى، فقد قال القاضي **أبو بكر الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): لو كان اللهُ ممن لا يصحُّ أن يُرَى لم يجزْ أن يقال: إنه محجوبٌ عن رؤيتنا، كما لا يقال ذلك في المعدوم، وقد عُلِمَ أن ذلك الحجابَ المذكورَ لا يجوزُ أن يكون ساترًا وحاجبا وجِسْمًا ينتهي حدُّ القديمِ تعالى إلى حدِّهِ. (هداية المسترشدين، ج١/ص٥٠).

وَلَوْ كَانَتِ الآيَةُ عَامَّةً لِلْبَشَرِ وَغَيْرِهِمْ كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الشُّبْهَةِ وَإِدْخَالِ الشَّكِّ عَلَىٰ مَنْ يَسْمَعُ الآيَةَ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَمَا كَانَ﴾ لِأَحَدٍ ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾، فَيَرْتَفِعَ الشَّكُّ وَالحَيْرَةُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: مَا كَانَ لِجِنْسٍ مِنَ الأَجْنَاسِ أَنْ أُكَلِّمَهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ أُرْسِلَ رَسُولًا، وَيَتْرُكَ أَجْنَاسًا لَمْ يُعَمَّهُمْ بِالآيَةِ، فَدَلَّ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا أَنَّهُ خَصَّ البَشَرَ دُونَ غَيْرِهِمْ(١).

دَلِيلٌ آخَرُ:

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠].

وَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

كُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَيْسَ فِي خَلْقِهِ، وَلَا خَلْقُهُ فِيهِ(٢)، وَأَنَّهُ مُسْتَوٍ

---

(١) أرادَ الشيخُ **الأشعريُّ** الردَّ علىٰ الجهميَّةِ الذين قالوا: «إنه ليس بَيْنَ اللهِ وبين خَلْقِه حجابٌ ولا خَلَلٌ، وإنه لا يتخلَّصُ مِنْ خَلْقِهِ ولا يتخلَّصُ الخَلقُ منه إلا أن يُفْنِيَهُم أجمَعَ، فلا يبقىٰ مِنْ خَلْقِهِ شيءٌ إلا وهو ممتزجٌ به، فإذا أماتَ خَلْقَهُ تخلَّصَ منهم وتخلَّصُوا منه، وقالوا: إنَّه لا يخلُو منه شيءٌ من خَلْقِه ولا يَخْلُو هو مِنْهُم». [التنبيه للمطي، ص٩٧]، فالمقصودُ إبطال قولِهم، وإثباتُ أن الله تعالىٰ بائن مِنْ خَلْقِه، ليس في ذاته سواهُ، ولا في سواهُ ذاتُه، وتقرير الدليل أنه لو كان اللهُ ﷻ بذاته في كُلِّ مكانٍ مُختَلِطًا بجميع الأشياء لاسْتَوَتْ نسبةُ ذاته إليها جميعًا، ولبطل أن يكون مَحْجُوبًا عن بَعْضِها دون بعض، **لكن ظاهر الآية إثباتُ الاحتجابِ عن بَعْضها**، فبطل استواءُ نسبةِ ذاته إليها جميعا، فبطل ما أدىٰ إليه وهو كونه بذاته في كلِّ مكانٍ، وثبتَ نقيضهُ وهو أنه تعالىٰ بائنٌ بذاته عن جميع مخلوقاته.

(٢) وعبَّرَ الإمام أبو حامدِ الغزالي (ت٥٠٥هـ) عن هذا المعنىٰ في قواعد العقائد بقوله: وأنه=

عَلَىٰ عَرْشِهِ(١).

سُبْحَانه وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ فَلَمْ يُثْبِتُوا لَهُ فِي وَصْفِهِمْ حَقِيقَةً، وَلَا أَوْجَبُوا لَهُ بِذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ وَحْدَانِيَّةً؛ إِذْ كُلُّ كَلَامِهِمْ يَؤُولُ إِلَىٰ التَّعْطِيلِ، وَجَمِيعُ أَوْصَافِهِمْ تَدُلُّ عَلَىٰ النَّفْيِ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ ـ زَعَمُوا ـ التَّنْزِيهَ وَنَفْيَ التَّشْبِيهِ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ تَنْزِيهٍ يُوجِبُ النَّفْيَ وَالتَّعْطِيلَ(٢).

= بَائِن مِنْ خَلْقِه بصِفَاتِه، وَلَيْسَ فِي ذَاته سواهُ، وَلَا فِي سواهُ ذَاته. (الإحياء، ج١/ص٩٠).

(١) قال الأستاذُ أبو بكر بن فُورَك (ت٤٠٣هـ) بعد إيرادِهِ بعض الأحاديث التي فيها وَصْفُ الله تعالىٰ بأنه فَوْقَ عَرْشِه: **فَائِدَة الخَبَر تعريفُنا أنه ـ عَزَّ ذِكْرُهُ ـ مِمَّن لَا يدْخل بَيْنَ طَبَقَتَيْنِ، وَلَا مِمَّن هُوَ فِي كُلِّ مَكَان**، كَمَا ذهب إِلَيْهِ المخالِفُون، وَإِذا استفدنا بِهَذَا الخَبَر تَكْذِيب هذَيْن الفِرْقَتَيْنِ فِي دعواهما علىٰ الله أَنه يَحُلُّ فِي بعض المَخْلُوقَات ويُوصَفُ أَنَّه فِي كلِّ مَكَان، رَجَعَ تَأْوِيل الخَبَر إِلَىٰ مَا نقُول أَنه أَرَادَ بِهِ **أَنه غَيْرُ مُخْتَلِطٍ وَلَا مُمْتَزِج بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِه، وَأَنه بَائِنٌ مِمَّا خَلَقَ بَيْنُونَة الصِّفَةِ وَالنَّعْت، لَا بالتَّحيُّز وَالمَكَان والجِهَة**. (مشكل الحديث وبيانه، ص٤٥٣).

(٢) نقل ابن القيم (ت٧٥١هـ) كلام الشيخ أبي الحسَن الأشعريِّ هنا، ثم انحرف بمعناه إلىٰ التَّحْدِيد فقال: «ووَجْهُ استدلاله بهذه النصوص أنها صريحة في المُبايَنَةِ والمُقابلة والوقوف بين يديه، ولو كانَ غَيْرَ داخِلٍ في العالم ولا خارِجَهُ لمْ يَصِحَّ شيء من ذلك، فهذه النصوص صريحة في مباينة العالَم ومقابلته للواقِف بين يدَيْه حتىٰ يكون ناكِسَ الرَّأْسِ قُدَّامَه، فلو لمْ يَكُنْ فَوْقَ العرْشِ بطَلَت هذه النصوصُ جمْلَةً». (الصواعق المرسلة، ج٤/ص١٢٤٩) وفي كلامِهِ مغالطات، منها إقحامُهُ المقابَلَةَ المستلزمة للتحديد مع المباينَة التي لا تستلزمهُ، إذا المباينة أعمُّ من أن تكون بالحدِّ والجهة الحسية، وأما المُقابَلة فمستلزمَةٌ لهما، والشيخ أبو الحسَن ساق تلك الأدلة لإثبات المباينة التي شرحَها بقوله «**إِنَّهُ تَعَالَىٰ لَيْسَ فِي خَلْقِهِ، وَلَا خَلْقُهُ فِيهِ**». ومنها أن ابن القيّم جعل نَفْيَ الدخول في العالَم ونَفْيَ الخروج عنهُ ملزومًا لعَدَمِ وُجودِ الله تعالىٰ، والنزاعُ مع المُجَسِّمَة في ذلك، فهُو استدلالٌ بمحلِّ النزاع، وأهل السُّنة يقولون: إن الله تعالىٰ ليس خارج العالَمِ بمعنىٰ أنه ليس مقابلا له بجهةٍ وحدٍّ ومحاذاةٍ وحيّزٍ، ولا يلزمُ من ذلك أنه غير مُباينٍ بحقيقته للعالَمِ، وصحة الوقوف بين يَدَيْهِ سبحانه وصِحَّةُ العَرْضِ عليه سبحانه للحِساب وغير ذلك إنما هو لأجل كونِهِ سبحانه إلهًا مباينًا لمخلوقاتِهِ بحقيقتِه، لا لأجل كونِهِ جِسْمًا محاذيًا للعالَمِ مقابِلًا له بالحدِّ والجهةِ الحِسِّيَّة.

دَلِيلٌ آخَرُ[(١)]:

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، فَسَمَّىٰ نَفْسَهُ نُورًا، وَالنُّورُ عِنْدَ الأُمَّةِ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ مَعْنَيَيْنِ:

[١] - إِمَّا أَنْ يَكُونَ نُورًا يُسْمَعُ.

[٢] - أَوْ نُورًا يُرَىٰ.

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ يُسْمَعُ وَلَا يُرَىٰ فَقَدْ أَخْطَأَ فِي نَفْيِهِ رُؤْيَةَ رَبِّهِ وَتَكْذِيبِهِ بِكِتَابِهِ وَقَوْلِ نَبِيِّهِ ﷺ.

وَرَوَتِ العُلَمَاءُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «**تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ ﷻ، فَإِنَّ بَيْنَ كُرْسِيِّهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ أَلْفَ عَامٍ، وَاللهُ ﷻ فَوْقَ ذَلِكَ**»[(٢)].

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَرَوَتِ العُلَمَاءُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَا تَزُولُ قَدَمَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللهِ ﷻ حَتَّىٰ يَسْأَلَهُ عَنْ عَمَلِهِ**»[(٣)].

---

(١) أي: دليلٌ آخرُ على أن الله ﷻ بائِنٌ مِن خَلْقِه، وأنَّه ليْسَ في كُلِّ مَكانٍ بذاتِه، خلافا لمقالة الجهميَّةُ، وحاصل هذا الدليل بناءً على قولِ الخَصْم أن ذاتهُ ﷻ نُورٌ كلُّهُ، أنه لو كان بذاتِهِ في كلِّ مكانٍ مُختلِطا وممتَزِجًا بجميع المَخْلُوقاتِ للزم أن تكونَ جميعُ الأماكِن مضيئةً، وأن لَا تُوجَد أمكانُ مُظْلمةٌ، وهذا باطل بالمشاهَدة، فدلّ ذلك بطلانُ أنَّه في كل مكانٍ بذاته، وصحَّ قول أهل السنة أن الله تعالى بائنٌ مِنْ خَلْقِه، على معنى «**أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَيْسَ فِي خَلْقِهِ، وَلَا خَلْقُهُ فِيهِ**».

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢) وابن بطة في الإبانة (٢٣٣١) ومحلّ الشاهد من الأثر دلالة فوقِيَّتِه تعالى على عدَم كونه بذاته في كُلِّ مكانٍ كما ادعتِ الجَهْميَّةُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٧).

وَرَوَتِ العُلَمَاءُ أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْتِقَهَا فِي كَفَّارَةٍ، فَهَلْ يَجُوزُ عِتْقُهَا؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ[1]. قَالَ: «**فَمَنْ أَنَا؟**»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

وَهذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَاءِ.

---

(١) قال الأستاذُ أبو بكر بن فُورَك (ت٤٠٣هـ) ذهب شيخنا أبو الحسنِ رحمه الله إلى إحالةِ القولِ بأنَّ الله تعالىٰ في مَكانٍ دون مكانٍ، أو في كلِّ مكانٍ، علىٰ كلِّ وجهٍ، وقد بيّنا أنه **كان يذهبُ إلى جواز الإشارةِ إليْه، مع إحالةِ القولِ فيه بالتمكُّنِ في المكانِ**، ويقول: إنَّ الإشارةَ لا تقتضي مكانًا للمُشار إليه، وأنّ مَا يشارُ إليه وهو في مَكانٍ فلم يكنْ في مكانٍ لأجل الإشارةِ إليه، وإنما تعلقت الإشارة به وهو في المكانِ. (المجرّد، ص٨٠).

وقال **الإمام عبد القاهر البغداديُّ** (ت٤٢٩هـ): قال أبو الحسن الأشعريُّ رحمه الله: **يَجُوزُ أن يُشَارَ إليْهِ سُبْحانَهُ لَا في جِهَةٍ، كمَا يَجُوزُ أن يُرَىٰ لَا في جِهَةٍ**. (تفسير الأسماء والصفات، ج١/ص١٨٦) وذكره أيضا في (ج١/ص٢٥٦).

بَابُ
الكَلَامِ فِي الوَجْهِ وَالعَيْنَيْنِ(١) وَالبَصَرِ وَاليَدَيْنِ(٢)

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

فَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُ وَجْهًا لَا يَفْنَىٰ وَلا يَلْحَقُهُ الهَلَاكُ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وَقَالَ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

فَأَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ لَهُ وَجْهًا وَعَيْنًا؛ **لَا تُكَيَّفُ، وَلَا تُحَدُّ**.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وَقَالَ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

---

(١) قال الشيخ **أبو القاسم السُّهَيْليّ (ت٥٨١هـ)**: ذهَبَ **الأشعريُّ** في معنى الوَجْهِ إلى ما ذهَبَ فيه من معنى العينِ واليدِ وأنها صفاتٌ لله تعالى لم تعلمْ من جهة العقولِ، بل من جهة الشرعِ المنقول. (الروض الأنف، ج٤/ص٤٨) وقال الشيخُ **سيف الدين الآمديّ (ت٦٣١هـ)**: قال الشيخ أبو الحسنِ الأشعري في أحد قَوْلَيْه وجماعةٌ من السَّلَفِ: الوَجْهُ والعَيْنان صِفتانِ نَفْسِيَّتانِ، كما قال في اليَدَيْن. (أبكار الأفكار، ج١/ص٤٥٣).

(٢) قال الشيخ **أبو الحسَنِ الأشعري** رضي الله عنه: **قالتِ المُجَسِّمَةُ**: «لهُ يَدانِ ورِجْلَانِ ووَجْهٌ وعَيْنَانِ وَجَنْبٌ» **يَذْهَبُون إلى الجَوارح والأعْضاء. وقال أصْحابُ الحَدِيثِ**: لسْنَا نَقُول في ذلك إلَّا ما قالَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أوْ جاءَتْ به الرِّوايَةُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فنَقُولُ: وَجْهٌ **بلَا كَيْفٍ**، ويَدانِ وَعَيْنَانِ **بِلَا كَيْفٍ**. (مقالات الإسلاميين، ص٢١٧) وقال **البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: هذه صفاتٌ طريق إثباتِها السمعُ، فنثبتُها لوُرودِ خبَرِ الصَّادق بها، ولا نُكيِّفُها. (الاعتقاد، ص١٣٥).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

وَقَالَ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

فَأَخْبَرَ عَنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَرُؤْيَتِهِ.

فَصْلٌ:

وَنَفَتِ الجَهْمِيَّةُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَجْهٌ كَمَا قَالَ، وَأَبْطَلُوا أَنْ يَكُونَ لَهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَعَيْنٌ(١)، وَوَافَقُوا النَّصَارَىٰ لِأَنَّ النَّصَارَىٰ لَمْ تُثْبِتِ اللهَ سَمِيعًا بَصِيرًا إِلَّا عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّهُ عَالِمٌ، وَكَذَلِكَ قَالَتِ الجَهْمِيَّةُ.

فَفِي حَقِيقَةِ قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: نَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَالِمٌ، وَلَا نَقُولُ: سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْنَىٰ عَالِمٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ النَّصَارَىٰ.

فَصْلٌ:

وَقَالَتِ الجَهْمِيَّةُ: إِنَّ اللهَ لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا قُدرَةَ، وَلَا سَمْعَ لَهُ وَلَا بَصَرَ.

وَإِنَّمَا قَصَدُوا إِلَىٰ تَعْطِيلِ التَّوْحِيدِ(٢)، وَالتَّكْذِيبِ بِأَسْمَاءِ اللهِ ﷻ، فَأَعْطَوْا

---

(١) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) حاكيا أقوالَ المعتزلة: وزعمُوا جميعًا أنه لا وَجْهَ لله تعالىٰ، مع قوله ﷻ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأنه لا يَدَ له، مع قوله ﷻ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]. (التمهيد، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣) وقال أيضا في كتاب «**الهداية**»: قد ذكرنا في باب الصفاتِ من هذا الكتابِ أنّ وصفَ اللهِ تعالىٰ بالوجهِ واليدينِ لا يوجبُ تشبيهًا، إذ ليس ما يوصف به من ذلك من الجوارحِ والآلاتِ في شيءٍ، بل علىٰ ما بيّنّاه من قبل. (هداية المسترشدين، ج١/ص٦٥).

(٢) نَحْوُهُ قولُ الشيخِ **ابْنُ بَطَّةَ الحَنْبَليِّ** (ت٣٨٧هـ): إنما أراد الجَهْميُّ بقوله: «إنّ صفاتِ الله مخلوقةٌ» أن يقول: إنَّ الله كانَ ولا قدرةَ، ولا علمَ، ولا عزَّةَ، ولا كلامَ، ولا اسمَ، حتَّىٰ خلق=

ذَلِكَ لَفْظًا وَلَمْ يُحَصِّلُوا قَوْلًا فِي المَعْنَىٰ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ خَافُوا السَّيْفَ لَأَفْصَحُوا بِأَنَّ اللهَ غَيْرُ سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ وَلَا عَالِمٍ، وَلَكِنْ خَوْفُ السَّيْفِ مَنَعَهُمْ مِنْ إِظْهَارِ زَنْدَقَتِهِمْ(١).

فَصْلٌ:

وَزَعَمَ شَيْخٌ مِنْهُمْ مُقَدَّمٌ فِيهِمْ أَنَّ عِلْمَ اللهِ هُوَ اللهُ، وَأَنَّ اللهَ ﷻ عِلْمٌ، فَنَفَىٰ العِلْمَ مِنْ حَيْثُ أَوْهَمَ أَنَّهُ يُثْبِتُهُ، حَتَّىٰ أُلْزِمَ أَنْ يَقُولَ: يَا عِلْمُ ٱغْفِرْ لِي؛ إِذْ كَانَ عِلْمُ اللهِ عِنْدَهُ هُوَ اللهَ، وَكَانَ اللهُ ـ عَلَىٰ قِيَاسِهِ ـ عِلْمًا وَقُدْرَةً، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا(٢).

= ذلك كلَّهُ فكان بعد ما خَلَقَهُ، **فإذا أبطل صفاتِهِ فقد أبطلَهُ**، وإذا أبْطَلَه في حال من الأحوالِ فقد أبطله في الأحوال كلها، حتىٰ يقول: **إنَّ اللهَ ﷻ لم يزل ولا يزالُ بصفاته كلها إلهًا واحدًا قديمًا قبلَ كُلِّ شَيْءٍ، ويبقىٰ بصفاته كلها بَعْدَ فَناءِ كُلِّ شَيْءٍ**. (الإبانة، ج٢/ص١٧٦) ثم بيّنَ بعد ذلك وجهَ استلزامِ كونِ صفات الإلهِ مخلوقةً لبطلانهِ: «**كُلُّ مَنْ حَدَثَتْ صِفَاتُه فمُحْدَثٌ ذاتُه**، ومَنْ حدَثَ ذاتُه وصِفَتُهُ فإلَىٰ فناءٍ حَياتُهُ، وتعالَىٰ الله عن ذلك علوا كبيراً. (الإبانة، ج٢/ص١٨٣) وقد قال أيضا قبل ذلك: «مَنْ زعَم أنَّ أسْمَاءَ الله وصِفَاتِهِ مخلوقةٌ فقد زعَمَ أن اللهَ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ، وأنه لم يكن ثم كانَ. (الإبانة، ج١/ص٢١٣).

(١) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): قال شيْخُنا أبُو الحَسْنِ رضي الله عنه: لَوْ لَا خَوْفُهُمْ من حرف السيف لأفْصَحُوا القَوْلَ بأنَّ الله ليس بعَالمٍ ولا قادرٍ؛ لأنه لا فرقَ عند الأُمَّة وعند أهل اللغة العربية بين قول القائل: لا علمَ لِلَّهِ بكذا، وبين قوله: ليْسَ اللهُ عالِمًا بكذا، وكذلك لا فَصْلَ بين قولهم: زيدٌ غيْرُ عالِمٍ بالطبِّ، وبين قولهم: لا علمَ لَهُ به. (هداية المسترشدين، ج١/ص٨٩).

(٢) أفصحَ **الشيخُ أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه عن هذا القائل بقوله: قال شيْخُهم **أبُو الهُذَيْل العَلَّافُ** (ت٢٣٥هـ): إنَّ عِلْمَ البارئ سبحانه هُوَ هُوَ، وكذلك قدرَته وسمْعه وبصَره وحِكْمته، وكذلك كان قوله في سائر صفات ذاته، وكان يزعم أنه إذا زعَم أنَّ البارئ عالِمٌ فقد ثبَّتَ عِلْمًا هو اللهُ ونَفَىٰ عنِ الله جهلاً، ودَلَّ علىٰ معلوم كان أو يكون، وإذا قال: إنَّ البارئ قادِرٌ فقد ثبَّتَ قُدْرَةً هي اللهُ، ونفىٰ عن الله عجزًا، ودلَّ علىٰ مقدور يكون أوْ لا يكونُ. وكذلك كان قولُه في سائر=

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ: بِاللهِ نَسْتَهْدِي، وَإِيَّاهُ نَسْتَكْفِي، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَهُوَ اللهُ المُسْتَعَانُ.

مَسْأَلَةٌ:

أَمَّا بَعْدُ:

فَمَنْ سَأَلَنَا فَقَالَ: أَتَقُولُونَ: إِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَجْهًا؟

قِيلَ لَهُ: نَقُولُ ذَلِكَ، خِلَافًا لِمَا قَالَهُ المُبْتَدِعُونَ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧][(١)].

مَسْأَلَةٌ:

فَإِنْ سُئِلْنَا: أَتَقُولُونَ إِنَّ لِلَّهِ يَدَيْنِ؟.

قِيلَ: نَقُولُ ذَلِكَ[(٢)]، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:

= صفات الذات على هذا الترتيب. وكان إذا قيل له: حدِّثنا عن عِلْمِ الله سبحانه الذي هو اللهُ أتزْعُم أنه قُدْرَتُه؟ أبىٰ ذلك. فإذا قيل له: فهو غيرُ قُدْرَته؟ أنكر ذلك، وهذا نظير ما أنكره مِنْ قَوْلِ مُخَالِفيه: إنَّ عِلْمَ اللهِ لا يقالُ: هو اللهُ، ولا يقال: غيْرُه. وكان إذا قيل له: إذا قلتَ: إنَّ عِلْمَ اللهِ هو اللهُ، فقُلْ: إنَّ الله تعالىٰ عِلْمٌ! ناقَضَ ولَمْ يَقُلْ: إنَّهُ عِلْمٌ، مع قولِهِ: إنَّ عِلْمَ الله هو اللهُ. (مقالات الإسلاميين، ص٤٨٤).

(١) شرح الحافظُ البيهقي (ت٤٥٨هـ) وجهَ الدليل من الآية بقوله: فأضافَ الوَجْهَ إلىٰ الذاتِ، وأضاف النعتَ إلىٰ الوجهِ فقال: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، ولو كانَ الوجهُ صلةً ولم يكنْ للذاتِ صفةً لقال: «ذي الجلالِ والإكرام»، فلما قال: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ عَلِمْنَا أنَّهُ نَعْتٌ للوجْهِ، وهو صِفَةٌ للذّاتِ. (الاعتقاد، ص١٤٦).

(٢) وقال الشيخ أبو محمد الأصبهاني بن اللَّبان الشافعي (ت٤٦٦هـ): قال بعض أصحابنا: لِلَّهِ يَدانِ صِفتان لله ذاتيَّتان. وقال بعض أصحابنا: له صِفةٌ واحدةٌ تسمىٰ يَدَيْن. (الكفاية في أصول الدين،=

١٠]، وَقَوْلُهُ عَجَلَّ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَه»(١)، فَثَبَتَتِ اليَدُ.

وَجَاءَ فِي الخَبَرِ المَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَىٰ بِيَدِهِ»(٢).

وَقَالَ عَجَلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»(٣).

وَقَالَ عَجَلَّ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي لِسَانِ العَرَبِ وَلَا فِي عَادَةِ أَهْلِ الخِطَابِ أَنْ يَقُولَ القَائِلُ: «عَمِلْتُ كَذَا بِيَدِي» وَيَعْنِي بِهِ النِّعْمَةَ(٤).

= ق٩/ب)، قال الأستاذُ ابن فُورَك (ت٤٠٣هـ) في نقدِهِ على الضبيِّ الاسترابادي فيما نسبَهُ للشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه: ثم ذكر الضبيُّ حاكيا عن شيخنا رحمه الله أنه كان يقول: «وإن له يدَيْنِ صفةً وعَيْنًا صفةً». وهذا خطأٌ، بل كانَ يثبتُ يَدَيْنِ صِفتَيْنِ، وإنما ذهبَ إلى هذا أبو العباس القلانسيُّ ومن نَحا نحوَهُ فقالَ: لِلَّهِ تعالى يَدانِ صفةٌ واحدةٌ، فاللفظُ مُثَنًّى والمرادُ به واحِدٌ. (المجرَّدُ، ص٣٢٦)، وقد قال الإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) وقال آخرُونَ مِنهُم: بَلْ يَدُ اللهِ صِفةٌ مِن صِفاتهِ هِيَ يَدٌ غيرَ أَنَّهَا لَيسَتْ بِجَارِحَةٍ كَجَوَارِحِ بَنِي آدَمَ. قالُوا: وَذَلكَ أَنَّ اللهَ ـ تعالى ذِكرُهُ ـ أَخبرَ عَنْ خُصوصِيَّةِ آدمَ بِما خَصَّهُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ بِيَدِهِ. (جامع البيان، ج٨/ص٥٥٦).

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥).

(٢) أخرجه الدارقطني في الصفات موقوفا عن ابن عمر (٢٨) وأبو الشيخ في العظمة (١٠١٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٤) نسبَ الشيخ أبو الحسَنِ الأشعري رضي الله عنه إلى إبراهيم النَّظّام (ت٢٣١هـ) أنه قال: معنى اليَدِ النِّعْمَةُ. (مقالات الإسلاميين، ص١٦٧).

وَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ إِنَّمَا خَاطَبَ العَرَبَ بِلُغَتِهَا وَمَا يَجْرِي مَفْهُومًا فِي كَلَامِهَا، وَمَعْقُولًا فِي خِطَابِهَا، وَكَانَ لَا يَجُوزُ فِي لِسَانِ أَهْلِ البَيَانِ أَنْ يَقُولَ القَائِلُ: «فَعَلْتُ بِيَدِي» وَيَعْنِي النِّعْمَةَ، بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] النِّعْمَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ القَائِلُ: «لِي عَلَيْهِ يَدٌ» بِمَعْنَىٰ لِي عَلَيْهِ نِعْمَةٌ.

وَمَنْ دَافَعَنَا عَنِ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِ اللِّسَانِ فِيهَا دُوفِعَ عَنْ أَنْ تَكُونَ اليَدُ بِمَعْنَىٰ النِّعْمَةِ؛ إِذْ كَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَعَلَّقَ فِي أَنَّ اليَدَ النِّعْمَةُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ، فَإِذَا دَفَعَ اللُّغَةَ لَزِمَهُ أَنْ لَا يُفَسِّرَ القُرْآنَ مِنْ جِهَتِهَا، وَأَنْ لَا يُثْبِتَ اليَدَ نِعْمَةً مِنْ قِبَلِهَا؛ لِأَنَّهُ:

* إِنْ رَجَعَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بِنِعْمَتَيَّ إِلَىٰ الإِجْمَاعِ فَلَيْسَ المُسْلِمُونَ عَلَىٰ مَا ادَّعَىٰ مُتَّفِقِينَ.

* وَإِنْ رَجَعَ إِلَىٰ اللُّغَةِ فَلَيْسَ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَقُولَ القَائِلُ: «بِيَدَيَّ» يَعْنِي نِعْمَتَيَّ.

* وَإِنْ لَجَأَ إِلَىٰ وَجْهٍ ثَالِثٍ سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، وَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لِأَهْلِ البِدَعِ: وَلِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] نِعْمَتَيَّ؟ أَزَعَمْتُمْ ذَلِكَ إِجْمَاعًا أَوْ لُغَةً؟

فَلَا يَجِدُونَ ذَلِكَ فِي الإِجْمَاعِ وَلَا فِي اللُّغَةِ.

وَإِنْ قَالُوا: قُلْنَا ذَلِكَ مِنَ القِيَاسِ.

قِيلَ لَهُمْ: وَمِنْ أَيْنَ وَجَدْتُمْ فِي القِيَاسِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] لَا يَكُونُ مَعْنَاهُ إِلَّا نِعْمَتَيَّ؟! وَمِنْ أَيْنَ يُمْكِنُ أَنْ يُعْلَمَ بِالعَقْلِ أَنَّ تَفْسِيرَ كَذَا كَذَا؟! مَع أَنَّا رَأَيْنَا اللهَ ﷻ قَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ النَّاطِقِ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وَقَالَ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]، وَلَوْ كَانَ القُرْآنُ بِلِسَانِ غَيْرِ العَرَبِ لَمَا أَمْكَنَ أَنْ نَتَدَبَّرَهُ، وَلَا أَنْ نَعْرِفَ مَعَانِيَهُ إِذَا سَمِعْنَاهُ.

فَلَمَّا كَانَ مَنْ لَا يُحْسِنُ لِسَانَ العَرَبِ لَا يُحْسِنُهُ، وَإِنَّمَا تَعْرِفُهُ العَرَبُ إِذَا سَمِعُوهُ، عُلِمَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا عَلِمُوهُ لِأَنَّهُ بِلِسَانِهِمْ نَزَلَ، وَلَيْسَ فِي لِسَانِهِمْ مَا ادَّعَوْهُ.

مَسْأَلَةٌ:

وَقَدِ اعْتَلَّ مُعْتَلٌّ بِقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] قَالُوا: الأَيْدُ القُوَّةُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بِقُدْرَتَيَّ.

قِيلَ لَهُمْ: هَذَا التَّأْوِيلُ فَاسِدٌ مِنْ وُجُوهٍ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّ الأَيْدَ لَيْسَ بِجَمْعٍ لِلْيَدِ لِأَنَّ جَمْعَ يَدٍ ـ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ ـ أَيَادٍ، وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فَبَطَلَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

* **وَأَيْضًا** فَلَوْ كَانَ أَرَادَ القُوَّةَ لَكَانَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: بِقُدْرَتَيَّ، وَهَذَا نَاقِضٌ لِقَوْلِ

مُخَالِفَنَا وَكَاسِرٌ لِمَذْهَبِهِمْ؛ لِأَنَّهُم لَا يُثْبِتُونَ قُدْرَةً وَاحِدَةً فَكَيْفَ يُثْبِتُونَ قُدْرَتَيْنِ؟!(١).

* وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ اللهُ ﷻ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] القُدْرَةَ لَمْ يَكُنْ لِآدَمَ عليه السلام عَلَىٰ إِبْلِيسَ فِي ذَلِكَ مَزِيَّةٌ، وَاللهُ ﷻ أَرَادَ أَنْ يُرِيَ فَضْلَ آدَمَ عليه السلام إِذْ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ دُونَهُ.

وَلَوْ كَانَ خَالِقًا لِإِبْلِيسَ بِيَدَيْهِ كَمَا خَلَق آدَمَ عليه السلام بِيَدَيْهِ لَمْ يَكُنْ لِلتَّفْضِيلِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَجْهٌ، وَقَدْ كَانَ إِبْلِيسُ يَقُولُ مُحْتَجًّا عَلَىٰ رَبِّهِ: فَقَدْ خَلَقْتَنِي بِيَدَيْكَ كَمَا خَلَقْتَ آدَمَ بِهِمَا(٢).

فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ تَفْضِيلَهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ مُوَبِّخًا عَلَىٰ اسْتِكْبَارِهِ عَلَىٰ آدَمَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ [ص: ٧٥]، دَلَّ عَلَىٰ

---

(١) قال القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]: يقتضي إثباتَ يَدَيْنِ هُمَا صِفَةٌ لَهُ، فلو كان المرادُ بها القُدْرَةَ لوجَب أن يكون له قُدْرَتان، وأنتم لا تزعمون أنَّ للبارئ سبحانه قدرةً واحدةً، فكيف يجوزُ أن تُثْبِتُوا له قُدْرَتَيْن؟! وقد أجمعَ المسلمون مِنْ مُثْبِتي الصفاتِ والنافين لها علىٰ أنه لا يجوزُ أن يكون له قُدرتَان، فبَطلَ ما قُلْتُم. (التمهيد، ص٢٥٩).

(٢) قال القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): ويدلُّ علىٰ فساد تأويلهم أيضًا أنه لو كان الأمر علىٰ ما قالوه لم يَغْفُل عن ذلك إبليسُ وعن أن يقول: وَأيُّ فضلٍ لآدمَ عليَّ يقتضي أنْ أسْجُدَ لهُ وأنا أيضا بيَدِكَ خلَقْتَنِي التي هي قُدْرتك وبِنِعْمَتِكَ خلقتني؟! وفي العلمِ بأن الله تعالىٰ فضَّلَ آدمَ عليه بخلقه بيديه دليلٌ علىٰ فسادِ ما قالوهُ. (التمهيد، ص٢٥٩).

وعبَّر الحافظ **البيهقي** (ت٤٥٨هـ) عن وَجه الدليل من الآية بقوله: قال الله ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بتشديدِ الياءِ من الإضافةِ، وذلك تحقيقٌ للتثنية، وفي ذلك منعٌ من حملهما علىٰ النِّعْمةِ والقدرةِ؛ لأنه ليس لتخصيص التثنيةِ في نِعَمِهِ ولا قدرتِهِ معنىٰ يصحُّ لأن نعم الله أكثر من أن تُحْصَىٰ، ولأنَّه خرَجَ مَخْرَجَ التَّخْصِيصِ وَتَفْضِيلِ آدمَ عليه السلام علىٰ إبليسَ، وحمْلُهُمَا علىٰ القدْرةِ أو علىٰ النِّعْمةِ يزيلُ معنىٰ التفضيلِ؛ لاشتراكهما فيها. (الاعتقاد، ص١٣٦).

أَنَّهُ لَيسَ مَعنَىٰ الآيَةِ القُدْرَةَ ؛ إِذْ كَانَ اللهُ ﷻ خَلَقَ الأَشيَاءَ جَمِيعًا بِقُدْرَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ إِثْبَاتَ يَدَيْنِ ، وَلَمْ يُشَارِكْ إِبْلِيسُ آدَمَ عليه السلام فِي أَنْ خُلِقَ بِهِمَا .

۞ فَصْلٌ:

وَلَيْسَ يَخْلُو قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]:

* أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِثْبَاتَ يَدَيْنِ نِعْمَتَيْنِ .

* أَوْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِثْبَاتَ يَدَيْنِ جَارِحَتَيْنِ .

* أَوْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِثْبَاتَ يَدَيْنِ قُدْرَتَيْنِ .

* أَوْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِثْبَاتَ يَدَيْنِ لَيْسَتَا نِعْمَتَيْنِ ، **وَلَا جَارِحَتَيْنِ** ، وَلَا قُدْرَتَيْنِ ، وَلَا يُوصَفَانِ إِلَّا كَمَا وَصَفَ اللهُ ﷻ[1] .

---

(١) وقد حكىٰ الشيخ **أبو الحسن الأشعريّ** هذا الاعتقاد عن أهل الحديث من أهل السُّنة وميَّز مقالتهم عن مقالة المجسّمة فقال: اختلفوا في العَيْن واليَدِ والوَجْهِ علىٰ أربع مقالات: فقالت **المُجَسِّمَة**: له يدانِ ورِجْلان ووَجْهٌ وعَيْنان وجَنْبٌ ، **يَذْهَبُون إلىٰ الجوارح والأعضاء**. وقال أصْحابُ الحَديثِ: لسْنَا نقول في ذلك إلا ما قاله الله ﷻ أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ فنقول: وَجْهٌ **بلا كَيْفٍ** ، ويدانِ وعينان **بلا كَيْفٍ**. (مقالات الإسلاميين ، ص٢١٧).

وقال الإمامُ أبو عبد الله بن مجاهد البصري (ت٣٧٠هـ) في حكاية إجماع أهل السُّنة: وَأَجْمَعُوا علىٰ أنَّ له تعالىٰ يَدَيْنِ مَبْسُوطتَيْن **مِنْ غَير أَنْ تَكُونَ جَوَارِحَ** ، وأنَّ يدَيْه غيرُ نِعْمَتِه. وقد دلَّ علىٰ ذلك تشريفُهُ لآدمَ عليه السلام حيث خلقه بِيَدَيْهِ ، وتقريعهُ لإبليسَ علىٰ الاسْتِكْبارِ عن السُّجودِ. (رسالة أهل الثغر ، ص١٦٠).

قال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ): أما إثباتُ اليدَيْن **لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ غيرِ أن تكون يَدَيْ جارِحَةٍ** ، بلْ صِفَتَيْنِ من الصِّفاتِ ، قَدِيمَةً أَزَلِيَّةً ، فأثْبَتَهُما القاضي أبو بكر بْنُ الطَّيب وغيْرُه مِنْ أئِمَّتنا ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ، فأثْبَتَ اليَدَيْنِ هُنَا صِفَتَيْنِ قَدِيمَتَيْنِ. (إكمال المعلم ، ج٨/ص٢٦١). =

فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ نِعْمَتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: «عَمِلْتُ بِيَدَيَّ» وَهُوَ يَعْنِي نِعْمَتَيَّ.

وَلَا يَجُوزُ عِنْدَنَا وَلَا عِنْدَ خُصُومِنَا أَنْ يَعْنِيَ جَارِحَتَيْنِ.

وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ خُصُومِنَا أَنْ يَعْنِيَ قُدْرَتَيْنِ.

وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ صَحَّ الْقِسْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]: إِثْبَاتُ يَدَيْنِ **لَيْسَتَا جَارِحَتَيْنِ**[1]، وَلَا قُدْرَتَيْنِ، وَلَا نِعْمَتَيْنِ، **لَا يُوصَفَانِ إِلَّا بِأَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا يَدَانِ لَيْسَتَا كَالْأَيْدِي**، خَارِجَتَانِ عَنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي سَلَفَتْ.

مَسْأَلَةٌ:

وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]: نِعْمَتَيَّ، لَكَانَ لَا فَضِيلَةَ لِآدَمَ عليه السلام عَلَىٰ إِبْلِيسَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَذَاهِبِ مُخَالِفِينَا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدِ ابْتَدَأَ إِبْلِيسَ ـ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ ـ كَمَا ابْتَدَأَ بِذَلِكَ آدَمَ عليه السلام.

وَلَيْسَ يَخْلُو النِّعْمَتَانِ أَنْ تَكُونَا عَيْنَ بَدَنِ آدَمَ عليه السلام، أَوْ يَكُونَا عَرَضَيْنِ خُلِقَا

= **وقال الشيخ سيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ)**: ذهبَ الشيخُ أبو الحسن الأشعري إلىٰ أن اليدين صفتان ثبوتيتان زائدتان علىٰ ذاته وباقي صفاتِهِ، **لا أنهما بِمَعْنَىٰ الجَارِحَتَيْن**، وهو مذهبُ السَّلَفِ، وإليه ميلُ القاضي الباقلاني في بعض كتبه. وذهبتِ المُشَبِّهَةُ إلىٰ أنهما بمعنىٰ الجَارِحَتَيْن. (أبكار الأفكار، ج١/ص٤٥٣).

(١) **قال الإمام مكيُّ القيرواني (ت٤٣٧هـ)**: الذي عليه أهلُ العِلْمِ والمَعْرفة باللهِ أنَّ ذِكْرَ اليَدِ وإضافتَها إلىٰ اللهِ سُبْحَانه **لَيْسَتْ علىٰ جِهَةِ الجارِحَةِ**، تعالَىٰ اللهُ عن ذلك. (الهداية، ج١٠/ص٦٢٨٦)
وقال **الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)**: عرَفْنَا بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وبِدَلائِل العقلِ أنَّ اليَدَيْنِ **لَيْسَتَا بِجَارِحَتَيْنِ**. (الاعتقاد، ص١٣٨).

فِي بَدَنِ آدَمَ عليه السلام:

* فَلَوْ كَانَا عَيْنَ بَدَنِ آدَمَ عليه السلام **فَالأَبْدَانُ عِنْدَ مُخَالِفِينَا مِنَ المُعْتَزِلَةِ جِنْسٌ وَاحِدٌ**، وَإِذَا كَانَتِ الأَبْدَانُ عِنْدَهُمْ جِنْسًا وَاحِدًا فَقَدْ حَصَلَ فِي جَسَدِ إِبْلِيسَ عَلَىٰ مَذْهَبِهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ مَا حَصَلَ فِي جَسَدِ آدَمَ عليه السلام.

* وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَا عَرَضَيْنِ فَلَيْسَ مِنْ عَرَضٍ فَعَلَهُ فِي بَدَنِ آدَمَ عليه السلام - مِنْ لَوْنٍ أَوْ حَيَاةٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ - إِلَّا وَقَدْ فَعَلَ مِنْ جِنْسِهِ عِنْدَهُمْ فِي بَدَنِ إِبْلِيسَ.

وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّهُ لَا فَضِيلَةَ لِآدَمَ عليه السلام عَلَىٰ إِبْلِيسَ فِي ذَلِكَ، وَاللهُ عز وجل إِنَّمَا احْتَجَّ عَلَىٰ إِبْلِيسَ بِذَلِكَ لِيُرِيَهُ أَنَّ لِآدَمَ عليه السلام فِي ذَلِكَ الفَضِيلَةَ.

فَدَلَّ مَا قُلْنَاهُ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ عز وجل لَمَّا قَالَ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] لَمْ يَعْنِ «نِعْمَتَيَّ».

مَسْأَلَةٌ:

* **وَيُقَالُ لَهُمْ**: لِمَ أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ عز وجل عَنَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]: يَدَيْنِ لَيْسَتَا نِعْمَتَيْنِ؟.

* **فَإِنْ قَالُوا**: لِأَنَّ اليَدَ إِذَا لَمْ تَكُنْ نِعْمَةً لَمْ تَكُنْ إِلَّا جَارِحَةً.

* **قِيلَ لَهُمْ**: وَلِمَ قَضَيْتُمْ أَنَّ اليَدَ إِذَا لَمْ تَكُنْ نِعْمَةً لَمْ تَكُنْ إِلَّا جَارِحَةً؟!.

* **فَإِنْ رَجَّعُونَا** إِلَىٰ شَاهِدِنَا وَإِلَىٰ مَا نَجِدُهُ فِيمَا بَيْنَنَا مِنَ الخَلْقِ، فَقَالُوا: اليَدُ إِذَا لَمْ تَكُنْ نِعْمَةً فِي الشَّاهِدِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا جَارِحَةً.

قِيلَ لَهُمْ: إِنْ عَمِلْتُمْ عَلَىٰ الشَّاهِدِ، وَقَضَيْتُمْ بِهِ عَلَىٰ اللهِ ﷻ، **فَكَذَلِكَ لَمْ نَجِدْ حَيًّا مِنَ الخَلْقِ إِلَّا جِسْمًا أَوْ لَحْمًا وَدَمًا**، فَاقْضُوا بِذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ ﷻ، وَإِلَّا كُنْتُمْ لِقَوْلِكُمْ تَارِكِينَ، وَلِاعْتِلَالِكُمْ نَاقِضِينَ.

وَإِنْ أَثْبَتُّمْ حَيًّا لَا كَالأَحْيَاءِ مِنَّا، فَلِمَ أَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ اليَدَانِ ـ اللَّتَانِ أَخْبَرَ اللهُ ﷻ عَنْهُمَا ـ يَدَيْنِ لَيْسَتَا نِعْمَتَيْنِ، **وَلَا جَارِحَتَيْنِ**، وَلَا كَالأَيْدِي؟![1].

وَكَذَلِكَ يُقَالُ لَهُمْ: لَمْ تَجِدُوا مُدَبِّرًا حَكِيمًا إِلَّا إِنْسَانًا، ثُمَّ أَثْبَتُّمْ أَنَّ لِلدُّنْيَا مُدَبِّرًا حَكِيمًا لَيْسَ كَالإِنْسَانِ، وَخَالَفْتُمُ الشَّاهِدَ وَنَقَضْتُمُ اعْتِلَالَكُمْ، **فَلَا تَمْنَعُوا إِثْبَاتَ يَدَيْنِ لَيْسَتَا نِعْمَتَيْنِ وَلَا جَارِحَتَيْنِ** مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ الشَّاهِدِ[2].

---

(١) قال **الإمام أبو سليمانَ الخطابيُّ (ت٣٨٨هـ)**: رُوِيَ في الخَبَرِ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»، **وليس معنى اليدِ عندنا الجارِحَة**، إنما هو صِفَةٌ جاءَ بها التوقيف، فنَحْنُ نُطلقها على ما جاءتْ ولا نُكيِّفُها، وننْتهِي إلى حيثُ انْتهى بنا الكتابُ والأخبارُ المأثورَةُ الصحيحةُ، وهو مَذْهَبُ أهلِ السُّنة والجماعةِ. (أعلام الحديث، ج٤/ص٢٣٤٧) وقال **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)**: وَصْفُ اللهِ تعالى بالوَجْهِ واليَدَيْنِ لا يُوجِبُ تَشْبِيهًا؛ إذْ لَيْسَ مَا يُوصَفُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الجَوَارِحِ وَالآلَاتِ فِي شَيْءٍ. (هداية المسترشدين، ج١/ص٦٥) **وقال الإمام أبو الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ)**: أجمع أهل السُّنَّةِ على أنّ **يديهِ صفةٌ وليست بجوارح** كجوارح المخلوقين لأنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. (المُنتقى في شرح الموطا، ج٧/ص٢٠٢).

(٢) لخّص **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** هذا الإلزامَ بقوله: **فإن قال قائل**: ما أنكرتمْ أن يكون وجْهُه ويَدُه جَارِحَةً إذْ كُنْتُم لمْ تَعْقِلُوا يدًا صِفَةً ووَجْهًا صِفةً إلّا جارِحَةً؟ **قِيلَ له**: لا يجبُ ذلك؛ كما لا يجِبُ إذَا لمْ نَعْقِلْ حَيًّا عالِمًا قادرًا إلا جسمًا أنْ نَقْضِيَ نحنُ وأنتمْ على اللهِ تعالى بذَلِك، وكما لا يجبُ متى كانَ قائِمًا بذاته أن يكون جَوْهَرًا أو جِسْمًا لأنَّا وإياكمْ لمْ نَجِدْ قائِمًا بنَفْسِه في شاهدنا إلا كذلك. (التمهيد، ص٢٥٩ ـ ٢٦٠) ونَفْيُ الجِسْمِيَّةِ عن الله تعالى هو **معتقَدُ أهل السُّنَّة** والحديث كما حكى عنهم الشيخ **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه ذلك بقوله: **وقال أهْلُ السُّنَّةِ وأصْحَابُ الحَديثِ: إنَّهُ ﷻ ليس بجِسْمٍ، ولا يُشْبِهُ الأشْيَاءَ**. (مقالات الإسلاميين، ص٢١١).

مسألة:

فَإِنْ قَالُوا: إِذَا أَثْبَتُّمْ لِلَّهِ ﷻ يدَيْنِ لِقَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فَلِمَ لَا أَثْبَتُّمْ لَهُ أَيْدِيَ لِقَوْلِهِ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]؟.

قِيلَ لَهُمْ: قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ بُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ أَيْدِيَ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا عَلَىٰ بُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ ذَكَرَ أَيْدِيَ تَرْجِعُ إِلَىٰ إِثْبَاتِ يَدَيْنِ؛ لِأَنَّ الدَّلِيلَ قَدْ دَلَّ عَلَىٰ صِحَّةِ الإِجْمَاعِ.

وَإِذَا كَانَ الإِجْمَاعُ صَحِيحًا وَجَبَ أَنْ نُرْجِعَ قَوْلَهُ الأَيْدِيَ إِلَىٰ يَدَيْنِ؛ **لِأَنَّ القُرْآنَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا يُزَالُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِحُجَّةٍ**، فَوَجَدْنَا حُجَّةً أَزَلْنَا بِهَا ذِكْرَ الأَيْدِي **عَنِ الظَّاهِرِ إِلَىٰ ظَاهِرٍ آخَرَ**، وَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الظَّاهِرُ الآخَرُ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ لَا يُزَالُ عَنْهَا إِلَّا بِحُجَّةٍ.

مسألة:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِذَا ذَكَرَ اللهِ ﷻ الأَيْدِيَ وَأَرَادَ يَدَيْنِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَذْكُرَ الأَيْدِيَ وَيُرِيدَ يَدًا وَاحِدَةً؟.

قِيلَ لَهُ: ذَكَرَ اللهُ ﷻ أَيْدِيَ وَأَرَادَ يَدَيْنِ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ بُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: أَيْدِي كَثِيرَةٌ، وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: يَدٌ وَاحِدَةٌ، فَقُلْنَا: يَدَانِ؛ **لِأَنَّ القُرْآنَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ إِلَّا أَنْ تَقُومَ حُجَّةٌ بِأَنْ يَكُونَ عَلَىٰ خِلَافِ الظَّاهِرِ**.

مَسْأَلَةٌ:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] عَلَىٰ المَجَازِ؟.

قِيلَ لَهُ: حُكْمُ كَلَامِ اللهِ ﷻ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَلَا يُخْرَجُ الشَّيْءُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَىٰ المَجَازِ إِلَّا بِحُجَّةٍ.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ ظَاهِرُ الكَلَامِ العُمُومَ، فَإِذَا وَرَدَ بِلَفْظِ العُمُومِ وَالمُرَادُ بِهِ الخُصُوصُ فَلَيْسَ هُوَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الظَّاهِرِ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يُعْدَلَ بِمَا ظَاهِرُهُ العُمُومُ عَنِ العُمُومِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ(١).

كَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ مِنْ إِثْبَاتِ اليَدَيْنِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْدَلَ بِهِ عَنْ ظَاهِرِ اليَدَيْنِ إِلَىٰ مَا ادَّعَاهُ خُصُومُنَا إِلَّا بِحُجَّةٍ.

وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ لَجَازَ لِمُدَّعٍ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ مَا ظَاهِرُهُ العُمُومُ فَهُوَ عَلَىٰ الخُصُوصِ، وَمَا ظَاهِرُهُ الخُصُوصُ فَهُوَ عَلَىٰ العُمُومِ، بِغَيْرِ حُجَّةٍ.

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ هَذَا لِمُدَّعِيهِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ لَمْ يَجُزْ لَكُمْ مَا ادَّعَيْتُمْ أَنَّهُ مَجَازٌ أَنْ يَكُونَ مَجَازًا بِغَيْرِ حُجَّةٍ، بَلْ وَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]

---

(١) حكىٰ الأستاذُ أبو بكر بن فُورَك (ت٤٠٣هـ) عن الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ (٣٢٤هـ) رضي الله عنه أنه ذكر في كتاب التفسير له في أول سورة البقرة القَوْلَ بظَاهِرِ العُموم مِنَ اللفظِ، إلا ما دلَّ علىٰ خُصُوصِهِ. ثم قال ابْنُ فُورَكَ: وهذا مما لا يعرف كثيرٌ من الناس مِنْ مذهبِهِ لعزَّةِ وجود هذا الكتاب في كل موضعٍ. (المجرّد، ص٣٢٥).

إِثْبَاتَ يَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِي الحَقِيقَةِ، غَيْرَ نِعْمَتَيْنِ؛ إِذْ كَانَتِ النِّعْمَتَانِ لَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «فَعَلْتُ بِيَدَيَّ» وَهُوَ يَعْنِي النِّعْمَتَيْنِ.

بَابُ
الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ فِي نَفْيِهِمْ عِلْمَ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتَهُ وَجَمِيعَ صِفَاتِهِ

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

وَقَالَ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١].

وَذَكَرَ العِلْمَ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ العَزِيزِ.

وَقَالَ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

وَقَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَذَكَرَ القُوَّةَ فَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وَقَالَ: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وَقَالَ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

فَصْلٌ:

وَزَعَمَتِ الجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللهَ ﷻ لَا عِلْمَ لَهُ، وَلَا قُدْرَةَ، وَلَا حَيَاةَ، وَلَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ له، وَأَرَادُوا أَنْ يَنْفُوا أَنَّ اللهَ ﷻ عَالِمٌ قَادِرٌ حَيٌّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، فَمَنَعَهُمْ خَوْفُ السَّيْفِ مِنْ إِظْهَارِهِمْ نَفْيَ ذَلِكَ، فَأَتَوْا بِمَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: «لَا عِلْمَ لِلَّهِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ» فَقَدْ قَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلَا قَادِرٍ، وَوَجَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

وَهَذَا إِنَّما أَخَذُوهُ عَنْ أَهْلِ الزَّنْدَقَةِ وَالتَّعْطِيلِ؛ لِأَنَّ الزَّنَادِقَةَ قَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ:

إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلَا قَادِرٍ وَلَا حَيٍّ وَلَا سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ، فَلَمْ تَقْدِرِ الْمُعْتَزِلَةُ أَنْ تُفْصِحَ بِذَلِكَ فَأَتَتْ بِمَعْنَاهُ، وَقَالَتْ: إِنَّ اللهَ عَالِمٌ قَادِرٌ حَيٌّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، مِنْ طَرِيقِ التَّسْمِيَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُثْبِتُوا لَهُ حَقِيقَةَ العِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ.

مَسْأَلَةٌ:

وَقَدْ قَالَ رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ـ وَهُوَ أَبُو الهُذَيْلِ العَلَّافُ ـ إِنَّ عِلْمَ اللهِ هُوَ اللهُ، فَجَعَلَ اللهَ ﷻ عِلْمًا.

وَأُلْزِمَ فَقِيلَ لَهُ: إِذَا قُلْتَ: «إِنَّ عِلْمَ اللهِ هُوَ اللهُ» فَقُلْ: يَا عِلْمَ اللهِ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَأَبَىٰ ذَلِكَ، فَلَزِمَهُ الْمُنَاقَضَةُ.

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ مَنْ قَالَ: «عَالِمٌ وَلَا عِلْمٌ» كَانَ مُنَاقِضًا، كَمَا أَنَّ مَنْ قَالَ: «عِلْمٌ وَلَا عَالِمٌ» كَانَ مُنَاقِضًا، وَكَذَلِكَ القَوْلُ فِي القُدْرَةِ وَالقَادِرِ، وَالحَيَاةِ وَالحَيِّ، وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالسَّمِيعِ وَالبَصِيرِ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: خَبِّرُونَا عَمَّنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ مُتَكَلِّمٌ قَائِلٌ لَمْ يَزَلْ آمِرًا نَاهِيًا لَا قَوْلَ لَهُ وَلَا كَلَامَ وَلَا أَمْرَ لَهُ وَلَا نَهْيَ، أَلَيْسَ هُوَ مُنَاقِضًا خَارِجًا عَنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ؟!.

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: فَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَالِمٌ وَلَا عِلْمَ لَهُ، كَانَ مُنَاقِضًا خَارِجًا عَنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ ـ قَبْلَ حُدُوثِ الجَهْمِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ وَالحَرُورِيَّةِ ـ عَلَىٰ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا لَمْ يَزَلْ، وَقَدْ قَالُوا: عِلْمُ اللهِ لَمْ يَزَلْ، وَعِلْمُ اللهِ سَابِقٌ فِي الأَشْيَاءِ، وَلَا يَمْتَنِعُونَ أَنْ يَقُولُوا فِي كُلِّ حَادِثَةٍ تَحْدُثُ وَلَا نَازِلَةٍ تَنْزِلُ: كُلُّ هَذَا سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللهِ، فَمَنْ جَحَدَ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا فَقَدْ خَالَفَ المُسْلِمِينَ وَخَرَجَ عَنِ اتِّفَاقِهِمْ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ اللهُ مُرِيدًا فَلَهُ إِرَادَةٌ؟.

فَإِنْ قَالُوا: لَا.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا أَثْبَتُّمْ مُرِيدًا لَا إِرَادَةَ لَهُ، فَأَثْبِتُوا قَائِلًا لَا قَوْلَ لَهُ.

وَإِنْ أَثْبَتُوا الإِرَادَةَ قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ المُرِيدُ لَا يَكُونُ مُرِيدًا إِلَّا بِإِرَادَةٍ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ العَالِمُ عَالِمًا إِلَّا بِعِلْمٍ، وَأَنْ يَكُونَ لِلَّهِ عِلْمٌ كَمَا أَثْبَتُّمْ لَهُ الإِرَادَةَ؟!.

مَسْأَلَةٌ:

وَقَدْ فَرَّقُوا بَيْنَ العِلْمِ وَالكَلَامِ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ ﷻ عَلِمَ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ، وَكَلَّمَ مُوسَىٰ وَلَمْ يُكَلِّمْ فِرْعَوْنَ.

فَكَذَلِكَ قَدْ يُقَالُ: عَلَّمَ مُوسَىٰ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ وَآتَاهُ النُّبُوَّةَ، وَلَمْ يُعَلِّمْ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ.

فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ كَلَامٌ لِأَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَىٰ وَلَمْ يُكَلِّمْ فِرْعَوْنَ، فَكَذَلِكَ لِلَّهِ عِلْمٌ؛ لِأَنَّهُ

عَلَّمَ مُوسَىٰ وَلَمْ يُعَلِّمْ فِرْعَوْنَ.

ثم يُقَالُ لَهُمْ: إِذَا وَجَبَ أَنَّ لِلَّهِ كَلَامًا بِهِ كَلَّمَ مُوسَىٰ دُونَ فِرْعَوْنَ، إِذْ كَلَّمَ مُوسَىٰ دُونَهُ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ إِذَا عَلِمَهُمَا جَمِيعًا أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ بِهِ عَلِمَهُمَا جَمِيعًا؟!.

ثُمَّ يُقَالُ: قَدْ كَلَّمَ اللهُ الأَشْيَاءَ بِأَنْ قَالَ لَهَا: كُونِي، وَقَدْ أَثْبَتُّمْ لِلَّهِ قَوْلًا، فَكَذَلِكَ إِنْ عَلِمَ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا فَلَهُ عِلْمٌ.

مَسْأَلَةٌ:

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: إِذَا أَوْجَبْتُمْ أَنَّ لِلَّهِ كَلَامًا وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ، لِأَنَّ الكَلَامَ أَخَصُّ مِنَ العِلْمِ، وَالعِلْمَ أَعَمُّ مِنْهُ.

فَقُولُوا: إِنَّ لِلَّهِ قُدْرَةً؛ لِأَنَّ العِلْمَ أَعَمُّ عِنْدَكُمْ مِنَ القُدْرَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ مَذَاهِبِ القَدَرِيَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ: «إِنَّ اللهَ يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ الكُفْرَ».

فَقَدْ أَثْبَتُوا القُدْرَةَ أَخَصَّ مِنَ العِلْمِ، فَيَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا عَلَىٰ اعْتِلَالِهِمْ: إِنَّ لِلَّهِ قُدْرَةً.

مَسْأَلَةٌ:

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ اللهُ عَالِمًا؟ وَالوَصْفُ لَهُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ أَعَمُّ مِنَ الوَصْفِ لَهُ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، ثُمَّ لَمْ يَجِبْ ـ لِأَنَّ الكَلَامَ أَخَصُّ ـ أَنْ يَكُونَ اللهُ مُتَكَلِّمًا غَيْرَ عَالِمٍ، فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ الكَلَامَ وَإِنْ كَانَ أَخَصَّ مِنَ العِلْمِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ عِلْمٌ، كَمَا لَمْ يَنْفِ خُصُوصُ الكَلَامِ أَنْ يَكُونَ اللهُ عَالِمًا؟.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ عَالِمٌ؟

فَإِنْ قَالُوا: بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

قِيلَ لَهُمْ: وَكَذَلِكَ فَقُولُوا: إِنَّ لِلَّهِ عِلْمًا بِقَوْلِهِ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، وَكَذَلِكَ فَقُولُوا: إِنَّ لَهُ قُوَّةً لِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

فَإِنْ قَالُوا: قُلْنَا: إِنَّ اللهَ عَالِمٌ، لِأَنَّهُ صَنَعَ العَالَمَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ آثَارِ الحِكْمَةِ وَاتِّسَاقِ التَّدْبِيرِ.

قِيلَ لَهُمْ: فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ لِلَّهِ عِلْمًا بِمَا ظَهَرَ فِي العَالَمِ مِنْ حِكَمِهِ وَآثَارِ تَدْبِيرِهِ؛ لِأَنَّ الصَّنَائِعَ الحِكْمِيَّةَ لَا تَظْهَرُ إِلَّا مِنْ ذِي عِلْمٍ، كَمَا لَا تَظْهَرُ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ، وَكَذَلِكَ لَا تَظْهَرُ إِلَّا مِنْ ذِي قُوَّةٍ كَمَا لَا تَظْهَرُ إِلَّا مِنْ قَادِرٍ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا نَفَيْتُمْ عِلْمَ اللهِ فَلِمَ لَا نَفَيْتُمْ أَسْمَاءَهُ؟

فَإِنْ قَالُوا: كَيْفَ نَنْفِي أَسْمَاءَهُ وَقَدْ ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ؟!.

قِيلَ لَهُمْ: فَلَا تَنْفُوا العِلْمَ وَالقُوَّةَ؛ لِأَنَّهُ ﷻ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ عَلَّمَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ الشَّرَائِعَ وَالأَحْكَامَ وَالحَلَالَ

وَالحَرَامَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَلِّمَهُ مَا لَا يَعْلَمُهُ، فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَلِّمَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ مَا لَا عِلْمَ لِلَّهِ بِهِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ إِذَا لَعَنَ اللهُ الكَافِرِينَ فَلَعْنُهُ لَهُمْ مُعَيَّنٌ، وَلَعْنُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ مُعَيَّنٌ؟

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: نَعَمْ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّ اللهَ إِذَا عَلَّمَ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْئًا فَكَانَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمٌ، فَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ عِلْمٌ؟!.

وَإِذَا كُنَّا مَتَى أَثْبَتْنَاهُ غَضْبَانَ عَلَى الكَافِرِينَ فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ غَضَبٍ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَثْبَتْنَاهُ رَاضِيًا عَنِ المُؤْمِنِينَ فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ رِضًى.

وَكَذَلِكَ إِذَا أَثْبَتْنَاهُ حَيًّا سَمِيعًا بَصِيرًا فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ حَيَاةٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرٍ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: وَجَدْنَا اسْمَ «عَالِمٍ» اشْتُقَّ مِنْ عِلْمٍ، وَاسْمَ «قَادِرٍ» اشْتُقَّ مِنْ قُدْرَةٍ، وَكَذَلِكَ اسْمُ «حَيٍّ» اشْتُقَّ مِنْ حَيَاةٍ، وَاسْمُ «سَمِيعٍ» اشْتُقَّ مِنْ سَمْعٍ، وَاسْمُ «بَصِيرٍ» اشْتُقَّ مِنْ بَصَرٍ، وَلَا تَخْلُو أَسْمَاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُشْتَقَّةً، أَوْ لِإِفَادَةِ مَعْنًى، أَوْ عَلَى طَرِيقِ التَّلْقِيبِ.

* فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى طَرِيقِ التَّلْقِيبِ بِاسْمٍ لَيْسَ فِيهِ إِفَادَةُ

مَعْنًى، وَلَيْسَ مُشْتَقًّا مِنْ صِفَةٍ، فَإِذَا قُلْنَا: «إِنَّ اللهَ ﷻ عَالِمٌ قَادِرٌ» فَلَيْسَ ذَلِكَ تَلْقِيبًا كَقَوْلِنَا: زَيْدٌ، وَعَمْرٍو، وَعَلَى هَذَا إِجْمَاعُ المُسْلِمِينَ.

* وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَلْقِيبًا، وَكَانَ مُشْتَقًّا مِنْ عِلْمٍ، فَقَدْ وَجَبَ إِثْبَاتُ العِلْمِ.

* وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِإِفَادَةِ مَعْنًى، فَلَا يَخْتَلِفُ مَا هُوَ لِإِفَادَةِ مَعْنًى[1]، وَوَجَبَ إِذَا كَانَ مَعْنَى «العَالِمِ» مِنَّا: أَنَّ لَهُ عِلْمًا، أَنْ يَكُونَ كُلُّ عَالِمٍ فَهُوَ ذَا عِلْمٍ، كَمَا إِذَا كَانَ قَوْلِي: «أَنَا مَوْجُودٌ» مُفِيدًا فِيَّ الإِثْبَاتَ، كَانَ البَارِئُ تَعَالَى وَاجِبًا إِثْبَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لِلْمُعْتَزِلَةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَالحَرُورِيَّةِ: أَتَقُولُونَ إِنَّ لِلَّهِ عِلْمًا بِالأَشْيَاءِ سَابِقًا فِيهَا، بِوَضْعِ كُلِّ حَامِلٍ، وَحَمْلِ كُلِّ أُنْثَى، وَبِإِنْزَالِ كُلِّ مَا أَنْزَلَ؟

* **فَإِنْ قَالُوا**: نَعَمْ، أَثْبَتُوا العِلْمَ وَوَافَقُوا.

* **وَإِنْ قَالُوا**: لَا.

* **قِيلَ لَهُمْ**: هَذَا جَحْدٌ مِنْكُمْ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

وَإِذَا كَانَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩] يُوجِبُ أَنَّهُ عَلِيمٌ يَعْلَمُ الأَشْيَاءَ، فَكَذَلِكَ

---

(١) أي: لا يختلف شاهدًا ولا غائبًا، وفيه إشارةٌ إلى الجمع بالحقيقةِ.

فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الآيَاتُ تُوجِبُ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا بِالأَشْيَاءِ؟! سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ لِلَّهِ ﷻ عِلْمٌ بِالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ؟ وَهَلْ هُوَ مُرِيدٌ لِذَلِكَ؟ وَهَلْ لَهُ إِرَادَةٌ لِلْإِيمَانِ إِذَا أَرَادَ الإِيمَانَ؟

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، وَافَقُوا.

وَإِنْ قَالُوا: إِذَا أَرَادَ الإِيمَانَ فَلَهُ إِرَادَةٌ.

قِيلَ لَهُمْ: وَكَذَلِكَ إِذَا فَرَقَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ.

وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْخَلْقِ عِلْمٌ بِذَلِكَ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ ﷻ عِلْمٌ بِذَلِكَ؟! وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ لِلْخَلْقِ مَزِيَّةً فِي العِلْمِ وَفَضِيلَةً عَلَى الخَلَّاقِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ مَنْ لَهُ عِلْمٌ مِنَ الخَلْقِ أَوْلَى بِالمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ، فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ لَا عِلْمَ لَهُ لَزِمَكُمْ أَنَّ الخَلْقَ أَعْلَى مَرْتَبَةً مِنَ الخَالِقِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ مِنَ الخَلْقِ يَلْحَقُهُ الجَهْلُ وَالنُّقْصَانُ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ عِلْمٍ لِلَّهِ وَإِلَّا أَلْحَقْتُمْ بِهِ النُّقْصَانَ؟! جَلَّ وَعَزَّ عَنْ قَوْلِكُمْ وَعَلَا.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ مِنَ الخَلْقِ يَلْحَقُهُ الجَهْلُ وَالنُّقْصَانُ؟! وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فِي اللهِ عَزَّلَ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، فَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَنْ قِيلَ لَهُ مِنَ الخَلْقِ: «لَا عِلْمَ لَهُ» لَحِقَهُ الجَهْلُ وَالنُّقْصَانُ، وَجَبَ أَنْ لَا يُنْفَى ذَلِكَ عَنِ اللهِ عَزَّلَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ جَهْلٌ وَلَا نُقْصَانٌ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَتَّسِقَ[(١)] الصَّنَائِعُ الحِكْمِيَّةُ مِمَّنْ لَيْسَ بِعَالِمٍ؟

فَإِنْ قَالُوا: ذَلِكَ مُحَالٌ، وَلَا يَجُوزُ فِي وُجُودِ الصَّنَائِعِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى تَرْتِيبٍ وَنِظَامٍ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ قَادِرٍ حَيٍّ.

قِيلَ لَهُمْ: وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ وُجُودُ الصَّنَائِعِ الحِكْمِيَّةِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى تَرْتِيبٍ وَنِظَامٍ إِلَّا مِنْ ذِي عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ وَحَيَاةٍ، فَإِنْ جَازَ ظُهُورُهَا لَا مِنْ ذِي عِلْمٍ فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ جَوَازِ ظُهُورِهَا لَا مِنْ عَالِمٍ قَادِرٍ حَيٍّ؟![(٢)].

---

(١) خـ: تَتَّفِقَ. والمُثْبَتُ موافق لما في اللمع (ص١٠).

(٢) قال الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ رضي الله عنه في اللُّمَع: **فإن قال قائل**: لم قلتمْ: إن الله تعالىٰ عالِمٌ؟ **قيل له**: لأن الأفعال المُحكمةَ لا تتَّسِقُ في الحِكمةِ إلا من عالِمٍ، وذلك أنه لا يجوزُ أن يَحُوكَ الديباجَ التَّفاريرُ [جمعُ نُفْرُورٌ كَعُصْفُور وزنا ومَعْنًى] ويصنَعَ الصناعَةَ مَن لا يحسنُ ذلك ولا يعلمُهُ، فلما رأينا الإنسانَ علىٰ ما فيه من اتساقِ الحكمةِ كالحياةِ التي ركَّبها اللهُ فيه والسمعِ والبصرِ ومجاري الطعامِ والشراب وانقسامِهِ فيه، وما هو عليه من كمالهِ وتمامِهِ، والفَلَك وما فيه من شَمْسِه وقمره وكواكبهِ ومجاريها دلَّ ذلك علىٰ أن الذي صنَعَ ما ذكرناه لم يكنْ لِيَصْنَعَهُ إلا وهو عالِمٌ بكيفيتهِ وكنْههِ، ولو جازَ أن تحدُثَ الصنائعُ الحكميَّةُ لا من عالِمٍ لم ندْرِ لعلَّ جميعَ ما يحدُثُ من حِكَمِ الحيوان وتدابيرهم وصنائعهم يحْدُث منهم وهم غير عَالِمين، فلمَّا استحالَ ذلك دلَّ علىٰ أنَّ الصنائع المحكمَةَ لا تحدثُ إلا من عالِمٍ. (اللمع، ص١٠).

وَكُلُّ مَسْأَلَةٍ سَأَلْنَاهُمْ عَنْهَا فِي العِلمِ فَهِيَ دَاخِلَةٌ عَلَيْهِمْ فِي القُدْرَةِ وَالحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ.

مَسْأَلَةٌ:

وَزَعَمَتِ المُعْتَزِلَةُ أَنَّ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] أَنَّ مَعْنَاهُ عَلِيمٌ.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وَقَالَ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] فَمَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَكُمْ: عَلِمَ؟.

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ.

قِيلَ لَهُمْ: فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقُولُوا: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]: أَعْلَمُ وَأَعْلَمُ؛ إِذْ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ العِلْمَ.

فَصْلٌ:

وَنَفَتِ المُعْتَزِلَةُ صِفَاتِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَزَعَمَتْ أَنَّ مَعْنَى سَمِيعٍ بَصِيرٍ رَاءٍ بِمَعْنَى عَلِيمٍ، كَمَا زَعَمَتِ النَّصَارَىٰ أَنَّ سَمْعَ اللهِ هُوَ بَصَرُهُ وَهُوَ رُؤْيَتُهُ وَهُوَ كَلَامُهُ وَهُوَ عِلْمُهُ وَهُوَ ابْنُهُ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَيُقَالُ لِلْمُعْتَزِلَةِ: إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَى سَمِيعٍ وَبَصِيرٍ مَعْنَى عَالِمٍ، فَهَلَّا زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَى قَادِرٍ مَعْنَى عَالِمٍ؟! وَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَى سَمِيعٍ وَبَصِيرٍ مَعْنَى قَادِرٍ فَهَلَّا زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَى قَادِرٍ مَعْنَى عَالِمٍ؟! وَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَى حَيٍّ مَعْنَى قَادِرٍ فَلِمَ لَا

زَعَمْتُمْ أَنَّ مَعْنَى قَادِرٍ مَعْنَى عَالِمٍ؟!.

❖ **فَإِنْ قَالُوا:** هَذَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَعْلُومٍ مَقْدُورًا.

❖ **قِيلَ لَهُمْ:** وَلَوْ كَانَ مَعْنَى سَمِيعٍ بَصِيرٍ مَعْنَى عَالِمٍ **لَكَانَ كُلُّ مَعْلُومٍ مَسْمُوعًا**، وَإِذَا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ بَطَلَ قَوْلُكُمْ.

بَابُ

الكَلَامِ فِي الإِرَادَةِ[1]

مَسْأَلَةٌ عَلَى المُعْتَزِلَةِ فِي ذَلِكَ:

يُقَالُ لَهُمْ: أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا؟

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: نَعَمْ.

قِيلَ لَهُمْ: فَلِمَ لَا قُلْتُمْ: إِنَّ مَا لَمْ يَزَلْ عَالِمًا أَنَّهُ يَكُونُ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ؟ وَمَا لَمْ يَزَلْ عَالِمًا أَنَّهُ لَا يَكُونُ فَلَمْ يَزَلْ مُرِيدًا أَنْ لَا يَكُونَ؟ وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا أَنْ يَكُونَ مَا عَلِمَ كَمَا عَلِمَ؟.

فَإِنْ قَالُوا: لَا نَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا؛ لِأَنَّ اللهَ مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ مَخْلُوقَةٍ.

يُقَالُ لَهُمْ: وَلِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ مَخْلُوقَةٍ؟! وَمَا الفَصْلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الجَهْمِيَّةِ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِعِلْمٍ مَخْلُوقٍ[2]؟!.

---

(١) حكَى الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عنِ الشيخِ أبي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ كان يقول: إنَّ إرَادةَ اللهِ صفةٌ من صفاتِ ذاتِه، واجبةٌ له، وإنها متعلِّقةٌ بكلِّ مُرادٍ على الوَجْهِ الَّذِي عَلِمَ أنه يكونُ المرادُ وأن لا يكون، مِنْ خَيْرٍ وشرٍّ، وطاعةٍ ومعصيةٍ. (المجرّد، ص٦٩).

(٢) قال الشيخ **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه: قَال الجَهْمُ: إِنَّ عِلْمَ اللهِ مُحْدَثٌ، هُوَ أَحْدَثَهُ فعَلِمَ بِهِ، وإنه غيْرُ اللهِ. (مقالات الإسلاميين، ص ٢٢٢) وقال أيضًا عن الجَهْمِ: وكانَ يقُول: «إنَّ عِلْمَ اللهِ سبحانه مُحْدَثٌ» فيمَا يُحْكَى عنهُ، ويَقُولُ بخَلْقِ القُرْآنِ، وأَنَّهُ لا يقالُ: إنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عالِمًا بالأَشْياءِ قبْلَ أن تكُون. (م. س: ص٢٨٠).

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ عِلْمُ اللهِ مَخْلُوقًا فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ لَا تَكُونَ إِرَادَةُ اللهِ مَخْلُوقَةً ؟!.

❁ **فَإِنْ قَالُوا:** لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُ اللهِ مُحْدَثًا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ حَدَثَ بِعِلْمٍ آخَرَ ، كَذَلِكَ لَا إِلَىٰ غَايَةٍ.

❁ **قِيلَ لَهُمْ:** مَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ لَا تَكُونَ إِرَادَةُ اللهِ مُحْدَثَةً مَخْلُوقَةً لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ حَدَثَتْ عَنْ إِرَادَةٍ أُخْرَىٰ ، ثُمَّ كَذَلِكَ لَا إِلَىٰ غَايَةٍ ؟!.

❁ **وَإِنْ قَالُوا:** لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُ اللهِ مُحْدَثًا ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا ثُمَّ عَلِمَ لَحِقَهُ النُّقْصَانُ.

❁ **قِيلَ لَهُمْ:** وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةُ اللهِ مُحْدَثَةً مَخْلُوقَةً ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا ثُمَّ أَرَادَ لَحِقَهُ النُّقْصَانُ(١).

وَكَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِرَادَتُهُ تَعَالَىٰ مُحْدَثَةً مَخْلُوقَةً ، **كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ مُحْدَثًا مَخْلُوقًا**(٢).

---

(١) استدلَّ الشيخ **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه علىٰ استحالةِ حدوثِ صِفاتِ الله تعالىٰ بقوله: **فإن قال قائل:** أتقولون إنَّ اللهَ تعالىٰ لم يَزَلْ عالِمًا قادِرًا سَميعًا بَصِيرًا ؟ **قِيلَ لَهُ:** كذلك نقول. **فإن قال:** فما الدليلُ علىٰ ذلك ؟ **قيل له:** الدليلُ علىٰ ذلك أنَّ الحَيَّ إذَا لمْ يكُنْ عالِمًا كانَ مَوْصُوفًا بضِدِّ العِلْمِ مِن الجهْل أو الشَّكِّ أوِ الآفاتِ ، فلو كان البارئُ تعالىٰ لم يَزَلْ حَيًّا غيْرَ عالِمٍ لكانَ موصوفًا بضِدِّ العِلْمِ ، ولو كان موصوفاً بضد العِلْمِ مِنَ الجهل أو الشك والآفات لاسْتحالَ أن يَعْلَمَ لأنَّ ضِدَّ العِلْمِ لوْ كانَ قديمًا لاستحال أن يَبْطُلَ ، وإذَا استحال أن يَبْطُلَ لمْ يَجُزْ أنْ يَصْنَعَ الصَّنائِعَ الحِكْمِيَّةَ ، فلَمَّا صنعَها ودَلَّتْ علىٰ أنَّه عالِمٌ صَحَّ وثبَتَ أنَّهُ لم يَزَلْ عالِمًا ؛ إذْ قَدِ اسْتَحال أن يَكُونَ لَمْ يَزَلْ بِضِدِّ العِلْمِ مَوْصُوفا. (اللمع ، ص١١).

(٢) قال الشيخ **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه: **ودليلٌ آخَرُ علىٰ أن الله تعالىٰ لمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا:** أنَّ الكَلام=

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي سُلْطَانِ اللهِ ﷻ الكُفْرُ وَالعِصْيَانُ وَهُو لَا يُرِيدُهُ، وَأَرَادَ أَنْ يُؤْمِنَ الخَلْقُ أَجْمَعُونَ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، فَقَدْ وَجَبَ - عَلَىٰ قَوْلِكُمْ - أَنَّ أَكْثَرَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَكُنْ، وَأَكْثَرَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ لَا يَكُونَ كَانَ؛ لِأَنَّ الكُفْرَ الَّذِي كَانَ - وَهُوَ لَا يَشَاؤُهُ عِنْدَكُمْ - أَكْثَرُ مِنَ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ، وَهُوَ يَشَاؤُهُ، وَأَكْثَرُ مَا شَاءَ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَكُنْ.

وَهَذَا جَحْدٌ لِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ مِنْ أَنَّ «**مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ كَانَ، وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ**».

= لا يَخْلُو أنْ يكون قديماً أو مُحْدَثًا، فإن كان مُحْدَثًا لم يَخْلُ: أن يُحْدِثَهُ اللهُ في نَفْسِه، أو قائمًا بنَفْسِه، أَوْ فِي غيْرِه، فيستحيل أن يُحْدِثَهُ في نَفْسِه **لأَنَّهُ ليْس بمَحَلٍّ للحوادِثِ**، ويستحيل أنْ يُحْدِثَهُ قائماً بنَفْسِه لأنه صِفَةٌ، والصِّفَةُ لا تَقُوم بنَفْسِها، ويستحيل أن يُحْدِثَهُ في غيره لأنه لو أحْدَثَه في غيره لوجَبَ أن يُشْتَقَّ لِذلك الجِسْم الذي فيه الكلام مِنْ أَخَصِّ أوصاف الكلام اللَّازِمَةِ له لِنَفْسِه اسْمًا، ولِلجُمْلَةِ التي المَحَلُّ مِنْها اسْمًا، فإن كان أَخَصُّ أوصاف الكلام أنه كلَامٌ وجَبَ أن يكون ذلك الجِسْمُ مُتكلِّمًا، وإنْ كانَ أَخَصُّ أوْصافِه أنه أَمْرٌ وجَبَ أن يكون ذلك الجِسْمُ آمِرًا، وكذلك إن كان أَخَصُّ أوصافه أَنَّهُ نَهْيٌ وجَبَ أن يكون ذلك الجِسْمُ ناهِيًا، فلمَّا استحال أن يتَكَلَّمَ بكلام الله تعالىٰ غيْرُهُ ويَأْمُرَ بأَمْرِهِ غَيْرُهُ ويَنْهَىٰ بنَهْيِه غيْرُه اسْتحالَ أنْ يُحْدِثَ كلامًا في غيره فيَكُونَ به مُتَكَلِّمًا، وإذا فسدت الوجوه التي لا يخلو الكلام منها لو كان محدثاً صَحَّ أَنَّهُ قدِيمٌ، **وأَنَّ الله تعالىٰ لَمْ يَزَلْ بِهِ مُتَكَلِّمًا**. (اللمع، ص٢٢) **وهو عينُ الدليل الذي ذكره الإمام أبو جعفر الطبريُّ** (ت٣١٠هـ) في رَدِّهِ علىٰ القائل بحُدُوثِ كَلَامِ اللهِ ﷻ فقال: «أخبِرْنَا عن الكلام الذي وَصَفْتَ أنّ القديمَ به متكلِّمٌ مَخْلُوقٌ، أَخلَقَهُ - إذْ كان عِنْدَهُ مخلوقاً - في ذاتِه، أمْ في غَيْرِه، أمْ قائِمًا بنَفْسِه، فإنْ زَعَم خَلْقَهُ في ذاتِهِ فقدْ أَوْجَبَ أن تَكُونَ ذاتُهُ محلًّا للخَلْقِ، وذلك عند الجَمِيع كُفْرٌ». ثم بيّن فساد بَقِيَّةَ الأقسام وقال: «وفي فَسادِ هذِهِ المَعاني التي وَصَفْنا الدلالةُ الواضحة إذْ كان لا وَجْهَ لِخَلْقِ الأشياء إلا بعضُ هذه الوجوه، صَحَّ أن كلام الله صفةٌ له، غَيْرُ خَالِقٍ ولا مَخْلُوقٍ. وأن معاني الخَلْقِ عَنْهُ منفِيَّةٌ». (التبصير في معالِم الدِّين، ص٢٠٢).

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ**: مِنْ قَوْلِكُمْ: إِنَّ أَكْثَرَ مَا شَاءَ أَنْ يَكُونَ إِبْلِيسُ كَانَ ؛ لِأَنَّ الكُفْرَ أَكْثَرُ مِنَ الإِيمَانِ ، وَأَكْثَرُ مَا كَانَ هُوَ شَاءَهُ.

فَقَدْ جَعَلْتُمْ مَشِيئَةَ إِبْلِيسَ أَنْفَذَ مِنْ مَشِيئَةِ رَبِّ العَالَمِينَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا شَاءَهُ كَانَ ، وَأَكْثَرَ مَا كَانَ فَقَدْ شَاءَهُ.

وَفِي هَذَا إِيجَابُ أَنَّكُمْ قَدْ جَعَلْتُمْ لِإِبْلِيسَ مَرْتَبَةً فِي المَشِيئَةِ لَيْسَتْ لِرَبِّ العَالَمِين ، تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ**: أَيُّهُمَا أَوْلَى بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ ؟.

* مَنْ إِذَا شَاءَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ كَانَ لَا مَحَالَةَ ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَمْ يَكُنْ ؟.

* أَوْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَا لَا يَكُونُ ، وَيَكُونُ مَا لَا يُرِيدُ ؟.

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: «مَنْ لَا يَكُونُ أَكْثَرُ مَا يُرِيدُهُ أَوْلَى بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ» كَابَرُوا ، **وَقِيلَ لَهُمْ**: إِنْ جَازَ لَكُمْ مَا قُلْتُمُوهُ جَازَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: مَنْ يَكُونُ مَا لَا يَعْلَمُهُ أَوْلَى بِالعِلْمِ مِمَّنْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا يَعْلَمُهُ.

وَإِنْ رَجَعُوا عَنْ هَذِهِ المُكَابَرَةِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا كَانَ وَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَا يَكُونُ أَوْلَى بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ ، لَزِمَهُمْ عَلَى مَذَاهِبِهِمْ أَنْ يَكُونَ إِبْلِيسُ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ أَوْلَى بِالاقْتِدَارِ مِنَ اللهِ ﷻ ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا أَرَادَهُ كَانَ ، وَأَكْثَرَ مَا كَانَ قَدْ أَرَادَهُ.

وَقِيلَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا كَانَ وَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَمْ يَكُنْ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ، فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا كَانَ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْهُ لَمْ يَكُنْ لِأَنَّهُ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الاقْتِدَارِ[١].

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَيُّهُمَا أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الإِلَٰهِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ؟

* مَنْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا يَعْلَمُهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِ؟

* أَوْ مَنْ يَكُونُ مَا لَا يَعْلَمُهُ، وَيَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ أَكْثَرُ الأَشْيَاءِ؟

فَإِنْ قَالُوا: مَنْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الإِلَٰهِيَّةِ.

قِيلَ لَهُمْ: فَكَذَلِكَ مَنْ لَا يُرِيدُ كَوْنَ شَيْءٍ إِلَّا كَانَ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُهُ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ إِرَادَتِهِ شَيْءٌ، أَوْلَىٰ بِصِفَةِ الإِلَٰهِيَّةِ، كَمَا قُلْتُمْ ذَلِكَ فِي العِلْمِ.

وَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ تَرَكُوا قَوْلَهُمْ وَرَجَعُوا عَنْهُ، وَأَثْبَتُوا اللهَ ﷻ مُرِيدًا لِكُلِّ كَائِنٍ، وَأَوْجَبُوا أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مَا يَكُونُ.

---

(١) قال الشيخ **أبو الحسن الأشعريُّ** رضي الله عنه: مَنْ إِذَا أرادَ مِنَّا أَمْرًا كانَ، وإذَا لمْ يُرِدْ كَوْنَهُ لمْ يَكُنْ: أَوْلَىٰ بصِفَةِ الاقتدار مِمَّنْ يُرِيدُ كَوْنَ مَا لَا يَكُونُ، ويُرِيدُ أنْ لَا يَكُونَ ما يَكُونُ، ورَبُّ العالَمِينَ لا يُوصَفُ إلَّا بالوَصْفِ الَّذِي هو أوْلَىٰ بصِفَةِ الاقْتِدَار. (اللمع، ص٢٦).

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا قُلْتُمْ: «إِنَّهُ يَكُونُ فِي سُلْطَانِهِ تَعَالَىٰ مَا لَا يُرِيدُ»، فَقَدْ كَانَ إِذًا فِي سُلْطَانِهِ مَا كَرِهَهُ.

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

يُقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ فِي سُلْطَانِهِ مَا يَكْرَهُهُ فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِهِ مَا يَأْبَىٰ كَوْنَهُ؟.

فَإِنْ أَجَابُوا إِلَىٰ ذَلِكَ، قِيلَ لَهُمْ: فَقَدْ كَانَتِ المَعَاصِي، شَاءَ اللهُ أَمْ أَبَىٰ، وَهَذِهِ صِفَةُ الضَّعْفِ وَالفَقْرِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا[(١)].

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ لَمَّا فَعَلَ العِبَادُ مَا يُسْخِطُهُ تَعَالَىٰ وَمَا يَغْضَبُ عَلَيْهِمْ ـ إِذَا فَعَلُوهُ ـ فَقَدْ أَغْضَبُوهُ وَأَسْخَطُوهُ؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

يُقَالُ لَهُمْ: فَلَوْ فَعَلَ العِبَادُ مَا لَا يُرِيدُ وَمَا يَكْرَهُهُ لَكَانُوا أَكْرَهُوهُ، وَهَذِهِ صِفَةُ القَهْرِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

---

(١) قال حربٌ الكرمانيُّ (ت٢٨٠هـ): مَنْ زَعمَ أنَّ اللهَ ﷻ شاءَ لِعبادِه الَّذِينَ عَصَوْهُ الخَيْرَ والطَّاعة، وأنَّ العِباد شَاءُوا لأنْفُسِهِم الشَّرَّ والمَعْصِية، فعَمِلُوا على مَشِيئَتِهم، فقَدْ زعَم أنَّ مَشِيئَةَ العِباد أغْلَبُ مِن مشيئة الله ﷻ ذِكْرُهُ، فأيُّ افتراء على الله أكثر من هذا؟!. (مسائل حرب، ج٣/ص٩٦٩).

مسألة:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

قِيلَ لَهُمْ: فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فعَلَ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ فِعْلِهِ مَا لَا يَكُونُ، لَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ وَهُوَ سَاهٍ غَافِلٌ عَنْهُ، أَوْ أَنَّ الضَّعْفَ وَالتَّقْصِيرَ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ لَحِقَهُ(١).

مسألة:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَعَلَ مَا لَا يَعْلَمُهُ فَقَدْ نَسَبَ اللهَ سُبْحَانَهُ إِلَىٰ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الجَهْلِ؟.

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

يُقَالُ لَهُمْ: فَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَبْدًا لِلَّهِ فَعَلَ مَا لَا يُرِيدُهُ لَزِمَهُ أَنْ يَنْسُبَ اللهَ سُبْحَانَهُ إِلَىٰ السَّهْوِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ.

فَإِذَا قَالُوا: نَعَم.

قِيلَ لَهُمْ: وَكَذَلِكَ يَلْزَمُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ العِبَادَ يَفْعَلُونَ مَا لَا يَعْلَمُ اللهُ نِسْبَةُ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ الجَهْلِ.

(١) قال الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ رحمه الله: لا يَجُوز أن يكونَ في سُلْطانِ اللهِ تعالىٰ ما لَا يُرِيدُه؛ لأنه لو كان في سلطان الله تعالىٰ ما لَا يُرِيدُه لوجَبَ أحَدُ أمْرَيْن: إما إثباتُ سَهْوٍ وغَفْلَة، أوْ إثبات ضَعْفٍ وعَجْزٍ ووَهَنٍ وتَقْصِير عن بُلوغ ما يُرِيدُه، فلما لَمْ يَجُزْ ذلك علىٰ اللهِ تعالىٰ استحالَ أن يكون في سُلْطانِه ما لَا يُرِيدُه. (اللمع، ص٢٤).

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

يُقَالُ لَهُمْ: فَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي كَوْنِ فِعْلٍ للَّهِ ـ وَهُوَ لَا يُرِيدُهُ ـ إِيجَابَ سهْوٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ تَقْصِيرٍ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ، فَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِهِ مَا لَا يُرِيدُهُ وَجَبَ إِثْبَاتُ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ أَوْ ضَعْفٍ وَتَقْصِيرٍ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا كَانَ مِنْ غَيْرِهِ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ فِي سُلْطَانِ اللهِ مَا لَا يُرِيدُهُ وَهُوَ يَعْلَمُهُ وَلَا يَلْحَقُهُ الضَّعْفُ وَالتَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَلْحَقُهُ النُّقْصَانُ؟!

فَإِنْ لَمْ يَجُزْ هَذَا لَمْ يَجُزْ مَا قُلْتُمُوهُ.

مَسْأَلَةٌ:

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ قُلْتُمْ: إِنَّ اللهَ مُرِيدٌ لِكُلِّ كَائِنٍ أَنْ يَكُونَ[1]، وَلِكُلِّ مَا لَا يَكُونُ أَنْ لَا يَكُونَ؟

قِيلَ لَهُ: الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الحُجَّةَ قَدْ وَضَحَتْ أَنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الكُفْرَ وَالمَعَاصِيَ، وَسَنُبَيِّنُ ذَلِكَ بَعْدَ هَذَا المَوْضِعِ مِنْ كِتَابِنَا.

وَإِذَا وَجَبَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَالِقٌ لِذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ أَنَّهُ مُرِيدٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ

(١) أوردَ الشيخُ **أبو الحَسَنِ الأشعريُّ** رضي الله عنه في «اللُّمَع» هذا السؤال بعبارات متقاربة فقال: فإن قال قائل: لم قلتمْ: إن الله تعالى مريدٌ لكلِّ شيءٍ يجوزُ أن يرادَ؟. (اللمع، ص٢٤).

أَنْ يَخْلُقَ مَا لَا يُرِيدُهُ[(١)].

وَجَوَابٌ آخَرُ:

أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِ اللهِ ﷻ مِنِ أَكْسَابِ العِبَادِ مَا لَا يُرِيدُهُ، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ فِعْلِهِ ـ المُجْتَمَعِ عَلَىٰ أَنَّهُ فِعْلُهُ[(٢)] ـ مَا لَا يُرِيدُهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ وَقَعَ مِنْ فِعْلِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ لَكَانَ فِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ النُّقْصَانِ، وَكَذَلِكَ القَوْلُ لَوْ وَقَعَ مِنْ عِبَادِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ[(٣)].

فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْ عِبَادِهِ مَا لَا يُرِيدُهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يَقَعَ عَنْ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، أَوْ عَنْ ضَعْفٍ وَتَقْصِيرٍ عَنْ بُلُوغِ مَا يُرِيدُهُ، كَمَا يَجِبُ ذَلِكَ لَوْ وَقَعَ مِنْ فِعْلِهِ ـ المُجْتَمَعِ عَلَىٰ أَنَّهُ فِعْلُهُ ـ مَا لَا يُرِيدُهُ[(٤)].

---

(١) هذا الجواب الثاني للشيخ **أبي الحَسَنِ الأشعريِّ** رضي الله عنه في «اللُّمَع» إذ قال: وأيضا فقد دلَّتِ الدلالةُ علىٰ أن الله تعالىٰ خالقُ كلِّ شيء حادثٍ، ولا يجوزُ أن يَخْلُقَ ما لا يريدُهُ. (اللمع، ص٢٤).

(٢) انظر نصَّ **أبي الحَسَنِ الأشعريِّ** رضي الله عنه علىٰ هذا القَيْد في «**اللُّمَع**» وشرحه لهذا الدليل نفسه. (ص٢٥).

(٣) قال **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): ومِمَّا يدل علىٰ أن الله تعالىٰ مريدٌ لجميع أفعال العباد أنه لوْ كان في سلطانه منها ما ليس بِمُريدٍ لِكَوْنِه، للَحِقَهُ العَجْزُ والتقصيرُ عن بلوغ المرادِ، وكذلك لو أراد منها ما لم يكنْ، كما أنه لو أرادَ مِن فِعْلِ نفسِهِ ما لم يكنْ، أو كانَ منه ـ عِنْدنا وعندهم ـ ما لم يردْهُ ـ وهو مما يصحُّ أن يكون مرادًا ـ لدَلَّ ذلك علىٰ عجْزِهِ وتقصيره وتَعَذُّرِ الأشياء علَيْه، فلا فرق في ذلك بين فِعْلِ نَفْسِهِ وفِعْلِ خَلْقِه الذي جعلهُ لهم كَسْبًا، كما لا فرقَ بين أن يكون مِنْ فِعْلِ نفسِهِ ما لا يَعْلمُ، ولا يَكُون منه ما علمَ أنه يكونُ، وبيْنَ أن لا يكون مِن خَلْقِهِ ما يعلمُ أنه يكونُ، وأن يكون منهم ما عَلِم أنه لا يكونُ، في إيجابِهِ لتَجْهيلِهِ، تعالىٰ عن ذلك. (التمهيد، ص٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٤) هذا الجواب الثالث **لأبي الحَسَنِ الأشعريِّ** رضي الله عنه في «**اللُّمَع**» إذ قال: وأيضا فإنه لا يجوزُ أن يكون في سلطانِ الله ما لا يريدُهُ؛ لأنه لو كان في سلطانِ اللهِ تعالىٰ ما لا يريدُهُ لوجبَ أحَدُ أمرين: إما إثباتُ سهوٍ وغفلةٍ، أو إثباتُ ضعفٍ وعجزٍ ووهَنٍ وتقصيرٍ عن بلوغِ ما يريدُهُ. فلما لم يجزْ=

وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَتِ المَعَاصِي وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ تَكُونَ لَكَانَ قَدْ كَرِهَ أَنْ تَكُونَ وَأَبَىٰ أَنْ تَكُونَ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ المَعَاصِي كَائِنَةً شَاءَ اللهُ أَمْ أَبَىٰ، وَهَذَا صِفَةُ الضَّعِيفِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا(١).

وَقَدْ أَوْضَحْنَا أَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا عَلَىٰ الحَقِيقَةِ الَّتِي عَلِمَهَا عَلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ الكُفْرُ مِمَّا يَكُونُ، وَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ اللهُ ﷻ عَلِمَ أَنَّ الكُفْرَ يَكُونُ، وَأَرَادَ أَنْ لَا يَكُونَ، فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَا عَلِمَ عَلَىٰ خِلَافِ مَا عَلِمَ، وَإِذَا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَا عَلِمَ كَمَا عَلِمَ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: لِمَ أَبَيْتُمْ أَنْ يُرِيدَ اللهُ الكُفْرَ ـ الَّذِي عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ ـ قَبِيحًا فَاسِدًا مُنَاقِضًا خِلَافًا لِلْإِيمَانِ؟.

فَإِنْ قَالُوا: لِأَنَّ مُرِيدَ السَّفَهِ سَفِيهٌ.

قِيلَ لَهُمْ: وَلِمَ قُلْتُمْ ذَلِكَ؟! أَوَ لَيْسَ قَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ ابْنِ آدَمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَخِيهِ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ

= ذلك علىٰ الله تعالىٰ استحالَ أن يكون في سلطانه ما لا يريدُهُ. (اللمع، ص٢٤).

(١) هذا من أجوبةِ الأشعريِّ أيضًا في «اللُّمَع» إذ قال: لو كان في العالَمِ ما لا يريدُهُ اللهُ تعالىٰ لكانَ ما يكرَهُ كونَهُ، ولو كان ما يكرَهُ كونَهُ لكان ما يَأْبَىٰ كونَهُ، وهذا يوجِبُ أنَّ المعاصيَ كانتْ شاءَ الله أم أبىٰ، وهذا صفة الضعيفِ المقهورِ، وتعالىٰ ربُّنا عن ذلك علوا كبيرا. (اللمع، ص٢٥).

ﭐللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ [المائدة: ٢٨ - ٢٩] ، فَأَرَادَ أَنْ لَا يَقْتُلَ أَخَاهُ لِئَلَّا يُعَذَّبَ ، وَأَنْ يَقْتُلَهُ أَخُوهُ حَتَّىٰ يَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِهِ لَهُ وَسَائِرِ آثَامِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ .

فَأَرَادَ قَتْلَ أَخِيهِ لَهُ ـ الَّذِي هُوَ سَفَهٌ ـ وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ سَفِيهًا ، فَلِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ سَفَهَ العِبَادِ وَجَبَ أَنْ يُنْسَبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ؟! .

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف: ٣٣] ، وَكَانَ سَجْنُهُمْ إِيَّاهُ مَعْصِيَةً ، فَأَرَادَ المَعْصِيَةَ ـ الَّتِي هِيَ سَجْنُهُمْ إِيَّاهُ ـ دُونَ فِعْلِ مَا يَدْعُونَهُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ سَفِيهًا .

فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنْ لَا يَجِبَ إِذَا أَرَادَ البَارِئُ سُبْحَانَهُ سَفَهَ العِبَادِ أَنْ يَكُونَ قَبِيحًا مِنْهُمْ خِلَافًا لِلطَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ سَفِيهًا ؟! .

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ مَنْ يَرَىٰ مِنَّا حُرَمَ المُسْلِمِينَ كَانَ سَفِيهًا ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَرَاهُمْ وَلَا يُنْسَبُ إِلَىٰ السَّفَهِ .

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم .

يُقَالُ لَهُمْ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ السَّفَهَ مِنَّا كَانَ سَفِيهًا ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ سَفَهَ السُّفَهَاءِ وَلَا يُنْسَبُ إِلَىٰ أنه عَزَّ وَجَلَّ سَفِيهٌ ؟! تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ .

مَسْأَلَةٌ أُخْرَىٰ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: السَّفِيهُ مِنَّا إِنَّمَا كَانَ سَفِيهًا لَمَّا أَرَادَ السَّفَهَ لِأَنَّهُ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُ تَحْتَ شَرِيعَةِ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ وَمَنْ يَحُدُّ لَهُ الحُدُودَ وَيَرْسُمُ لَهُ الرُّسُومَ، فَلَمَّا أَتَىٰ مَا نُهِيَ عَنْهُ كَانَ سَفِيهًا(١).

وَرَبُّ العَالَمِينَ ـ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ـ لَيْسَ تَحْتَ شَرِيعَةٍ، وَلَا فَوْقَهُ مَنْ يَحُدُّ لَهُ الحُدُودَ وَيَرْسُمُ لَهُ الرُّسُومَ، وَلَا فَوْقَهُ مُبِيحٌ وَلَا حَاظِرٌ، وَلَا آمِرٌ وَلَا زَاجِرٌ، فَلَمْ يَجِبْ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَبِيحًا أَنْ يُنْسَبَ إِلَىٰ السَّفَهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ مَنْ خَلَّىٰ بَيْنَ عَبِيدِهِ وَبَيْنَ إِمَائِهِ مِنَّا يَزْنِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ يَكُونُ سَفِيهًا؟.

وَرَبُّ العَالَمِينَ ﷻ قَدْ خَلَّىٰ بَيْنَ عَبِيدِهِ وَبَيْنَ إِمَائِهِ يَزْنِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ سَفِيهًا(٢).

---

(١) راجع هذا الدليل في التمهيد للباقلاني (ص٢٨٣) وعند **أبي القاسم الأنصاريِّ (ت٥١٢هـ)** حيث قال: لو سلَّمنا لكم شاهداً أن مريدَ السَّفَهِ سفيهٌ فإنما كان كذلك لأنه نُهِيَ عن إرادة السَّفَهِ، فمن حيث ارتكبَ ما نهي عنه صار سفيها. (الغنية، ج٢/ص٩٨٤).

(٢) بسطَ الشيخ **أبو القاسم الأنصاريُّ (ت٥١٢هـ)** هذه الحجَّة فقال: قد علمنا أن الواحدِ منا لو مكَّن عبيدَهُ وإماءه من الفجورِ وأمدّهم بالعُدد والعتاد مع العلم بأنهم لا يستعملون ما أمدَّهم به إلا في الفسادِ لكان سفيها، لا سيما إذا كان قادرًا علىٰ منعهم من فجورهم وظلمهم، ولو قطعَ عنهم ما أمدَّهم به لَمَا ظهر منهم الفسادَ، والربُّ ﷻ يعلمُ ما يكونُ من الفجَرة ثم هو مع العلم بذلك يقوّيهم ويزيدُ في عدّتهم ويملي لهم ليزدادوا إثمًا، ويعلمُ أن في إملائه لهم هلاكَهُم، ويتوصَّلون=

مسألة أخرى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ أَرَادَ طَاعَةَ اللهِ مِنَّا كَانَ مُطِيعًا، كَمَا أَنَّ مَنْ أَرَادَ السَّفَهَ كَانَ سَفِيهًا، وَرَبُّ العَالَمِينَ ﷻ يُرِيدُ الطَّاعَةَ وَلَيْسَ مُطِيعًا، فَكَذَلِكَ يُرِيدُ السَّفَهَ وَلَيْسَ سَفِيهًا(١).

مسألة أخرى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ لَا يَقْتَتِلُوا مَا اقْتَتَلُوا، قَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] مِنَ القِتَالِ، فَإِذَا وَقَعَ القِتَالُ فَقَدْ شَاءَهُ.

كَمَا أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] فَقَدْ وَجَبَ أَنَّ الرَّدَّ لَوْ كَانَ إِلَى الدُّنْيَا لَعَادُوا إِلَى الكُفْرِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَرُدَّهُمْ إِلَى الدُّنْيَا لَمْ يَعُودُوا، وَكَذَلِكَ لَوْ شَاءَ أَنْ لَا يَقْتَتِلُوا مَا اقْتَتَلُوا، وَإِذِ اقْتَتَلُوا فَقَدْ شَاءَ أَنْ يَقْتَتِلُوا.

= بذلك إلى شتم الأنبياء عليهم السلام وتخريبِ المساجدِ، ثم لم يقبحْ منه ذلك بالاتفاق. (الغنية، ج٢/ص٩٨٣ - ٩٨٤) (الغنية، ج٢/ص٩٨٤).

(١) شرحَ **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** هذه الحجَّةَ في الردِّ على شبهة القائلين من المعتزلة: «لو كان الباريءُ تعالى مريدا للسَّفَهِ لكان عابثًا سَفِيهًا» فقال: فيجب على اعتلالكم أن يكون بإرادته الطاعةَ والصلاح والتقى مطيعا صالحا تقيا؛ لأننا وإياكمْ لم نجد مُريداً للطاعة إلا طائِعا، فإن مروا على ذلك تركوا دينهم، وإن أبوْهُ أبطلوا سؤالهم، وإن قالوا: مريدُ الطاعة منا مطيعٌ لأنه مأمورٌ بفعل الطاعة، والله يتعالى عن ذلك، قيل لهم: ومريدُ السَّفَهِ منا سفيهٌ لأنه منهيٌّ عن فعل السَّفهِ، والله يتعالى عن ذلك. (التمهيد، ص٢٨٣).

حُجَّةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وَإِذْ حَقَّ الْقَوْلُ بِذَلِكَ فَمَا شَاءَ أَنْ يُؤْتِيَ كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يُؤْتِهَا هُدَاهَا لَمَّا حَقَّ الْقَوْلُ بِتَعْذِيبِ الكَافِرِينَ، وَإِذْ لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ فَقَدْ شَاءَ ضَلَالَتَهَا.

فَإِنْ قَالُوا: مَعْنَى ذَلِكَ: لَوْ شِئْنَا لَأَجْبَرْنَاهُمْ عَلَى الهُدَى وَاضْطَرَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا أَجْبَرَهُمْ عَلَى الهُدَى وَاضْطَرَّهُمْ إِلَيْهِ أَيَكُونُونَ مُهْتَدِينَ؟.

فَإِنْ قَالُوا: نَعَم.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ إِذَا فَعَلَ الهُدَى كَانُوا مُهْتَدِينَ[(١)]، فَمَا أَنْكَرْتُمْ لَوْ فَعَلَ كُفْرَ الكَافِرِينَ لَكَانُوا كَافِرِينَ؟[(٢)].

وَهَذَا يَهْدِمُ قَوْلَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَفْعَلَ الكُفْرَ إِلَّا كَافِرٌ.

وَيُقَالُ لَهُمْ أَيْضًا: عَلَى أَيِّ وَجْهٍ يُؤْتِيهِمُ الهُدَى لَوْ آتَاهُمْ إِيَّاهُ وَشَاءَ ذَلِكَ لَهُمْ؟

فَإِنْ قَالُوا: عَلَى الإِلْجَاءِ.

---

(١) أي: يرجع حكمُ الهدى لهم، لا له سبحانه.

(٢) أي: بحيث يرجعُ الحكمُ إليه فلا يقال إن فعل الكفر فِيهِمْ يرجع إليه الحُكْمَ فيكون كافِرًا، وهذا الذي جعلهم يفرون من نسبة إرادة وخَلْقِ الكُفْرِ إليْهِ سبحانه.

قِيلَ لَهُمْ: وَإِذَا أَلْجَأَهُمْ إِلَى ذَلِكَ هَلْ يَنْفَعُهُمْ مَا يَفْعَلُونَهُ عَلَى طَرِيقِ الإِلْجَاءِ؟

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: لَا.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَآتَاهُمُ الهُدَى لَوْ لَا مَا حَقَّ مِنْهُ مِنَ القَوْلِ أَنَّهُ يَمْلَأُ جَهَنَّمَ، وَإِذَا كَانَ لَوْ أَلْجَأَهُمْ لَمْ يَكُنْ نَافِعًا لَهُمْ وَلَا مُزِيلًا لِلْعَذَابِ عَنْهُمْ، كَمَا لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ قَوْلُهُ الَّذِي قَالَهُ عِنْدَ الغَرَقِ وَالإِلْجَاءِ، فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِكُمْ: «إِنَّهُ لَوْ لَا مَا حَقَّ مِنَ القَوْلِ لَأُوتِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ هُدَاهَا» وَإِتْيَانُ الهُدَى عَلَى الوَجْهِ الَّذِي قُلْتُمُوهُ لَا يُزِيلُ العَذَابَ.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

وَقَالَ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣]، فَخَبَّرَ أَنَّهُ لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُجْتَمِعِينَ عَلَى الكُفْرِ لَمْ يَبْسُطْ لَهُمُ الرِّزْقَ وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْكَافِرِينَ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ[1]، فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونُوا كَافِرِينَ[2] مَا خَلَقَهُمْ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ إِذَا خَلَقَهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ؟! كَمَا أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ لَا يَكُونَ النَّاسُ مُجْتَمِعِينَ عَلَى الكُفْرِ لَمْ يَجْعَلْ لِلْكَافِرِينَ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ لِئَلَّا يَكُونُوا جَمِيعًا عَلَى الكُفْرِ مُتَطَابِقِينَ.

---

(١) قال مكيّ القيرواني (ت٤٢٧هـ): ولكِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذلك لِيَكُون في الخَلْق مُؤْمِنُون وكافِرُونَ، على ما تَقَدَّمَ في عِلْمِ اللهِ ﷻ وتَقْدِيره فيهم. (الهداية إلى بلوغ النهاية، ج١٠/ص٦٦٥٦).

(٢) في (خ): لو لم يُرِدْ كُفْرَ الكافِرين.

بَابُ
الكَلَامِ فِي تَقْدِيرِ أَعْمَالِ العِبَادِ وَالاسْتِطَاعَةِ وَالتَّعْدِيلِ وَالتَّجوِيرِ (١)

يُقَالُ لِلْقَدَرِيَّةِ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُعْلِمَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ شَيْئًا لَا يَعْلَمُهُ؟

فَإِنْ قَالُوا: لَا يُعْلِمُ اللهُ عِبَادَهُ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ عَالِمٌ.

قِيلَ لَهُمْ: فَكَذَلِكَ لَا يُقْدِرُهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ عَلَيْهِ قَادِرٌ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الإِجَابَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ.

يُقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا أَقْدَرَهُمْ عَلَىٰ الكُفْرِ فَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَخْلُقَ الكُفْرَ لَهُمْ، وَإِذَا قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ الكُفْرِ لَهُمْ فَلِمَ أَثْبَتُّمْ أَنَّ خَلْقَ كُفْرِهِمْ فَاسِدٌ مُتَنَاقِضٌ بَاطِلٌ؟!

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وَإِذَا كَانَ الكُفْرُ مِمَّا أَرَادَ فَقَدْ فَعَلَهُ وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِمْ.

مَسْأَلَةٌ عَلَيْهِمْ فِي اللُّطْفِ:

يُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ اللهُ ﷻ قَادِرًا أَنْ يَفْعَلَ بِخَلْقِهِ مِنْ بَسْطِ الرِّزْقِ مَا لَوْ فَعَلَهُ بِهِمْ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ؟ وَأَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ مَا لَوْ فَعَلَهُ بِالكُفَّارِ لَكَفَرُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن

---

(١) قال أبو القاسم الأنصاريُّ (ت٥١٢هـ): اعلم أن التعديل نِسْبَةُ الغَيْر إلى العَدْل، والتَّجْوير نِسْبَةُ الغَيْر إلى الجَوْر. (الغنية، ج٢/ص٩٩٧).

فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٣]؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

يُقَالُ لَهُمْ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ لُطْفًا لَوْ فَعَلَهُ بِهِمْ لَآمَنُوا أَجْمَعِينَ، كَمَا أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَ بِهِمْ أَمْرًا لَوْ فَعَلَهُ بِهِمْ كَفَرُوا كُلُّهُمْ؟![1].

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، وقال: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] يَعْنِي فِي وَسَطِ الجَحِيمِ ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٦ ـ ٥٧].

مَا الفَضْلُ الَّذِي فَعَلَهُ بِالمُؤْمِنِينَ، الَّذِي لَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ لَاتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ مَا زَكَىٰ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا؟ وَمَا النِّعْمَةُ الَّتِي لَوْ لَمْ يَفْعَلْهَا لَكَانُوا مِنَ المُحْضَرِينَ؟ وَهَلْ ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَفْعَلْهُ بِالكَافِرِينَ وَخَصَّ بِهِ المُؤْمِنِينَ؟

فَإِنْ قَالُوا: «نَعَم» فَقَدْ تَرَكُوا قَوْلَهُمْ وَأَثْبَتُوا لِلَّهِ ﷻ نِعَمًا وَفَضْلًا عَلَى المُؤْمِنِينَ ابْتَدَأَ بِهِ جَمِيعَهُمْ، وَلَمْ يُنْعِمْ بِمِثْلِهِ عَلَى الكَافِرِينَ، وَصَارُوا إِلَى القَوْلِ بِالحَقِّ.

وَإِنْ قَالُوا: قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ أَجْمَعَ بِالكَافِرِينَ كَمَا فَعَلَهُ بِالمُؤْمِنِينَ.

---

(١) راجع عين هذه المسألة عند القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في التمهيد (ص٣٣٨ ـ ٣٣٩).

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: فَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ أَجْمَعَ بِالكَافِرِينَ فَلَمْ يَكُونُوا زَاكِينَ وَكَانُوا لِلشَّيْطَانِ مُتَّبِعِينَ وَفِي النَّارِ مُحْضَرِينَ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ لِلْمُؤْمِنِينَ: لَوْلَا أَنِّي خَلَقْتُ لَكُمْ أَيْدِيَ وَأَرْجُلًا لَكُنْتُمْ لِلشَّيْطَانِ مُتَّبِعِينَ، وَهُوَ قَدْ خَلَقَ الأَيْدِيَ وَالأَرْجُلَ لِلْكَافِرِينَ وَكَانُوا لِلشَّيْطَانِ مُتَّبِعِينَ؟

❖ **فَإِنْ قَالُوا**: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ مَا قُلْتُمُوهُ.

وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ ﷻ اخْتَصَّ المُؤْمِنِينَ مِنَ النِّعَمِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ بِمَا لَمْ يُعْطِ الكَافِرِينَ، وَفَضَّلَ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنِينَ.

مَسْأَلَةٌ فِي الاسْتِطَاعَةِ:

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ**: أَلَيْسَتِ اسْتِطَاعَةُ الإِيمَانِ نِعْمَةً مِنَ اللهِ ﷻ وَفَضْلًا وَإِحْسَانًا؟

❖ **فَإِذَا قَالُوا**: نَعَمْ.

❖ **قِيلَ لَهُمْ**: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ تَوْفِيقًا وَتَسْدِيدًا؟

❖ فَلَا بُدَّ مِنَ الإِجَابَةِ إِلَى ذَلِكَ.

❖ **يُقَالُ لَهُمْ**: فَإِذَا كَانَ الكَافِرُونَ قَادِرِينَ عَلَى الإِيمَانِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونُوا مُوَفَّقِينَ لِلْإِيمَانِ؟! وَلَوْ كَانُوا مُوَفَّقِينَ مُسَدَّدِينَ لَكَانُوا مَمْدُوحِينَ.

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى الإِيمَانِ قَادِرِينَ، وَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ اللهُ ﷻ اخْتَصَّ بِالقُدْرَةِ عَلَى الإِيمَانِ المُؤْمِنِينَ.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

❖ **وَيُقَال لَهُمْ:** لَوْ كَانَتِ القُدْرَةُ عَلَى الكُفْرِ قُدْرَةً عَلَى الإِيمَانِ فَقَدْ رَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُقْدِرَهُ عَلَى الكُفْرِ، فَلَمَّا رَأَيْنَا المُؤْمِنِينَ يَرْغَبُونَ إِلَى اللهِ ﷻ فِي قُدْرَةِ الإِيمَانِ، وَيَتَعَوَّذُونَ مِنْ[(١)] قُدْرَةِ الكُفْرِ، عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي رَغِبُوا فِيهِ غَيْرُ الَّذِي تَعَوَّذُوا مِنْهُ[(٢)].

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

❖ **وَيُقَال لَهُمْ:** أَخْبِرُونَا عَنْ قُوَّةِ الإِيمَانِ، أَلَيْسَتْ فَضْلًا مِنَ اللهِ ﷻ؟

❖ فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

❖ **يُقَال لَهُمْ:** فَالتَّفَضُّلُ أَلَيْسَ هُوَ مَا لِلْمُتَفَضِّلِ أَنْ لَا يَتَفَضَّلَ بِهِ، وَلَهُ أَنْ يَتَفَضَّلَ بِهِ؟

❖ فَلَا بُدَّ مِنَ الإِجَابَةِ إِلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الفَضْلِ وَبَيْنَ الاسْتِحْقَاقِ.

❖ **فَيُقَالُ لَهُمْ:** وَلِلْمُتَفَضِّلِ إِذَا أَمَرَ بِالإِيمَانِ أَنْ يَرْفَعَ التَّفَضُّلَ وَلَا يَتَفَضَّلَ بِهِ، فَيَأْمُرَهُمْ بِالإِيمَانِ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِمْ قُدْرَةً عَلَى الإِيمَانِ وَخَذَلَهُمْ، **وَهَذَا هُوَ قَوْلُنَا وَمَذْهَبُنَا.**

مَسْأَلَةٌ:

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ:** هَلْ يَقْدِرُ اللهُ عَلَى تَوْفِيقٍ يُوَفِّقُ بِهِ الكَافِرِينَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟

---

(١) خـ: وَيَزْهَدُونَ فِي.

(٢) خـ: زَهِدُوا فِيهِ.

فَإِنْ قَالُوا: «لَا»، نَطَقُوا بِتَعْجِيزِ اللهِ ﷻ، تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَإِنْ قَالُوا: «نَعَمْ يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَوْ فَعَلَ بِهِم التَّوْفِيقَ لَآمَنُوا»، تَرَكُوا قَوْلَهُمْ، وَقَالُوا بِالحَقِّ.

مَسْأَلَةٌ:

وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

قِيلَ لَهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَهُمْ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، وَلَمْ يَقُلْ: لَا يُرِيدُ ظُلْمَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَتَظَالَمُوا[1].

مَسْأَلَةٌ:

وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣] قَالُوا: وَالكُفْرُ مُتَفَاوِتٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ خَلْقِ اللهِ[2]؟.

---

(١) توسَّعَ القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في تقرير هذه الشُّبهة وجوابِها فقال: **فإنْ قالوا**: الدليل على أن الله غيْرُ خالِقٍ لأفعال العِباد أنّ منها الظُّلْمَ والجَوْرَ والفسَاد، فلو كان خالِقًا لها لكان بِخَلْقِ الظُّلْم والجَوْر والسَّفه ظالِمًا جائِرًا سَفِيهًا، فلمَّا لمْ يَجُزْ ذلك صَحَّ ما قلناه. **يقال لهم**: لِمَ قلتم: إنّ هذا واجبٌ؟! وما دليلكم عليه؟! فإن قالوا: لأنّ فاعِلَ الظُّلم منا ظالمٌ، وفاعِلَ الجَوْر مِنّا جائرٌ، قِيلَ لَهُمْ: مَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ فَاعِلُ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ مِنَّا ظَالِمًا جَائِرًا لأَنَّهُ مَنْهِيٌّ عنهُ وفاعِلٌ لهُ في نَفْسِه ولِنَفْسِهِ، والقديمُ تعالىٰ يَخْلُق الظلمَ والجورَ والسَّفه جوْرًا وظُلْمًا وسَفهًا لغَيْرِهِ، لا لِنَفْسِه ولا في نَفْسِه، وهو تعالىٰ غيْرُ مزْجُورٍ عن ذلكَ، ولا مُطالَبٍ بِتَرْكِه، ولا مُخالِفٍ بفِعْله أمْرَ مَنْ يَلْزَمُهُ طاعتُه والانقيادُ له، فبطَلَ ما قُلْتُم. (التمهيد، ص٣٠٨).

(٢) قال القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في تتمة السؤال: فكيف يجوز أن يكونَ خالقا للكفر والقبائح=

الجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ ـ ٤]، فَإِنَّمَا عَنَىٰ مَا تَرَىٰ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ فُطُورٍ لِأَنَّهُ ذَكَرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الكُفْرَ، وَإِذَا كَانَ هَذَا عَلَىٰ مَا قُلْنَاهُ بَطَلَ مَا قَالُوهُ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ(١).

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ تَعْرِفُونَ لِلَّهِ ﷻ نِعْمَةً عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه خُصَّ بِهَا دُونَ أَبِي جَهْلٍ ابْتِدَاءً؟

فَإِنْ قَالُوا: لَا، فَحُشَ قَوْلُهُمْ.

وَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، تَرَكُوا مَذَاهِبَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ خَصَّ المُؤْمِنِينَ فِي الابْتِدَاءِ بِمَا لَمْ يَخُصَّ بِهِ الكَافِرِينَ.

مَسْأَلَةٌ:

وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧] فَقَالُوا: هَذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَخْلُقِ البَاطِلَ.

فَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ أَرَادَ بِذَلِكَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: لَا حَشْرَ

= وهي أفْعالٌ فاسدةٌ متفاوتةٌ؟!. (التمهيد، ص٣١٣).

(١) ذكر **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** هذا الجواب بعبارته فقال: يريدُ الإخبارَ عن إتقانِ فعلها وعجيب صنعها، والكفرُ لا فطور فيه ولا شقوقٌ، ولوْ لا الجهلُ ما تعلَّقُوا بمثل هذا التأويل. (التمهيد، ص٣١٣).

وَلَا نُشُورَ وَلَا إِعَادَةَ، فَقَالَ تَعَالَى: مَا خَلَقْتُ ذَلِكَ وَأَنَا لَا أُثِيبُ مَنْ أَطَاعَنِي وَلَا أُعَاقِبُ مَنْ عَصَانِي، كَمَا ظَنَّ الكَافِرُونَ أَنَّهُ لَا حَشْرَ وَلَا نَشْرَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا عِقَابَ؛ أَلَا تَرَاهُ قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وَبَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] أَيْ: لَا نُسَوِّي بَيْنَهُمْ فِي أَنْ نُنَعِّمَهُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَا فِي أَنْ نُعَذِّبَهُمْ أَجْمَعِينَ، فَيَكُونَ سَبِيلُهُمْ سَبِيلًا وَاحِدًا(١).

مَسْأَلَةٌ:

وَسَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩](٢).

وَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ يَعْنِي: الخِصْبَ وَالخَيْرَ، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يَعْنِي: الجَدْبَ وَالقَحْطَ وَالمَصَائِبَ ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ﴾ أَيْ: بِشُؤْمِكَ، قَالَ اللهُ: يَا مُحَمَّدُ ﴿قُلْ كُلٌّ

---

(١) قال **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)**: فإن قالوا: أفليسَ قد قال اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [ص: ٢٧]، وقال: ﴿خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣]، والباطلُ من أفعال العبادِ ليس بحَقٍّ. قيل لهم: معنى ذلك أنه ما خلق السمواتِ والأرض وما بينهما وهو لا يريدُ إثابةَ المتقين الطائعين، ولا مجازاةَ المسيئين المذنبين والكافرين، على ما يَتَوَهَّمُه مَنْ زعَمَ أنَّهُ لا حشرَ ولا نشرَ ولا ثواب ولا عقابَ، فلذلك قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧] يعني: من إنكارهم الثوابَ والجزاءَ والعقابَ. (التمهيد، ص٣١٢).

(٢) شرحَ **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** وجه السؤال بقوله: فإن قالوا: وكيف يكون البارئُ سبحانه خالقًا لمَعَاصِي العِبادِ وسَيِّئاتِهم وقد قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، فاللهُ يتعالى أن تكون السيئةُ من عنده. (التمهيد، ص٣١٨).

مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨] فِي قَوْلِهِمْ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

فَحَذَفَ «فِي قَوْلِهِمْ»؛ لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ لَا يَتَنَاقَضُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ فِي آيَةٍ: إِنَّ الكُلَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ثُمَّ يَقُولَ فِي الآيَةِ الأُخْرَىٰ الَّتِي تَلِيهَا: إِنَّ الكُلَّ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ[1].

عَلَىٰ أَنَّ مَا أَصَابَ النَّاسَ هُوَ غَيْرُ مَا أَصَابُوهُ[2]، وَهَذَا يُبَيِّنُ بُطْلَانَ تَعَلُّقِهِمْ

---

(١) قال **القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** في تقرير هذا الجواب: يُقال لهم: هذه الآيةُ دلالةٌ علىٰ فسادِ قولكم لأنها إنكارٌ عليكُمْ وعلىٰ من دان بدِينِكُم، وذلك أنَّ القومَ كانوا يُضيفون الحسناتِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ ويُضِيفون السَّيِّئات إلىٰ أنفسهم، وكانوا إذا أصابَهُم الجدْبُ والشدَّةُ أضافُوا ذلك إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وقالوا: «هذا منه وبِشُؤْمِ طَائِرِه»، فَأنْكرَ اللهُ تعالىٰ ذلك مِنْ قَوْلِهم، فقال علىٰ سبيل التَّعجُّبِ مِنْ قَوْلِهم والتفنيدِ لهم: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩]، تَعَجُّبًا مِنْ قَوْلِهم هذا، وفي هذا الكلامِ حذفٌ لا بدّ منه، وتقدير الكلام: يَقُولُونَ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩]، فحذفَ «يَقُولُونَ» اقتصارًا علىٰ شاهدِ الحالِ ومفهوم الخطاب والعلم بسبب إنزالِ هذا الكلامِ. (التمهيد، ص٣١٨ ـ ٣١٩)، وقَالَ **أَبُو القَاسِمِ قوامُ السُّنَّةِ الأَصْبَهَانِيُّ** (ت٥٣٥هـ): القَوْلُ هَاهُنَا مُضْمَرٌ، كأنه قَال: وَيَقُولُونَ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩]، ويدلُّ علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨]. (الحجة في بيان المحجة، ج٢/ص٦٣).

(٢) يشير إلىٰ جواب آخر فصَّلَهُ **أَبُو القَاسِمِ قوامُ السُّنَّةِ الأَصْبَهَانِيُّ (ت٥٣٥هـ)** بقوله: وَقِيلَ: نزلَت عَلَىٰ سَبَب وَهُوَ مَا فَعَلَ الرُّمَاة يَوْم أحُدٍ من إخْلَالِهم بِالمَكَانِ الَّذِي أَمرَهُمْ رَسُول اللهِ ﷺ بمُلَازمَتِه، فالحسَنَةُ: مَا أَصَابُوا من القَتْل والسَّبْيِ والغنائِم من الكفَّارِ، والسَّيِّئَةُ: مَا أُصِيب مِنْهُم من القَتْل وَالجرْح، **وَنحْنُ وَإِن جعلنَا أَفعَال العبادِ مِنَ اللهِ خَلْقًا ومشِيئَةً وتقدِيرًا فَهِيَ من العباد فِعْلٌ وَكَسْبٌ**. وَبِهَذَا المَعْنىٰ صحت إِضَافَة الأَفْعَال إِلَىٰ العِباد، وتحقَّقت مِنْهُم الأَعْمَال،=

بِهَذِهِ الآيَةِ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ.

مَسْأَلَةٌ:

وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ إِنَّمَا عَنَىٰ المُؤْمِنِينَ دُونَ الكَافِرِينَ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ ذَرَأَ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ، فَالَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِجَهَنَّمَ وَأَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ وَكَتَبَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ أُمَّهَاتِهِمْ غَيْرُ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ[(١)].

مَسْأَلَةٌ فِي التَّكْلِيفِ:

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ**: أَلَيْسَ قَدْ كَلَّفَ اللهُ ﷻ الكَافِرِينَ أَنْ يَسْمَعُوا الحَقَّ وَيَقْبَلُوهُ

= وقد ورد في الكتاب الدّلائلُ علىٰ كُلِّ واحِد من هذَيْن، **فاتّبَعْنا القُرْآن وجرَيْنا معه بما دلّ عليه من أنّ الأعْمال مَخلُوقَةٌ لِلّه تَعالَىٰ مُكْتَسَبَةٌ من العباد**. فالآية الأولىٰ وهي قَوْله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ دلّت علىٰ أنّها من اللهِ خَلْقًا وتَقْديرًا وقَضاءً، والآيَة الثّانِيَة دلّت علىٰ أنّها من العِباد كَسْبًا وفِعْلًا، وعلىٰ هَذا يُحْمَلُ جَميعُ مَا ورد في القُرْآن من تَحْقِيق أَعْمالِ العِبَاد وإِثْبَات أفْعالِهم وإضافتها إِلَيْهِم. (الحجة في بيان المحجة، ج٢/ص٦٣ ـ ٦٤).

(١) هذا نفس جواب الشيخ **أبي الحسَن الأشعري** في «اللمع» حيث قال: ومن سأل عن قول اللهِ تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريت: ٥٦] قيل له: المعنىٰ في ذلك أنه أراد بعض الجنِّ والإنسِ وهم العابدون لله منهم؛ لأن الله تعالىٰ قال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] والقرآن لا يتناقضُ، فوجبَ أن يكون اللهُ تعالىٰ خلقَ لجهنَّمَ كثيرًا بالآية التي تلوناها، وأنه خلق بعضهم للعبادةِ بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريت: ٥٦] والذين خلقهم لعبادتهِ هم الذين أرادَ هو أن يعبدوهُ وعاقبتهم عبادته. (اللمع، ص٦٨) وقرّره القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) بقوله: أرادَ بعض الجنِّ والإنس وهُم الذين علِمَ أنه يَعْبُدونَهُ؛ لأنه قال تعالىٰ في آيةٍ أخرىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أي: إنه خَلق لجهنَّمَ كثيرًا من الجنِّ والإنسِ. (التمهيد، ص٣١٦).

وَيُؤْمِنُوا بِاللهِ؟

❖ فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

❖ يُقَالُ لَهُمْ: فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]، وَقَالَ: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]، وَقَدْ كَلَّفَهُمُ اسْتِمَاعَ الحَقِّ.

مَسْأَلَةٌ:

❖ وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]؟ أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَهُمْ ﷻ بِالسُّجُودِ فِي الآخِرَةِ؟

وَجَاءَ فِي الخَبَرِ أَنَّ المُنَافِقِينَ يُجْعَلُ فِي أَصْلَابِهِمْ كَالصَّيَاصِي(١) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ السُّجُودَ(٢).

وَفِي هَذَا تَثْبِيتُ مَا نَقُولُهُ مِنْ أَنَّهُ لَا يَجِبُ لَهُمْ عَلَى اللهِ ﷻ إِذَا أَمَرَهُمْ أَنْ يُقْدِرَهُمْ، وَهُوَ بُطْلَانُ قَوْلِ القَدَرِيَّةِ.

مَسْأَلَةٌ فِي إِيلَامِ الأَطْفَالِ:

❖ وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ آلَمَ اللهُ ﷻ الأَطْفَالَ فِي الدُّنْيَا بِآلَامٍ أَوْصَلَهَا إِلَيْهِمْ؟ كَنَحْوِ الجُذَامِ الَّذِي يُقَطِّعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْلِمُهُمْ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَائِغًا جَائِزًا.

❖ فَإِذَا قَالُوا: نَعَم.

---

(١) الصَّيَاصِي: قُرُون البَقَر. (الفائق في غريب الحديث والأثر، ج٢/ص٢١٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (ج٢٣/ص١٨٩) والبخاري (٤٩١٩) ومسلم (١٨٣).

﴿ **قِيلَ لَهُمْ**: فَإِذَا كَانَ هَذَا عَدْلًا فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يُؤْلِمَهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَيَكُون ذَلِكَ مِنْهُ عَدْلًا؟.

فَإِنْ قَالُوا: آلَمَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِيَعْتَبِرَ بِهِمُ الآبَاءُ.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا لِيَعْتَبِرَ بِهِمُ الآبَاءُ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عَدْلًا، فَلِمَ لَا يُؤْلِمُ أَطْفَالَ الكَافِرِينَ فِي الآخِرَةِ لِيَغِيظَ بِذَلِكَ آبَاءَهُمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ عَدْلًا؟.

وَقَدْ قِيلَ فِي الخَبَرِ: «**إِنَّ الأَطْفَالَ تُؤَجَّجُ لَهُمْ نَارٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: اقْتَحِمُوهَا، فَمَنِ اقْتَحَمَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَقْتَحِمْهَا أَدْخَلَهُ النَّارَ**»(١).

وَقَدْ قِيلَ فِي الأَطْفَالِ وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنْ شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ ضَغَاءَهُمْ فِي النَّارِ**»(٢).

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: ١ ـ ٣]، وَأَمَرَهُ مَعَ ذَلِكَ بِالإِيمَانِ، فَأَوْجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَأَنَّ اللهَ صَادِقٌ فِي إِخْبَارِهِ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَأَمَرَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُؤْمِنَ، وَلَا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَالعِلْمُ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ، وَلَا يَقْدِرُ القَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يُؤْمِنَ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ.

---

(١) الحديث أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٥١٤) وغيره وليس فيه ذكر الأطفال.

(٢) أحمد (٢٥٧٤٣) بلفظ «تَضَاغِيهِمْ» أي: بُكاءَهُمْ وَصِيَاحَهُمْ. قال الحافظُ ابنُ حجر: حديث ضعيف جِدًّا. (فتح الباري، ج٣/ص٢٤٦).

وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَبَا لَهَبٍ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يُؤْمِنَ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ(١).

مَسْأَلَةٌ:

* وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالإِيمَانِ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ؟

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: نَعَمْ.

* يُقَالُ لَهُمْ: أَتُثْبِتُونَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الإِيمَانِ وَيَتَأَتَّى لَهُمْ ذَلِكَ؟

* فَإِنْ قَالُوا: لَا، وَافَقُونَا.

* وَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، زَعَمُوا أَنَّ العِبَادَ يَقْدِرُونَ عَلَى الخُرُوجِ مِنْ عِلْمِ اللهِ، تَعَالَى اللهُ ﷻ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

الرَّدُّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ:

قَالَ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ المَجُوسُ أَثْبَتُوا الشَّيْطَانَ يَقْدِرُ

(١) قال الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) حاكيا عن الأشعري قولَه: إنَّا وَجَدْنا اللهَ تعالى قدْ أمَر أبا لهبٍ أن يجمعَ بين تصديق نبيِّه ﷺ وبينَ العلمِ بأنَّه لا يؤمنُ؛ لقوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣] حُكمًا جزمًا وقضاءً بتًّا بأنه من أهل النارِ، وذلك حُكْمٌ على العاقبةِ، ويستحيلُ أن يجمعَ أبو لهبٍ بينَ الإيمانِ بنبيِّه ﷺ وبيْنَ العِلْمِ بأنه لا يؤمنُ، وهذا أبعدُ من الأمر بالمعجوزِ عنه. (مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص١١١) وقال القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): قد قال شيخنا **أبو الحسن** ﷺ في كثير من كتبه: إنه قد وَرد التكليفُ بفِعْل ما يَعْجزُ المُكَلَّفُ عنه، وذلك أنه تعالى قدْ أمَرَ أبا لَهبٍ بأن يَعْلمَ أنه يَصْلَى النّار، وأنه لا يُؤْمِنُ، وأنْ يَفْعَلِ الإيمانَ ويَفْعَل العلمَ بأنه لا يُؤْمِن. قال: وذلك تكليفُ ما يعجز عنه. (هداية المسترشدين، ج٣/ص٦٠ ـ ٦١).

عَلَىٰ الشَّرِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ، فَكَانُوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا كَافِرِينَ؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَم.

يُقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ الكَافِرِينَ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الكُفْرِ، وَاللهُ ﷻ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَدْ زِدْتُمْ عَلَىٰ المَجُوسِ فِي قَوْلِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَعَهُمْ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَقْدِرُ عَلَىٰ الشَّرِّ، وَاللهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَدْ زِدْتُمْ.

وَهَذَا مِمَّا بَيَّنَهُ الخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ القَدَرِيَّةَ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»(١)، وَإِنَّمَا صَارُوا مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا بِقَوْلِ المَجُوسِ(٢).

مَسْأَلَةٌ(٣):

وَزَعَمَتِ القَدَرِيَّةُ أَنَّا نَسْتَحِقُّ اسْمَ القَدَرِ لِأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدَّرَ الشَّرَّ وَالكُفْرَ، فَمَنْ يُثْبِتُ القَدَرَ كَانَ قَدَرِيًّا، دُونَ مَنْ لَمْ يُثْبِتْهُ.

يُقَالُ لَهُمْ: القَدَرِيُّ هُوَ مَنْ يُثْبِتُ القَدَرَ لِنَفْسِهِ دُونَ رَبِّهِ ﷻ، وَأَنَّهُ يُقَدِّرُ أَفْعَالَهُ دُونَ خَالِقِهِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي اللُّغَةِ لِأَنَّ الصَّائِغَ هُوَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَصُوغُ، دُونَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ يُصَاغُ لَهُ، وَالنَّجَّارُ هُوَ مَنْ يُضِيفُ النِّجَارَةَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، دُونَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُنْجَرُ لَهُ.

---

(١) أبو داود (٤٦٩١).

(٢) قال الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) حاكيا موقف الأشعري من القَدَرِيَّة: وكان يقول: شبّههم الرسول ﷺ بالمجوسِ لنسبتهم الأفعالَ إلىٰ أكثر من فاعلٍ واحدٍ ودعواهمْ تنزيهَ الله بنفيِ إرادةِ الشرِّ عنه. (مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص١٠٦).

(٣) راجع تقرير القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) لهذه المسألَة بعينها في التمهيد، باب في وجوبِ تسميتهم قدرية (ص٣٢٢) وما بعدها.

فَلَمَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تُقَدِّرُونَ أَعْمَالَكُمْ وَتَفْعَلُونَهَا ـ دُونَ رَبِّكُمْ ـ وَجَبَ أَنْ تَكُونُوا قَدَرِيَّةً.

وَلَمْ نَكُنْ نَحْنُ قَدَرِيَّةً؛ لِأَنَّا لَمْ نُضِفِ الأَعْمَالَ إِلَىٰ أَنْفُسِنَا دُونَ رَبِّنَا ﷻ، وَلَمْ نَقُلْ: إِنَّا نُقَدِّرُهَا دُونَهُ، وَقُلْنَا: إِنَّهَا تُقَدَّرُ لَنَا.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ مَنْ أَثْبَتَ التَّقْدِيرَ لِلَّهِ ﷻ قَدَرِيًّا فَيَلْزَمُكُمْ إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدَّرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَقَدَّرَ الطَّاعَاتِ أَنْ تَكُونُوا قَدَرِيَّةً، فَإِذَا لَمْ يَلْزَمْ هَذَا فَقَدْ بَطَلَ قَوْلُكُمْ وَانْتَقَضَ كَلَامُكُمْ.

مَسْأَلَةٌ فِي الخَتْمِ:

يُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة: ٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فَخَبِّرُونَا عَنْ الَّذِينَ خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ، أَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ هَدَاهُمْ وَشَرَحَ لِلْإِسْلَامِ صُدُورَهُمْ وَأَضَلَّهُمْ؟.

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، تَنَاقَضَ قَوْلُهُمْ، وَقِيلَ لَهُمْ: كَيْفَ تَكُونُ الصُّدُورُ مَشْرُوحَةً لِلْإِيمَانِ وَهِيَ ضَيِّقَةٌ حَرِجَةٌ مَخْتُومٌ عَلَيْهَا؟! وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ القُفْلُ ـ الَّذِي قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] ـ مَعَ الشَّرْحِ، وَالضِّيقُ مَعَ السَّعَةِ، وَالهُدَىٰ مَعَ الضَّلَالِ؟! إِنْ كَانَ هَذَا جَازَ أَنْ يَجْتَمِعَ التَّوْحِيدُ وَالإِلْحَادُ

الَّذِي هُوَ جَحْدُ التَّوْحِيدِ، وَالكُفرُ وَالإِيمَانُ مَعًا فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ لَمْ يَجُزْ هَذَا لَمْ يَجُزْ مَا قُلْتُمُوهُ.

❁ **فَإِنْ قَالُوا**: الخَتْمُ وَالضِّيقُ وَالضَّلَالُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَ شَرْحِ اللهِ الصَّدْرَ.

❁ **قِيلَ لَهُمْ**: وَكَذَلِكَ الهُدَى لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الضَّلَالِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَمَا شَرَحَ اللهُ صُدُورَ الكَافِرِينَ لِلإِيمَانِ، بَلْ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَقْفَلَهَا عَنِ الحَقِّ وَشَدَّ عَلَيْهَا، كَمَا دَعَا نَبِيُّ اللهِ مُوسَى عليه السلام عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩].

وَقَالَ عز وجل يُخْبِرُ عَنِ الكَافِرِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

فَإِذَا خَلَقَ اللهُ الأَكِنَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ وَالقُفْلَ وَالزَّيْغَ ـ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] ـ وَالخَتْمَ وَضِيقَ الصَّدْرِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ ـ الَّذِي عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ ـ فَقَدْ أَمَرَهُمْ بِمَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.

وَإِذَا خَلَقَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مَا ذَكَرْنَا ـ مِنَ الضِّيقِ عَنِ الإِيمَانِ ـ فَهَلِ الضِّيقُ عَنِ الإِيمَانِ إِلَّا الكُفْرُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ؟!

وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ كُفْرَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَالَ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

وَقَالَ يُخْبِرُ عَنْ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [يوسف: ٢٤].

فَحَدِّثُونَا عَنْ ذَلِكَ التَّثْبِيتِ وَالبُرْهَانِ، هَلْ فَعَلَهُ اللهُ ﷻ بِالكَافِرِينَ أَوْ مَا هُوَ مِثْلُهُ؟

فَإِنْ قَالُوا: لَا، تَرَكُوا القَوْلَ بِالقَدَرِ.

وَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ لَمْ يَرْكَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ التَّثْبِيتِ، فَيَجِبُ لَوْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ بِالكَافِرِينَ أَنْ يَثْبُتُوا عَنِ الكُفْرِ[1]، وَإِذَا لَمْ يَكُونُوا عَنِ الكُفْرِ مُتَفَرِّقِينَ فَقَدْ بَطَلَ أَنْ يَكُونَ فَعَلَ بِهِمْ مِثْلَ مَا فَعَلَهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ التَّثْبِيتِ الَّذِي لَمَّا فَعَلَهُ بِهِ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى الكَافِرِينَ.

مَسْأَلَةٌ فِي الاسْتِثْنَاءِ[2]:

وَيُقَالُ لَهُمْ: خَبِّرُونَا عَنْ مُطَالَبَةِ رَجُلٍ لِرَجُلٍ بِحَقٍّ، فَقَالَ لَهُ: «وَاللهِ لَأُعْطِيَنَّكَ ذَلِكَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ»، أَلَيْسَ اللهُ شَائِيًا أَنْ يُعْطِيَهُ حَقَّهُ؟

(١) أي: بأن لا يَقْرَبُوه ولا يَقَعُوا فيه.

(٢) أي: الاستثناءُ في الأَيْمانِ جمعُ يَمِينٍ، لا في الإِيمَانِ الذي هو التَّصديقُ.

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: نَعَمْ(١).

يُقَالُ لَهُمْ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ جَاءَ الغَدُ فَلَمْ يُعْطِهِ حَقَّهُ، أَلَيْسَ لَا يَحْنَثُ؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ(٢).

يُقَالُ لَهُمْ: فَلَوْ كَانَ اللهُ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَهُ حَقَّهُ لَحَنَثَ إِذَا لَمْ يُعْطِهِ(٣)، كَمَا لَوْ قَالَ: «وَاللهِ لَأُعْطِيَنَّكَ حَقَّكَ إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ غَدًا»، ثُمَّ طَلَعَ الفَجْرُ وَلَمْ يُعْطِهِ، يَكُونُ حَانِثًا.

مَسْأَلَةٌ فِي الآجَالِ:

يُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾ [المنافقون: ١١](٤)؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: خَبِّرُونَا عَمَّنْ قَتَلَهُ قَاتِلُهُ ظُلْمًا، أَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ قُتِلَ فِي

---

(١) بناءً على أن الأمْرَ يرادفُ الإرادة والمَشِيئَة عند القَدَرِيَّة.

(٢) وإنما لَمْ يحنثْ لقول النبيِّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ**». (الترمذي: ١٥٣٢ ـ أحمد: ٨٠٨٨).

(٣) يعني فدلَّ عدمُ حِنْثِه على أنَّ اللهَ لم يشأْ أن يردَّ للرجلِ حقَّهُ، وهذا الذي يفرُّ منه القدريةُ.

(٤) قال القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ): فأخبر أنه لا يُؤَخِّرُ موْتَ أحدٍ حضَر أجَلُه وانقضت مدَّتُه التي قسَمَها لحياتِه بتَمَنِّيه لذلك. وهذا من أوضح النصوص الدالة على إبطال قول من قال من القدرية: إن القاتلَ لغيره ظلما قاطعٌ لأجله، وإنه لو لَمْ يقتلْهُ لعاشَ إلى أجَلٍ مضروبٍ له عند اللهِ. (هداية المسترشدين، ج٣/ص١٩٩).

أَجَلِهِ، أَوْ بِأَجَلِهِ؟

❋ **فَإِنْ قَالُوا:** نَعَمْ، وَافَقُوا وَقَالُوا بِالحَقِّ وَتَرَكُوا القَدَرَ.

❋ **وَإِنْ قَالُوا:** لَا.

❖ **قِيلَ لَهُمْ:** فَمَتَىٰ أَجَلُ هَذَا المَقْتُولِ؟

❋ **فَإِنْ قَالُوا:** الوَقْتُ الَّذِي عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُقْتَلْ [لَمَاتَ فِيهِ.

❖ **يُقَالُ لَهُمْ:** لَا يَجُوزُ ـ إِذَا كَانَ فِي مَعْلُومِ اللهِ أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ لَمْ يُقْتَلْ وَبَقِيَ](١) لَتَزَوَّجَ امْرَأَةً ـ أَنَّهَا امْرَأَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ إِلَىٰ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَإِذَا كَانَ فِي مَعْلُومِ اللهِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُقْتَلْ وَبَقِيَ لَكَفَرَ أَنْ تَكُونَ النَّارُ دَارَهُ، وَإِذَا لَمْ يَجُزْ هَذَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الوَقْتُ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهِ أَجَلًا لَهُ(٢).

عَلَىٰ أَنَّ هَذَا القَوْلَ مُضَادٌّ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

مَسْأَلَةٌ أُخْرَىٰ:

❖ **وَيُقَالُ لَهُمْ:** إِذَا كَانَ القَاتِلُ عِنْدَكُمْ قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ لَا يَقْتُلَ هَذَا المَقْتُولَ فَيَعِيشَ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ قَطْعِ أَجَلِهِ وَتَقْدِيمِهِ قَبْلَ أَجَلِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ تَأْخِيرِهِ إِلَىٰ أَجَلِهِ، فَالإِنْسَانُ عَلَىٰ قَوْلِكُمْ يَقْدِرُ أَنْ يُقَدِّمَ آجَالَ العِبَادِ وَيُؤَخِّرَهَا، وَيَقْدِرُ أَنْ يُبْقِيَ

---

(١) هذا سقطٌ وقع، وتم استدراكُهُ من التمهيد وهداية المسترشدين للقاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ).

(٢) راجع تقرير القاضي **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) إجمالا لهذا الجواب في التمهيد (ص٣٣٣ ـ ٣٣٤) وتفصيله له تفصيلا في هداية المسترشدين (ج٣/ص٢١٣ ـ ٢١٤).

العِبَادَ، وَيُبَلِّغَهُمْ [آجَالَهُمْ](١)، وَيُخْرِجَ أَرْوَاحَهُمْ، وَهَذَا إِلْحَادٌ فِي الدِّينِ.

مَسْأَلَةٌ فِي الأَرْزَاقِ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: خَبِّرُونَا عَمَّنِ اغْتَصَبَ طَعَامًا فَأَكَلَهُ حَرَامًا هَلْ رَزَقَهُ اللهُ ذَلِكَ الحَرَامَ؟

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، تَرَكُوا القَدَرَ.

وَإِنْ قَالُوا: لَا.

قِيلَ لَهُمْ: فَمَنْ أَكَلَ جَمِيعَ عُمُرِهِ الحَرَامَ فَمَا رَزَقَهُ اللهُ شَيْئًا اغْتَذَىٰ بِهِ جِسْمُهُ.

وَيُقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ غَيْرُهُ يَغْتَصِبُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَيُطْعِمُهُ إِيَّاهُ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ فَرَازِقُ هَذَا الإِنْسَانِ عِنْدَكُمْ غَيْرُ اللهِ، وَفِي هَذَا إِقْرَارٌ مِنْهُمْ أَنَّ لِلْخَلْقِ رَازِقَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَرْزُقُ الحَلَالَ، وَالآخَرُ يَرْزُقُ الحَرَامَ، وَأَنَّ النَّاسَ تَنْبُتُ لُحُومُهُمْ وَتَشْتَدُّ عِظَامُهُمْ وَاللهُ غَيْرُ رَازِقٍ لَهُمْ مَا اغْتَذَوْا بِهِ.

وَإِذَا قُلْتُمْ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْزُقْهُ الحَرَامَ»، لَزِمَكُمْ أَنَّ اللهَ لَمْ يَغْذُهُ بِهِ، وَلَا جَعَلَهُ قِوَامًا لِجِسْمِهِ، وَأَنَّ لَحْمَهُ وَجِسْمَهُ قَامَ وَعَظْمَهُ اشْتَدَّ بِغَيْرِ اللهِ ﷻ وَهُوَ مَنْ رَزَقَهُ الحَرَامَ، وَهَذَا كُفْرٌ عَظِيمٌ إِنِ احْتَمَلُوا.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى فِي الأَرْزَاقِ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: لِمَ أَبَيْتُمْ أَنْ يَرْزُقَ اللهُ الحَرَامَ؟

---

(١) زيادةٌ يقتضيها السياقُ.

❁ **فَإِنْ قَالُوا:** لِأَنَّهُ لَوْ رَزَقَ الحَرَامَ لَمَلَّكَ الحَرَامَ(١).

❁ **يُقَالُ لَهُمْ:** خَبِّرُونَا عَنِ الطِّفْلِ الَّذِي يَتَغَذَّىٰ مِنْ لَبَنِ أُمِّهِ، وَعَنِ البَهِيمَةِ الَّتِي تَرْعَىٰ الحَشِيشَ، مَنْ يَرْزُقُهُمَا ذَلِكَ؟

❁ **فَإِنْ قَالُوا:** اللهُ.

❁ **قِيلَ لَهُمْ:** فَهَلْ مَلَّكَهُمَا؟ وَهَلْ لِلْبَهِيمَةِ مِلْكٌ؟

❁ **فَإِنْ قَالُوا:** لَا.

❁ **قِيلَ لَهُمْ:** فَلِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَوْ رَزَقَ الحَرَامَ لَمَلَّكَ الحَرَامَ وَقَدْ يَرْزُقُ اللهُ الشَّيْءَ وَلَا يُمَلِّكُهُ؟!(٢).

❁ **وَيُقَالُ لَهُمْ:** هَلْ أَقْدَرَ اللهُ العَبْدَ عَلَىٰ الحَرَامِ وَإِنْ لَمْ يُمَلِّكْهُ إِيَّاهُ؟.

❁ **فَمِنْ قَوْلِهِمْ:** نَعَمْ.

❁ **يُقَالُ لَهُمْ:** فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَرْزُقَهُ الحَرَامَ وَإِنْ لَمْ يُمَلِّكْهُ إِيَّاهُ؟!(٣).

---

(١) هذا بناءً علىٰ تعريف الجُبَّائِيِّ وكثير من أسلاف المعتزلة للرِّزْق بأنه المِلْكُ، وأنَّ مَعْنَىٰ أنَّ اللهَ رزقَ الحيَّ أنه ملَّكَهُ. (انظر هداية المسترشدين للقاضي الباقلاني، ج٣/ص٣١٤).

(٢) بسطَ **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) هذا الدليل فقال: ومِمَّا يدل علىٰ فساد هذا القول إطباقُ الأمّة علىٰ أن البهائم مرزوقةٌ لِمَا تَأْكُلُه وتَرْعَاهُ وتَشْرَبُه مِن خَشاش الأرض وغير ذلك وأنَّها غيرُ مالكةٍ لشيء من ذلك وإن كان رِزْقًا لها، وكذلك حيتان البَحْر وهوامّ البرِّ مرزوقة لما يغتذونه وإن لم تكن مالكةً لها. ويدلُّ عليه أيضا أن الأطفال وولد النعم مرزوقة لما ترضعه من لبن أمهاتها وإن كانت غير مالكةٍ لذلك باتفاق، فبطل ما قالوه. (هداية المسترشدين، ج٣/ص٣٢٤) ونحوه في التمهيد (ص٣٢٨).

(٣) هذه الحجَّةُ شرحها **القاضي الباقلاني** (ت٤٠٣هـ) بالتفصيل فقال: ويقال لهم: إن كان اللهُ تعالىٰ متىٰ رزق الحرامَ وجب كونُهُ مُمَلِّكًا له، وَجبَ أيضا متىٰ جعَلَه غذاء لبدَن الغاصِب وقِوامًا=

مَسْأَلَةٌ:

يُقَالُ لَهُمْ: إِذَا كَانَ تَوْفِيقُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ خِذْلَانُ الكَافِرِينَ مِنْ قِبَلِ اللهِ؟! وَإِلَّا فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ وَفَّقَ الكَافِرِينَ لِلْإِيمَانِ فَقُولُوا: عَصَمَهُمْ مِنَ الكُفْرِ! وَكَيْفَ يَعْصِمُهُمْ مِنَ الكُفْرِ وَقَدْ وَقَعَ الكُفْرُ مِنْهُمْ؟!.

فَإِنْ أَثْبَتُوا أَنَّ اللهَ خَذَلَهُمْ.

قِيلَ لَهُمْ: فَالخِذْلَانُ مِنَ اللهِ أَلَيْسَ هُوَ الكُفْرَ الَّذِي خَلَقَهُ فِيهِمْ؟

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، وَافَقُوا.

وَإِنْ قَالُوا: لَا.

قِيلَ لَهُمْ: فَمَا ذَلِكَ الخِذْلَانُ الَّذِي خَلَقَهُ؟

فَإِنْ قَالُوا: تَخْلِيَتُهُ إِيَّاهُمْ وَالكُفْرَ.

قِيلَ لَهُمْ: أَوَلَيْسَ مِنْ قَوْلِكُمْ: إِنَّ اللهَ عز وجل خَلَّى بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ الكُفْرِ؟

فَمِنْ قَوْلِهِمْ: نَعَمْ.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ الخِذْلَانُ التَّخْلِيَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الكُفْرِ، فَقَدْ لَزِمَكُمْ أَنْ

= لجسْمِه أن يكون قد ملَّكهُ المغصوبَ، فإن لمْ يَجِبْ ذلك لم يَجِبْ ما قلتمْ؛ لأنَّه ليْسَ معْنَى الرِّزق أكثر من انتفاعِ المرزوق به، فإذا انتفعَ غاصبُ الحرامِ به وانقسمت أجزاؤهُ عليه ونبتَ به لَحْمُه ونشزَ عظمُهُ وعَبلَ جسمُهُ وزال به جُوعُه وعطشُهُ وجَبَ لذلك أن يكون قد ملَّكَهُ ما هذه حالُهُ، فإن لم يجبْ ذلك لم يجبْ إذا رَزَقَ الحرامَ بهذا المَعْنَى أن يكون مُملِّكًا لِلْحَرامِ، وبطَلَ ما قالوهُ. (هداية المسترشدين، ج٣/ص٣٢٧).

يَكُونَ خَذَلَ المُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ خَلَّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الكُفْرِ، وَهَذَا خُرُوجٌ عَنِ الدِّينِ.

فَلَا بُدَّ لَهُمْ أَنْ يُثْبِتُوا لَهُمُ الخِذْلَانَ لِلْكُفْرِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ فِيهِمْ، فَيَتْرُكُوا القَوْلَ بِالقَدَرِ.

مَسْأَلَةٌ:

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ مِنْ أَهْلِ القَدَرِ فَقَالَ: هَلْ يَخْلُو العَبْدُ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ نِعْمَةٍ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَيْهَا، أَوْ بَلِيَّةٍ يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّبْرُ عَلَيْهَا؟

قِيلَ لَهُ: العَبْدُ لَا يَخْلُو مِنْ نِعْمَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَالنِّعْمَةُ يَجِبُ عَلَى العَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَيْهَا، وَالبَلَايَا عَلَى ضَرْبَيْنِ:

[١] ـ مِنْهَا مَا يَجِبُ الصَّبْرُ عَلَيْهَا: كَالأَمْرَاضِ وَالأَسْقَامِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

[٢] ـ وَمِنْهَا مَا يَجِبُ عَلَيْهِ الإِقْلَاعُ عَنْهَا: كَالكُفْرِ وَالمَعَاصِي.

مَسْأَلَةٌ:

وَإِنْ سَأَلُوا فَقَالُوا: أَيُّمَا خَيْرٌ؟ الخَيْرُ؟ أَوْ مَنِ الخَيْرُ مِنْهُ؟

قِيلَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ الخَيْرُ مِنْهُ مُتَفَضِّلًا بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الخَيْرِ.

فَإِنْ قَالُوا: فَأَيُّمَا شَرٌّ؟ الشَّرُّ؟ أَوْ مَنِ الشَّرُّ مِنْهُ؟

قِيلَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ الشَّرُّ مِنْهُ جَائِرًا بِهِ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ[١]، وَاللهُ ﷻ يَكُونُ مِنْهُ الشَّرُّ خَلْقًا وَهُوَ عَادِلٌ بِهِ، فَلِذَلِكَ لَا يَلْزَمُنَا مَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ.

---

(١) من أول هذه المسألة إلى هنا مذكور بعين هذه الألفاظ في كتاب اللمع (ص٤٧).

عَلَىٰ أَنَّكُمْ نَاقِضُونَ لِأُصُولِكُمْ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مَنْ كَانَ الشَّرُّ مِنْهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ، وَقَدْ خَلَقَ اللهُ عز وجل إِبْلِيسَ الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ، فَقَدْ خَلَقَ مَا هُوَ شَرٌّ مِنَ الشُّرُورِ كُلِّهَا، وَهَذَا نَقْضُ دِينِكُمْ، وَفَسَادُ مَذْهَبِكُمْ.

مَسْأَلَةٌ فِي الهُدَى:

يُقَالُ لِلْمُعْتَزِلَةِ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٢] فَأَخْبَرَ أَنَّ القُرْآنَ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: أَوَ لَيْسَ قَدْ ذَكَرَ اللهُ عز وجل القُرْآنَ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ [فصلت: ٤٤]، فَخَبَّرَ أَنَّ القُرْآنَ عَلَى الكَافِرِينَ عَمًى؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ خَبَّرَ اللهُ عز وجل أَنَّ القُرْآنَ لَهُ هُدًى هُوَ عَلَيْهِ عمًى؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: لَا.

يُقَالُ لَهُمْ: فَكَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ عَمًى عَلَى مَنْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَهُ هُدًى، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ هُدًى لِمَنْ أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ عَمًى.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: إِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ دُعَاءُ اللهِ إِلَى الإِيمَانِ هُدًى لِمَنْ قَبِلَ

وَلِمَنْ لَمْ يَقْبَلْ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ دُعَاءُ إِبْلِيسَ إِلَى الكُفْرِ إِضْلَالًا لِمَنْ قَبِلَ وَلِمَنْ لَمْ يَقْبَلْ؟

فَإِنْ كَانَ دُعَاءُ إِبْلِيسَ إِلَى الكُفْرِ إِضْلَالًا لِلْكَافِرِينَ ـ الَّذِينَ قَبِلُوا عَنْهُ ـ دُونَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوا عَنْهُ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنَّ دُعَاءَ اللهِ ﷻ إِلَى الإِيمَانِ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَبِلُوا عَنْهُ، دُونَ الكَافِرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوا عَنْهُ، وَإِلَّا فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ ذَلِكَ؟!.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، فَهَلْ يَدُلُّ قَوْلُهُ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُضِلَّ الكُلَّ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الكُلَّ لَقَالَ: يُضِلُّ بِهِ الكُلَّ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يُضِلَّ الكُلَّ؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الكُلَّ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الكُلَّ لَقَالَ: وَيَهْدِي بِهِ الكُلَّ، فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَهْدِ الكُلَّ، وَفِي هَذَا إِبْطَالُ قَوْلِكُمْ: إِنَّ اللهَ هَدَى الخَلْقَ أَجْمَعِينَ.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ دُعَاءَ اللهِ إِلَى الإِيمَانِ هُدًى لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَمْ

يَقْبَلُوا عَنِ اللهِ أَمْرَهُ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ دُعَاءُ اللهِ إِلَىٰ الإِيمَانِ نَفْعًا وَصَلَاحًا وَتَسْدِيدًا لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوا عَنِ اللهِ أَمْرَه؟! وَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ عِصْمَةً لَهُمْ مِنَ الكُفْرِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الكُفْرِ مُعْتَصِمِينَ؟! وَأَنْ يَكُونَ تَوْفِيقًا لِلْإِيمَانِ وَإِنْ لَمْ يُوَفَّقُوا لِلْإِيمَانِ؟! وَفِي هَذَا مَا يُوجِبُ أَنَّ اللهَ سَدَّدَ الكَافِرِينَ وَأَصْلَحَهُمْ وَعَصَمَهُمْ وَوَفَّقَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَإِنْ كَانُوا كَافِرِينَ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ الكَافِرِينَ مَخْذُولُونَ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ مُوَفَّقِينَ لِلْإِيمَانِ وَهُمْ مَخْذُولُونَ؟!.

فَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الكَافِرُ مُوَفَّقًا لِلْإِيمَانِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ الإِيمَانُ لَهُ مُتَّفِقًا؟ فَإِنِ اسْتَحَالَ هَذَا فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَسْتَحِيلَ مَا قُلْتُمُوهُ؟!.

مَسْأَلَةٌ فِي الضَّلَالِ:

- **يُقَالُ لَهُمْ**: أَضَلَّ اللهُ تَعَالَىٰ الكَافِرِينَ عَنِ الإِيمَانِ أَوْ عَنِ الكُفْرِ؟

- **فَإِنْ قَالُوا**: عَنِ الكُفْرِ.

- **قِيلَ لَهُمْ**: فَكَيْفَ يَكُونُونَ ضَالِّينَ عَنِ الكُفْرِ ذَاهِبِينَ عَنْهُ وَهُمْ كَافِرُونَ؟!.

- **وَإِنْ قَالُوا**: أَضَلَّهُمْ عَنِ الإِيمَانِ، تَرَكُوا قَوْلَهُمْ.

- **وَإِنْ قَالُوا**: نَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَضَلَّهُمْ، وَلَمْ يُضِلَّهُمْ عَنْ شَيْءٍ.

- **قِيلَ لَهُمْ**: مَا الفَرْقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ هَدَىٰ المُؤْمِنِينَ لَا إِلَىٰ شَيْءٍ؟! فَإِنِ اسْتَحَالَ أَنْ يَهْدِيَ المُؤْمِنِينَ لَا إِلَىٰ الإِيمَانِ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُضِلَّ الكَافِرِينَ لَا إِلَىٰ الإِيمَانِ.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: مَا مَعْنَى قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ؟.

فَإِنْ قَالُوا: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُسَمِّيهِمْ ضَالِّينَ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالضَّلَالِ.

قِيلَ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ خَاطَبَ اللهُ العَرَبَ بِلُغَتِهِمْ فَقَالَ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] ؟

فَلَا بُدَّ مِنْ: نَعَمْ.

يُقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ أَنْزَلَ القُرْآنَ بِلِسَانِ العَرَبِ فَمِنْ أَيْنَ وَجَدْتُمْ فِي لُغَةِ العَرَبِ أَنْ يُقَالَ: أَضَلَّ فُلَانٌ فُلَانًا، أَيْ: سَمَّاهُ ضَالًّا ؟

فَإِنْ قَالُوا: وَجَدْنَا القَائِلَ يَقُولُ ـ إِذَا قَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ: ضَلَّ ـ: قَدْ ضَلَّلَهُ.

قِيلَ لَهُمْ: قَدْ وَجَدْنَا لَعَمْرِي القَائِلَ: «ضَلَّلَ فُلَانٌ فُلَانًا» إِذَا سَمَّاهُ ضَالًّا، وَلَمْ نَجِدْهُمْ يَقُولُونَ: «أَضَلَّ فُلَانٌ فُلَانًا» بِهَذَا المَعْنَى، فَلَمَّا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧] لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ الاسْمَ وَالحُكْمَ؛ إِذْ لَمْ يَجُزْ فِي لُغَةِ العَرَبِ أَنْ يُقَالَ: «أَضَلَّ فُلَانٌ فُلَانًا» بِأَنْ سَمَّاهُ ضَالًّا، بَطَلَ تَأْوِيلُكُمْ؛ إِذْ كَانَ خِلَافَ لِسَانِ العَرَبِ.

مَسْأَلَةٌ أُخْرَى:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ اللهَ أَضَلَّ الكَافِرِينَ بِأَنْ سَمَّاهُمْ ضَالِّينَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَا ادَّعَيْتُمُوهُ، فَيَلْزَمُكُمْ إِذَا سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ قَوْمًا: ضَالِّينَ

فَاسِدِينَ بِأَنْ يَكُونَ قَدْ أَضَلَّهُمْ وَأَفْسَدَهُمْ بِأَنْ سَمَّاهُمْ ضَالِّينَ فَاسِدِينَ.

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ هَذَا بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الاسْمَ وَالحُكْمَ كَمَا ادَّعَيْتُمْ.

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦]، فَذَكَرَ أَنَّهُ يَهْدِيهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، فَجَعَلَ الدُّعَاءَ عَامًّا، وَالهُدَى خَاصًّا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧].

فَإِذَا أَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ فَكَيْفَ يَجُوزُ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ هَدَى الكَافِرِينَ، مَعَ إِخْبَارِهِ أَنَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ؟! وَمَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]، وَمَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وَمَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣].

وَإِنْ جَازَ هَذَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: أَضَلَّ المُؤْمِنِينَ، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ﴾ [الكهف: ١٧]، وَمَعَ قَوْلِهِ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَهْدِيَ الكَافِرِينَ مَعَ قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وَمَعَ سَائِرِ الآيَاتِ الَّتِي طَالَبْنَاكُمْ بِهَا؟!

مَسْأَلَةٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَلَيْكَ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

فَلَا بُدَّ مِنْ نَعَم.

يُقَالُ لَهُمْ: فَأَضَلَّهُمْ لِيَضِلُّوا أَوْ لِيَهْتَدُوا؟

فَإِنْ قَالُوا: أَضَلَّهُمْ لِيَهْتَدُوا.

قِيلَ لَهُمْ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُضِلَّهُمْ لِيَهْتَدُوا؟! وَإِنْ جَازَ هَذَا جَازَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِيَضِلُّوا.

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَهْدِيَ المُؤْمِنِينَ لِيَضِلُّوا فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُضِلَّ الكَافِرِينَ لِيَهْتَدُوا؟!.

جَوَابٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ هَدَىٰ الكَافِرِينَ فَلَمْ يَهْتَدُوا فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَنْفَعَهُمْ فَلَا يَنْتَفِعُون وَأَنْ يُصْلِحَهُمْ فَلَا يَنْصَلِحُونَ؟!.

وَإِذَا جَازَ أَنْ يَنْفَعَ مَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِنَفْعِهِ فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ أَنْ يَضُرَّ مَنْ لَا تَلْحَقُهُ المَضَرَّةُ؟!.

فَإِنْ كَانَ لَا يَضُرُّ إِلَّا مَنْ يَلْحَقُهُ الضَّرَرُ فَكَذَلِكَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مُنْتَفِعًا.

وَلَو جَازَ أَنْ يَنْفَعَ مَنْ لَيْسَ مُنْتَفِعًا وَيَهْدِيَ مَنْ لَيْسَ مُهْتَدِيًا جَازَ أَنْ يُقْدِرَ مَنْ لَيْسَ مُقْتَدِرًا، وَإِذَا اسْتَحَالَ ذَلِكَ اسْتَحَالَ أَنْ يَنْفَعَ مَنْ لَيْسَ مُنْتَفِعًا وَيَهْدِيَ مَنْ لَيْسَ مُهْتَدِيًا.

مَسْأَلَةٌ يَسْأَلُونَ عَنْهَا:

يَقُولُونَ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ هُدًى لِلْكَافِرِينَ وَالمُؤْمِنِينَ؟.

قِيلَ لَهُمْ: الآيَةُ خَاصَّةٌ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ بَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ هُدًى لِلمُتَّقِينَ، وَخَبَّرَنَا أَنَّهُ لَا يَهْدِي الكَافِرِينَ، وَالقُرْآنُ لَا يَتَنَاقَضُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] أَرَادَ المُؤْمِنِينَ دُونَ الكَافِرِينَ.

مَسْأَلَةٌ:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ [يس: ١١]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وَقَدْ أَنْذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ، وَمَنْ خَشِيَ وَمَنْ لَمْ يَخْشَ.

قِيلَ لَهُ: نَعَمْ.

فَإِنْ قَالُوا: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] أَرَادَ بِهِ هُدًى لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ؟.

قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ [يس: ١١] إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ: يَنْتَفِعُ بِإِنْذَارِكَ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥] أَرَادَ أَنَّ الإِنْذَارَ يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ يَخْشَى السَّاعَةَ وَيَخَافُ العُقُوبَةَ فِيهَا.

عَلَى أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَخْبَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ القُرْآنِ أَنَّهُ أَنْذَرَ الكَافِرِينَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وَهَذَا خَبَرٌ عَنِ الكَافِرِينَ، وَقَالَ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وَقَالَ: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] وَهَذَا خِطَابٌ لِلْكَافِرِينَ.

فَلَمَّا خَبَّرَ اللهُ ﷻ فِي آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ أَنَّهُ أَنْذَرَ الكَافِرِينَ، كَمَا خَبَّرَ فِي آيَاتٍ أَنَّهُ أَنْذَرَ مَنْ يَخْشَاهَا، وَأَنْذَرَ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ، وَجَبَ بِالقُرْآنِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَنْذَرَ المُؤْمِنِينَ وَالكَافِرِينَ، فَلَمَّا أَخْبَرَنَا اللهُ أَنَّهُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وَعَمًى عَلَى الكَافِرِينَ وَخَبَّرَنَا أَنَّهُ لَا يَهْدِي الكَافِرِينَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ دُونَ الكَافِرِينَ.

مَسْأَلَةٌ:

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] فَقَالَ: أَلَيْسَ ثَمُودُ كَانُوا كَافِرِينَ وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ هَدَاهُمْ.

قِيلَ لَهُ: لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا ظَنَنْتَ.

وَالجَوَابُ فِي هَذِهِ الآيَةِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

* أَحَدُهُمَا: أَنَّ ثَمُودَ كَانُوا فَرِيقَيْنِ: كَافِرِينَ، وَمُؤْمِنِينَ وَهُمُ الَّذِينَ خَبَّرَ أَنَّهُ نَجَّاهُمْ مَعَ صَالِحٍ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [هود: ٦٦]، فَالَّذِينَ عَنَىٰ اللهُ ﷻ مِنْ ثَمُودَ أَنَّهُ هَدَاهُمْ هُمُ المُؤْمِنُونَ دُونَ الكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ بَيَّنَ لَنَا فِي القُرْآنِ أَنَّهُ لَا يَهْدِي الكَافِرِينَ، وَالقُرْآنُ لَا يَتَنَاقَضُ، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَإِذَا أَخْبَرَنَا فِي مَوْضِعٍ أَنَّهُ لَا يَهْدِي الكَافِرِينَ ثُمَّ خَبَّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ هَدَىٰ ثَمُودَ عَلِمْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ المُؤْمِنِينَ مِنْ ثَمُودَ دُونَ الكَافِرِينَ.

* وَالوَجْهُ الآخَرُ: أَنَّ اللهَ ﷻ عَنَىٰ قَوْمًا مِنْ ثَمُودَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ثُمَّ ارْتَدُّوا، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ هَدَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا بَعْدَ الهِدَايَةِ الكُفْرَ عَلَىٰ الإِيمَانِ، وَكَانُوا فِي حَالِ مَا هَدَاهُمْ مُؤْمِنِينَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ مُعْتَرِضًا فِي الجَوَابِ الأَوَّلِ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] وَيَعْنِي المُؤْمِنِينَ مِنْ ثَمُودَ ويقول: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟﴾ [فصلت: ١٧] يَعْنِي الكَافِرِينَ مِنْهُمْ وَهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ؟

يُقَالُ لَهُ: هَذَا جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا القُرْآنُ أَنْ يَقُولَ: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] وَيَعْنِي المُؤْمِنِينَ مِنْ ثَمُودَ، ويقول: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟﴾ [فصلت: ١٧] وَيَعْنِي الكَافِرِينَ مِنْهُمْ، وَقَدْ وَرَدَ القُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] يَعْنِي الكُفَّارَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] يَعْنِي المُؤْمِنِينَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤] يَعْنِي الكَافِرِينَ، وَلَا خِلَافَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي جَوَازِ الخِطَابِ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ لِجِنْسٍ وَالمُرَادُ بِهِ جِنْسَانِ، فَبَطَلَ مَا اعْتَرَضَ بِهِ المُعْتَرِضُ، وَدَلَّ عَلَىٰ جَهْلِهِ.

بَابٌ

رَوَىٰ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: «**إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ المَلَكَ**»، قَالَ: «**فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يُقَالُ: اكْتُبْ أَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ**». قَالَ: «**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**»(١).

وَرَوَىٰ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، قَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ؟!**»، قَالَ: «**فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلِمَاتِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ عَمَلٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ السَّمَوَاتِ؟!**» قَالَ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ**»(٢).

---

(١) البخاري (٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) البخاري (٣٤٠٩) ومسلم (٢٦٥٢) والترمذي (٢١٣٤) واللفظ له.

وَرَوَىٰ حَدِيثَ: «حَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ» مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(١).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ بُطْلَانِ قَوْلِ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَعْلَمُ الشَّيْءَ حَتَّىٰ يَكُونَ»؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا كَتَبَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ فَلَا يَكْتُبُ شَيْئًا لَا يَعْلَمُهُ، جَلَّ عَنْ ذَلِكَ وَتَقَدَّسَ.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وَقَالَ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وَقَالَ: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤]، وَقَالَ: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، وَقَالَ: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، فَذَلِكَ مُبَيِّنٌ أَنَّهُ يَعْلَمُ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا.

وَأَخْبَرَ ﷻ أَنَّ الخَلْقَ يُبْعَثُونَ وَيُحْشَرُونَ، وَأَنَّ الكَافِرِينَ فِي النَّارِ يُخَلَّدُونَ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالمُؤْمِنِينَ فِي الجِنَانِ يُخَلَّدُونَ(٢)، وَأَنَّ القِيَامَةَ تَقُومُ، وَلَمْ تَقُمِ القِيَامَةُ

---

(١) الموطأ (١٧١٦).

(٢) قال الشيخ أبو الحسن الأشعريُّ رضي الله عنه: قال جَهْمُ بْنُ صفوان: لِمَقْدُوراتِ الله تعالىٰ ومعلوماتِه غايَةٌ ونهايَةٌ، ولأفعاله آخِرٌ، وأنَّ الجنَّةَ والنَّارَ تَفْنَيان ويَفْنَىٰ أَهْلُهُما حتىٰ يكون الله سبحانه آخِرًا لا شيء معَهُ، كما كانَ أوَّلًا لا شيْءَ معَهُ، وقال أهْلُ الإسْلَام جميعًا: ليْسَ للجنَّةِ والنَّارِ آخِرٌ، وأنَّهما لا تزالان باقِيَتَيْن، وكذلك أهْلُ الجنَّةِ لا يزالون في الجنَّةِ يتنعَّمُون، وأهْلُ النَّار لا يزالون في النّار يُعَذَّبُون، وليس لذلك آخِرٌ، ولا لمعلوماتِه ومقدُورَاتِه غايَةٌ ولا نِهايَةٌ. (مقالات الإسلاميين، ص١٦٤).

بَعْدُ، فَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ.

وَقَدْ قَالَ ﷻ فِي أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فَأَخْبَرَ عَمَّا لَا يَكُونُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ.

وَقَالَ: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١ - ٥٢]، وَمَنْ لَا يَعْلَمُ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ لَا يَعْلَمُهُ بَعْدَ تَقَضِّيهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَرَوَىٰ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ الأَعْمَشِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: فَذَكَرُوا رَجُلًا، فَذَكَرُوا مِنْ خُلُقِهِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَا لَهُ مَنْ يَأْخُذُ عَلَىٰ يَدَيْهِ؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ قُطِعَ رَأْسُهُ أَكُنْتُمْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لَهُ رَأْسًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الْمَرْأَةِ مَكَثَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ انْحَدَرَتْ دَمًا، ثُمَّ تَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيَقُولُ: اكْتُبْ أَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَثَرَهُ، وَخُلُقَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُغَيِّرُوا خُلُقَهُ حَتَّىٰ تُغَيِّرُوا خَلْقَهُ(١).

وَرَوَىٰ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَنَحْنُ حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَتَ بِهَا فِي الأَرْضِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ**

(١) البخاري في الأدب المفرد (٢٨٣).

شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ الشَّقَاوَةِ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ**»، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠][(١)].

وَرَوَىٰ مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)].

وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ عَلِمَ مَا يَكُونُ أَنَّهُ يَكُونُ وَكَتَبَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ كَتَبَ أَهْلَ الجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ، وَخَلَقَهُمْ فَرِيقَيْنِ فَرِيقًا فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي السَّعِيرِ، وَبِذَلِكَ نَطَقَ كِتَابُهُ العَزِيزُ إِذْ يَقُولُ: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وَقَالَ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، فَخَلَقَ اللهُ الأَشْقِيَاءَ لِلشَّقَاوَةِ، وَالسُّعَدَاءَ لِلسَّعَادَةِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

---

(١) البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) أحمد (٢٤٧٦٢) وأبو يعلى (٤٦٦٨) وابن حبان (٣٤٦) وأصله في البخاري (٦٥٩٤) ومسلم (٢٦٤٣).

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا وَلِلنَّارِ أَهْلًا**»(١).

دَلِيلٌ آخَرُ فِي القَدَرِ:

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ بُطْلَانِ قَوْلِ القَدَرِيَّةِ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيَةَ.

وَجَاءَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ، ثُمَّ قَرَّرَهُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَقَامَ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ قَالَ:** ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢](٢).

فَجَعَلَ تَقْرِيرَهُمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ لَمَّا أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ إِذَا أَنْكَرُوا فِي الدُّنْيَا مَا كَانُوا عَرَفُوهُ فِي الذَّرِّ الأَوَّلِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِ الإِقْرَارِ جَحَدُوهُ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَةً لِلْجَنَّةِ، وَقَبَضَ قَبْضَةً لِلنَّارِ، فَخَيَّرَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ، فَغَلَبَتِ الشِّقْوَةُ عَلَىٰ أَهْلِ الشِّقْوَةِ، وَالسَّعَادَةُ عَلَىٰ أَهْلِ السَّعَادَةِ**»(٣).

---

(١) مسلم (٢٦٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**».

(٢) بنحوه في مسند أحمد (٢٤٥٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٤١).

(٣) بنحوه في مسند أحمد (١٧٥٩٤) بسند صحيح عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ، فَبَكَىٰ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّىٰ تَلْقَانِي؟**» قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ=

قَالَ اللهُ ﷻ مُخْبِرًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، فَكُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرٍ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ ﷻ وَنَفَذَتْ بِهِ إِرَادَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِيهِ مَشِيئَتُهُ.

وَرَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى القُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دُعِيَ إِلَى جَنَازَةِ غُلَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: طُوبَى لِهَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: **«أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَلِلنَّارِ أَهْلًا جَعَلَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»**(١).

وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ السَّعَادَةَ قَدْ سَبَقَتْ لِأَهْلِهَا، وَالشَّقَاءَ قَدْ سَبَقَ لِأَهْلِهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**(٢).

دَلِيلٌ آخَرُ:

وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وَقَالَ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ وَيَهْدِي.

وَقَالَ اللهُ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]،

= رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ وَلَا أُبَالِي، وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى بِيَدِهِ الأُخْرَى فَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أُبَالِي**»، فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ القَبْضَتَيْنِ أَنَا.

(١) مسلم (٢٦٦٢).

(٢) البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧).

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَإِذَا كَانَ الكُفْرُ مِمَّا أَرَادَهُ فَقَدْ فَعَلَهُ وَقَدَّرَهُ وَأَحْدَثَهُ وَأَنْشَأَهُ وَاخْتَرَعَهُ.

وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦] فَلَوْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لِلْأَصْنَامِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ كَانَ ذَلِكَ مَخْلُوقًا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] يُرِيدُ أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، فَكَذَلِكَ إِذَا ذَكَرَ عِبَادَتَهُمْ لِلْأَصْنَامِ وَكُفْرَهُمْ بِالرَّحْمَنِ، وَلَوْ كَانَ مِمَّا قَدَّرُوهُ وَفَعَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ لَكَانُوا قَدْ فَعَلُوا وَقَدَّرُوا مَا خَرَجَ عَنْ تَقْدِيرِ رَبِّهِمْ وَفِعْلِهِ، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِنَ التَّقْدِيرِ وَالفِعْلِ وَالقُدْرَةِ مَا لَيْسَ لِرَبِّهِمْ؟! مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ عَجَّزَ اللهَ ﷻ، تَعَالَىٰ عَنْ قَوْلِ المُعَجِّزِينَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ العِبَادَ يَعْلَمُونَ مَا لَا يَعْلَمُهُ اللهُ ﷻ لَكَانَ قَدْ أَعْطَاهُمْ مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي عِلْمِ اللهِ وَجَعَلَهُمْ نُظَرَاءَ، فَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ العِبَادَ يَفْعَلُونَ وَيُقَدِّرُونَ مَا لَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ، وَيقْدِرُونَ عَلَىٰ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَقَدْ جَعَلَ لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ وَالقُدْرَةِ وَالتَّمَكُّنِ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ لِلرَّحْمَنِ، تَعَالَىٰ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الزُّورِ وَالبُهْتَانِ وَالإِفْكِ وَالطُّغْيَانِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

جَوَابٌ:

وَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَعَلَ الكَافِرُ الكُفْرَ فَاسِدًا بَاطِلًا مُتَنَاقِضًا؟

فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ.

قِيلَ لَهُمْ: وَكَيْفَ يَفْعَلُهُ فَاسِدًا مُتَنَاقِضًا قَبِيحًا وَهُوَ يَعْتَقِدُهُ حَسَنًا صَحِيحًا أَفْضَلَ الأَدْيَانِ؟

وَإِذَا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ لِأَنَّ الفِعْلَ لَا يَكُونُ فِعْلًا عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ إِلَّا مِمَّنْ عَلِمَهُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَقِيقَتِهِ، كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْلًا مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْهُ فِعْلًا، فَقَدْ وَجَبَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ الكُفْرَ وَخَلَقَهُ كُفْرًا فَاسِدًا بَاطِلًا مُتَنَاقِضًا خِلَافًا لِلْحَقِّ وَالسَّدَادِ.

بَابُ
الكَلَامِ فِي الشَّفَاعَةِ وَالخُرُوجِ مِنَ النَّارِ

وَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ أَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَفَاعَةً[1]، فَلِمَنِ الشَّفَاعَةُ؟ أَهِيَ لِلْمُذْنِبِينَ المُرْتَكِبِينَ لِلْكَبَائِرِ؟ أَمْ لِلْمُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ؟

فَإِنْ قَالُوا: لِلْمُذْنِبِينَ المُرْتَكِبِينَ لِلْكَبَائِرِ وَافَقُوا.

وَإِنْ قَالُوا: لِلْمُؤْمِنِينَ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ المَوْعُودِينَ بِهَا.

قِيلَ لَهُمْ: فَإِذَا كَانُوا بِالجَنَّةِ مَوْعُودِينَ وَبِهَا مُبَشَّرِينَ، وَاللهُ ﷻ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، فَمَا مَعْنَى الشَّفَاعَةِ لِقَوْمٍ لَا يَجُوزُ عِنْدَكُمْ أَنْ لَا يُدْخِلَهُمُ اللهُ جَنَّاتِهِ؟!.

وَمِنْ قَوْلِكُمْ: قَدِ اسْتَحَقُّوهَا عَلَى اللهِ ﷻ وَاسْتَوْجَبُوهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ كَانَ تَأْخِيرُهُمْ عَنِ الجَنَّةِ ظُلْمًا، وَإِنَّمَا يَشْفَعُ الشُّفعاءُ إِلَى اللهِ ﷻ فِي أَنْ لَا يَظْلِمَ عَلَى مَذَاهِبِكُمْ، تَعَالَى اللهُ عَنِ افْتِرَاءِكُمْ عَلَيْهِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَإِنْ قَالُوا: يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى اللهِ ﷻ فِي أَنْ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، لَا فِي أَنْ يُدْخِلَهُمْ جَنَّاتِهِ.

---

(١) حكى الأستاذُ أبو بكرِ بنُ فُورَكَ (ت٤٠٣هـ) عن الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ (٣٢٤هـ) رضي الله عنه أنه كان يقول: إنّ الأمَّةَ قد أجمعتْ على أن للنبيِّ ﷺ شفاعةً، وأنه يشفعُ إذا شُفِّعَ، وأنه يشفعُ لمذنبي أمَّتِهِ. قال: واختلفوا في الوَجْهِ الذي تقعُ عليه الشفاعةُ، وفي مائيَّةِ الذُّنوبِ التي يُشْفَعُ لأهْلِها، والحقُّ أنَّ نبيَّنا ﷺ مخصوصٌ من جملة الأنبياءِ بالشفاعةِ للمذنبين من أمَّتِهِ الذين ماتوا بلا توبةٍ. (المجرّد، ص١٦٠).

❖ قِيلَ لَهُمْ: أَوَ لَيْسَ قَدْ وَعَدَهُمُ اللهُ ﷻ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٣٠]، وَاللهُ ﷻ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، فَإِنَّمَا يُشْفَعُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ عِنْدَكُمْ فِي أَنْ لَا يُخْلِفَ وَعْدَهُ، وَهَذَا جَهْلٌ مِنْ قَوْلِكُمْ.

وَإِنَّمَا الشَّفَاعَةُ المَعْقُولَةُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ عِقَابًا أَنْ يُوضَعَ عَنْهُ عِقَابُهُ، أَوْ فِي مَنْ لَمْ يَعِدْهُ شَيْئًا أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِهِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ الوَعْدُ بِالتَّفَضُّلِ سَابِقًا فَلَا وَجْهَ لِهَذَا.

❁ سُؤَالٌ:

فَإِنْ سَأَلُوا عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فَالجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ(١).

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَهْلِ الكَبَائِرِ(٢)، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ المُذْنِبِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ(٣).

---

(١) حكاهُ الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشعري من لفظِهِ أنه قال: «قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] يحتملُ أن يكون معناه: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أن يُشْفَعَ له، وهو يَرْتَضِي أنْ يُشْفَع لفُسَّاقِ أهْلِ المِلَّة، فيكون الرِّضَا في هذا التأويلِ واقعًا علىٰ الشفاعَةِ دونَ ذنُوبِهم، ويمكنُ أن يكون الرِّضا راجعًا إليهم مِن جِهَة إيمانهم وتوْحِيدِهم، لا من جهةِ فِسْقِهم، ونظيرُ ذلك أنَّك تَرْتَضي النَّجَّارَ للنِّجارة ولا ترْتَضِيه للبناءِ إذا لم يكنْ حاذِقًا فيه، فقد رضيتَهُ من وَجهٍ وإن لم ترْضَهُ لغَيْرِهِ، فكذلك ارْتَضَىٰ اللهُ مُذْنِبي أهْلِ الملَّةِ لإيمانِهم فجازَ أن يُشَفِّعَ فِيهِم. (المجرّد، ص١٦٩) وانظر أيضًا جواب القاضي أبي بكر الباقلاني في التمهيد (ص٣٧١).

(٢) أحمد (١٣٢٢٢) أبو داود (٤٧٣٩) مِن حديث أنس بن مالك ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

(٣) البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ﵁ وفيه: «حَتَّىٰ إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ=

بَابُ

الكَلَامِ فِي الحَوْضِ(١)

وَأَنْكَرَتِ المُعْتَزِلَةُ الحَوْضَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَرُوِيَ عَنْ أَصْحَابِهِ بِلَا خِلَافٍ.

وَرَوَىٰ عَفَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ ذُكِرَ الحَوْضُ عِنْدَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَنْكَرَهُ، فَبَلَغَ أَنَسًا رضي الله عنه فَقَالَ: لَا جَرَمَ وَاللهِ لَأَفْعَلَنَّ بِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا أَنْكَرْتُمْ مِنَ الحَوْضِ؟! قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُهُ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً يَقُولُ: **«مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ - يَعْنِي الحَوْضَ - مَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ، أَوْ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ، وَإِنَّ آنِيَتَهُ أَكْثَرُ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ»**(٢).

= **مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ المَلَائِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»**. الحديثَ.

(١) قال الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشعريِّ: كان يقول بإثبات حوْضٍ للنبي ﷺ، وأنّ ذلك خصوصيّةٌ في الكرامة للنبيّ ﷺ وزيادةُ فضلٍ ومرتبةٍ، وذلك من مجوّزات العقول، ومما يمكنُ أن يرد به الخبرُ ويجب الاعترافُ بكونهِ عند ورود خبرِ الصادق به، فأما طولُهُ وعرضهُ وصفةُ ما فيهِ من الشرابِ لونا وطعمًا وما يوجَدُ عنده من اللذّة فذلك أيضا موقوفٌ علىٰ الخبرِ، والعقلُ مسوِّغٌ لجميعِ ما وردَ به الخبرُ من ذلك. (مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص١٧٣).

(٢) أبو يعلىٰ (٢٧٦١).

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ**»[1]، فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ.

(١) البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٢٢٨٩).

بَابُ

الكَلَامِ فِي عَذَابِ القَبْرِ [1]

وَأَنْكَرَتِ المُعْتَزِلَةُ عَذَابَ القَبْرِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَرُوِيَ عَنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَمَا رُوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ أَنْكَرَهُ وَنَفَاهُ وَجَحَدَهُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِجْمَاعًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَرَوَىٰ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» [2].

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الحَضْرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنا وُهَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ العَاص أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ [3].

وَرَوَىٰ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ اللهَ عز وجل أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ مَا أَسْمَعَنِي**» [4].

---

(١) حكىٰ الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشعري قوْلَهُ بعْدَ إثباتِ عذابِ القَبْر: ولسْنَا نُنْكِرُ أن يكون ذلك للمُؤمِن المُذْنِب تطْهِيرًا أو تَكْفِيرًا، وللطاهِر مِن الذنوب مِحْنَةً وتعْرِيضًا للدَّرجَة، وللكافر عقوبةً ونكالًا. (مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص١٧٠).

(٢) المصَنَّف لابن أبي شيبة (٥٨٩).

(٣) البخاري (١٣٧٦).

(٤) مسلم (٢٨٦٨).

دليلٌ آخرُ:

وَمِمَّا يُبيِّنُ عذابَ الكافِرينَ فِي القُبُورِ قوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فَجَعَلَ عَذابَهُمْ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةِ بعْدَ عَرْضِهِمْ علَى النَّارِ فِي الدُّنْيا غُدُوًّا وعَشِيًّا.

وَقَالَ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [التوبة: ١٠١] مَرَّةً بِالسَّيْفِ، وَمَرَّةً فِي قُبُورِهِمْ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [التوبة: ١٠١].

وَأَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّ الشُّهَداءَ فِي الدُّنْيا يُرْزَقُونَ وَيَفْرَحُونَ بِفَضْلِ اللهِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠]، وَهَذا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الدُّنْيا لِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ أَحْياءٌ لَمْ يَمُوتُوا وَلَا قُتِلُوا.

بَابُ
الكَلَامِ فِي إِمَامَةِ[1] أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١].

وَأَثْنَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالسَّابِقِينَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَنَطَقَ القُرْآنُ بِمَدْحِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وَقَدْ أَجْمَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ وَمَدَحَهُمْ عَلَىٰ إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2]، وَسَمَّوْهُ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَايَعُوهُ وَانْقَادُوا لَهُ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالفَضْلِ.

---

(١) حكىٰ الأستاذُ أبو بكر بن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعرِيِّ أنه كان يقول: إنَّ الإمامةَ هي خلافةُ الرَّسُولِ في باب القيامِ مقامَهُ من حيث إنفاذُ الأحكام، وإقامةُ الحدُود، وجِبايَةُ الخَراج، وحِفْظُ البَيْضَةِ، ونُصْرَةُ المظلوم، والقبْضُ علىٰ أيْدِي الظّالمين، منْ غيْرِ أن يَكونَ له ابتداءُ شرائعَ وتغْييرُ شَرْعٍ، وإنما يكون في ذلك كواحِدٍ مِن الأمَّة يقيمُ الحقوقَ علىٰ حسَب ما دلّتْ عليه آيُ الكتاب والسُّنَن وحصَلَ عليه اتفاقُ الأمّة ومَا دلّتْ عليه العقولُ بالقياسِ والاستنباطِ مِنْ هذِه الأصُول. (مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص١٨١).

(٢) قال ابن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعرِيِّ: وكان يعتمدُ في دلائل وجوب الإمامة الإجماعَ=

وَكَانَ أَفْضَلَ الجَمَاعَةِ[1] فِي جَمِيعِ الخِصَالِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الإِمَامَةَ مِنَ العِلْمِ وَالزُّهْدِ وَقُوَّةِ الرَّأْيِ وَسِيَاسَةِ الأُمَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

دَلِيلٌ آخَرُ مِنَ القُرْآنِ عَلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه:

وَقَدْ دَلَّ عَلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ، فَقَالَ لِلْقَاعِدِينَ عَنْ نُصْرَةِ نَبِيِّهِ وَالمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الخُرُوجِ مَعَهُ: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وَقَالَ فِي سُورَةٍ أُخْرَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ يَعْنِي تُعْرِضُوا عَنْ إِجَابَةِ الدَّاعِي لَكُمْ إِلَى قِتَالِهِمْ ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٥ ـ ١٦].

وَالدَّاعِي لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي قَالَ اللهُ ﷻ لَهُ: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، فَمَنَعَهُمُ الخُرُوجَ مَعَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَجَعَلَ خُرُوجَهُمْ

= ودلائل السمع. (المجرد، ص١٨١).

(١) قال ابن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعريِّ: كان يذهبُ إلى أن إمامته تنعقدُ وإمامةَ المفضُول معهُ لا تنعقد، وكان يخالف في ذلك جماعة أصحابنا المُجوِّزين إمامةَ المفضولِ، ويقول: إن الذين تولوا الإمامةَ بعدَ الرسول ﷺ كان كلُّ واحدٍ منهم أفضلَ أهلِ وقتهِ وزمانهِ على الترتيبِ الذي مَضوْا عليه والتدريج الذي اندرجوا عليْه. (المجرد، ص١٨٢).

مَعَهُ تَبْدِيلًا لِكَلَامِهِ، فَوَجَبَ بِذَلِكَ أَنَّ الدَّاعِيَ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى القِتَالِ دَاعٍ يَدْعُوهُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ النَّاسُ: هُمْ أَهْلُ فَارِسَ، وَقَالُوا: أَهْلُ اليَمَامَةِ، فَإِنْ كَانُوا أَهْلَ اليَمَامَةِ فَقَدْ قَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَدَعَا إِلَى قِتَالِهِمْ، وَإِنْ كَانَ الرُّومُ فَقَدْ قَاتَلَهُمُ الصِّدِّيقُ أَيْضًا، وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ فَارِسَ فَقَدْ قُوتِلُوا فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَقَاتَلَهُمْ عُمَرُ مِنْ بَعْدِهِ وَفَرَغَ مِنْهُمْ.

وَإِذَا وَجَبَتْ إِمَامَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَبَتْ إِمَامَةُ أَبِي بَكْرٍ كَمَا وَجَبَتْ إِمَامَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ العَاقِدُ لَهُ الإِمَامَةَ[١].

فَقَدْ دَلَّ القُرْآنُ عَلَى إِمَامَةِ الصِّدِّيقِ وَالفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَإِذَا وَجَبَتْ إِمَامَةُ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَبَ أَنَّهُ أَفْضَلُ المُسْلِمِينَ[٢].

دَلِيلٌ آخَرُ مِنَ الإِجْمَاعِ عَلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى إِمَامَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ المُسْلِمِينَ جَمِيعًا تَابَعُوهُ وَانْقَادُوا لِإِمَامَتِهِ، وَقَالُوا لَهُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَأَيْنَا عَلِيًّا وَالعَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَايَعَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَقَرَّا لَهُ بِالإِمَامَةِ.

(١) قال ابن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعرِيِّ: وكان يقولُ: إنَّ إمامةَ عُمَر ثبتَتْ بعقْدِ أبي بَكْرٍ واختيَارِه لهَا. (المجرد، ص١٨٥).

(٢) قال ابن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعرِيِّ: وكان يقولُ في الأفضلِ من الصحابة والأمّة: إنّ أفضلَ الأمة بعدَ نبيِّها ﷺ أبو بكرٍ، وإنه كان الإمامَ بعدَ رسول الله ﷺ، وإنه المُختصّ بالتسمية بأنه خليفةُ رسول الله ﷺ. (المجرد، ص١٨٥) ونقل الشيخ عبد الجليل الربعيُّ (كان حيا سنة ٤٧٨هـ) عن الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه قال: ولايةُ المفضولِ مع وجود الفاضلِ لا تنعقدُ ولا تصحُّ. (التسديد في شرح التمهيد، ج٢/ص٦١٩).

وَإِذَا كَانَتِ الرَّافِضَةُ يَقُولُونَ: إِنَّ عَلِيًّا هُوَ المَنْصُوصُ عَلَىٰ إِمَامَتِهِ، وَالرَّاوَنْدِيَّةُ تَقُولُ: العَبَّاسُ هُوَ المَنْصُوصُ عَلَىٰ إِمَامَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الإِمَامَةِ إِلَّا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

[١] ـ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَّ عَلَىٰ إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ الإِمَامُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

[٢] ـ وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: نَصَّ عَلَىٰ إِمَامَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[٣] ـ وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: الإِمَامُ بَعْدَهُ العَبَّاسُ.

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: «هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ» هُوَ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَا عَلِيًّا وَالعَبَّاسَ قَدْ بَايَعَاهُ وَأَجْمَعَا عَلَىٰ إِمَامَتِهِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ(٢).

وَلَا يَجُوزُ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: كَانَ بَاطِنُ عَلِيٍّ وَالعَبَّاسِ خِلَافَ ظَاهِرِهِمَا، وَلَوْ جَازَ هَذَا لِمُدَّعِيهِ لَمْ يَصِحَّ إِجْمَاعٌ، وَجَازَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ فِي كُلِّ إِجْمَاعٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا يُسْقِطُ حُجَّةَ الإِجْمَاعِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَتَعَبَّدْنَا فِي الإِجْمَاعِ بِبَاطِنِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا تَعَبَّدَنَا بِظَاهِرِهِمْ.

---

(١) قال ابن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعرِيِّ: وكان يقولُ: إن إمامةَ أبي بكر الصديق ثبتتْ بإشارةِ النبيِّ ﷺ وبعقدِ من عقدها له من المسلمين من أهل الحلِّ والعقدِ، وكان ينكرُ قول من قال: إنَّ إمامتَهُ كانتْ بنصٍّ من رسول الله ﷺ. (المجرد، ص١٨٥).

(٢) قال القاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ): الأُمَّةُ كلُّها انقادَتْ لأبي بَكْرٍ وَعُمَر رضي الله عنهما، ودَانتْ بوُجوبِ طاعَتِهما والسُّكونِ تَحْتَ رايَتِهما، وفيهم عَلِيٌّ والعَبَّاسُ وعمَّارٌ والمِقْداد وأبو ذَرٍّ والزُّبَيْر بنُ العَوَّام وكلُّ مَنِ ادُّعِيَ لَهُ النصُّ ورُوِيَ له، وهذا الظاهر المعلومُ من حال الصحابةِ رضي الله عنهم، لا يمكننا ولا واحدٌ من الشيعةِ دفْعُهُ، ولهذا قالوا: إن التقيةَ جينُنا. (التمهيد، ص٤٤٩ تحقيق حيدر).

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ حَصَلَ الإِجْمَاعُ وَالاتِّفَاقُ عَلَىٰ إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ.

وَإِذَا ثَبَتَتْ إِمَامَةُ الصِّدِّيقِ ثَبَتَتْ إِمَامَةُ الفَارُوقِ لِأَنَّ الصِّدِّيقَ نَصَّ عَلَيْهِ وَعَقَدَ لَهُ الإِمَامَةَ وَاخْتَارَهُ لَهَا، وَكَانَ أَفْضَلَهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَثَبَتَتْ إِمَامَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ عُمَرَ بِعَقْدِ مَنْ عَقَدَ لَهُ الإِمَامَةَ مِنْ أَصْحَابِ الشُّورَىٰ الَّذِينَ نَصَّ عَلَيْهِمْ عُمَرُ فَاخْتَارُوهُ وَرَضُوا بِإِمَامَتِهِ وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

وَثَبَتَتْ إِمَامَةُ عَلِيٍّ بَعْدَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِعَقْدِ مَنْ عَقَدَهَا لَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَدَّعِهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشُّورَىٰ غَيْرُهُ فِي وَقْتِهِ.

وَقَدْ اجْتُمِعَ عَلَىٰ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، وَأَنَّ امْتِنَاعَهُ عَنْ دَعْوَىٰ الأَمْرِ لِنَفْسِهِ فِي وَقْتِ الخُلَفَاءِ قَبْلَهُ كَانَ حَقًّا؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِوَقْتِهِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ الأَمْرُ أَظْهَرَ أَعْلَنَ، وَلَمْ يُقَصِّرْ حَتَّىٰ مَضَىٰ عَلَىٰ السَّدَادِ وَالرَّشَادِ، كَمَا مَضَىٰ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الخُلَفَاءِ وَأَئِمَّةِ العَدْلِ عَلَىٰ السَّدَادِ وَالرَّشَادِ مُتَّبِعِينَ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ.

هَؤُلَاءِ هُمُ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ المُجْتَمَعُ عَلَىٰ عَدْلِهِمْ وَفَضْلِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

وَقَدْ رَوَىٰ سُرَيْحُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَشْرَجُ بْنُ نُبَاتَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، قَالَ حَدَّثَنِي سَفِينَةُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ**». ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ،

---

(١) نقل الشيخ عبد الجليل الربعيّ (كان حيا سنة ٤٧٨هـ) عن الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه قال: إن الأربعةَ في التفضيلِ على النحوِ الذي وُلُّوا عليه الخلافةَ ومَاتوا، وأرىٰ أوّلَهم ولايةً وأوّلَهم مَوْتًا هو أوّلَهُمْ فَضْلًا. (التسديد في شرح التمهيد، ج٢/ص٦٢٤).

وَخِلَافَة عُمَرَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ أَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: فَوَجَدْتُهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً(١).

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ إِمَامَةِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ رضي الله عنهم.

فَأَمَّا مَا جَرَىٰ مِنْ عَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ رضي الله عنهم فَإِنَّمَا كَانَ عَنْ تَأْوِيلٍ وَاجْتِهَادٍ(٢)، وَعَلِيٌّ الإِمَامُ.

وَكُلُّهُمْ مِنْ أَهلِ الاجْتِهَادِ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالجَنَّةِ وَالشَّهَادَةِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ حَقٍّ فِي اجْتِهَادِهِمْ.

وَكَذَلِكَ مَا جَرَىٰ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما كَانَ عَلَىٰ تَأْوِيلٍ وَاجْتِهَادٍ(٣).

وَكُلُّ الصَّحَابَةِ أَئِمَّةٌ مَأْمُونُونَ، غَيْرُ مُتَّهَمِينَ فِي الدِّينِ، وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ، وَتَعَبَّدَنَا بِتَوْقِيرِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ، وَالتَّبَرِّي مِنْ تَنَقُّصِ أَحَدٍ

---

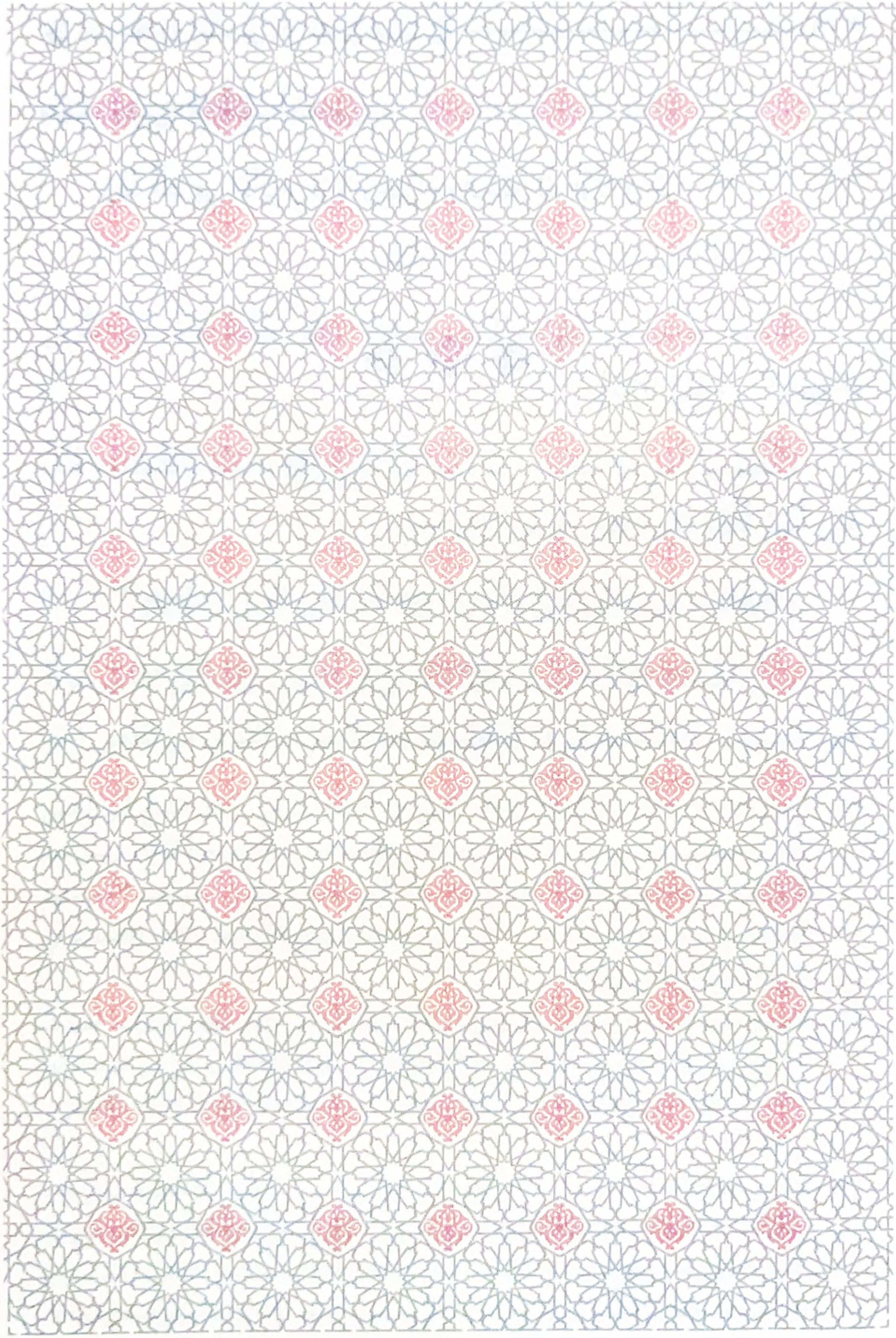
(١) أحمد (٢١٩١٩) الترمذي (٢٢٢٦) قال الشيخ عبد الجليل الرَّبَعي: وكان الشيخُ أبو الحسنِ يأخُذُ بحديث سفينةَ، ويقول: إن الخلافةَ بعد النبي ﷺ ثلاثون سنةً، ثم يعودُ مُلْكا، وليس بعدَ الأربعة إمامٌ عدلٌ مفترَضَ الطاعة، غير أن الصحابةَ كلَّهم عدولٌ مرضيُّون، ولم يثبتْ لأحدٍ منهم الخلافةُ في أول عقدها، وإنما ثبتتْ بعَقْدِ من يعقدُها، ثم تجمع الأمة بعد ذلك. (التسديد في شرح التمهيد، ج٢/ص٦١٤).

(٢) قال ابن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعرِيِّ: وكان يقولُ في أمر عائشة رضي الله عنها: إنها إنما قصدتْ الخروجَ طلبا للإصلاح بين الطائفتين بها للتوسُّطِ في أمرهما، وما كان يرجىٰ من قبول قولها عندهم لتسكين الفتنة وإطفاءِ ثائرتها، وإنها لم تقصدْ حربَ عليٍّ ولا أنكرتْ إِمْرَتَهُ. (المجرد، ص١٨٧).

(٣) قال ابن فورَكَ (ت٤٠٦هـ) عن الأشْعرِيِّ: وكان يقولُ في حرب معاويةَ: إنه كان باجتهادٍ منه، وإنّ ذلك كان خطأ وباطلا ومنكرًا وبغيًا، علىٰ معنىٰ أنه خروجٌ علىٰ إمامٍ عادلٍ، ولكنه بنوع من الاجتهادِ مِمَّن له أن يجتهدَ فيما له الاجتهادُ فيه، ولم يطلق عليه اسمَ الفسق والكفر، وكان يجري ذلك مجرىٰ اختلاف الحَاكِمَيْن إذا اجتهَدَا فأَخْطأَ أحدهما وأصاب الآخرُ. (المجرد، ص١٨٨).

مِنْهُمْ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ قُلْنا فِي الأَبْرَارِ قوْلًا وَجِيزًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا.



(ملحق)

رِسَالَةُ النَّهْجِ الأَنْبَل

فِي بيانِ وِرَاثَةِ أَهْلِ السُّنَّة الأَشَاعِرَة

لاعْتِقَادِ السَّلَفِ وَالإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل

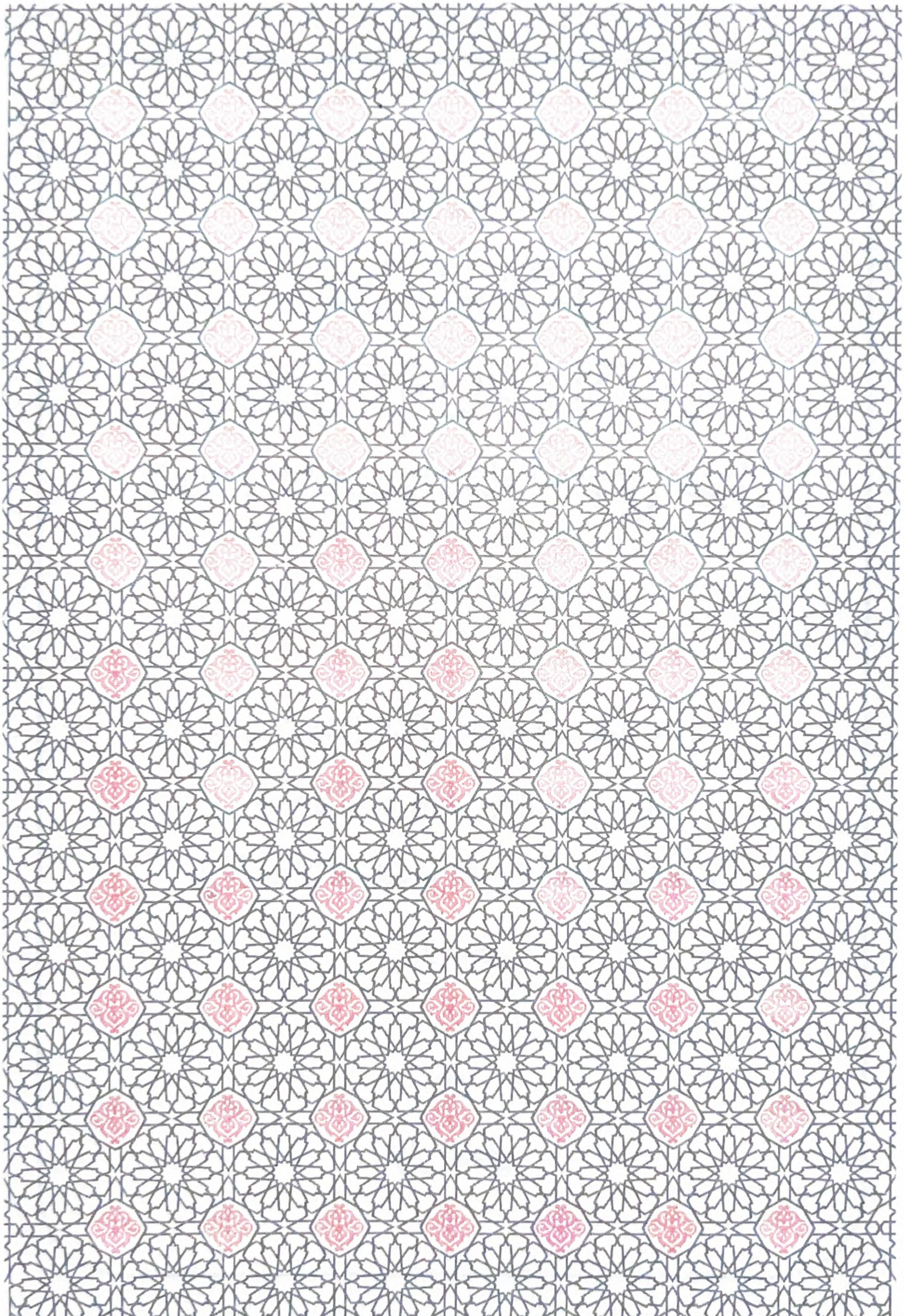
وراثتهم لاستدلال السَّلَفِ وَالإمام أحمَدَ بقوله تعالى:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]

على أنَّ القرآن كلامُ اللهِ غير مخلوقٍ لا مُحْدَثٍ ولا حَادِثٍ

جَمْع

نزار حمادي



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي حَفِظَ الدِّين، وأَوْضَح السبيل للمُهتدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه الهداة المَرْضِيِّين.

وبعد، فإنَّ نبيّنا مُحمَّدًا ﷺ قد بلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانَة، وبَيَّن طريق الحقّ والرشاد، وترَكَ الأُمَّة على المَحَجَّة البيضاء، وأوْرَثَهُم السُّنَّة الغرَّاء، فقامَ العُلماء بها أتمَّ القِيَام، ونشرُوا أنوارَها بيْنَ الأنام، فصَدق عليهم قَوْلُه ﷺ: **«يَرِثُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الغَالِينَ»**(١).

قال الإمام النَّووي: «هَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ ﷺ بِصِيَانَةِ العِلْمِ وَحِفْظِهِ وَعَدَالَةِ نَاقِلِيهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُوَفِّقُ لَهُ في كُلِّ عَصْرٍ خُلَفَاء مِنَ العُدُولِ يحمِلُونَه ويَنْفُونَ عنه التحريفَ وما بَعْدَهُ فلا يَضِيعُ، وهذا تصريحٌ بعدالة حَامِلِيه في كُلِّ عَصْرٍ، وهكذا وَقَعَ وَلِلَّهِ الحَمْدُ، وهَذَا مِنْ أعْلَام النُّبوَّة»(٢).

ولا يزال الله تعالىٰ بفضله وَطَوْلِه يَنْصُر دِينَهُ ويُوَفِّقُ من يشاء من عباده الصالحين للقيامِ بذلك، وقد قال العلماء: نَصَرَ اللهُ الإسلامَ في ثلاثةِ مواطِنَ: بأبي بكر الصديق يَوْمَ الرِّدَّةِ، وبأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يوم المِحْنَةِ، وبأبي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ يَوْمَ المُنَاظَرَة.

---

(١) أخرجه الحافظ البيهقي في السنن الكبرىٰ برقم ٢٠٩١١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، (ج١/ص١٧ طبعة دار الكتب العلمية).

والمقصود بالمِحْنَة محنةُ خَلْقِ القُرْآنِ التي ظهرت زَمَنَ حُكْمِ المَأْمُونِ ثُمَّ المُعْتَصِمِ ثُمَّ الوَاثِقِ، ولم تَرْتَفِع إلا في حُكْمِ المُتَوَكِّل، فثبتَ فيها أَئِمَّةٌ أبرزهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على معتقَدِ الصحابة والتابعين وعلماء أهل السنة والجماعة السابقين من أنَّ «**القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ مَخْلُوقًا وَلَا مَفْعُولًا وَلَا مُحْدَثًا**»(١).

وقد تمسّك الإمام أحمد رحمه الله بأَدِلَّةٍ على هذا المعتقَدِ العظيمِ، ومنها ما ذكره في رسالته للمُتَوَكِّل وهو قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقال الإمام أحمد رحمه الله: «فَأَخْبَرَ بِالخَلْقِ ثمَّ قَالَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فَأخبر أَن الأَمْرَ غَيْرُ مَخْلُوق»(٢).

وروى أبو بكر الخلال (ت٣١١هـ) أيضًا بسند صحيح عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: الذي أعتقده وأذهب إليه ولا أشك فيه أن القرآن غَيْرُ مخلوقٍ، ثم قال: سبحان الله! ومن يشك في هذا؟! ثم تكلم أبو عبد الله استعظامًا للشك في ذلك فقال: سُبحان الله! في هذا شكٌّ؟! قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففَرَّقَ بَيْنَ الخَلْقِ والأَمْر(٣).

وقالَ عبد الله بن أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ: قال أبي رحمه الله: والخَلْقُ غَيْرُ الأَمْرِ(٤).

وهذ الدليل الذي تمَسَّكَ به الإمام أحمد رحمه الله على أنَّ القُرْآن كلامُ الله غيرُ

---

(١) وهذا نصُّ كلام الإمام ابن خزيمة كما في سير أعلام النبلاء للذهبي (ج١٤/ص٣٨٠).

(٢) أورده أبو الفضل صالح ابن الإمام أحمد في سيرة والده (ص١١٦) وهو أصح ما وصلنا في أخبار الإمام أحمد رحمه الله.

(٣) السنة لأبي بكر الخلال (ج٥/ص١٣٨) طبعة دار الراية.

(٤) السنة (ص٢٧).

مخلوقٍ ولا مُحْدَثٍ قد ذكره غيرُهُ من أئِمَّةِ الإسْلَام:

* **مِنْهُم الإمام سُفْيَان بْنُ عيينة (ت١٩٨هـ)** رحمه الله فقد أخرج ٱبن أبي حاتم في تفسيره عنْهُ أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] الخَلْقُ هُوَ الخَلْقُ، وَالأَمْرُ هُوَ الكلامُ(١).

* **وَمِنْهُمْ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ يَحْيَىٰ المَكِّيُّ (ت٢٤٠هـ)** فِي مُنَاظَرَتِهِ لِبِشْرٍ المَرِيسِيِّ إذ قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جمَعَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الخَلْقَ كُلَّهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يَعْنِي الأَمْرَ ٱلَّذِي كَانَ بِهِ هَذَا الخَلْقُ، فَفَرَّقَ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ خَلْقِهِ وَبَيْنَ أَمْرِهِ، فَجَعَلَ الخَلْقَ خَلْقًا وَالأَمْرَ أَمْرًا، وَجَعَلَ هَذَا غَيْرَ هَذَا، وَهَذَا غَيْرَ هَذَا(٢).

ثم وَرِثَ أئِمَّةُ أهل السُّنة بعد الإمام أحْمَد رحمه الله هذا الدَّلِيل وغيْرَهُ مِنَ الأدلة كمَا وَرِثُوا المُعْتَقد وحَافَظُوا عليه، **مِنْهُم تلميذهُ عَبْدُ الله بْن بِشْر بْن عُمَيْرة الطّالْقانيّ (ت٢٧٥هـ)** إذْ قال: القُرْآنُ كَلَامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وبكَلَامِه خلقَ الخَلْقَ وكَوَّنَ الأشْيَاءَ، ولَيْسَ مِنَ الخَلَّاقِ العَلِيم شَيْءٌ مخلوق، **وَمَنْ زَعَمَ أنَّ كلامَهُ مَخْلُوقٌ فقد زعم أن الله شَيْءٌ مَخْلُوقٌ**، فتعَالَىٰ اللهُ عن هذا، فلقد جاء قائِلُ هذا القَوْلِ شَيْئًا نُكرًا، وٱفْترَىٰ عَظِيمًا، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففَصَلَ الخَلْقَ مِنَ الأَمْرِ(٣).

ثم بظهور شيخ أهل السُّنة أبي الحسن الأشْعَرِيِّ (ت٣٢٧هـ) رحمه الله وأئمة

---

(١) تفسير بن ابي حاتم (ج٥/ص١٤٩٨).
(٢) الحيدة (ص٥٠).
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (ج٢٧/ص١٦٨) طبعة دار الفكر.

مَدْرَسَتِهِ الثابتةِ على عقائد السَّلَفِ الصَّالِحِ ازدادَ التمسُّكُ بِهِ وقَوِيَ، فكان ذلك من أعظم وأجْلَى مصاديق وراثة الخَلَفِ العُدُولِ للسَّلَفِ رضي الله عنهم.

وَقَدْ جَمَعْنَا هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِفَضْلِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ لِبَيَانِ ذَلِكَ وَتَحْقِيقِهِ بالنُّقُولِ المُوَثَّقَةِ الجلية البيّنة، ولتصديق الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله في قوله في فاتحة كتاب الإبانة: «قَوْلُنَا الذي نَقُولُ به، وديانتُنَا التي نَدِينُ بها: التَمَسُّكُ بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسُنَّةِ نبينا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وما رُوِيَ عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحَدِيث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحْمَدُ بن محمد بن حنبل ـ نَضَّرَ اللهُ وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون»[١].

وهذا أوان الشروع في إيراد كلامِ أئمة أهل السنة الأشاعرة مقتصرًا عليهم دون غيرهم تحقيقًا لمقصود الرسالة وبالله تعالى التوفيق.

* **قال الشيخ أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٧هـ)**: إنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قِيلَ لَهُ: الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فـ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ جَمِيعُ مَا خَلَقَ دَاخِلٌ فِيهِ؛ لِأَنَّ الكَلَامَ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ عَامًّا فَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ عَامٌّ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُزِيلَ الكَلَامَ عَنْ حَقِيقَتِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ كَانَ هَذَا فِي جَمِيعِ الخَلْقِ، وَلَمَّا قَالَ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ ذَكَرَ أَمْرًا غَيْرَ جَمِيعِ الخَلْقِ، فَدَلَّ مَا وَصَفْنَا عَلَى أَنَّ أَمْرَ ٱللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ[٢].

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٢٣).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٥٧).

* وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ (ت٣٥١هـ): قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فِي هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ(١).

* وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مُجَاهِدٍ البَصْرِيُّ (ت٣٧٠هـ): وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ أَمْرَهُ ﷻ وَقَوْلَهُ غَيْرُ مُحْدَثٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَقَدْ دَلَّ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَفَرَّقَ تَعَالَى بَيْنَ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ(٢).

* وَقَالَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ البَاقِلَّانِيُّ (ت٤٠٣هـ): وَٱلَّذِي يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ خَلْقِ القُرْآنِ ـ مِنَ القُرْآنِ ـ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ القُرْآنُ مَخْلُوقًا لَكَانَ خَلْقًا ـ لِأَنَّ الخَلْقَ هُوَ المَخْلُوقُ، فَيَصِيرُ تَقْدِيرُ القَوْلِ: أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ، وَذَلِكَ عِيٌّ مِنَ الكَلَامِ مُسْتَهْجَنٌ مُسْتَغَثٌّ، وَٱللهُ يَتَعَالَى عَنِ التَّكَلُّمِ وَالإِخْبَارِ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ الخَلْقَ(٣).

وَقَالَ أَيْضًا: فَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى كَوْنِ كَلَامِ ٱللهِ قَدِيمًا غَيْرَ مَخْلُوقٍ فَمِنَ الكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الأَمْرَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ لِأَنَّ كَلَامَهُ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَخَبَرٌ(٤).

---

(١) تفسير إشفاء الصدور (ق٤٨/ب) مخطوط المكتبة الوطنية بتونس.
(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص١٥٣ ـ ١٥٤) طبعة دار السلام ـ داغستان.
(٣) التمهيد (ص٢٤٠).
(٤) رسالة الحرة المطبوعة باسم الإنصاف (ص٦٢).

* وقال الإمامُ القَاضِي عبْدُ الوَهَّاب البغدادي (ت٤٢٢هـ): وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا، وَأَنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ مُحْدَثٍ وَلَا مَخْلُوقٍ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَفَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ أَمْرَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ(١).

* قَالَ الإمام أبو عليّ ٱبْنُ شَاذَانَ (ت٤٢٦هـ)(٢): الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ أَمْرُهُ مَخْلُوقًا لَكَانَ كَأَنَّهُ قَالَ: أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ، وَهَذَا تَكْرَارٌ مِنَ الكَلَامِ، وَعِيٌّ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَعَلِمْنَا أَنَّ أَمْرَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ(٣).

* وقال الإمام الأستاذُ عَبْدُ القاهر البَغْدَاديُّ (ت٤٢٩): ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: فَصَلَ بَيْنَهُمَا، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ أَمْرَهُ غَيْرُ خَلْقِهِ(٤).

* وَقَال الإمام مكي بن أبي طالب القيرواني (ت٤٣٧هـ) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِه تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: ﴿ٱلْخَلْقُ﴾: المَخْلُوق، ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾:

---

(١) شرح عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ص١٩٤).

(٢) هو الإمام الحسنِ بن أحمد بْنِ شَاذان أبو عليّ البزاز (٣٣٩ ـ ٤٢٦هـ). قال الخطيب البغدادي: كان صدوقًا صحيحَ الكتابِ، وكان يفهمُ الكلامَ على مذهب الأشعري. (تاريخ بغداد، ج٨/ص٢٢٣. ترجمة رقم: ٣٧٢٥) ومن شيوخه الإمام أبو بكر بن كامل بن خلف بن شجرة (ت٣٥٠هـ) كما ذكر ابن خير الإشبيلي في فهرسته (ص٥٤).

(٣) نقله الإمام ابن يونس المالكي في جامع المدونة.

(٤) تفسير الأسماء والصفات (ج١/ص٣٩٦).

هُوَ كَلَامُهُ ٱلَّذِي بِهِ تَكُونُ المَخْلُوقَاتُ، فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ كَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، لَا يُشْبِهُ كَلَامَ المَخْلُوقِينَ، وَلَا يُقَدَّرُ فِيهِ صَوْتٌ وَلَا حُرُوفٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ لَهُ صِفَةُ ذَاتِهِ، فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ، كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُهَا صِفَةٌ[١].

❊ **وقال الإمامُ أبو محمد الأصبهاني ابْنُ اللَّبَّانِ[٢] (ت٤٤٦هـ)**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَفَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ أَمْرُهُ مَخْلُوقًا وَخَلْقًا لَكَانَ تَكْرَارًا وَعِيًّا مِنَ الكَلَامِ وَلَغْوًا؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ كَأَنَّهُ قَالَ: «أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ». وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يُحْمَلَ الأَمْرُ عَلَىٰ فَائِدَةٍ مُجَدَّدَةٍ وَأَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ حَتَّىٰ يَصِحَّ فَصْلُ اللهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَلْقِ وَيَكُونَ لَهُ فَائِدَةٌ[٣].

❊ **قال الإمام أبو الحَسَن عليُّ بْنُ خلفِ بْنِ بَطَّالٍ (ت٤٤٩هـ)**: الأَمْرُ غَيْرُ الخَلْقِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَصَلَ بَيْنَهُمَا بِالوَاوِ، وَهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ[٤].

---

(١) الهداية (ص٢٣٩٨).

(٢) أبو محمد الأصبهاني ابن اللبان الشافعي ت ٤٤٦هـ قال ابن الخطيب في تاريخه صحب القاضي أبا بكر الأشعري ودرس عليه أصول الديانات اهـ له كتاب الكفاية موجود.

(٣) الكفاية (ق٧٢/ب).

(٤) شرح صحيح البخاري (ج١٠/ص٤٧٦).

* وَقَالَ الإمام الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ): قَالَ الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففصَلَ بَيْنَ المخلوق والأمر، ولو كان الأمرُ مخلوقًا لم يكن لتفصيله معنى(١).

* وقال الإمامُ أبو الفتح عبد الكريم الشِّهرستاني (ت٥٤٨هـ): قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَالخَلْقُ وَالأَمْرُ يَتَقَابَلَانِ كَالفِعْلِ وَالقَوْلِ، وَعَنْ هَذَا أَمْكَنَ الاسْتِدْلَالُ بِهَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ أَمْرَ البَارِئِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ تَقْدِيرُ قَوْلِهِ: أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ، وَهَذَا مِنْ فَاسِدِ الكَلَامِ(٢).

* قال الإمامُ أبو الحسن علي بن أحمد الواحِدِيُّ (ت٤٦٨هـ): في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: ٱسْتَخْرَجَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (ت١٩٨هـ) مِنْ هَذَا أَنَّ كَلَامَ ٱللهِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا، فَقَالَ: «فَرَّقَ ٱللهُ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ كَفَرَ». يَعْنِي: مَنْ جَعَلَ الأَمْرَ ـ ٱلَّذِي هُوَ قَوْلُهُ ـ مِنْ جُمْلَةِ مَا خَلَقَهُ فَقَدْ كَفَرَ(٣).

* وقال الإمام مُحْيِي السُّنَّة الحُسَيْن بن مسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت٥١٠هـ): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: لَهُ الخَلْقُ لِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ، وَلَهُ الأَمْرُ

---

(١) الجامع لشعب الإيمان (ج١/ص٣٢٧) مكتبة الرشد.
(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٢٩٦).
(٣) التفسير البسيط (٩/١٧٦).

يَأْمُرُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ. قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ كَفَرَ(١).

* وقال الإمام أبو القَاسِم سَلْمَانُ الأَنْصَارِيُّ (ت٥١٢هـ): قَدْ تَمَثَّلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَقَالُوا: لَوْ كَانَ الأَمْرُ مِنْ جُمْلَةِ الخَلْقِ لَمَا ٱسْتَقَامَ الفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَلْقِ(٢).

وَقَالَ أَيْضًا: وَقَدْ تَمَسَّكَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ مِنْ جُمْلَةِ الخَلْقِ لَمَا ٱسْتَقَامَ الفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَلْقِ(٣).

* وقال الإمام إسماعيل الضَّرِير الحِيري النيسابوري (ت٤٣٠هـ): ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: الخَلْقُ: مَخْلُوقُهُ، وَالأَمْرُ: قَوْلُهُ، وَالخَلْقُ لا يوجد إلا بالقَوْلِ وهو قوله: «كُنْ»، فإذا كان بـ«كُنْ» يَكُونُ مَخْلُوقًا. وَأَمْرُهُ قَوْلُهُ، وَالقَوْلُ وَالكَلَامُ وَاحِدٌ، وَكَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قَالَ عَبْدُ الجَبَّارِ بْنُ عَلَاءٍ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَقَالَ: فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ كَفَرَ(٤).

---

(١) معالم التنزيل (ج٣/ص٢٣٦).
(٢) الغنية (ج٢/ص٦٥٦).
(٣) شرح الإرشاد (ج٢/ص٩١).
(٤) الكفاية في التفسير (ج٢/ص٤٣٦).

* قالَ الإمام أَحْمَدُ بْنُ عمَّار المَهْدَوِيُّ (ت٤٤٠هـ): ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: ﴿ٱلْخَلْقُ﴾: المَخْلُوقُ، ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: كلامُهُ ٱلَّذِي هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «كُنْ». وَفِي تَفْرِقَتِهِ بَيْن الخَلْقِ وَالأَمْرِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ القُرْآنِ(١).

* وقال الإمام أبو إسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ (ت٤٧٦هـ) حاكيا اعتقاد أهل السنة: «ثُمَّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ عَجَلَّ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ أَبَدِيٍّ غَيْرِ مَخْلُوقٍ وَلَا مُحْدَثٍ وَلَا مُفْتَرًىٰ وَلَا مُبْتَدَعٍ وَلَا مُخْتَرَعٍ، بَلْ أَبَدًا كَانَ مُتَكَلِّمًا بِهِ وَأَبَدًا يَكُونُ».

ثُمَّ قَالَ: «وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَالأَمْرُ كَلَامُ ٱللهِ، فَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَقَالَ: «أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ»، وَيَكُونُ تَكْرَارًا مِنَ الكَلَامِ، فَلَمَّا فَصَلَ بَيْنَهُمَا بِالوَاوِ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الخَلْقَ مَخْلُوقٌ، وَالأَمْرَ كَلَامٌ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ(٢).

* قال الإمام أبو نصر عبد الرَّحِيم القُشَيْرِيُّ (ت٥١٤هـ) ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] قَالَ ٱبْنُ عُيَيْنَةَ: «فَرَّقَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ كَفَرَ». أَيْ: مَنْ جَعَلَ الأَمْرَ ـ ٱلَّذِي هُوَ قَوْلُهُ ـ مِنْ جُمْلَةِ مَا خَلَقَهُ فَقَدْ كَفَرَ(٣).

---

(١) التحصيل (ج٣/ص٤٥).
(٢) الإشارة إلىٰ مذهب أهل الحق (ص١٣٠ ـ ١٣١).
(٣) التيسير في علم التفسير (ج٢/ق٥٢/ب).

* **وقال الإمامُ عَبْدُ الحَقِّ بْنُ عَطِيَّةَ (ت٥٤١هـ)** في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: وَأَخَذَ المُفَسِّرُونَ الخَلْقَ بِمَعْنَى المَخْلُوقَاتِ، أَيْ: هِيَ لَهُ كُلُّهَا وَمِلْكُهُ وَٱخْتِرَاعُهُ، وَأَخَذُوا الأَمْرَ مَصْدَرًا مِنْ أَمَرَ يَأْمُرُ، وَعَلَىٰ هَذَا قَالَ **النَّقَّاشُ** وَغَيْرُهُ: إِنَّ الآيَةَ تَرُدُّ عَلَىٰ القَائِلِينَ بِخَلْقِ القُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ فَرَّقَ فِيهَا بَيْنَ المَخْلُوقَاتِ وَبَيْنَ الكَلَامِ؛ إِذِ الأَمْرُ كَلَامُهُ ﷻ[1].

* **وقال الإمام القاضي أبو بَكْرِ بْنُ العَرَبِيِّ المعافري (ت٥٤٣هـ)**: قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: فَفَصَلَ الأَمْرَ مِنَ الخَلْقِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ بِخَلْقٍ وهو كلامُ الله تعالىٰ الأزلي القديم، وهو صفة من صفات ذاتهِ كعلمهِ وقدرتهِ وإرادته سبحانه[2].

* **وقال الإمامُ فَخْرُ الدين الرَّازي (ت ٦٠٦هـ)**: ٱحْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَ اللهِ قَدِيمٌ. قَالُوا: إِنَّهُ تَعَالَىٰ مَيَّزَ بَيْنَ الخَلْقِ وَبَيْنَ الأَمْرِ، وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ مَخْلُوقًا لَمَا صَحَّ هَذَا التَّمْيِيزُ، وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ دَاخِلًا تَحْتَ الخَلْقِ كَانَ إِفْرَادُ الأَمْرِ بِالذِّكْرِ تَكْرِيرًا مَحْضًا، وَالأَصْلُ عَدَمُهُ[3].

* **وَقَالَ الإمامُ المُعَافَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيل المَوْصِلِي (ت٦٣٠هـ)**: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] قَالَ ٱبْنُ عُيَيْنَةَ: «فَرَّقَ بَيْنَ الأَمْرِ وَالخَلْقِ، فَمَنْ جَمَعَ

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٤٠٩).

(٢) قانون التأويل وواضحة السبيل (مخطوط، صفحة ٢٧٣).

(٣) التفسير الكبير (ج١٤/ص٢٦٩ ـ ٢٧٠).

بَيْنَهُمَا فَقَدْ كَفَرَ». أَيْ: مَنْ جَعَلَ الأَمْرَ ٱلَّذِي هُوَ قَوْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا خَلَقَهُ فَقَدْ كَفَرَ(١).

* وقال الإمامُ سَيْفُ الدِّين الآمدي (ت٦٣١هـ): قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ خَلْقًا وَأَمْرًا، فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ مَخْلُوقًا لَكَانَ مَعْنَىٰ الكَلَامِ: أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ(٢).

* قال الإمامُ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القُرْطُبي (ت٦٧١هـ) في تفسير قولهِ تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: وَفِي تَفْرِيقِهِ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ القُرْآنِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ كَلَامُهُ ـ ٱلَّذِي هُوَ أَمْرُهُ ـ مَخْلُوقًا؛ لَكَانَ قَدْ قَالَ: «أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ»، وَذَلِكَ عِيٌّ مِنَ الكَلَامِ وَمُسْتَهْجَنٌ وَمُسْتَغَثٌّ، وَٱللهُ يَتَعَالَىٰ عَنِ التَّكَلُّمِ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ(٣).

* وقال الإمامُ أبو الحسَنِ اليَفرنِيُّ الطَّنْجِيُّ (ت٧٣٤هـ): الدَّلِيلُ عَلَىٰ قِدَمِ كَلَامِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ مِنَ الكِتَابِ آيَاتٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَوَجْهُ الاسْتِدْلَالِ مِنْهَا أَنَّهُ تَعَالَىٰ مَيَّزَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ خَارِجًا عَنِ الخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الأَمْرُ مَخْلُوقًا لَكَانَ تَقْدِيرُ الآيَةِ: أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالخَلْقُ، وَالشَّيْءُ لَا يُعْطَفُ عَلَىٰ نَفْسِهِ(٤).

---

(١) نهاية البيان في تفسير القرآن (ق١٩٨/ب) نسخة مكتبة نور عثمانية رقم ٤٦٠.
(٢) غاية المرام في علم الكلام (ص١٠٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (ج٧/ص٢٢٢).
(٤) المباحث العقلية في شرح العقيدة البرهانية (ج٢/ص٨٨٢).

* **قال الإمامُ شَمْسُ الدِّينِ الكِرْمَانِيُّ (ت٧٨٦هـ)**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفرَّق بَيْن الخَلْقِ وَالأَمْرِ حَيْثُ عَطَفَ أَحَدَهُمَا عَلَىٰ الآخرِ، وَكَيْفَ لَا وَالأَمْرُ قَدِيمٌ وَالخَلْقُ حَادِثٌ؟!(١).

* **وقال الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)**: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ٱسْتَدَلَّ بِهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ـ أَخْرَجَهُ ٱبْنُ أَبِي حَاتِمٍ ـ لِأَنَّ الأَمْرَ هُوَ الكَلَامُ، وَقَدْ عَطَفَهُ عَلَىٰ الخَلْقِ، فَٱقْتَضَىٰ أَنْ يَكُونَ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّ العَطْفَ يَقْتَضِي المُغَايَرَةَ(٢).

* **قال الإمام شهب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَرَّقَ بَيْنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ حَيْثُ عَطَفَ أَحَدَهُمَا عَلَىٰ الآخرِ، فَالخَلْقُ: هُوَ المَخْلُوقَاتُ، وَالأَمْرُ: هُوَ الكَلَامُ، فَالأَوَّلُ حَادِثٌ، وَالثَّانِي قَدِيمٌ؟!(٣).

* **قال العَلَّامَةُ أبو الحسن علي بن محمد المَنُوفِيُّ (ت٩٣٩هـ)**: قال ٱبْنُ عُيَيْنَة: بيَّنَ اللهُ الخَلْقَ مِنَ الأَمْرِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أَيْ: فَرَّقَ بَيْنَهُمَا حَيْثُ عَطَفَ أَحَدَهُمَا عَلَىٰ الآخرِ، وَكَيْفَ لَا وَالأَمْرُ قَدِيمٌ

---

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (ج٢٥/ص٢٤١).
(٢) الإكليل في استنباط التنزيل (ص١٢٩).
(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (ج١٠/ص٤٧٤).

وَالخَلْقُ حَادِثٌ ؟![١].

خاتمة في بيان مُعتقد أهْلِ السُّنَّة في صِفَة الكَلامِ:

* قال الإمام أبو بكر أحمد بن إسحاق الصِّبْغي (٣٤٢هـ): القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ خَلْقًا وَلَا مَخْلُوقًا، وَلَا فِعْلًا وَلَا مَفْعُولًا، وَلَا مُحْدَثًا وَلَا حَدَثًا وَلَا إِحْدَاثًا»[٢].

* وَقَالَ الإمام هِبَةُ اللهِ اللَّالكائِيُّ (ت٤١٨هـ): هُوَ قرآنٌ وَاحِدٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَغَيْرُ مَجْعُولٍ وَمَرْبُوبٍ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِمَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ[٣].

* وقال الإمام عَبْدُ الجَلِيلِ الرَّبَعِيُّ (ت٤٢٧هـ)[٤]: أَجْمَعَ أَهْلُ الحَقِّ مِنَ المُثْبِتَةِ وَأَصْحَابِ الحَدِيثِ، وَمَنْ يَجِبُ الرُّجُوعُ إليه مِنْ نُظَّارِ الفُقهاءِ وَدَهْمَاءِ سَلَفِ الأُمَّةِ أنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ تعالىٰ، غَيْرُ مُحْدَثٍ ولَا مَخْلُوقٍ، وَأَنَّه صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذاتِهِ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزالُ علَيْهَا مَوْصُوفًا بها[٥].

* وَقَالَ الإمام الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ (ت٤٥٨هـ): القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) معونة القاري لصحيح البخاري (ج١٠/ص٤٣٥).

(٢) الأسماء والصفات للإمام البيهقي (ج٢/ص٢٢، ٢٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج٢/ص٣٦٤).

(٤) هو عبد الجليل بن أبي بكر الربعي، يعرف بالديباجي، وبابن الصابوني، أبو القاسم، ولد بالقيروان، وقرأ بها علىٰ علمائها مثل أبي عمران الفاسي وأصحاب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، وأقرأ الناس بجامع عقبة. قال عياض أخذ عن الأَذَرِي كُتُب القاضي الباقلاني. (الغنية ص ٧٦).

(٥) التسديد في شرح التمهيد (ق٦٦/ب).

وكلام الله صفة من صفات ذاته، ولا يجوز أن يكون شيء من صفات ذاته مخلوقا ولا محدثًا ولا حادثا(١).

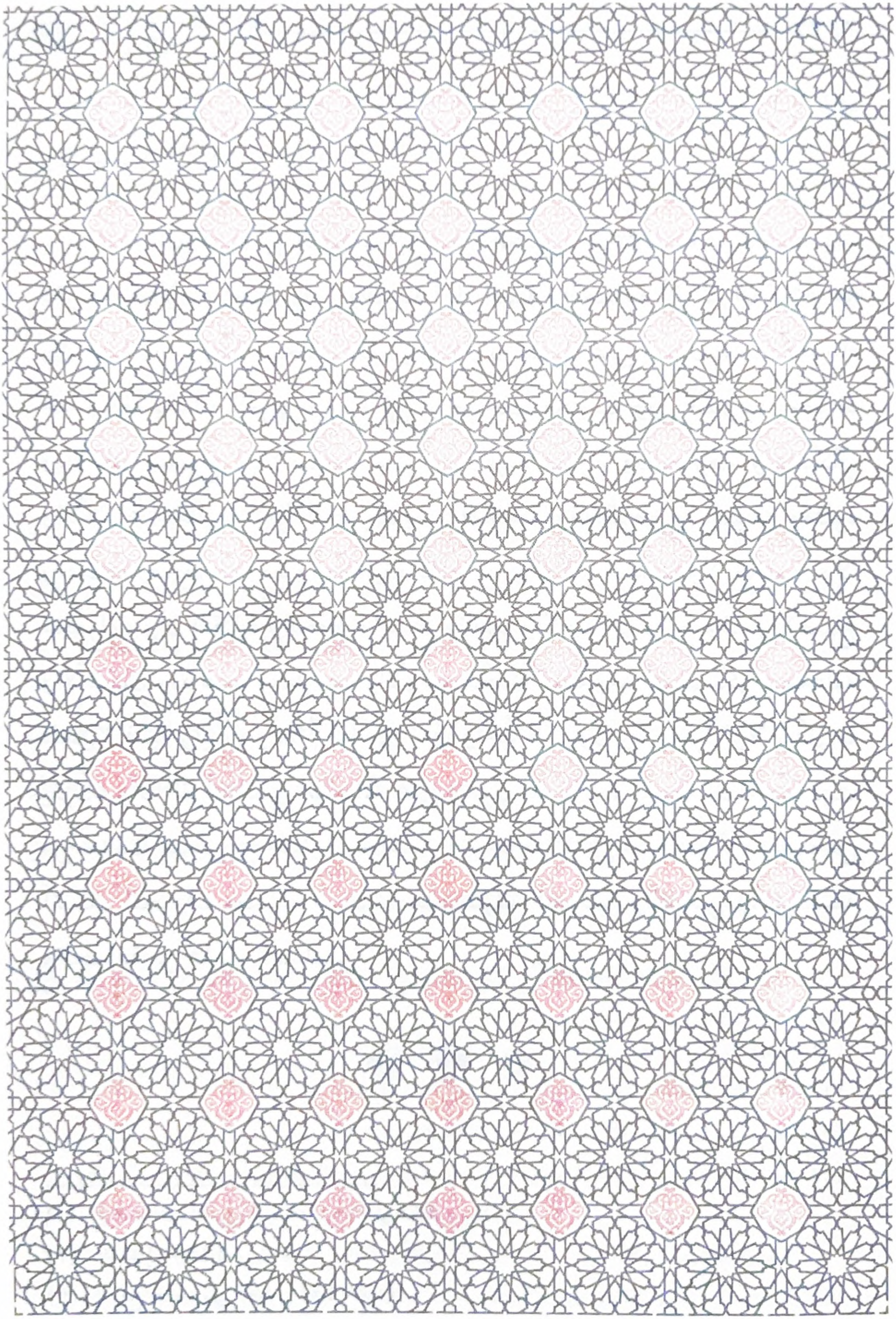
* **وقال الإمام أَبُو الخَطَّابِ ٱبْنُ دِحْيَة الكَلْبِيِّ (ت٦٣٣هـ)** في تاريخه بعد ذكر محنة الإمام أحمد رحمه الله: وعقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلامُ الله عز وجل صفة ذاته، وهو سبحانه متكلم به، نزل به جبريل على رسول الله ﷺ فوعاه عنه وبلغه بلسانه العربي، وأنه في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وبالآذان مسموع وبالأصوات متلوٌّ وبالأفهام مفهومٌ وبالحروف والأشكالِ والأصباغ مخطوط وبالألفاظ مقروء، فمكتوبه ومخطوطه ومسموعه ومتلوه ومفهومه ومحفوظه ومقروؤه حقيقة كلام الله عز وجل غير مُحْدَثٍ ولا مَخْلُوقٍ ولا مَجْعُولٍ، وأن الكتابة والحفظ والسمع والفهم والأصوات والحروف والأصباغ والأشكال والألفاظ والظروف والأوعية مُحدثَةٌ كائنةٌ بعْدَ أن لم تَكُنْ، مختلفة متغايرة فانية زائِلَةٌ، وكلامُ الله عز وجل باقٍ واحِدٌ لا يزول ولا يَحُولُ ولا يُبدَّل ما يَقُولُ، وأن القرآن الذي أنزله الله على رسول الله ﷺ لا يَغْسِلُه الماءُ كما ثبت من حديث عياض بن حمار المجاشعي أخرجه مسلم في صحيحه(٢)، وغيره من أشكال الحروف مغسولة ممحوّة. **هذه عقيدة الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة من علماء المسلمين**(٣).

---

(١) اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج١/ص٩٥).

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

(٣) تاريخ خلفاء بني العباس (ق٧٦/ب).



الفهـارس العامـة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

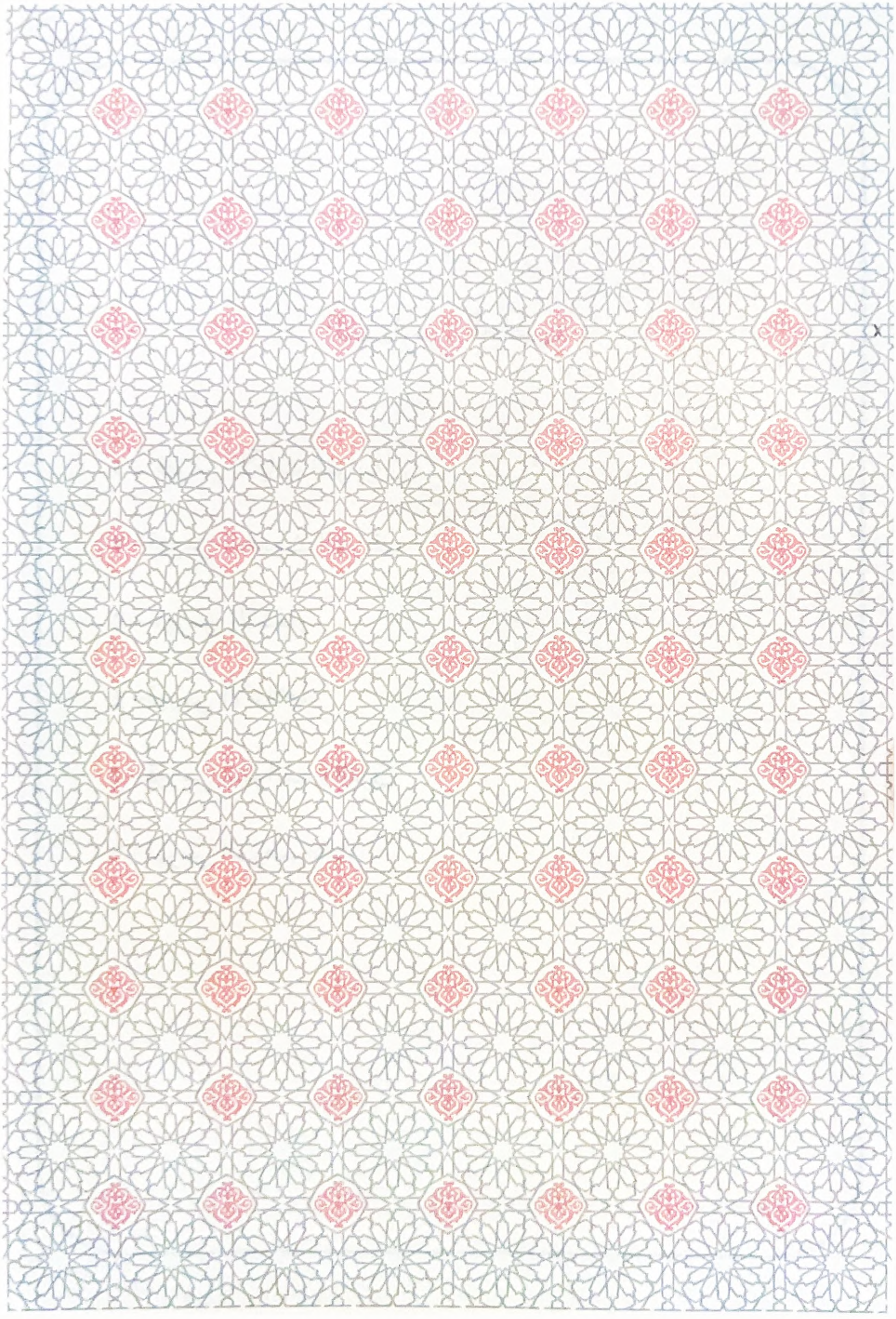
٢ –فهرس الحديث الشريف.

٣– فهرس الأشعار.

٤ –فهرس الأعلام.

٥ –فهرس الطوائف والفرق.

٦ –فهرس الموضوعات.



١ ـ فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	٢٥٥	٢٣٢
﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	٢٧٢	٢٤٨
﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	٢٨٢	٢٣٨
سورة آل عمران		
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾	١٨	١٧١
﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾	٥٥	٢١١
﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	٧٧	١٣٥ - ١٨٨
﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾	٨٦	٢٨٤
﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٨	٢٦٢
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٦٩ - ١٧٠	٣٠٢
سورة النساء		
﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	٤٨	١٢١
﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾	٥٩	١١٧
﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	٧٨	٢٦٤
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾	٧٩	٢٦٤ - ٢٦٥
﴿رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾	٨٣	١١٦ - ٢٥٩
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾	١٣٤	٢١٨
﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾	١٥٣	١٤٤
﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾	١٥٨	٢٠٤ - ٢١١

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الرعد		
﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾	٨	١١٥
سورة إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾	٤	٢٢٣ - ٢٨٣
﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢٧	٢٨٣ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٩٤
سورة النحل		
﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾	١٧	١٢٧
﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	٢٠	١٢٧
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	٤٠	١٢٥ - ١٦٣ - ١٦٠ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٩٥
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ	٥٠	٢١٠
﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾	١٠٣	٢٢٣
﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	١٠٧	٢٨٤
سورة الإسراء		
﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾	٧٤	٢٧٣
سورة الكهف		
﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾	١٧	٢٤٨ - ٢٨٤
وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾	٤٥	١١٧

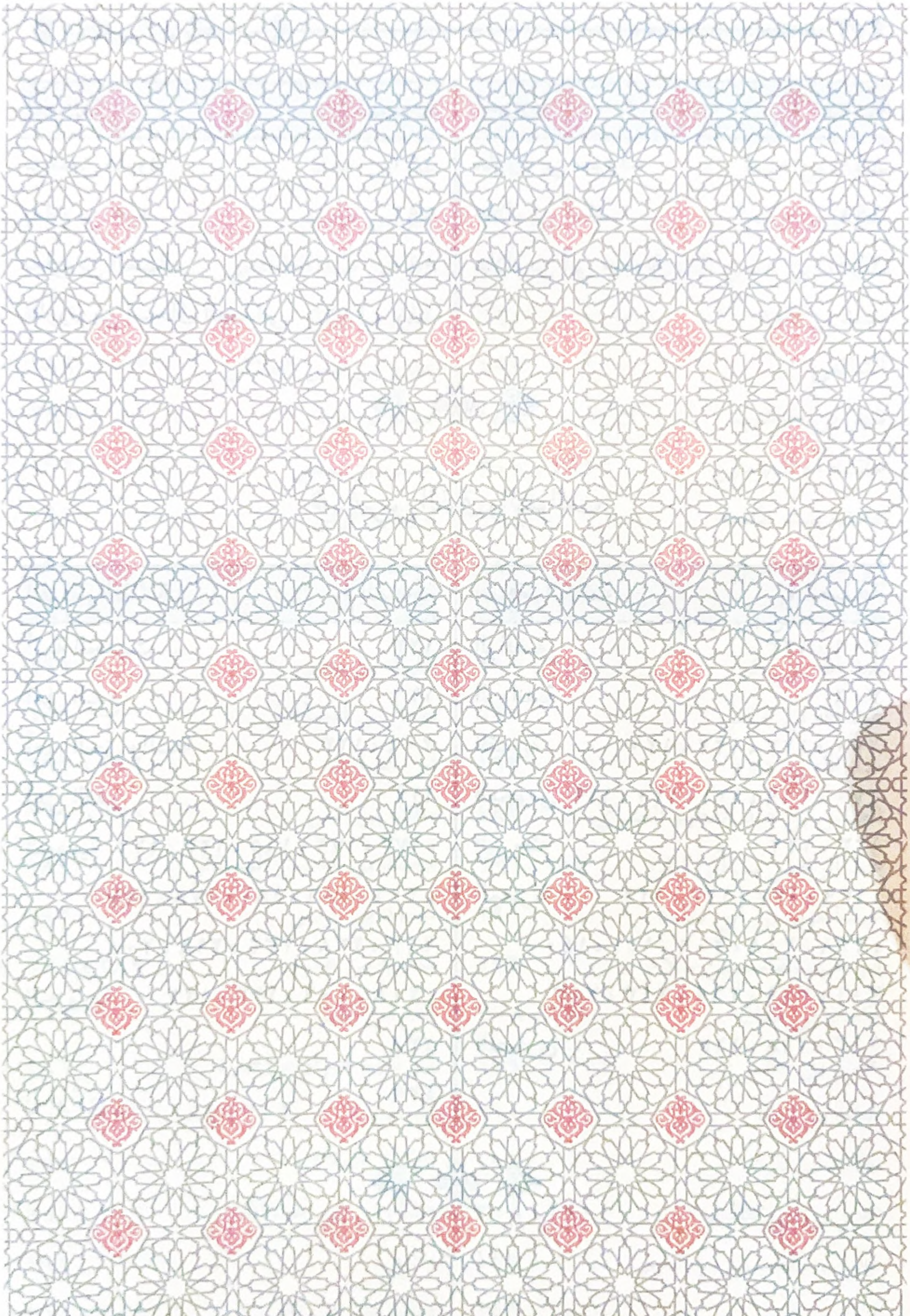
٢ ـ فهرس الحديث الشريف

الحديث الشريف	رقم الصفحة
«احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ ، قَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ؟!»	٢٨٩
«إِذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكْشِفَهُ عَنْهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»	٢١٠
«إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ ـ أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ ـ نَزَلَ اللهُ عز وجل إِلَىٰ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»	٢١٠
«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ»	٢٩٤
«أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»	١٩٠
«إِنَّ الأَطْفَالَ تُؤَجَّجُ لَهُمْ نَارٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: اقْتَحِمُوهَا ، فَمَنِ اقْتَحَمَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَقْتَحِمْهَا أَدْخَلَهُ النَّارَ»	٢٦٨
«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»	٢٩٢
«إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ المَلَكَ»	٢٨٩
«إِنْ شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضَاغِيَهُمْ فِي النَّارِ»	٢٦٨
«إِنَّ العَبْدَ لَا تَزُولُ قَدَمَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللهِ عز وجل حَتَّىٰ يَسْأَلَهُ عَنْ عَمَلِهِ»	٢١٥
«إِنَّ فَضْلَ القُرْآنِ علىٰ سَائِرِ الكَلَامِ...»	١٩٠

٣ ـ فهرس الأشعار والأرجاز

٤ ـ فهرس الأعلام

٥ ـ فهرس الفرق والطوائف



٦ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة